

كتاب المواقف

في الوعظ والارشاد

للمسيد عبد القادر الجزائري

رضي الله تعالى عنه ، ونفعنا به آمين

لو كنت تعلم ما أقول عذرتني أو كنت أجهل ما تقول عذلتك
لكن جهلت مقالتي فعذلتني وعلمت أنك جاهل فعذرتك

ذكر ابن خالكان ، في وفيات الأعيان ، بيتين للامام الخليل بن أحمد
رحمه الله تعالى ، وهذان البيتان لسان حال كل عارف ومحقق ، جوابا لكل
جاهل منكر متعنت :

هذا كتاب لو يباع بثقله ذهباً لكان البائع المغبوناً
فاحذر فديتك من إغارة مثله حذرا ولو وضعوا لديك رهوناً
إن الكريم كتابه كحريمه في الصون يشبه جوهراً مكنوناً

قد طبع هذا الكتاب الوحيد في موضوعه، المفيد في مجموعته، على نفقة حضرة صاحبة
العصمة الجليلة السيدة نبيهه هانم شقيقة حضرتي صاحبي السعادة احمد فؤاد عزت باشا
عضو مجلس الشيوخ، وعزيز عزت باشا سفير المملكة المصرية ووزيرها المفوض لدى
الدولة البريطانية حالا ، حرم المغفور له العالم النبيل محمود باشا الارناؤدى تنفيذاً لوصيته،
واحياء لعاطر ذكرته . بأهدائه مجانا لحضرات العلماء بالمعاهد الدينية الاسلامية

المجلد الأول

obeikandi.com

فهرست الجزء الاول من كتاب المواقف

صحيفة

١. فاتحة الكتاب

- ٢١ الموقف الأول وأوله قال الله تعالى لقد كان لكم في رسول الله
- » ٢٥ الثاني وأوله — قال الله تعالى وإياك نستعين
- » ٢٧ الثالث وأوله — قال تعالى فسيح بحمد ربك
- » ٢٨ الرابع وأوله قال تعالى بل كانوا يعبدون الجن
- » ٣٠ الخامس وأوله قال تعالى انما قولنا لشيء اذا أردناه
- » ٣١ السادس : كان الحق تعالى لحقيقته يقول انا والعبد
- » ٣٢ السابع : اخذني الحق عني وقريني مني
- » ٣٣ الثامن : قال تعالى : وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
- » ٣٦ التاسع ورد في صحيح مسلم أن الله يتجلى
- » ٣٦ العاشر : قال تعالى الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا
- » ٣٧ الحادي عشر : قال تعالى كتب ربكم على نفسه الرحمة
- » ٣٨ الثاني عشر قال تعالى : في بيوت اذن الله أن ترفع
- » ٣٩ الثالث عشر : قال تعالى سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا
- » ٤١ الرابع عشر : قال تعالى اهدنا الصراط المستقيم
- » ٤٣ الخامس عشر : قال تعالى هو الاول والآخر والظاهر
- » ٤٥ السادس عشر : قال تعالى قل من يرزقكم من السماء والارض
- » ٤٨ السابع عشر : سئل سيد الطائفتين الجنيد رضي الله عنه

صحيفة

- ٤٩ الموقف الثامن عشر: قال تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني
- ٥١ » التاسع عشر: قال تعالى ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها
- ٥٣ » العشرون: طلبت من الحق تعالى يجعل لى نورا
- ٥٣ » الواحد والعشرون: قال تعالى فى سحرة فرعون قالوا المنابر رب العالمين
- ٥٦ » الثانى » ورد فى الصحيح عنه تعالى قال أنا جليس من ذكر فى
- ٥٨ » الثالث » قال تعالى هو الأول والآخـ
- ٦٠ » الرابع » قال تعالى فاعلم أن لا آله الا الله
- ٦١ » الخامس » » فى الحكيم لولا ميادين النفوس
- ٦٢ » السادس » قال تعالى : فول وجهك شطر المسجد
- ٦٣ » السابع » » » وانه هو اضحك وابكى
- ٦٤ » الثامن » » » قل لو كان البحر مدادا
- ٦٥ » التاسع » » » واوله كنت بين النائم واليقظان
- ٦٥ » الثلاثون » قال لى الحق تعالى تدري من أنت
- ٦٦ » الواحد والثلاثون » الله تعالى لا يزال عبدى يتقرب
- ٦٨ » الثانى » » تعالى واذا سألك عبادى عنى
- ٦٩ » الثالث » سمعت المؤذن فى المسجد الحرام
- ٦٩ » الرابع » قال تعالى ، فول وجهك شطر المسجد
- ٧١ » الخامس » » » فاعلم أنه لا اله الا الله
- ٧٣ » السادس » قال تعالى وما أرسلنا من رسول الا ليطاع
- ٧٤ » السابع » قال تعالى وانه لذكر لك ولقومك

صحيفة

- ٧٥ الموقف الثامن والثلاثون قال تعالى في الحديث الرباني انا عند ظن عبدي
- ٧٧ » التاسع » قال تعالى بل هم في لبس من خلق جديد
- ٧٨ » الاربعون قال تعالى وشهد شاهد
- ٨٠ » الواحد والاربعون قال تعالى : فاذا قرأت القرآن فاستمع
- ٨١ » الثاني » قال تعالى ولقد فتنا سليمان والقيينا
- ٨٢ » الثالث » قال تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون
- ٨٤ » الرابع » روى مسلم في صحيحه انه صلى الله عليه وسلم مر بقو
- ٨٦ » الخامس » قال تعالى هل من خالق غير الله
- ٨٦ » السادس » قال تعالى كل من عليها فان
- ٨٨ » السابع » قال تعالى ، وما خلقت الجن والانس الا ليعبدوا
- ٨٩ » الثامن » ورد في خبر متواتر متداول بين القوم
- ٩٠ » التاسع » قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني
- ٩٢ » الخمسون » قال تعالى فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم
- ٩٣ » الواحد والخمسون قال تعالى وننشئكم فيما لا تعلمون
- ٩٦ » الثاني » قال تعالى قد افلح من زكاهما
- ٩٧ » الثالث » قال تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا
- ٩٨ » الرابع » قال تعالى فكشفنا عنك غطاءك فبصرك
- ١٠٠ » الخامس » قال تعالى ان ما توعدون لآت
- ١٠٠ » السادس » قال تعالى انما قلنا لشيء
- ١٠٢ » السابع » رأيت في بعض المرائي اني جالس في قبه

صحيفة

- ١٠٤ الموقف الثامن والخمسون قال تعالى ، للذين احسنوا الحسنى وزيادة
- ١٠٥ » التاسع » قال تعالى ، بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين
- ١٠٧ » الستون » قال تعالى وكبره تكبيرا
- ١٠٩ » الواحد والستون » قال تعالى ، والله يدعو الى دار السلام
- ١١٠ » » الثاني » قال تعالى ، وما أمرنا الا واحدة كلمح البصر
- ١١٢ » » الثالث » قال تعالى ، فتمثل لها بشرا سويا
- ١١٦ » » الرابع » قال تعالى أنا كل شيء خلقناه بقدر
- ١١٨ » » الخامس » قال تعالى ، لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت
- ١٢٠ » » السادس » قال تعالى ، وان من شيء الا يسبح بحمده
- ١٢١ » » السابع » قال تعالى ، ألا إن اولياء الله الآتية
- ١٢٢ » » الثامن » قال تعالى ، قال رب ارني أنظر اليك
- ١٢٤ » » التاسع » قال تعالى ، انما المؤمنون الذين آمنوا بالله
- ١٢٦ » » السبعون » قال تعالى والذين عملوا السيئات ثم تابوا
- ١٢٧ » » الواحد والسبعون » قال تعالى وقاتلوا في سبيل الله
- ١٢٨ » » الثاني » قال تعالى ، الا انه بكل شيء محيط
- ١٣٠ » » الثالث » قال عليه الصلاة والسلام رجعنا من الجهاد
- ١٣٢ » » الرابع » قلت للحق تعالى الى القدم بالعلم
- ١٣٣ » » الخامس » قال تعالى : مرج البحرين يلتقيان
- ١٣٣ » » السادس » ورد وارد غيبي بالمسجد الحرام
- ١٣٤ » » السابع » قال تعالى حكاية عن يعقوب عليه السلام يا بني لا تدخلوا

صحيفة

١٣٧ الموقف الثامن والسبعون قال تعالى وهو معكم اينما كنتم

- | | | | | |
|-----|---|------------------|---|--|
| ١٣٨ | » | التاسع | » | ورد في الخبر ، من سرته حسنته وسأوته |
| ١٣٩ | » | الثمانون | » | ورد في الصحيح ، لا هجرة بعد التفتح |
| ١٤٠ | » | الواحد والثمانون | » | ورد في الحديث الصحيح ينزل ربنا كل ليلة |
| ١٤١ | » | الثاني | » | ورد في الخبر من لم يشكر الناس لم يشكر الله |
| ١٤٢ | » | الثالث | » | قال تعالى ، واما بنعمة ربك فحدث |
| ١٤٣ | » | الرابع | » | كنت مع أهلي في لحاف |
| ١٤٤ | » | الخامس | » | ورد في الصحيح ولا يبعد أن يكون من |
| | | | | الاحاديث المتواترة أن هذا القرآن |
| ١٤٩ | » | السادس | » | قال تعالى والشمس وضحاها والقمر اذا تلاها |
| ١٥٨ | » | السابع | » | روي مسلم أنه صلى الله عليه وسلم قال أن |
| | | | | الله ينظر الى اجسادكم |
| ١٦١ | » | الثامن | » | قال تعالى ، قل ارايتكم أن اتاكم عذاب الله |
| ١٦٢ | » | التاسع | » | قال تعالى ، وما أرسلناك الا رحمة للعالمين |
| ١٧٤ | » | التسعون | » | قال تعالى وان الله قد احاط بكل شيء علما |
| ١٧٥ | » | الواحد والتسعون | » | قال تعالى ، وما أمرنا الا واحدة |
| ١٧٦ | » | الثاني | » | قال تعالى ، واذكر ربك اذا نسيت |
| ١٧٨ | » | الثالث | » | قال تعالى ، أنا كل شيء خلقناه بقدر |
| ١٨٠ | » | الرابع | » | قال تعالى ، وأنالموفوهم نصيبهم غير منقوص |
| ١٨٢ | » | الخامس | » | قال تعالى ، إن الصفا والمروة من شعائر الله |

صحيفة

- ١٨٦ الموقف السادس والتسعون قال تعالى قل إن الهدى هدى الله
- ١٨٩ » السابع » قال تعالى وقيل للذين اتقوا ما أنزل ربكم قالوا خيرا
- ١٩١ » الثامن » قل تعالى وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما
- لا عين
- ١٩٥ » التاسع » قال تعالى ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه
- ١٩٧ » المائة » قال تعالى ، ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله
- ١٩٩ » المائة وواحد » قال تعالى ، سبجان الذي اسرى بعبده ليلا
- ٢٠٠ » » واثنين » قال تعالى مخاطبا لرسوله محمد صلى الله عليه
- وسلم انك لا تهدي
- ٢٠٣ » » والثلاث » قال تعالى ، الله نور السموات والأرض
- ٢٠٦ » » والاربعة » قال الحق تعالى لبعض عبيده ، قل للاجهلين
- لم لا تتعلمون
- ٢٠٧ » » والخامسة » قال تعالى يحبهم ويحبونه
- ٢٠٩ » » والستة » قال تعالى ، ونزل من القرآن ما هو شفاء
- ٢١٢ » » والسابعة » قال تعالى ، ومن أهدى فانما يهتدى لنفسه
- ٢١٣ » » والثامنة » قال تعالى ، هو الاول والآخر والظاهر والباطن
- ٢١٧ » » والتسعة » قال تعالى لا تدركه الابصار
- ٢٢٢ » » والعشرة » قال تعالى ، قل رب زدني علما
- ٢٢٤ » » والحادي عشر قال تعالى ، والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعه
- ٢٢٦ » » والثاني » قال الحق تعالى لبعض عبيده اترعم محبتي

صحيفة

- ٢٢٦ الموقف المائة والثالث عشر قال تعالى ، والله الاسماء الحسنى فادعوه بها
- ٢٢٨ » » » والاربعة » قال تعالى ، وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم
- ٢٢٩ » » » والخمسة » قال تعالى الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم
- ٢٣٠ » » » والستة » ورد في بعض الاخبار ادعوني بالسنة لم تعصوني بها
- ٢٣١ » » » والسبعة » قال تعالى حكاية عن ابليس قال فبعضتك لا غوينهم
- ٢٣٥ » » » والثمانى عشر » قال تعالى ، قل ادلوجئتكم باهدى مما وجدتم عليه
- ٢٣٧ » » » والتاسع » قال تعالى بل هم في لبس من خلق جديد
- ٢٣٩ » » » والعشرون » قال تعالى فانقي عصاء فاذا هي ثعبان مبين
- ٢٤١ » » » الواحد والعشرون ورد في صحيح البخارى وغيره عنه صلى الله

عليه وسلم اذا حكم الحاكم

- ٢٤٣ » » » والثانى » قال تعالى وربك يخلق ما يشاء ويختار
- ٢٤٥ » » » والثالث » قال تعالى فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن

الكاذبين

- ٢٤٨ » » » والاربعة » قال تعالى . أم حسبت أن اصحاب الكهف
- ٢٥٠ » » » والخمسة » قال تعالى . أفلا يعلم اذا بعث ما فى القبور
- ٢٥٣ » » » السادس » روي مسلم فى صحيحه . أنه صلى الله عليه

وسلم قال أن ليغان على قاي

- ٢٥٦ » » » السبعة » قال تعالى خطابا لعائشة وحفصه رضى الله

عنهما . وان تظاهرا عليه فان الله

- ٢٥٨ » » » الثامن » قال تعالى . فاذكرونى أذكركم

صحيفة

- ٢٦١ الموقف المائة والتسعة وعشرون قال تعالى . وانا كم من كل ما سألتوه
- ٢٦٣ » » والثلاثون قال تعالى خذ العفو وأمر بالعرف
- ٢٦٥ » » واحد » قال تعالى . فلا تخافوهم وخافوني
- ٢٦٧ » » اثنين » قال تعالى . وهو معكم اينما كنتم
- ٢٧٠ » » ثلاثة » ورد في الصحيح . أنه صلى الله عليه وسلم قال من رأى منكم منكرا
- ٢٧١ » » واربعة » قال تعالى . ألم تر الى ربك كيف مد الظل
- ٢٧٢ » » والخامسة » قال تعالى ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات
- ٢٧٥ » » والستة » روى في صحيح البخارى ومسلم رضى الله عنهما فى حديث جبريل المشهور انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الاسلام
- ٢٧٨ » » السبعة » قال تعالى . وهو معكم أينما كنتم
- ٢٨١ » » والثامنة » قال تعالى . يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم
- ٢٨٢ » » والتسعة » قال تعالى . اهدنا الصراط المستقيم
- ٢٨٤ » » والاربعون » قال تعالى . قل للملأ الذين استكبروا من قومهم
- ٢٨٧ » » واحد والاربعون » قال تعالى لله ما فى السموات وما فى الارض
- ٢٨٩ » » اثنين » قال تعالى ان الذين يخشون ربهم بالغيب

صحيفة

٢٩٢ الموقف المائة والثلاثة والاربعون قال تعالى : فانظر الى آثار رحمة الله

كيف يحيى الارض

٢٩٣	»	»	الاربعة	»	قال تعالى . وعلم آدم الاسماء كلها
٢٩٥	»	»	الخامسة	»	قال تعالى . لا يسأل عما يفعل وهم يسألون
٢٩٧	»	»	السادسة	»	قال تعالى انا نحن نرث الارض ومن عليها
٢٩٨	»	»	السابعة	»	قال تعالى : فمن كان يرجو لقاء ربه
٣٠٠	»	»	الثمانية	»	قال تعالى . ولا يحيطون بشيء من علمه

لا بماشاء

٣٠٢	»	»	التاسعة	»	قال تعالى فول وجهك شطر المسجد الحرام
٣٠٣	»	»	الخمسون	»	قال تعالى . انا انزلناه فى ليلة مباركة
٣٠٥	»	»	الواحد والخمسون	»	قال تعالى . حاكيا قول موسى لخضر

عليهما السلام هل اتبعك

٣٠٧	»	»	اثنين	»	قال تعالى . ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين
-----	---	---	-------	---	--

الناس

٣٠٩	»	»	الثلاث	»	قال تعالى . انهم عن ربهم لمحبوبون
٣١٢	»	»	أربعة	»	قال تعالى له غيب السموات والارض
٣١٣	»	»	خمسة	»	قال تعالى يا ايها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم
٣١٥	»	»	ستة	»	قال تعالى أفرايت من اتخذ آلهه هواه
٣١٦	»	»	السبع	»	قال تعالى : وقال اركبوا فيها
٣١٨	»	»	الثامن	»	قال تعالى ، ولا تؤثثوا السفهاء اموالكم

صحيفة

٣٢١ الموقف المائة التاسع والخمسون ورد في الحديث . أهل القرآن أهل الله

٣٢٣ » » الستون قال تعالى حاكيا قول ابراهيم لابنه

عليهما السلام اني اري في المنام اني اذبحك

٣٢٤ » » واحد وستون قال تعالى . فاذا افضت من عرفات

٣٢٦ » » اثنين » قال تعالى وما أمرنا الا واحدة كليم بالبصر

٣٢٧ » » الثالث » قال تعالى . واذكر ربك في نفسك

٣٢٩ » » الاربعة » قال تعالى . ليس على الذين آمنوا وعملوا

٣٣١ » » الخامس » قال تعالى . وعلى الله فتوكلوا أن كنتم

مؤمنين

٣٣٣ » » السادس » قال تعالى . وجوه يومئذ ناظرة الي

ربها ناظرة

٣٣٦ » » السابع » قال تعالى . واذقريء القرآن لا تفسم

٣٣٧ » » الثامن » قال تعالى . ولو انهم اذ ظلموا انفسهم

٣٣٨ » » التسعة » قال تعالى . ما أصابك من حسنة فمن الله

٣٣٩ » » السبعون » قال تعالى . إن الله يعلم ما يدعون

٣٤٠ » » واحد والسبعون قال تعالى ان المتقين في جنات ونهر

٣٤٢ » » الثاني » قال تعالى . يوم يأتي بعض آيات ربك

٣٤٣ » » الثالث » قال تعالى . فاعلم انه لا آله الا الله

٣٤٦ » » الاربعة » قال تعالى أفغير الله تتقون

٣٤٧ » » الخامس » قال تعالى قل اعوذ برب الناس

صحيفة

- ٣٥٠ الموقف المائة السادس والسبعون قال تعالى . وهو الخلاق العليم
 » » السابع » قال تعالى فامان اعطى واتقى وصدق
 بالحسنى
 ٣٥٥ » » الثامن » قال تعالى . انا عرضنا الامانة على
 السموات
 ٣٥٧ » » التاسع » قال تعالى . اياك نعبد واياك نستعين
 ٣٥٨ » » الثمانون » قال تعالى . يا ايها النفس المطمئنة
 ارجعى الى ربك
 ٣٦٠ » » واحد » قال تعالى . ان فرعون لعال فى الارض
 ٣٦١ » » الثانى » قال تعالى وان تعدوا نعمة الله
 لا تحصوها
 ٣٦٢ » » الثالث » قال تعالى . قلنا يا نار كوني بردا وسلاما
 ٣٦٣ » » الرابع » قال تعالى ولو علم الله فيهم خيرا لاسمهم
 ٣٦٥ » » الخامس » قال تعالى . ومن يخرج من بيته مهاجرا
 الى الله
 ٣٦٦ » » السادس » قال تعالى . ولا تحسبن الذين قتلوا فى
 سبيل الله
 ٣٦٧ » » السابع » ورد فى الخبر الرباني قال الله تعالى ما
 وسعني ارضى ولا سماءى
 ٣٧١ » » الثامن » قال تعالى وجعلنا الليل والنهار آيتين

صحيفة

٣٧١ الموقف المائة التاسع والثمانون قال تعالى . واصبروا واصبرك الا بالله

٣٧٣ » » التسعون قال تعالى ان الابرار انفي نعيم على الابرار انك

٣٧٥ » » واحد قال تعالى . ليس كمثله شيء

٣٧٦ » » الثاني قال تعالى . فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله

٣٧٨ » » الثالث قال تعالى . وعرضنا جهنم يومئذ

للكافرين عرضا

٣٨٠ » » الرابع قال تعالى . اعملوا آل داوود شكرا

٣٨١ » » الخامس قال تعالى . واذا قال موسى لفته لا

أبرح حتى ابلغ

٣٨٤ » » السادس قال تعالى ، ان الله علي كل شيء قدير

٣٨٥ » » السابع قال تعالى . يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله

٣٨٦ » » الثامن ورد في صحيح البخاري وغيره . من

أحب أن يبسط في رزقه

٣٨٨ » » التاسع حصل لي أيام التوجه قبض واستبعاد

للطريق

٣٩٠ » » المائتان روى مسلم في صحيحه وغيره أن الحق

تعالى يتجلى لأهل المحشر

٣٩٢ » » وواحد قال تعالى أنكم لتشهدون مع الله آلهة أخرى

٣٩٣ » » واثنين قال تعالى في تعدد صفات السيد الكامل

صلى الله عليه وسلم . سراجا منيرا

صحيفة

٣٩٤ الموقف المائتان والثلاثة قال تعالى الحمد لله رب العالمين

۳۹۵ » » واربعة قال تعالى كتبنا على بني اسرائيل انه من قتل نفسا

٣٩٧ » » والخامس قال تعالى انا فتحنا لك فنحاميها

٤٠٠ » » قال الله تعالى ، وما الله يريد ظلما للعباد والستة

٤٠٣ • • • والسابع

٤٠٥ » » والثمانية قل تعالى وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه

٤٠٨ » والتاسع قال تعالى ، وكلم الله موسى تكليماً

٤١٨ » » والعاشر قال تعالى ، فاعلم انه لا آله الا الله

٤١٩ • • والحادي عشر قال تعالى: فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون

۴۲۲ » » وائی » قال تعالیٰ ، واذ قال ربك للملائكة انی جاعل

٤٢٤ » » والثالث » قال تعالى ، والله يعلم وانتم لا تعلمون

٤٢٥ » » والاربعة » قال تعالى طه ما نزلنا عليك القرآن لتشقى

٤٢٧ » » والخامس » قال تعالى ، وتلك الامثال نضربها للناس

٤٢٨ » » والستة » وروی فی صحیح البخاری وغیره عنه صلی

الله عليه وسلم الآيتان آخر سورة البقرة

٤٢٩ » » والسابع » قال تعالى، انا اعطيناك الكوثر فصلی لربک

٤٣٠ » » الثامن » قال تعالى انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر

۴۳۲ » » والتاسع » قال تعالى، ورحمتی وسعت کل شیء.

٤٣٤ » » والعشرون قال تعالى، ولئن صبرتم لهو خبر للمصابين

٤٣٥ » » واحد وعشرون قال تعالى ألا إلى الله تصير الأمور

صحيفة

٤٣٦ الموقف المائتان الثاني وعشرون	قال تعالى ، والذين اهتمدوا زادهم هدى
٤٣٧ » » الثالث	قال تعالى ، قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون
٤٣٩ » » الرابع	قال تعالى ، ولمن خاف مقام ربه جنتان
٤٤١ » » الخامس	قال تعالى ولولا رفع الله الناس بمعضهم
٤٤٣ » » السادس	قال تعالى ربنا الذي اعطي كل شيء خلقه
٤٥٠ » » السابع	قال تعالى . وربك يخلق ما يشاء ويختار
٤٥٠ » » الثامن	قال تعالى . ألا أن وعد الله حق ولكن
٤٥٣ » » التاسع	قال تعالى حكاية قول العبد الصالح خضر عليه السلام
٤٥٥ » » الثلاثون	قال تعالى ، وعنت الوجوه للحى القيوم
٤٥٧ » » الواحد والثلاثون	قال تعالى ، والله لا يهدي القوم الكافرين
٤٦٠ » » الثاني	قال تعالى ، فسوف يأتي الله بقوم يحبهم
٤٦١ » » الثالث	قال تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت
٤٦٣ » » الرابع	قال تعالى ، انا كل شيء خلقناه بقدر
٤٦٥ » » الخامس	قال تعالى مرج البحرين يلتقيان
٤٦٩ » » السادس	قال تعالى سيقول الذين اشركو الوشاء الله
٤٧١ » » السابع	قال تعالى ، وما كنا عن الخلق غافلين
٤٧٣ » » الثامن	قال تعالى ، وما بكم من نعمة فمن الله
٤٧٤ » » التاسع	قال تعالى ، قل هو الله أحد الله الصمد

صحيفة

٤٨٠	الموقف المائتان والاربعون	قال تعالى ، بسم الله ، اعلم القائل
٤٨٢	» » واحد واربعين	قال الله تعالى ان الله يحب التوابين
٤٨٣	» » الثاني والاربعون	قال تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول
٤٨٨	» » الثالث	قال تعالى سبح اسم ربك الاعلى
٤٩٠	» » الرابع	قال تعالى ، وفيها ما تشتهيهِ الانفس
٤٩٢	» » الخامس	قال تعالى ، فول وجهك شطر المسجد
		الحرام
٤٩٤	» » السادس	قال تعالى ، وقولوا آمنا بالذي أنزل الينا
٤٩٦	» » السابع	قال تعالى ، وهل اتاك نبياً الخصم

تمت فهرست الجزء الاول

كتاب المواقف

في الوعظ والارشاد

للسيد عبد القادر الجزائري

رضي الله تعالى عنه ، وتفعنا به آمين

لو كنت تعلم ما أقول عذرتني أو كنت أجهل ما تقول عذلتك
لكن جهلت مقالتي فعذلتني وعلمت أنك جاهل فعذرتك

ذكر ابن خالكان ، في وفيات الأعيان ، يبتين للامام الخليل بن أحمد
رحمه الله تعالى ، وهذان البيتان لسان حال كل عارف ومحقق ، جوابا لكل
جاهل منكر متعنت :

هذا كتاب لويياع بثقله ذهباً لكان البائع المغبوناً
فاحذر فديتك من إغارة مثله حذرا ولو وضعوا لديك رهونا
إن الكريم كتابه كحريمه في الصون يشبه جوهرأ مكنونا

قد طبع هذا الكتاب الوحيد في موضوعه، المفيد في مجموعه، على نفقة حضرة صاحبة
العصمة الجليلة السيدة نبيهة هانم شقيقة حضرة صاحب السعادة احمد فؤاد عزت باشا
عضو مجلس الشيوخ، وعزيز عزت باشا سفير المملكة المصرية ووزيرها المفوض لدى
الدولة البريطانية حالا ، حرم المغفور له العالم النبيل محمود باشا الارناؤدى تنفيذا لوصيته،
واحياء لعاطر ذكرته . باهدائه مجانا لحضرات العلماء بالمعاهد الدينية الاسلامية

المجلد الأول

obeikandi.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين

الحمد لله وحده

قال سيدنا وأستاذنا، وعمدتنا وملاذنا، العارف المحقق، والمكاشف المدقق، مولانا الأثير السيد عبد القادر، ابن مولانا السيد محي الدين رحمه الله، أماننا الله بفضله على محبته، وحشرنا بكرمه في زمرة، تحت لواء سيد المرسلين، وحبيب رب العالمين آمين: الحمد لله حمدا يوافي نعمه، ويكافي مزيدَه، اللهم صلى وسلم على رحمة العالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، هذه نفثات روحية، والقاء آت سبوحية، بعلوم وهيبية، واسرار غيبية، من وراء طور العقول، وظواهر النقول، خارجة عن انواع الاكتساب، والنظر في كتاب، قيدتها لآخواننا الذين يؤمنون بآياتنا، اذا لم يصلوا الى اقتطاف أثمارها، تركوها في زوايا امكانها، الى أن يبلغوا أشدهم، ويستخرجوا كنزهم، وما قيدتها لمن يقول هذا الفك قديم، وأساطير الأولين، ويحجر على الله تعالى، ويقول أهؤلاء من الله عليهم من بيننا من علماء الرسم، والقائمين من العلم بالاسم، فاننا تتركهم، وما قسم الله تعالى لهم، فاذا أظهروا لنا ملاما وخصاما، تلونا «وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما» ونعيرهم أذنا صما، وعينا عميا، ونقول لهم آمنا، بالذي أنزل إلينا، وأنزل

اليك وآلهنا وآلهكم واحسد ، ونحن له مسلدون ، ولا نمجاد لهم ، بل نرحمهم
ونستغفر لهم ، ونقيم لهم العذر من أنفسنا في إنكارهم علينا اذ جئناهم بأمر
مخالف لما تلقوه من شايخهم المتقدمين ، وما سمعوه من آبائهم الأولين ،
فالأمر عظيم ، والخطب جسيم ، والعقل عقال ، والتقليد وبال ، فلا عاصم الا
من رحم ربي ، وطريقة توحيدنا ما هي طريقة المتكلم : ولا الحكيم المعلم ،
ولكن طريقة توحيد الكتب المنزلة ، وسنة الرسل المرسل ، وهي التي كانت
عليها بواطن الخلفاء الراشدين ، والصحابة والتابعين ، والسادات العارفين ،
وان لم يصدقوا الجمهور والعموم ، فعند الله تجتمع الخصوم ، وقد اشرت ،
الى بعض ما ذكرت ، في شبه مقامة لي وهي قولي : حضرت محاضرة من
محاضرات الشرفا ، ومسامرة من مسامرات الظرفا ، في ناد من أندية
العرفا ، فجاءوا في سمرهم بكل طرفة غريبة ، ومستظرفة عجيبة ، وكان
الحديث شجوننا ، وألوانا وفنوننا ، الى أن تكلم عريف الجماعة ، ومقدم أهل
البراعة فقال : احديثكم بحديث هو اغرب ، من حديث عنقاء مغرب ،
فاشرأبوا السماء ، ومدوا أعناقهم ، وفرغوا قلوبهم ، وحدثوا أحداقهم .
فقال : إن في الوجود معشوقة ، غير مرموقة ، الأهوية اليها جانحة ، والقلوب
بحبها طافحة ، والابصار الى رؤيتها طامحة ، يطير الناس اليها كل مطار ،
ويرتكبون الاخطار ، ويستعذبون دونها الموت الاحمر ، ويركبون لطلبها
المكعب الاسمر ، ولا يصل اليها الا الواحد بعد الواحد ، في الزمان المتباعد ،
فاذا قدر لاحد مشاركة حماها ، ومقاربة مرماها ، القت عليه اكسير الاله
مادة ، ولا مدة ، ولا هو عين معتدة ، فيحصل انقلاب عينه ، وجميع الاعيان
في عينه ، الى عين هذه المعشوقة ، التي هي غير مرموقة ، المعلومة المجهولة ،

المغمودة المسلوقة ، الباطنة الظاهرة ، المستورة الساترة ، الجامعة للتضاد ، بل
ولجميع انواع المنافات والعناد ، ولا يقدر يعبر عنها بعبارة ، ولا يشير اليها
باشارة ، أكثر من قوله اني وصلتها وحصلتها ، وبعد التعب والعناء ، ومعانات
الضئنا ، وجدت هذه المشوقة انا ، ويتبين لى اننى الطالب والمطلوب ،
والعاشق والمعشوق ، فما كان هجرى للذاتى ، الا فى طلب ذاتى ، ولا كانت
رحلتى ، الا لنحلتى ، ولا وصولى الا إلى ، ولا تفتيشى الا على ، ولا كان
سفرى الا منى فى الى فيقال له هل رأيت محياها ، وشمنت رياها ، حتى
قلت أنا إياها ، فيقول رأيت ، وما رأيت ، وما رميت إذ رميت ، ويأتى بأوصافها
بما تذبو عنه العقول ، ولا تحتمله ظواهر النقول ، ما طرق الأسماع ، ولا
طمعت فى فهمه الأطماع ، يرفع الضدين تارة وتارة يجمعهما ، ويجمع
النقيضين ويضمهما ، فيقال له هذا الذى تقوله ثبت عندك بدليل أو برهان
فيقول لا دليل بعد عيان

وكيف يصح فى الأدهان شيء إذا احتاج النهار الى دليل
فيراجع فلا يرجع ، ويفلط فلا يسمع ، وحينئذ يحكم الناس عليه بالجنون
والعمه والسفه والبله ، ويجعلونه ولو كان أعلمهم ، ويسفهونه ولو كان
أعلمهم ، ويستبيحون منه العرض ، فى الطول والعرض ، ويجعلونه مرمى
غمزهم ولمزهم ، ونيزهم ووكزهم ، يهجره الحميم العاطف ، ويقلبه الصديق
الملاطف ، وهو مع هذا ناعم البال بما لديه ، قرير العين بما حصل بين يديه ،
لا يلتفت الى قطعهم وهجرهم ، ولا يبالى بلغوهم فيه وهجرهم ، فلما تمت
القصة ، واجتليت عروسها على المنصة ، وما كاد ان ينقضى إعجابنا منها ،
واستغرابنا لها ، قلت لهم يا قوم الستم تعلمون انى طلاع الشايات ، وسباق الكتيبة

الى معترك المنايا ، فانا لاتيكم بحقيقتها ومجازها ، وأفك لكم المغمى من الغازها
أو أموت فاعذر ، ولا على إلف لم اقبر ، فقال لي بعض المستبصرين من
الحاضرين ، وكان ممن جرب هذا الأمر ، وفر عن تجربته الدهر : ان
صدقت لهجتك ، وهانت عليك مهجتك ، وأردت الوصول إلى ذلك
الجناب ، وقطع تلك الجبال والبحار والهضاب ، فاركب نسرا او غراب ،
وانه لا ينال ما قصدت الا من كان على المهمة قوى العزيمة .

اذا هم القى بين عينيه عزيمة ونكب عن طرق العواقب جانبا
ولم يستشر في رأيه غير رحمه ولم يرض الا قايم السيف صاحبا
لا يصرفه صارف ، ولا تحركه العواصف ، جلس من احلاس الخيل
مذاهب النهار والليل ، أسد في شجاعته ، خنزير في حملته ، كلب في وقاحته ، اذنه
صما عن العاذل ، وعينه عميا عن المهاجر والواصل ، وطريق مطلوبك
ظلمسة ، واعلامها دارسة ، بحرها تيار ، وهواؤها نار ، وأرضها مفاوز
قفار ، أسدها كواسر ، وأغوالها عن أنيابها حواسر ، مهامه فيح مجاهل ،
العارف فيها جاهل ، والدليل الخريت بها حائر ، والتيه فيها هلاك حاصر ،
فقلت له : جهتها أى الجهات ، فقال لي هيهات هيهات ، لا يستفهم عنها بمقى
ولا أين ، ولا يرشد اليها أثر ولا عين ، فاعتمدت على الواحد الأحد ، لا
ألوي على احد ، فمررت في طريقى ، على فرق من فريقى ، فرأيتهم بين سادم
باهت ، لا هو بالخالص ولا الفات ، وبين حائر واقف ، التبتت عليه
المواقف ، وبين غريق فى لجج تلك البحار ، وتايه فى تلك المفاوز القفار ،
وبين من نقت راحلته ، وآخر دبرت زاملته ، وبين من يدب ديب النمل ،
جافيا بلا نعل ، مررت على جماعة منهم فى بعض المشاهد فانشدوا لى قصيدة

ففيها نحو العشرين بيتا، رجعت الى الحس بيت واحد منها، وهو «أيا من نحن في تعب الجبال، وهو يخوضها ولا يبالي» وما زلت ممتطيا صحوتي الذسر والغراب، محملا لنفسي كل مكروه مستعذبا لأنواع العذاب، لا تطمئن بي دار، ولا يستقر بي قرار، إلى أن ظهرت لي الأعلام، التي ظهرت لمن قبلي من الوافدين الاعلام، ونادى المنادى، وحدا الحادى،

ابشر بوصل فهذه العلامات كم طالين ودون الوصل قد ماتوا

وألقى على ما ألقى عليهم، وثبت لدى ما ثبت لديهم، ولما وصلت حيث وصلوا، وحصلت على ما عليه حصلوا، طلبت الاباحة والجواز، إلى التقدم والجواز، وقد عرفت الحقيقة والمجاز، فقبل لي لا تتخط رقاب الصديقين أرجع فأوراء موقفك الالعدم المحض، لا ثبات ولا ركض، وحين رجعت الى الاصحاب، قالوا ما وراءك يا عصام، فقلت القول ما قالت حذام، ولكن يا قوم، لا تعجلوا بالعتب واللوم، رأيتم لو جاءكم عنين عديم حاسة الذوق، وقال عرفوني لذة الجماع بم كنتم تفهمونه، علم ذلك وتعلمونه، فقالوا لاسبيل الا الذوق لما هنالك، فقلت لهم وهذا من ذلك، فمنهم من سلم وانصف، ومنهم من لح وتعسف، وربك أعلم بمن هو أهدي سبيلا، وأقوم قيلا، وعندما ينجلي الغبار، يتبين راكب الفرس من الحمار

فلو رأيت الذى شاهدته علنا	لكنك تعذرنا اذن أعاذلنا
وكنك تعلم كيف الامر متضح	وكيف قلنا الذى قلنا وقيل لنا
وكنك تبكى دما تقول واأسفأ	وتبذل الروح منك كى توصلنا
محزون قلب له شغل بغايته	ترى لنا الفضل حيث الله فضلنا
فشؤم نكرك يا مشؤم حاق بكم	ما راعنا أبداً وقتنا وهو لنا

فنحن في غبطة صفا الزمان لنا منعمون بما الآله خولنا
 جالنا بعلوم أنت تجهلها بها حباننا الذي أهدي وجهنا
 عرفنا كل الذي وصفتمونا به ونحن أعرف منكم بأنفسنا
 بل نحن أعرف منكم بأنفسكم عرفنا منزلكم لم تدروا منزلنا
 فأنتم عندنا أرواح طاهرة ونحن عندكم رجس أجاهلنا

يا صاح انك لو حضرت سماءنا وقت انشاقها حين لا تماسك
 وشهدت ارضا زلزات زلزالها القت ما فيها والجبال دكادك
 ونظرت ارضا بدلت وسماءنا وبرزخنا حللنا وكل هالك
 وشهدت صمقتنا والآله (١) قائل الملك لي اليوم مالي مشارك
 ثم الافاقة والمهيمن يلقي من آياته ويقول أنت مبارك
 لشهدت شيأ لا يطاق شهوده وسمعت مالا منه يدرك دارك
 وعلمت أن القوم ماتوا حقيقة فلذا أباح لهم حمام الممالك

امطنا الحجاب فانمحا غيب السوى وزال أنا وأنت وهو فلا لبس
 ولم يبق غيرنا وما كان غيرنا انا الساقى والمسقي والخمر والكاس
 تجمعت الاضداد فيّ واننى انا الواحد الكثير والنوع والجنس
 فلا تحتجب بما ترى متكثرا فما هو الا شخصنا النزه القدس
 فما كنت ناظرا بنا أنت ناظر إلينا وإلا أنت أعشى به طمس
 هو الدين توحيدى فلا تحسبن غيرى يوحدنى غيرى هو الشرك والرجس
 فما دمت غيرنا فأنت شريكنا وهل ثم غير يا بليد به هوس
 وما دمت موجودا فشررك ظاهر فان لم تكن فرما رحل النحس

فقارق وجود النفس تظفر بالنا
وما توحيدى المقبول قولاً وإنه
وما هو إلا أن تصير الى الفنا
تشاهد أحوال القيامة جهرة
هناك تصير موقنا وموحدا
ويبقى الذى قد كان من قبل فانيا
فان كنت ذا فانت ذا الملك الذى

تجلى لى المحبوب من حيث لا يرى
وغيبتي به فغاب رقيبنا
فصرت أرام كل حين ولحظة
وما عرف الخلاق إلا بجمعه
وواصلنى فلا تناكر بعد ذا
أسر الى حيث لا بين بيننا
ولا طفى بقوله الحق معلنا
وباسطنى ياما الذم قائلا
فقد طالما قد كنت تصبو الى اللقا
وكم من شهيد مات بالشوق والفنا
وكم من شهيد للغرام مشاهد
وذا قيس عامر تخيل نورنا
لقد سبقت بالفضل منا عناية
وغن ودندن لاتمل لمفند

فأعجب به أرام من حيث لا أرى
وزال حجاب البين وانحسم المرا
وقد كان غايبا وقد كان حاضرا
اضدين من كل الوجوه تنافرا
وقربنى فكان سما وباصرا
بسر حكى لطف النسيم إذا سرا
انى قد اخترت قد اصطفت بلا امترا
تمتع وكحل بالجمال نواظرا
وكان جمالى بالحجاب مسترا
محب لذاك الحسن لو كان قندرا
لبعض الذى شاهدت مات فأقبرا
فى ليلى فمات والهات متحيرا
الىك فحدث عن عطاي مخبرا
وكن فرحا بالوصل لله شاكرا

تملّ وقر عينا وأنعم بوصلنا
وته وتدل أنت أهل لكل ذا
وقد شرب الخلاج كأس مدامة
وإني شربت الكاس والكاس بعده
وما زال يسقيني وما زلت قائلا
وفي الحال حال السكر والمحو والفنا
أنا الموسوي الأحمدي وراثته

أوقات وصلكم عيد وأفراح
يامن اذا اكتحات عيني بطلمتهم
دبت في كل جوهره حياهم
فما نظرت أبدا الي شيء بدا
نظرت حسن الذي لاحسن يشبهه
وليس لطاقة الرؤية لغيرهم
غرقت في حبهم دهر اونها أنا ذا
ما ذا على من رأى يوما جمالهم
أجبال مكة لو رأيت محياهم
شبه الدراري مدى الازمان ساجدة
لو كنت أعجب من شيء لا عجبني
أريد كتم الهوى حينما فيمنعني
لا شيء يثنى عناني عن محبتهم
قال العذول بكم سحر فقلت له نعم

يامن هم الروح لى والروح والراح
وخفقت في محيا الحسن ترناح
عقل ونفس وأعضاء وأرواح
الا وأحباب قلبي دونه لاحوا
فلا يروق لقلبي بعد ملاح
ولو قلتني الوري لذاك اوشاحوا
في بحرهم سفن حقا وملاح
ان ليس تبدو له شمس وأشباح
حنوا ومن شوقهم ناحوا وقد صاحوا
لو ابصرتهم لما جاؤا ولا راحوا
صبر المحبين مانا حوا ولا باحوا
تهتكى كيف لا والحب فضاح
ولا الصوارم في صدري وأرماع
وذا السحر صحة واصلاح

لا زال يربو مع الآفات بي أبدا
يا عاذلى كن عذيرى فى محبتهم
إن الملام لأغراء وتغوية
إنى لأهجر خلا لا يحذنى
شرع المحبة قاض فى حكومته
مسكين ماذا طعم العشق منذ بدا
مبات يرعى النجوم ساهرا قلعا
مادب فى عظامه خمر الهوى أبدا
فما ندمنى ولا سميرى غير فتى
لا كسب بل ولا شغل ولا عمل
ماجنة الخلد إلا فى مجالسهم
هوى المحب لدى المحبوب أين ثوى
أود طول الليالى أن خلوت بهم
يروعنى الصبح أن بدت طلايمه
ليله بدا مشرق من حسن طاعتهم
اسكن فؤادى وقرنا عما شاكر
واطلب آلهك فى المزيد أن له

أرى الذى افئانى سيخلفنى بعد
لذلك أرى اسمه يعين رسمنا
فما بالهم يدعونه عبد قادر
لقد باد من قد كان من قبل بأندا
يقوم برسمنا فيشمه الحد
يجيب اذا دعى لارد ولا جحد
ولم يبق الا قادر ماله عبد
وزال خيال الضل وارفع السد

وزال عن العقل المصون حجابہ
فلست أنا ذاك الذى تعرفونه
ولستم أنتم الذين عرفتهم
لقد ضاق صدرى بالذى أنا واجد
الافاغدروا من ذاق أن ضاق صدره
فصار ضلالا ما يراه له رشد
الافا طلبوا من ذا يكلمكم قصد
فما عمروكم عمرو ولا زيدكم زيد
وتعيرى ما يفى فييدو ولا ييدو
كما أن من قد ذاق عاذركم يغدو

لقد حرت فى أمرى وحررت فى حيرتى
فهل أنا موجود وهل أنا معدوم
وهل أنا ممكن وهل أنا واجب
وهل أنا فى قيد وهل أنا مطلق
وهل أنا فى حيز وهل عنه نازح
وهل أنا ذا حق وهل أنا ذا خلق
وهل أنا جوهر وهل أنا ذا كيف
وهل أدري من أنا فى هذا تحيرى
وهل أنا مجبور وهل لى خيرة
وهل فاعل أنا وهل غير فاعل
وكنت أرانى فاعلا ثم بعد ذا
ومن بعد ذا رأيت به فاعلا
ولم يبق ذا وذا ولا ذاك باقيا
فان شئت فأنبت لى النواقض كلها
وأني حال السحق والمحو والفناء
وصرت الى حقى وربى وغيبتى
فأى الأمور ثابت هو لى أى
وهل أنا ثابت وهل أنا منفى
وهل أنا محجوب وهل أنا مزى
ولست سماويا ولا أنا أرضى
وهل أنا ذا شيء وهل أنا لاشى
وهل عالمى غيب أو انى شهادى
وهل أنا جسمانى أو انى روحانى
وهل أنا ذا ميت وهل أنا ذا حى
وهل أنا عالم وهل جاهل عى
وهل قدرى يقال أو أنا كسبى
رأيتنى فاعلا به وذا بادى
بمعكس الذى قد كان والأمر ملوى
فلم يبق الا الله ما له ثانى
وان شئت فادفعها فنشرك لى طى
رجعت لا طلاق لا رشد ولا غى
فلا خلق لا عبد ولا شى كونى

تجردت من حسي ومن نفسي راقيا ومن روحى حتى قيل أننى قدسى

أيا حيرتى وما الذى أصنع	لقد ضقت ذرعا فما ينفع
أكاد تراني منفطرا	جواهرى مبثوثة أجمع
وطورا أذوب ككئيل بما	فآل الى أصله أنقع
وكما قلت هذا مخرج	يسد عليّ فما أطلع
فإن كنت غيرا أنا مشرك	وان كنت عينا فذا أظع
وان كنت لاذا ولاذا أنا	فكل النقيضين لا يرفع
وان كنت ذاك وذاك أنا	فكل النقيضين لا يجمع
وأين تسميه لى ظاهراً	إذا لم يكن برقه يلمع
وأين تسميه لى باطناً	إذا كان هذا هو الدفع
وان كان لى ظاهراً باطناً	فقد جمع الضد لى مجمع
وكل العوالم طورا أنا	أنا العالم الأكبر الأجمع
وطورا لا شىء يقال له	فقير دعاه فلا يسمع
انادى مغيشاً فلا منجد	ولا من يحير ولا يدفع
فهل من دوا بهذا العضال	فهيئات هيئات لا مطمع
وكل طبيب شكوت له	يقول فذا الداء لى الموضع
وأهرب من حيرتى كلما	توالت فكان لها المرجع
فحيرتى ما كنت كائنة	وحتى القيامة لا تقلم
فاشكو الى حيرتى حيرتى	فليس الى غيرها مفزع
وكم وكائن بهذا ابتلى	وكل لقد ضم ذا المصرع
فياخية العقل فى حكمه	علي العين سترى فلا يقشع

فأين الذى فوق عرش على ومن هو فى أسفل الأرض عو
ومن أينما نتولى فهو له ثم وجهه له برقع
ومن أينما كنا معنا يكن ومن يتحول فى صور فاسمعوا
فما بين هذا وذهوته عقول الورا اغتالها سبع
وتأهت فى بيداء مظلمة مجاهل أرواحها زعزع
سكارى وشتى مذاهبهم وكل يقول الى اهرعوا
فعندى النجاة وعندى الهدى وعندى السبيل وذا المهيـع

أنا مطلق لا تطلبوا الدهر لى قيـدا ومالى من حد فلا تبغوا الى حدا
ومالى من كيف فيضبطني لكم ولا صورة لا اعدو منها ولا بدا
ومالى شأن يبقى آئين ثابتا وان شئنى لا يحاط بها عدا
ومالى من مثل ومالى من ضد فلا تطلبوا مثلا ولا تبغوا الى ضدا
ولا تنظروا غيرى من كل صورة فلا تنظروا عمرا ولا تنظروا زيدا
ولا تطلبوا غيرى فاهو كائن سوى خيالات تحسبون لها وجدا
وما هي الا سترة قد نصبتها لا بله عقل صور صبحت عينه رمدا
الا فانظروا الى الحبيب وفكروا فهل غيره ماصار صورته زيدا
فلا كائن الا أنا به ظاهر ولا كائن يكون لى أبدا قيـدا
ولا باطن الا أنا ذاك باطن ولا ظاهر غيرى فلا أقبل الجحدا
فقل عالم وقل آله وقل أنا وقل أنت وهو لست تخشى به ردا
تعددت الأسماء وأنى لواحد ألا فاعبدوني مطلقا نزا فردا
أنا قيس عامر وليلى محققا محبا ومحبوبا وبينهما ودا
أنا العابد المعبود فى كل صورة فيكنت أنا ربا وكنت أنا عبدا

فطورا ترانى مسلما أى مسلم
 وطورا ترانى للكنائس مسرعا
 أقول باسم الآب والابن قبله
 وطورا بمدارس اليهود مدرسا
 فما عبد العزيز غيري عابد
 ولا أورى نار الغرس غير موري
 انا عين كل شى فى الحس والمعنى
 يا من غدا عابدا لفكره فقف
 جمعت عقلك هاديا ونور هدى
 نحت ربا كما تهوى وقلت به
 صورته صورة بالوهم باطلة
 حكمت عقلك فى الرب العظيم فما
 تقول ليس كذا وليس هو كذا
 قيدتم مطلقا لا قيد يحصره
 فكيف تنكر وصفه حقيقته
 لولا توهم ان النقص يلحقه
 الحق فى مشرق والعقل فى مغرب
 عليك بالشرع فالزم طريقته
 ان قال ليس كمثل شىء قل هو ذا
 شبهه ترهه فى التشبيه حتى ترى
 لاشك أنك يوم الحشر تنكره
 زهودا نسوكا خاضعا طالبا مدا
 وفى وسطى الزنار أحكمته شدا
 وبالروح روح القدس قصدا ولا كيدا
 اقرر تورا وأبدى لهم رشدا
 ولا أظهر التثليث غيرى ولا أبدا
 وما قال بالاثنين الا أنا لحدا
 ولا شىء عيني فاحذر العكس والطرदा
 فانت يا غافلا علي شفا جرف
 أضلك العقل أيقن أنت فى تلف
 تظل تعبد ما خلقت فى شغف
 حكمت جورا عليه جور معتسف
 تنفك تحكم فيه حكم ذى سرف
 الحق فى طرف وأنت فى طرف
 القيد حد وليس الله كالهدف
 نفيت ما أثبت القرآن فى صحف
 لما نفيت فان النفى بعد يفى
 شتان ما بين ذا وذا فلا تحف
 خيما سار سر وان يقف فقف
 أو قال لي أعين فقل بذا كلفي
 منزها اخا تشبيهه بلا جنف
 إذا تجلى لجمع الخلف والسلف

وتستعيز عيادا منه جهلا فيا
عندي من العلم لبه وجوهه
قد قيدتهم عوائد وثبطهم
فلو وجدت له أهلا لبحث به
لكن أهله قد مضوا فلا طالب
خسارة العقل يا ويلاه من صدف
والناس أعينهم ترنو الي الصدف
تقليد من يمشى نحو الظلمة السدف
مستخرجا كنزه المحفوف بالطرف
تلقاه يسمو الي العلياء والشرف

أراني كلما توهمت سلوانا
نيرانا فلو أن البحار جميعها
يؤججها نسيم نجد إذا سري
فلو أن ماء الأرض طرا شربته
وكما قلت قد تدانت ديارنا
فما القرب هو لي شفا ولا البعد
وفي بعدنا شوق يقطع مهجتي
فيزداد شوقي كلما زدت قربة
فيا قلبي المجروح بالبعد والدنا
ويا كبدي ذوبي أسي وتحرقا
أسائل عن نفسي فاني ضللتها
أسائل من لا قيت عني واله
أقول لهم من ذا الذي هو جامعي
وأسئل عن نجد وفيه مخيمي
منازل هن مربعي ومصيفي
ومن عجب ماهمت الا بمهجتي
أجدحشوا حشاي من الشوق نيرانا
بها صبت كان حرها ضعف ما كانا
وتذكيها أرواح تنأوح ألوانا
لما نالني ري ولا زلت ظمآنا
لاسلو عنهم زادني القرب أشجانا
نافع قفي قربنا عشق يخليني هيمانا
ولا تقطيع الخليل للشعر ميزانا
ويزداد كلما بهم زدت عرفانا
دواؤك عزّ لست تنفك ولهانا
ويا ناظري لازلت بالدمع غرقانا
وكأن الجنون مثل ما قالوا أفنانا
ولا أتمحشا رجلانا ولا ركباننا
على أكن له مدى الدهر حلوانا
وأطلب روض الرقتين ونعمانا
مذ كنت الى أن صرت ادعى شيبانا
ولا عشقت نفسي سواها وما كانا

انا الحب والمحبة والحب جملة
أقول انا وهل هنا غير من أنا
فقي انا كل ما يؤمله الورى
ومن شاء توراة ومن شاء انجيلا
ومن شاء مسجدا ينجيه ربه
ومن شاء كعبة يقبل ركنها
ومن شاء خلوة يسكن بها خاليا
فقي انا ما قد كان او هو كائن
انا العاشق المعشوق سرا واعلانا
فما زلت في أنا ولوهاً وحيرانا
فمن شاء قرآنا ومن شاء فرقانا
ومن شاء مزمارا زورا وتبينا
ومن شاء بيعة ناقوسا وصلباننا
ومن شاء أصناما ومن شاء أوثانا
ومن شاء حانة يغازل غزلانا
لقد صح عندنا دليلا وبرهانا

يا عظاما قد تجلى
انت مبدى كل باد
كل من في الكون أنتم
حسنك البارى تعالى
كل حسن مستعار
أي حسن أي حسن
كنت قبل اليوم صبا
فازال الستر عني
زادني القرب احتراقا
عجبي من عشق نفسي
ليس تشبيبي وغزلي
أنا سعدى أنا سلمي
أنا بيدر أنا شمس
كل مجلي له مجلي
انت ابدى انت أجلى
أنت مولى كل مولى
ان نرى عنده مثلا
من جمال قد تدلى
غير حسن قد تعلی
اسأل المحبوب ميلا
فبدالى الفصل وصلا
فانا بالوصل أصلى
ما احبت غيرى أصلا
وغرامي الا الا
أنا هند أنا ليلى
أنا صبح قد تجلى

أنا نور أنا نار	أنا برق ضياء ليلا
أنا كأس أنا خمر	أنا اسقي أنا أمني
كتب العشق زبورا	في فؤادي فهو يتلا
كل يوم كل حين	كل آن فهو يعلو
مانسيت الدهر وقتا	قد تقضى بالمصلا
بين أنس بمهارة	وغزال قد تحلا
وحسنات غانيات	كجيات ولا كحلا
وأسود ضاريات	تصرع الأبطال قتلا
كل نعماكم لذيد	ونعيم الوصل أحلى
كل بلواي حقير	حيث كنتم بي أولى

يقولون لا تنظر سعاد ولا علوا
فانك مسكوم الفؤاد متيم
وقدملك الليل البهيم تحرقا
فقلت أراني مأرى غير من سبا
نظرت اليه والمليحة تحسبن
ولكن جمال من أحب تبدا لي
يكلمني بالرمز من خلف سائر
فلا متكلم سواء مخاطب
أخاطبني أياي فيه تحققا
فياويح مأثل النفس في الهسوي
فقل للذي مذاق طعم شرابنا
وعد عن الآثار واقصد لمن تهوى
اخوجنة بل منها داؤك ذا ادوا
كانك ملسوع وحالك ذا أسوا
فؤادي ومن قد ضاعف الضر والبلوا
نظرت اليها لا ومبسمه الأضوا
فها أنا ذا أبدي اليه به الشكوى
وما كل مأملت عيون الظبا يروى
ولا سامع الآم للسر والنجوى
فاسمعي أياي في ولا غروا
ولا أرتجى وصلا ولا أرتجى سلوا
ولا خاض بحرنا حقيقا ولا دعوا

اليك تنحا اننا خضنا أبحرا وتلك البحار بعدنا تركت رهوا
لا تعجبوا من حديثي جل عن عجب حقيق قولي لالغو ولا كذب
ولدت جدي وجدته وبعدهما أبي تولد عن أمي وأي أب
وبعد ذا ولدوني بعد كوني أنا ووالدي البر توماز في صلب
وكننت من قبل في الحجور ترضعني بطيب البلهما الامات لا ترب
وليس يدري الذي أقول غير فتى قد جاوز الكون من عين ومن رتب

فيا نورا بلا شمس ويا شمسا بلا نور
ويا بحرا بلا حد وساحلا بلا بحر
ويا نكرا بلا عرف ويا عرف بلا نكر
ويا غيرا ولا عين ويا عيننا بلا غير
ويا سترا بلا كشف ويا كشفا بلا ستر
ويا جفا بلا ليل ويا ليلا بلا جفر
يا حيرتي يادهشتي يا حـرف ماله مقر
لقد حيرتني حتي في حيرتي وفي أمري
وحار كل ذي كشف وذي عقل وذي فكر
وغاية الذي ينبغي عرفناكم الي خسر

وما نحن از حقت بالغير والسوى هويته سمي هويته البصر
هويته عقلي هويته قلبي هويته كلي لا تبقى ولا تذر
هويته رجلي هويته يدي هويته نفسي واني ما ذكر
وما حلني ولا حلته انا به فكأنني مذ كنت فاسمع لي واعتبر
تعددت الالقاب والعين واحد فما ثم الا الله لا عين الغير

فشيئان لفظ نحن والعين واحد فانت هو الانا وهو أنت فادكر
يجيب اذا دعوت فهو الذي دعا كرجع الصدا الثاني في الحس والاثـر

ايا انا من اكون ان لم اكن انت ويا أنت من تكون ان لم تكن انا
ما بالكم قلتم آله واعبد اذا رفعت من بيننا العين والالف
وذلك حين لا أنا لك عابد ولا أنت معبود فزال حجابنا

أنا حق أنا خلق أنا عبد أنا رب أنا عرش أنا فرش أنا نار أنا خلد
أنا ماء أنا نار وهو أنا صلد أنا كم أنا كيف أنا فقد أنا وجد
أنا وصل أنا فضل أنا قرب أنا بعد أنا ذات أنا رصف أنا قبل أنا بعد

أنا كون ذاك كوني انا وحدي أنا فرد لا شك أنى مجبور وجابرنى مجبور
بالعلم منه قيده لا تبديل لا تغيير والعلم ايضا تابع لمتبوع ومقصود
فكلنا فى قبضته مقيد ومحصور فاين لوشئنا ولو أردنا فيه تخيير
يا حيرة العقل ويا ظلمة مالها نور والجبر لا عذر به لجاهل يامغرور
سوي الذي عرفه كشفا فذاك مبرور فحق الامر تفز بعلم عندي مدخور
وتنجو مثل من نجى والذنب منك مغفور

تنبيه

لا يخفى على الخبير بصناعة الشعر العربى ما تخلل القصائد الشعرية التى أثبتناها آنفا
من عدم انطباق كثير منها تمام الانطباق على اللغة العربية والقريض ولكنها لمناسبة
صدورها من المؤلف على أسلوب الجذب فى المقالات قد أثبتناها على علاتها بشكلها
ووزنها بلا تصرف احتراماً للمؤلف رضى الله عنه وسنجرى على هذا المنوال فى كل
ما يأتى نظماً من قبيلها فى بقية الكتاب

لما انفتح الباب وارتفع الحجاب ، واجتمعت الأُحباب ، على الشراب
اللذيذ المستطاب ، رتب الأفراس ، حيث مادبت الراح ، وبعد أن طار
السكر والمحو ونزل الحضور والضحو ، رأيت شمسنا طالعة ، مشرقة ساطعة
والناس في ظلة وليل ، ومرج وويل ، فقات ما بال الناس ، فقيل انهم في
عمى وإفلاس ، ومالكهم ولهم لهم عالم وأنتم عالم ، والله غالب على أمره
الحاكم العزيز العالم ، انتهى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(الحمد لله وحده)

(الموقف الاول)

قال الله تعالى ، لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ، هذه الآية
الكريمة تلقيتها تلقيا غيبيا ووحانيا ، فإن الله تعالى قد عودني ، أنه مهما اراد أن
يأمرني ، أو ينهاني ، أو يبشرني ، أو يحذرنى ، أو يعلمني علما ، أو يفتيني في
أمر استفتيته فيه ، الا ويأخذني مني مع بقاء الرسم ، ثم يلقي الي ما اراد بشارة
آية كريمة من القرآن ، ثم يردني الي فارجع بالآية قرير العين ، ملآن
اليدين ، ثم يلهمني ما اراد بالآية ، وأتلقى الآية من غير حرف ولا صوت ولا
جهة ، وقد تلقيت والمنة لله تعالى ، نحو النصف من القرآن بهذا الطريق
وأرجو من كرم الله تعالى ان لا أموت حتي استظهر القرآن كله (١) فانا

(١) أخبر سيدنا المؤلف حفظه الله تعالى وامتعنا بطول حياته بعد السؤال من
الله سبحانه وتعالى قد حقق رجاءه فاستظهر القرآن كله

بفضل الله محفوظ الوارد ، في المصادر والوارد ، ليس للشيطان على سلطان ،
اذ كلام الله تعالى لا يأتي به شيطان ، ماتنزلات به الشياطين ، وما ينبغي لهم
وما يستطيعون ، وكل آية تكلمت عليها انما تلقيتها بهذا الطريق الا ما ندر ،
وأهل طريقنا رضى الله عنهم ما أدعوا الأتيان بشيء في الدين جديد وانما ادعوا
الفهم الجديد في الدين التليد ، وساعدتهم الخبر المروي . انه لا يكمل فقه الرجل
حتى يري للقرآن وجوها كثيرة ، والخبر الآخر ان للقرآن ظهرا وبطنا ،
وحدوا ومطلعا ، رواه بن حبان في صحيحه ، والاثار الوارد عن ابن عباس ، رضى الله
عنهما أنه قال : ما حرك طائر جناحيه في السماء الا وجدنا ذلك في كتاب الله ،
ودعاؤه صلى الله عليه وسلم لابن عباس ، اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل ، وفي
الصحيح عن علي كرم الله وجهه ، انه قيل له هل خصكم رسول الله صلى الله عليه
وسلم أهل البيت بشيء دون الناس يعني من العلم ، فقال لا والذي فلق الحبة ،
وبرأ النسمة الا أن يكون فهما أعطيه رجل في كتاب الله ، وما في هذه الصحيفة ،
وما في هذه المواقف من هذا القبيل ، والله يقول الحق ، وهو يهدي السبيل ومن
أراد ان يبلو صدقهم ، فليسلك طريقهم ، وان القوم رضى الله عنهم ، ما أبطلوا
الظواهر ، ولا قالوا ليس المراد من الآية الا ما فهمنا بل أقروا الظواهر على
ما يعطيه ظاهرها وقالوا فهمنا شيئا زائدا على ما يعطيه ظاهرها ، ومن المعلوم
أن كلام الحق تعالى على وفق علمه ، وعلمه تعالى محيط ومتعلق بالواجب والممكن
والمستحيل ، فقير بعيد ان يكون مراد الحق تعالى من الآية ، كل ما فهمه أهل
الظاهر وأهل الباطن وما لم يفهموه ولهذا تري كلما جاء أحد ممن فتح الله
بصيرته ، ونور سريره ، يستخرج من الآية والحديث معنى ما اهتدى اليه من
قبله ، وهكذا الى قيام الساعة وما ذاك الا لاتساع علم الحق تعالى ، فانه معلمهم

ومرشدكم ، فنقول في هذه الآية مع قلة حروفها من الإعجاز مالا يعبر عنه بحقيقة ولا مجاز فهي بحر زاخر ، ماله أول ولا آخر ، فكل ما ألفه المؤلفون من احكام الدين والدنيا داخل تحت إشارتها بلائيتها ، لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ، أي بالنظر الى معاملة الحق تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم فانه اعطاه ومنعه ، وضره ونفعه ، وسلط الاعداء عليه ، وجعل الحرب دولا تارة له وتارة عليه ، وقبضه وبسطه اخرى ، وأجاب دعاءه وردده أخرى ، تارة يقول له ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ، من يطع الرسول فقد أطاع الله ، قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ، وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى ، فان قوة الكلام تعطى ان المراد ما أنت اذ أنت ، ولكن انت الله ، ومرة يقول له انك لا تهدي من أحببت ، ليس لك من الأمر شيء ، أو يتوب عليهم أو يعذبهم ، انك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء ، اذا ولوا مدبرين ، وما أنت بهادي العمى عن ضلالتهم ، أفأنت تنقذ من في النار ، وما أنت عليهم بجزار ، فانزله تارة منزلة نفسه العلية ، وتارة منزلة العبد الحقير ، ويدخل تحت هذا القسم من العلم بالله تعالى وصفاته وغناه عن مخلوقاته وافتقارهم اليه ، ومن العلم بالرسول عليهم الصلاة والسلام ، وما يجب لهم ويجوز ، ويستحيل في حقهم وحكمة الله في مخلوقاته وترتيب الآخرة على الدنيا ما لا يحصى ولا يستقصى من العلوم ، لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ، أي بالنظر الى معاملته صلى الله عليه وسلم لربه ، من تحقيق العبودية والقيام بحقوق الربوبية ، والفقر اليه ، وتوكله في كل اموره عليه ، والاستسلام لقيهره والرضى بقضائه ، والشكر لنعماؤه ، والصبر على بلائه ، ويدخل تحت هذا القسم جميع العلوم الشرعية ، عبادات ، وعادات ، ومنجيات ، ومهلكات ،

وهي علوم لا يبلغها عد ، ولا تحد بحد ، لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ، أي بالنظر الى معاملة الخلق له صلى الله عليه وسلم ، فانهم بين مصدق ومكذب ، ومحب ، ومبغض ، وآذوه صلى الله عليه وسلم بالقول والفعل وبأشروه بكل مكروه دون القتل ، شبح وجهه الشريف ، وكسرت رباعيته وتمزيت عليه الاحزاب ، واسله الحميم ، وما زاده ذلك الا بصيرة في امره ، وشدة في حاله ، ويدخل تحت هذا القسم من شمائله صلى الله عليه وسلم واخباره ، واخبار الانبياء عليهم السلام واخبار العارفين بالله ، وماذا لقوا من المكذبين لهم ، ما لا يذكره ضبط ، ولا يبلغه ربط ، لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ، أي بالنظر الى معاملته صلى الله عليه وسلم للخلق ، من محبتهم ، وارادة الخير لهم ، حتى قال له ربه لعلك باخع نفسك ان لا يكونوا مؤمنين ، والصبر عليهم ، ورؤية وجه الحق تعالى فيهم ، ظمونه فغفا ، وحرموه فاعطي ، وجهلوا عليه فاحتمل ، وقطعوه فوصل ، وقال اللهم اغفر لقومي ، فانهم لا يعلمون ، دفع السيئة بالحسنة ، وقابل كل مكروه بالاضداد المستحسنة ، تخلقا بالاخلاق الالهية وتحققا بالاسماء الرحمانية ، فانه لا أحد اصبر على اذي سمعه من الله ، ويدخل تحت هذا القسم من مكارم الاخلاق وحسن الشمائل ، وعلوم سياسة الدين والدنيا ، التي بها نظام العالم وعمارته ، وسعادة السعد أما لا تضبطه الاقلام ، وتكل دونه الاوهام ، فيجب علي المريد ، بل والعارف ان يجعل هذه الآية قبلته في كل مكان ، ومشهده في كل زمان ، فان أحواله لا تخرج عن هذه الاربع حالات ، ولعلها هي الصراط المستقيم الذي قعد عليه الشيطان لأبن آدم ، والاربع الجهات فانه حلف لأقعدن لهم صراطك المستقيم ، ثم

لَا تَيْنِهِمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ ، وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ ، وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ ، وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ فَمَنْ قَامَ بِمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ فَهُوَ مِنَ الشَّاكِرِينَ وَلَيْسَ عَلَيْهِ سُلْطَانٌ لِلشَّيَاطِينِ

(الموقف الثاني)

قال الله تعالى ، وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ، ظاهره يعطى ان العبد قادر على بعض الفعل ، وعاجز عن بعضه ، لان لكل من المتعاونين نسبة في الفعل ، أي الحاصل بالمصدر ، فاعلم ان مخاطبة الحق تعالى لعباده في كتبه المنزلة ، وعلي السنة رسله عليهم الصلاة والسلام ، انما جاءت علي حسب مبلغ علم عامة العباد ، ومنتهى عقولهم وما أدت اليه بديتهم ، ولما كان عامة العباد يتوهمون ان لهم وجودا مستقلا مباينا لوجود الحق ، حادثا أو قديما ، تركهم الحق علي وهمهم لان حالتهم التي هم عليها لا تحتمل اكثر من ذلك ، والحكم هو يعلمها ، وخاطبهم علي أن لهم وجودا كما زعموا ، واضاف لهم الافعال والتروك ، والقدرة ، والمشية ، وغير ذلك علي حسب دعواهم فقال لهم افعلوا واتركوا ، اقيموا الصلاة ، لاتقربوا الزنا ، سيري الله اعمالكم ، ورسوله ، ان يترك اعمالكم ، من شاء فليؤمن ، ومن شاء فليكفر ، ونحو ذلك ، ومن المعلوم البين ان القدرة علي الفعل والتروك والمشية وسائر الادراكات تابعة للوجود ، فما لا وجود له ، لا فعل ولا ترك ولا ادراك له ، والانسان وكل ممكن لا وجود له ، مستقلا لا قديما ولا حادثا برهانا وكشفا ، أما الكشف فالعارفون مجمعون علي هذا ، واما البرهان فلا نه لو كان لممكن ، أى ممكن كان وجود مستقل مباين لوجود الحق تعالى ، فوجوده عارض لماهيته ، والفطرة السليمة قاضية بديهية بان ثبوت كل صفة لموصوف ، فرع

ثبوت الموصوف في نفسه ، فالممكن على هذا ممتنع الوجود اذ لو وجد
الكان وجوده عارضا لماهيته ، وعروض الوجود له متفرع على وجوده
اولا ، فهذا الوجود السابق اما أن يكون عين اللاحق ، أو غيره ، والاول
مستحيل ضرورة تقدم الشيء على نفسه ، والثاني مستحيل ايضا لاننا
نحول الكلام الى الوجود السابق ، فيلزم الدور او التسلسل وكلاهما محال ،
ولما كان خطاب الحق عباده انما هو علي حسب تخيلهم ، وتمشية لدعواهم ،
وكان الأمر دايرا بين ماتوهمته عامة الخلق وبين ما هو الأمر عليه في نفسه ،
جاءت نسبة الافعال الصادرة من العباد في بادىء الرأى ونظار العقل ،
متنوعة مختلفة في الكتاب والسنة ، فمرة جاءت منسوبة الى الله بالانسان ،
كما في قوله تعالى ، قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ونحوه ، ومرة منسوبة الى
الانسان بالله ، كما في قوله تعالى ، كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بأذن
الله ونحوه ، وتارة منسوبة الى الانسان وحده ، كما في قوله تعالى ، اقاموا
الصلاة وآتوا الزكاة ونحوه ، تارة نفاها عن الانسان صراحة ، كما في
قوله تعالى ، لا يقدر على شيء مما كسبوا فلم تقتلوهم ، ولكن الله قتلهم
ونحوه فقوله تعالى ، وإياك نستعين ، جاء أمرا وخطابا على ماتوهمته العامة ،
لأنه لولا توهم العبد ان له قدرة على بعض الفعل ، ما طلب العون على
البعض المعجوز عنه ، فان قلت قال تعالى ، وما خلقت الجن والانس الا
ليعبدون ، وظاهر هذا يناق ما قلت من أن علة التكليف هي الدعوى ،
قلت العبادة التي خلق لها الجن والانس ، هي العبادة الذاتية كسائر المخلوقات
ولا شك ان للجن والانس عبادة ذاتية ، والعبادة التي قلنا سببها الدعوى ،
هي العبادة التكليفية التي نشأت من اجتماع النفس الناطقة بالجسم العنصرى .

(الموقف الثالث)

قال تعالى ، فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين ، واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ، الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ، والمراد غيره من أمته ، اياك أعني واسمعي يا جارة ، ومثله في القرآن كثير ، وهو أمر لمن كان من المؤمنين من وراء الحجاب ، وفي الحالة العامة أن يسبح الحق تعالى أى نزّهه بتنزيه العقول ، ويعتقد عقيدة العموم وأن يسجد له تعالى ويعبد ربه وهو الوجه الذى تعرف الحق تعالى به للعبد ، فإن لكل مخلوق اسماء من أسماء الحق تعالى ، هو الواسطة بين الحق تعالى والعبد ، ولا يعرف العبد الحق تعالى الا من طريقه ، ولا يعبد العبد من الحق تعالى الا ذلك الاسم ، ولو تجلّى الحق تعالى للعبد بغير مقتضى ذلك الاسم ما عرفه ، بل ينكره ، ويقول له لست ربي ويتعوذ منه ، لان العامى لا يقدر أن يعبد الحق مطلقا ولا يعرفه فى جميع تجلياته ، فامر الحق تعالى أن يعبد ربه بأنواع العبادات الشرعية ، والوظائف السنية ، ويتقرب اليه بنوافل الخيرات والحكمة فى الامر ، بملازمة التسبيح والتنزيه والسجود والعبادة ، هو أنه ربما سمع العامى المحجوب أحوال العارفين بالله وكلامهم ، وما من الله تعالى عليهم به من العلوم الوهبية ، والاسرار الربانية ، فيتعلق بذلك على غير وجهه ، وطريقه الموصل اليه ، ويترك ما بيده من الاعمال والوظائف الشرعية ، فيهلك ويبقى لاهو بالفات ولا بالخاصل ويتشبه بهم فى أحوالهم الباطنة الخاصة بالكاملين ، ويتكلم بكلماتهم فى وحدة الوجود ، ومثلها من المسائل المتشكلة من غير سلوك طريقهم ، على وجهه المعروف عندهم فنصح الحق عباده وأمرهم بالتمسك بما عندهم ، والعمل به

والخير يجر بعضه الى بعضه ، كالغيث يسكون قطرة ثم ينهمل ، فاذا عمل العبد عل أمر الحق له ، وواظب على أنواع النوافل أحبه الله ، فاذا أحبه كان سمعه وبصره ولسانه ويده وجميع قواه ، وهو المراد بإتيان اليقين بمعنى الكشف ، وزوال الغطا عن حقيقة الأمر ، وباطنه ، وإن الحق هو قوى العبد جميعها ، وحينئذ يعرف العبد من هو المسبح والساجد ، والعابد ، وما فائدة السجود والعبادة ، وما علتها الغائبة ، وأنه ليس المقصود من التكاليف الشرعية إلا أنها اسباب وأدوية لرفع الحجاب عن وجه الأمر ، وبعد فتح الباب ، ورفع الحجاب ، يزيد العبد تعظيما للأوامر الشرعية ، والتزاما لها لأنه مراء كمن سمع ويكون إتيانه بالعبادات بعد رفع الحجاب على طريق أعلى وأفضل ، وعلى وجه أعدل وأكمل ، لامناسبة بينه وبين إتيان العبادات الأولى ، وكل من ادعى أنه شمس رائحة من طريق أهل الله تعالى ، ولم يزد للشرع تعظيما ، وللسنة اتباعا ، فهو مفتر كذاب .

(الموقف الرابع)

قال تعالى ، بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون ، كنت ليلة بالمسجد الحرام قرب المطاف ، متوجها للذكر وقد نامت العيون ، وهدأت الاصوات ، جلس بالقرب مني يمينا وشمالا ، أناس ، وجعلوا يذكرون الله تعالى نخطر في قلبي أينما أهدى سبيلا الى الحق تعالى ، فبعد الخاطر بقريب آخذني الحق تعالى عن العالم وعن نفسي ، ثم القى الى قوله ، بل كانوا يعبدون الجن ، فعلمت أن عبادتهم كانت مشوبة بأغراض نفسه ، وحظوظ شهوانيه ، وأقول تبعا للمحققين من أهل الله تعالى أن كل من عبد الله تعالى خوفا من النار ، أو طلبا للجنة ، أو ذكر الله تعالى لتوسعة رزق

مثلاً ، أو لصرف الوجوه اليه ، وهو الجاه ، أو لدفع شر ظالم ، أو سماع في الحديث من فعل ، العبادة الفلانية أو ذكر الذكر الفلاني ، أعطاه الله تعالى كذا وكذا من الأجر فهذه كلها عبادة معلولة ، ليست عند الله بمقبولة ، إلا بالفضل والمنة ، إلا أن تكون هذه الأشياء المذكورة ، غير مقصوده ، بأن كان حضورها تابعا لاحاملا ، فلا بأس ، قال تعالى ، فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ، وهذه الأشياء المذكورة كلها أحاد فهي شركاء ، والحق تعالى أغني الشركاء عن الشرك ، فالحق تعالى أمر عباده أن يعبدوه ، مخلصين له الدين ، أي العبادة والجزء بأن لا يطلبوا جزاء الا وجهه ، وهو يهبهم الأجور والدرجات ، ويقيمهم جميع السيئات والمكروهات ، وأن كل ما سوى الحق اذا قصد مع الحق في العبادة فهو شريك ، والشريك معدوم مستور ، اسم بلا مسمى ، واليه يشير قوله ، بل كانوا يعبدون الجن فان الجن من الاجتنان وهو الاستتار ، وكل ما سوى الله تعالى فهو مستور بستر العدم وان ظهر له حجوبين موجودا ، والعاقل لا يراعي العدم ، ولا يقصده بالعمل كما أني أقول ، والله تعالى القائل على لساني ، أن كل من لم يسلك طريق القوم ، ويتحقق بعلومهم حتى يعرف نفسه لا يصح له إخلاص ، ولو كان أعبد الناس وأورعهم وأزهدهم وأشدهم هروبا من الخلق ، واختفاء ، وأكثرهم تدقيقا وبحما عن دسائس النفوس ، وخفايا العيوب ، فاذا رحمه الله تعالى بمعرفة نفسه صح له الاخلاص ، وتصير الجنة والنار والأجور والدرجات وجميع المخلوقات كأن الله ما خلقها فلا يعظمها ولا يعتبرها الا من حيث اعتبرها الحق تعالى شرعا وحكمة لأنه حينئذ يعرف الفاعل من هو فليس

العبد فاعلا ، خالقا لافعاله الاختيارية كما ينسب الى المعتزلي ولا ان العبد فاعل مجبور ، كما يقوله الجبري ولا ان له جزأ اختياريا، به يسمى العبد فاعلا كما يقوله الماتريدي ، ولا ان العبد له كسب بمعنى وقوع الفعل بارادته واختياره ، لا خلق ولا جبر ، ولكن أمر بين أمرين كما يقوله الأشعري ، ولا أن تأثير الحق تعالى في عين الفعل ، وتأثير العبد في صفته من كونه طاعة أو معصية كما يقوله امام الحرمين ، ولا كما يقول جميع الطوائف من الحكماء والمتكلمين ، وأما نسبة الفعل الى العبد شرعا وترتيب الثواب والعقاب على الطاعة والمعصية، فمن وجه آخر ذكرناه في بعض هذه المواقف.

(الموقف الخامس)

قال تعالى، انما قولنا لشيء اذا اردناه أن نقول له كن فيكون، اعلم ان للحق تعالى ارادة واحدة لها نوعان من التعلق ، نوع مطلق غير مقيد ، ولا واسطة بينه وبين المراد ، وامر كذلك، وهذان نافذان ولا بد، اعني الارادة المطلقة ، والامر المطلق ، يريد تعالى الشيء المعدوم ، فيأمره بالكون فيكون ، ذلك الشيء المأمور بالكون ، سواء كان مما ينسب للخلق أم لا ، وللحق تعالى ارادة مقيدة بواسطة وأمر ، كذلك كأن يريد الحق تعالى من مخلوق فعلا يفعله ذلك المخلوق ، او يأمره بشيء يفعله فهذه الارادة والامر لا ينفذان ، لانه اراد المخلوق يفعل ، وأمر المخلوق يفعل ، وما أمر الشيء بالكون في ذلك المخلوق ، ومن البين المعلوم ان مراد الحق تعالى من عباده جميعا الايمان والطاعة ، وأمرهم بذلك فلو تعلقت ارادته المطلقة وأمره المطلق ، بوجود الايمان والطاعة في الجميع ، لكان ذلك موجودا لانه قال، انما قولنا لشيء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون ، ولما كان الامر والارادة

متوجهين للجميع ، وما حصل متعلق الارادة والامر من الجميع ، بل من البعض علمنا أن بين الارادتين والامرين فرقانا ، وان ما اراد كونه فينا من الافعال والايان والطاعة ، وأمره بالسكون فينا كان ، شئنا أو أيينا وما اراد كونه منا ، او امرنا نحن نفعله وكلمه الينا لا غير ، فهذا لا يكون مثل إيمان أبي بكر رضى الله عنه ، أراد الحق تعالى كونه في أبي بكر ، و امر الإيمان بالسكون في أبي بكر ولذلك ما تخلف ، وإيمان ابى جهل أراد الحق تعالى في ابى جهل تكوينه ، وأمر أبا جهل بتكوينه ، فلم يكن ، فبين اراد به ، وأراد منه ، وأمر به وأمره فرقان ، والحاصل ان الامر امر ان أمر الشيء المطلوب كونه بالكون فهذا لا بد ان يكون ، و امر المكلف بتكوين العقل منه ، فهذا لا يكون ، كما ان الارادة نوعان ارادة متعلقة بالفعل نفسه ، فهذه نافذة الوقوع ، و ارادة متعلقة بالفاعل ان يفعل ، فهذه غير نافذة التعلق الا اذا جاءتها الارادة الاخرى ، ولما غفل المعتزلة عن هذا الامر ، وما انكشف لهم هذا السر ، جعلوا للارادة تعلقا واحدا ، وللامر كذلك ، وقللوا لا يأمر الحق تعالى الا بما يريد كونه وايجاده ، وقالوا إيمان ابى جهل مأمور به مراد الله تعالى ، فلزمهم تخلف مراد الله تعالى ، بل وقوع ما لا يريد الله تعالى في ملكه ، واما رد الاشاعره على المعتزلة بان الانسان فى الشاهد قد يأمر بما لا يريد وقوعه ، فهو أعلى ما وصلت عقولهم اليه ، ومن قدر عليه رزقه ، فلا ينفق مما أتاه الله على أن المحققين من الأشاعره ضعفوا قياس الغائب على الشاهد

(الموقف السادس)

كان الحق تعالى لحقيقته يقول انا ، والعبد لجهله يقول انا ، والعبد يقول

هو لشهوده من ربه البعد ، والرب يقول هو ليكون ذلك مشهود العبد ،
فلما تنفس صبح العناية ، وجعل منادى الهداية ، وأشرقت الست (١)
والخمس (٢) ، بأشراق الشمس ، زال الهو من البين ، والتبس انا بانا عين بعين
من غير امتزاج ولا اتحاد ولا حلول ، اذ الكل في طريقنا وتوحيدنا معزول ،
فليس عندنا الا وجود واحد ، هو عين وشرط الثلاثه عند الثلاثه تعدد
الوجود والعين ، فلا يكدرون صفوفنا بجمعهم ، ولا يروعوننا بجمعهم ،
(الموقف السابع)

اخذني الحق عني ، وقربني مني ، فزال السماء بزوال الارض ، وامتزج
الكل بالبعض ، وانعدم الطول والعرض ، وصار النفل الى الفرض ،
والانصباع الى المحض ، وانتهى السير ، فاتفى الغير ، وصبح النسب ، باسقاط
الاضافات والاعتبارات والنسب ، اليوم اضع انسابكم وارفع نسبي (٣) ، ثم
قيل لي مثل قوله الحلاج ، غير ان الحلاج قالها وانا قيلت لي ، ولا أقولها ،
وهذا الكلام يعرفه ، ويسلمه اهله ، ويجهله وينكره ، من غلب جهله

(الموقف الثامن)

قال تعالى ، وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ، أى ليعرفون
باجماع المحققين ، من أهل الله تعالى ويؤيده الخبر الوارد ان فى بعض
الكتب المنزلة كنت كنزا مخفيا لم أعرف ، فأحببت ان أعرف خلقت
الخلق خلقا وتعرفت اليهم ، فبي عرفوني ، وقال ، وقضى ربك ان لا تعبدوا
الا إياه ، أى حكم فما خلقهم الا ليعرفوه فلا بد ان يعرفوه المعرفة القطرية
التي فطر الله الناس عليها فالخلق ما جهله أحد من هذا الوجه ، وحكم ان

(١) أسماء الجهات (٢) الحواس (٣) وفى نسخة : أرفع أنسابكم وأضع نسبي

لا يعبدوا الا اياه ، فلا يعبدون ابدا سواه لان حكمه نافذ لا يرد ، ولا يغالب
وانما تفاوتت معرفتهم ، لتفاوت عقولهم ، وانما تفاوتت عقولهم ، لتفاوت
استعداداتهم ، والاستعدادات لا تعطل لانها قديمة غير مجعولة ، فهي فيض
اقدس ذاتي ، ما تخللته صفة من الصفات ، ولما تعددت ظهورات المقصود
بالعبادة تعددت الملل والنحل ، لان المقصود بالعبادة التعظيم ، والذلة
والخضوع من كل عابد ليس الا من يملك الضر والنفع ، والعطاء والمتسع ،
والرزق والخفض والرفع ، وهذه الصفات في نفس الامر ليست الا لفرد
واحد وهو الحق تعالى ، وهو غيب مطاق ، فكل عابد صورة من شمس
وكوكب ، ونار ونور ، وظلمة وطبيعة ، وصنم وصورة خياليه وجن ،
وغير ذلك ، يقول في الصورة التي عبدها انها صورة المقصود بالعبادة ،
ويصفها بصفات الآله ، من الضر والنفع ، ونحو ذلك ، وهو محق من وجهه ،
لولا أنه حصره وقيده ، فما قصد عابد بعبادته للصورة التي عبدها الا الحقيقة
المستحقة للعبادة ، وهو الله تعالى ، وهو الذي قضى به الله وحكم ، ولكنهم
جهلوا ظهورها المطلق الذي لا يشوبه تقييد ولا حصر ، فجهلوا على
التحقيق ، وعرفوها في الجملة ، وهي المعرفة الفطرية ، فكل من عبد الحق
تعالى ما عدا الطائفة المرحومة طائفة العارفين ، انما عبده مقيدا محصورا
محكوما عليه لانه عرفه هكذا ، حتى طوائفة المتكلمين ، فانهم حكموا عليه
بانه على كذا ، ولا يصح ان يكون على كذا ، وينبغي ان يكون على كذا ،
وليس هو على كذا ، فحكموا عقولهم في الحق والعقل ليس عنده الا التنزيه
الصرف ، وتوحيد الشرع الذي جاءت به الكتب والرسل عليهم الصلاة
والسلام ، تنزيه وتشبيه ، ولا شك ان المتكلمين من سني ومعتزلي ، ما حكموا

على الحق تعالى بما حكموا من اثبات وسلب ، الابد تصور بصورة عقلية خيالية ، فان الحكم فرع التصور ضرورة وان قال المتكلم ، ليس للحق تعالى في عقلي صورة ، فهو إما جاهل بالتصور ماهو ، واما مغالط مباغت ، ولذلك تجدهم بعد حكمهم بما حكموا به يقولون كل ما يخطر ببالك ، فالله تعالى مخالف لذلك ، مقصودهم بهذا الكلام تبرؤهم مما قالوا وقولهم هذا أيضا حكم تلزمهم التبرئة منه ، فكل طائفة من الطوائف تحصر الحق تعالى في معتقدها ، وتنتهي ان يكون للحق تعالى تجل وظهور علي خلاف عقيدتها فيه ، وهذا هو سبب انكار المنكرين للحق تعالى ، وتعوذهم منه يوم القيامة ، فقد ورد في الصحيح ان الله تعالى يأمر ان تتبع كل أمة ما كانت تعبد وتبقى هذه الامة فيها منافقوها فيأتيهم الله تعالى في صورة لا يعرفونها ، فيقول لهم أنا ربكم ، فيقولون نعوذ بالله منك ، هذا مكاننا حتي يأتينا ربنا ، فاذا جاء ربنا عرفناه ، فيتحول لهم في صورة أخرى يعرفونها فيقولون أنت ربنا الحديث بمعناه ، والصور المذكورة في الحديث والتحول انما هي ظهورها آت للحق تعالى بما يريد ان يظهر به وهي اعدام لاحقيقة لها ولا وجود الا في ادراك الناظر ، والحق تعالى على ماهو عليه قبل الظهور والتجلي لا يلحقه تغيير عما هو عليه كسائر تجلياته في الدنيا والآخرة ، ولقد صدقوا في انكارهم له اولا وفي اقرارهم به ثانيا والمتجلي واحد اولا وثانيا ، ولكن تجلي لهم اولا في صورة ما كانوا عرفوه عليها في الدنيا ، ولا اعتقدوها ولا تخيلوه فيها وما عرفه كل واحد من المنكرين الا محصورا مقيدا بالصورة التي تخيله عليها في الدنيا ، وحكم عليه بانه لا بد ان يكون كذا ، ولا يكون كذا وما عرفه أحد منهم مطلقا غير محصور في معتقد ولا مقيد بصورة لا يتجلى بغيرها ،

فلما تجلّى بالصورة أي الصورة التي كانوا تخيلوه عليها، في الدنيا، اقروا به انه ربهم وهو تعالى المتجلّى أولاً وثانياً، فمما عرف أحد من المنكرين المتعوذين الحق تعالى من حيث الاطلاق وانما عرفه من حيث تقييده بصورة معتقده صور تلك الصورة بعقله واعتكف عليها يعبدها ولولا اذن الشارع في تخيل المعبود وقت العبادة لقلنا لافرق بين من ينحت بسده ويصوره وبين من يصوره بعقله، لكن الشارع اذن في الصورة الخيالية، ومنع الصورة الحسية، وهو الصادق الأمين، قال في حديث الاحسان، ان تعبد الله كأنك تراه أي تتخيله كأنه في قبلك مثلاً، وأنت بين يديه حتى تتأدب في عبادته، ويحضر قلبك فيها فالأمر ورد بهذا التخيل ربطاً للقلوب في الباطن، عن الخوض والتشتيت، كما ربط الأجسام باستقبال القبلة في الظاهر ربطاً للأجسام عن الالتفات والحركات، وما أمر هذا التخيل للحق تعالى ان يقيده عنده ولا يكون عنده غيره، وانه محصور في قبلته، ولا يكون في قبلة غيره ولا أن يحصره في ذلك التخيل دون غيره، من الصور المتخيلات، فانه تعالى مطلق في حالة التخيل عن التخيل، فهو المطلق المقيد لانه عين المطلق والمقيد، فهو عين الضدين والعارفون رضوان الله تعالى عليهم عند هذا التجلي والتحول في الصور في الآخرة ساكتون لا يتكلمون ولا يعرفونه لاحد كما هم اليوم في الدنيا، لأنهم عرفوه في الدنيا بالاطلاق الحقيقي، حتى عن الاطلاق لانه الاطلاق قيد وعلموا أنه تعالى المتجلّى الظاهر بكل صورة حسية، أو عقلية، أو روحانية، أو خيالية، وأنه الظاهر، الباطن، الأول، الآخر، فما انكروه في الدنيا، ولا ينكرونه في الآخرة، في أي تجل ظهر ولهذا قال بعضهم في العارفين هم غدا كما هم

اليوم ان شاء الله

(الموقف التاسع)

ورد في صحيح مسلم ان الله تعالى يتجلى لأهل الموقف ويقول لهم أنا ربكم فيقولون له نعوذ بالله منك لست أنت ربنا ، هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا ، فإذا جاءنا ربنا عرفناه ، سأل وارد الوقت عن التجلى الذى يكون أولا لأهل المحشر ويستعيذون منه المنزه والمشبّه الا العارفين بالله تعالى ما هو فانه لو كان تجلى تنزيهه لاقرت به المنزهة ولو كان تجلى تشبيهه لاقرت به المشبّهة وليس المعروف الا هاتين المرتبتين فكان الجواب أنه تعالى يتجلى فى ذلك اليوم بتجل جامع للتنزيه والتشبيه ، على وجه لا تهتدى اليه العقول ، ولا الكشف الآن وما عرف الحق تعالى الا بجمعه بين الاضداد ، بل هو عين الاضداد لا ان هناك عينا جامعة للاضداد ولذا كان لا يعرف للحق تعالى فى ذلك التجلى ويقربه الا الطائفة العارفة به الجامعة بين اعتقاد التنزيه والتشبيه فى الدار الدنيا ، وكل ماعداها من الطوائف فانه يستعيذ عن الحق تعالى ثم يتجلى لهم فى معتقداتهم فيه وتخيلاتهم له فى الدنيا فيقرون به ، ويعترفون له ، بالربوبية ، وهو هو المنكور أولا المعروف ثانيا فسبحان الواسع الحكيم

(الموقف العاشر)

قال تعالى الذى جعل لكم من الشجر الاخضر نارا ، هذا توقيف على كمال قدرته وبديع حكمته ، وأنه تعالى يخرج الاشياء من اضدادها ، ويخفى الأمور فى اندادها ، حتى لا يعرج معرج الا عليه ، ولا يتوجه متوجه الا اليه ، فانه اخرج النار الحارة اليابسة ، من الخضرة الباردة الرطبة ، ولذا قيل

فى معنى اسمه اللطيف انه الذى يخفى الاشياء فى اضدادها ، ولما اخفى
ليوسف الملك فى الرق ، قال ان ربه لطيف لما يشاء ، نبه به هذا عباده حتى
لا يقفوا مع ظواهر الاشياء وما تعطيه طبائعها وصورها ، وحتى لا يقفوا
مع علم ولا عمل ولا حال فان هذه كلها كسائر الاكوان ، يجب عدم
الوثوق بها ، والاعتماد عليها ، فان الحق تعالى قد يخرج منها ضد ما تعطيه
صورها عادة ، وحتى يعرفوا انفراد تعالى بالخلق والتدبير ، وان فعله تعالى
لا يتوقف على الاسباب العادية ولا العقلية ، وانما يفعل مع الاسباب اذا اراد
لحكمته ويفعل مع فقدها اذا اراد لقدرته فهو النفع لما يريد يخرج الخير
مما صورته شر ، ويخرج الشر مما صورته خير ، كما هو مشاهد لكم ،
فكم اخرج منة من محنة ، ومحنة من منة ، لا اله الا هو الواسع الحكيم
(الموقف الحادى عشر)

قال تعالى ، كتب ربكم على نفسه الرحمة ، وقال وكان حقا علينا نصر
المؤمنين ، وقال صلى الله عليه وسلم ان حقا على الله ما رفع شيئا فى الدنيا الا
وضعه ، ونحو هذا من الآى والاخبار الدالة على وجوب اشياء على الحق
تعالى فلا يفهم من هذا الحقيقة المعروفة فى العرف ، والوجوب ، الذى
يستحق فاعله المدح وتاركة الذم ، حتى يكون الحق تعالى داخلا تحت الحجر
والحصر ، تعالى عن ذلك ، وانما الحق تعالى اخبرنا ورسوله صلى الله عليه
وسلم بأن هذه الاشياء وامثالها اقتضتها مرتبته الالهية اقتضاء ذاتيا
لها لا مقتضى لها غيرها ، اذ لا يصدر من الحق تعالى شىء الا ولذلك
الشىء اسم الهى اقتضى صدور ذلك الشىء كائنا ما كان ، فاللهية نسبة
ومرتبة لها احكام وخصوصيات لا بد منها لتحقيق المرتبة ، والحق تعالى

مختار في كل فعل وترك لا مكره له ولا مقتضى ، الألوهية من ألوهيته ، أعني مرتبته كأن يفعل الملك مثلاً أشياء من لوازم المملكة ومقتضياتها ، فيرى السوقة أن الملك تكلفها وألزم نفسه ما ليس بلازم عليه ، وما يدرى السوقة أن رتبة المملكة اقتضت ذلك الفعل لذاتها ، لا لمقتض آخر خارج عنها ، ولو ترك الملك ذلك الفعل الذي اقتضته رتبة المملكة لما أكرهه غيره عليه ، ولكن ما تصح له رتبة المملكة بالحقيقة فإن المرتبة تعزله في نفس الأمر لنقص شيء من مقتضياتها ، وخصوصيتها ، ورتبة الألوهية ثابتة لله تعالى عقلاً ونقلاً ، ظاهراً وباطناً ، فهو يفعل ما تقتضيه ألوهيته من غير اعتبار شيء زائد على ذلك ، وقد تكلم أماننا محي الدين على هذه المسئلة بغير هذا ، والكل من عند الله تعالى كلا فليد هوؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً

(الموقف الثاني عشر)

قال تعالى ، في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله . إنما خص الرجال بالذكر دون النساء لأنه تعالى ذكر الغدو والآصال ، وهو كناية عن ملازمة المساجد في هذين الوقتين ، وهذا لا يكون من النساء غالباً ، والنادر لا اعتبار به ، ولا حكم له ، وقوله لا تلهيهم تجارة والتجارة أعم من البيع والشراء ، يقال فلان يتجر في كذا وهو جالس في بيته مثلاً معنى أن يبعه وشراؤه اذا باع واشترى يكون فيه ، وقد يكون في دكانه أو سوقه يقصد البيع والشراء ، وما حصل منه بيع ولا شراء بالفعل فهو في هذه الحالة وفي حالة ملابسة البيع والشراء ، غير ملهي عن ذكر الله ، وليس

المراد خصوص ذكر اللسان وانما المراد ان حرركاتهم وسكناتهم كانت لله ،
وفي الله وبالله . فكان لهم حضور مع الله تعالى ومراقبة ونية صالحة في
حالة بيعهم وشراهم وتجارتههم وجميع ، تصرفاتهم وهو المراد بقوله تعالى ،
والذين هم على صلاتهم دائمون ، أى يكونون في جميع أحوالهم وتصرفاتهم ،
حاضرين مع الله تعالى مراقبين له كحضورهم معه ، ومراقبتهم له ، في
حال كونهم في صلاتهم اذ من المعلوم أنهم كانت لهم ضروريات ، لا بد لهم
من التصرف فيها ، ولذا قال لا تلهيهم تجارة ولا بيع ، وما قال لا يتجرون
ولا يبيعون ، وفي الصحيح عن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يذكر الله تعالى على كل أحيانه ، أى حالاته وأوقاته
والمراد أنه كان دائم الحضور والمراقبة لله اذ من البين أنه عليه الصلاة
والسلام ، كان يأكل ويشرب وينام ويتصرف في مصالح بيته ، ومصالح
غيرهم من أصناف الخلق

(الموقف الثالث عشر)

قال تعالى ، سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا ، الآية ، كنت
مغرما بمطالعة كتب القوم رضى الله عنهم منذ الصبا ، غير سالك طريقهم ،
فكنت في أثناء المطالعة أعر على كلمات تصدر من سادات القوم
وأكابرهم ، يقف أى يقوم منها شعري ، وتنقبض منها نفسى ، مع إيماني
بكلامهم ، على مرادهم ، لاني على يقين من أدايهم الكاملة ، وأخلاقهم
الفاضلة ، وذلك كقول عبد القادر الجيلي رضى الله عنه ، معاشر الانبياء ،
أوتيتم اللقب ، وأتينا ما لم تؤتوه ، وقول أبي النعيث بن جميل رضى الله
عنه ، خضنا بحرا وقفنا الانبياء بساحله وقول الشلي رضى الله عنه

اتلميذه ، أشهد أني محمد رسول الله ، فقال له التلميذ ، أشهد أنك محمد رسول الله ، ومثل هذا كثير عنهم وكل ما قاله القائلون المأولون لسلامتهم ، لم تسكن اليه النفس ، الى أن من الله تعالى علي بالمجاورة بطيبة المباركة فكنت يوما في الخلوة متوجها ، اذكر الله تعالى ، فأخذ في الحق تعالى عن العالم ، وعن نفسي ، ثم ردني وأنا أقول ، لو كان موسى بن عمران حيا ، ما وسعته الا اتباعي على طريق الانشاء ، لا على طريق الحكاية ، فعلمت ان هذه القولة من بقايا تلك الأخذة ، وانى كنت فانيا في رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم أكن في ذلك الوقت فلانا ، وانما كنت محمدا والا لما صحح لي قول ما قلت ، الا على وجه الحكاية عنه صلى الله عليه وسلم ، وكذا وقع لي مرة أخرى في قوله صلى الله عليه وسلم ، أنا سيد ولد آدم ولا فخر ، وحينئذ تبين لي وجه ما قال هؤلاء السادة ، أعني ان هذا النموذج ومثال لأنى أشبه حالي بحالهم ، حاشاهم ، ثم حاشاهم ، ثم حاشاهم ، فان مقامهم أعلى وأجل ، وحالهم أتم وأكمل ، وكذا قال الشيخ عبد الكريم الجيلي ، كل من اجتمع هو وآخر في مقام من المقامات السكالية ، كان كل منهما عين الآخر ، في ذلك المقام ومن عرف ما قلناه علم معني قول الحلاج وغيره ، انتهى كلام الجيلي رضى الله عنه ، وقبل أن تصدر مني هذه المقالة كنت ثالث ليلة من رمضان متوجها للروضة الشريفة فحصل لي حال وبكاء فالتقي الله تعالى في قايي انه عليه الصلاة والسلام ، يقول لي أبشر بفتح ، فبعد ليلتين كنت اذكر الله تعالى فغلبني النوم فرأيت ذاته الشريفة امتزجت مع ذاتي وصارتا ذاتا واحدة انظر الى ذاتي فأرى ذاته الشريفة ذاتي ففقت فرعا مرعوبا فرحا فتوضأت ودخلت المسجد للسلام عليه صلى

الله عليه وسلم ثم رجعت الى الخلوة وجمعت اذكر الله تعالى فأخذني الحق تعالى عن نفسى وعن العالم ثم ردنى بعد ان ألقى الى قوله ، الآن جئت بالحق ، الآية ، فعلمت ان الالقاء تصديق للرؤيا ثم بعد يوم أخذنى الحق تعالى عن نفسى كالعادة فسمعت قائلاً يقول لى ، انظر ما أكننته حتى كنته ، بهذه السجعة الجناسيه المباركة فعلمت ان هذه القولة تصديق للرؤيا السابقة والحمد لله تعالى ، وقد أمرنى الحق تعالى بالتحدث بالنعم بالأمر العام لرسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله ، وأما بنعمة ربك فحدث ، لأن الأمر له صلى الله عليه وسلم أمر لا أمته ، الا ما ثبت اختصاصه به ، وأمرنى بالخصوص مرارا بإشارة هذه الآية الشريفة ، وأما بنعمة ربك فحدث

(الموقف الرابع عشر)

قال تعالى ، اهدنا الصراط المستقيم ، ألقى عليّ وأنا فى صلاة الصبح ان الهداية الى الصراط المستقيم جنس لانهاية لأفراده ، لان الحق تعالى أمر عباده بطلب الهداية الى الصراط المستقيم فى كل ركعة من ركعات الصلاة الفريضة والنافلة ، وفى غير الصلاة والهداية هى العمالة على المقصود والصراط المستقيم هو صراط أهل معرفته تعالى ، ومعرفته تعالى لانهاية لها لأن معرفته هى معرفة كمالاته وكمالاته تعالى لانهاية لها ولذا قال بعض العارفين : السير الى الله تعالى له نهاية والسير فى الله لانهاية له ، يشير الى هذا ، فالهداية المأمور بطلبها لانهاية لها ، اذ من الحال انه تعالى ما أجاب أحدا من الطالبين للهداية بشيء من الهداية ومحال أنه أجابهم بجميع الهداية ، لأن الأمر بطلب تحصيل الحاصل محال ، فتبين أنه تعالى أجاب بعض الطالبين للهداية ببعض افراد الهداية وأمرهم بطلب الزيادة

منها على الدوام ، ولذا قيل لا هدى الخلق ، وقل رب زدني علما ، والمنعم عليهم هم الذين أراهم الحق تعالى حقائق الأشياء كما هي ، ولذا قال عليه الصلاة والسلام في دعائه ، اللهم أرني الأشياء كما هي ، فأنكشف عنهم الغطاء ، وتفتح سحاب الجهل ، بطلوع شمس المعرفة لقلوبهم ، فعرفوا الحق والخلق ، معرفة يقين ، لا يدخلها شك ، ولا تتطرق إليها شبهة ، حتى صار الغيب عندهم شهادة وهي الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام وورثتهم السالكون طريقهم ، والمنضوب عليهم هم الطوائف الذين ما عرفوا معبودهم ولا تصوره إلا بصور محسوسة من نور ، وشمس وكوكب ، ووثن وصنم ، والضالين بمعنى الحائرين ، لأن كل ضال حائر ، فهم الناظرون في ذات الله بمقولهم من حكمم فيلسوفي ومتكلمم ، فانهم ضالون حائرون ، في كل يوم بل في كل ساعة يرمون ، وينقضون ويبنون ، ويهدمون ويجزمون بالأمر بعد البحث الشديد والجهد الجهد ثم يشككون في جزئهم ثم يجزمون بشككهم ثم يشككون في شككهم وهكذا حالهم دائما بين أقبال وأدبار ، وهذه حالة الحائر الضال ، وقد نقل عن إمام الحرمين زعيم المتكلمين رضي الله عنه أنه قال ، قرأت خمسين ألفا في خمسين ألف وخليت أهل الإسلام وإسلامهم وعلومهم وخضت في الذي نهى الشرع عنه وركبت البحر الخضم كل هذا في طلب الحق وهروباً عن التقليد والآن رجعت الي كلمة عليكم بدين العجايز فالويل لابن الجويني ان لم يدركه الله بلطفه ، ونقل عن نجر الدين الرازي امام المتكلمين انه قال عند الموت ، اللهم ايماناً كإيمان العجايز ، ومن شعره يتأسف على ما فاته

نهاية اقدام العقول عقال وأكثر سعي العالمين ضلال

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى ان جمعنا فيه قيل وقالوا
الى آخر ما قال ، وأنشد محمد الشهيرستاني في كتابه نهاية العقول وهو
كتاب ما ألف مثله متكلم

اعمرى لقد طفت المعاهد كلها وسرحت طرفي بين تلك المعالم
فلم أرا الا واضعا كف حائر على ذقنه أو قارعا سن نادم
فهؤلاء خول المتكلمين انظر الي حيرتهم وضلالهم فكيف تكون حالة
من دونهم ولهذا ترى طوائف المتكلمين يلعن بعضهم بعضا ويكفر بعضهم
بعضا بخلاف أهل الله تعالى العارفين به فان كلمتهم واحدة في توحيد الحق
وأمرهم جميع كما قال تعالى، ان أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه، وأما الخيرة الحاصلة
للعارفين فما هي الخيرة الحاصلة للمتكلمين وانما هي حيرة أخرى حاصلة من
اختلاف التجليات وسرعتها وتنوعاتها وتناقضها فلا يهتدون اليها ولا
يعرفون بما يحكمون عليها فهي حيرة علم لا حيرة جهل ، فلا تقاس الملايكة
بالحدادين وفي قوله المغضوب عليهم ولا الضالين ، تعريف لهم بأنه انما
أتى عليهم منهم حيث حول الاسناد الى بناء المجهول ، وما قال الذين غضبت
عليهم ولا قال الذين أضللتهم ، كما قال أنعمت عليهم ، فأصل النعمة منه
تعالى وهو سببها ، وأصل الغضب من المغضوب عليه وهو سببه ، فما كان
أصله وسببه القديم تعالى فانه لا يزول ، وما كان أصله وسببه الحادث فانه
يزول ، فافهم ما أومأنا اليه ففي الآية جبر المكسرهم

(الموقف الخامس عشر)

قال تعالى ، هو الاول والآخر والظاهر والباطن ، المحجوب حال
حجابه يعتقد أن له وجودا مستقلا منفصلا من الوجود الحق ، اما حادثا كما

هو معتقد المتكلمين ، وأما قديما كما هو معتقد بعض الحكماء كما يعتقد أنه هو الظاهر بالصورة المحسوسة المنسوبة اليه المسماة بزيد أو عمر ، وكما يعتقد أن له صفات مغايرة لصفات الحق تعالى من قدرة وإرادة وعلم ونحوها كما يعتقد أن له أفعالا صادرة عنه هو فاعلها أما خلقا أو اكتسابا

ولو كان الأمر على هذا الزعم والتوهم لما بقي للتوحيد أثر ولا للأحديّة خبر واطهر الشرك واستقر ، فاذا رحمه الله تعالى وأزال حجاب الجهل عن عين قلبه ، علم انه لا وجود لعينه لا قديما ولا حادثا وأنه باق في عدمه وامكانه اذ الممكن من حيث هو لا عين له قائمة وانما هو أمر معقول لانه برزخ بين الواجب الذي لا يقبل الانتفاء وبين المستحيل الذي لا يقبل الثبوت وكل برزخ لا صورة له قائمة ولا يكون محسوسا أبدا والصورة المحسوسة لهذا المحجوب وأمثاله ليست له لأنها لو كانت له لكان هو الظاهر اذ صورة الشيء هي التي يكون بها ظهوره ، ولا ظهور لحقيقة الممكن وعينه لأنها معدومة أزلا وأبدا ، وانما الحق تعالى هو الظاهر بأحكام استعدادات الممكنات والاحكام هي نسب واعتبارات لا عين لها في الوجود ، فكل ظاهر فهو الحق تعالى من اسمه الظاهر بحكم قوله تعالى ، هو الأول والآخِر والظاهر والباطن ، محق تعالى بهذه الآية كما قال الشاذلي رضى الله عنه ، الاغيار كلها لأن كل ما يصح أن يعلم ويخبر عنه وهو الذي يصح أن يعبر عنه بالشيئية لا يخرج عن هذه المراتب الأربع فلا أول الا هو ، ولا آخر الا هو ، ولا ظاهر الا هو ، ولا باطن الا هو ، اذ من المعلوم أن تعريف الجزأين يفيد الحصر وكذا صفاته التي يعتقدها مغايرة لصفات الحق تعالى ليست كذلك وانما هي صفات الحق قائمة بالحق لكنها

لما ظهرت في مرتبة التقييد تقيدت آثارها اذ المقيد لا تكون آثاره
الامقيدة وبقدر ما ينفك هذا المقيد عن أحكام التقييد تنفك صفاته
عن التقييد ويظهر الاطلاق في آثاره اطلاقا نسبيا وأول مراتب
الاطلاق النسبي قوله تعالى فاذا أحبيته كنت سمعه وبصره الحديث
بطوله ومحال ان يكون الحق تعالى سمع غيره وبصره وسائر
قواه لأنه تعالى ذات الذات لا تقوم بغيرها ومحال أن تقوم صفاته
بغير ذاته تعالى فافهم اشارة الحق فانه السامع والسمع والمسموع
والبصير والمبصر والبصر وكذا أفعال المحجوب التي يعقدها أفعاله
ليست كما توهم وانما هي أفعاله تعالى بلا واسطة ولا للعبد فيها
في نفس الأمر من حيث صورته العبدية بوجه ولا حال أنها لا تعمى
الأبصار ولكنها تعمى القلوب التي في الصدور

(الموقف السادس عشر)

قال تعالى ، قل من يرزقكم من السماء والارض أمن يملك السمع
والأبصار ، الآية قل للذين صرفوا عقولهم لغير الله تعالى ، وقصروا
نظرهم عليه وتعلقوا بالوسائط والأسباب ، وأعرضوا عن مسببها ،
وجعلوها عمدتهم وركنهم الذي اليه يأوون ، من يرزقكم يعطيكم ما تنتفعون
به من السماء ، يريد ما تنتفع به العقول من العلوم والأسرار والأشياء
التي لا يهتدي اليها العقل الا بالفيض الالهي ، والارض ما تنتفع به
الاجسام والنفوس الحيوانية كما قال في الآية الأخرى ، ولو انهم أقاموا
التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ، يريد رزق
العقول والارواح العلوية ، ومن تحت أرجلهم رزق النفوس الحيوانية ،

ام من يملك السمع والأبصار يتصرف فيهما تصرف المالك لهما ، فتسمع
وتبصر الشيء على حقيقته وعلى ماهو عليه اذا شاء إسماعها وإبصارها
ويصرفها ويمنعها اذا شاء عدم إسماعها وإبصارها ، فلا تسمع ولا تبصر
الشيء على حقيقته ، وعلى ماهو عليه وهى موجودة من غير آفة ظاهرة ،
الا ترى المحجوبين الجاهلين كيف يسمعون كلام الحق تعالى ولا يسمعون
أعني لا يعرفونه واذا انتفت فائدة السمع فقد انتفى السمع لا تنفأ المقصود
منه ، فقد ملك الحق تعالى سمعه وصرفه عن معرفة المسموع كلام من
هو وكذلك يبصرون الحق تعالى ولا يعرفونه ، فانتفى البصر لا تنفأ
فأدته فقد ملك الحق إبصارهم وصرفها عن معرفة المبصر من هو فتراهم
ينظرون اليك وهم لا يبصرون

وأي الارض تخلو منك حتى تعالوا يطلبونك في السماء
تراهم ينظرون اليك جهرا وهم لا يبصرون من العماة
بل يتحققون مجملهم ان المسموع غير كلام الله تعالى ، وما أبصروه
غير الحق تعالى ، فسبحان مقاب الافئدة والابصار ومن يخرج الحى من
الميت يخرج العارف بالله تعالى من الجاهل الغافل عنه ، والمؤمن من الكافر
أو من كان ميتا فاحييناه وجعلناه نورا يمشى به فى الناس كمن مثله فى
الظلمات فلا نور الا العلم بالله تعالى ولا حياة الا به ولا موت ولا ظلمة
الا الجهل بالله تعالى والغفلة عنه ، ومن يدبر يصرف امر الله تعالى الذى
هو كالمح بالبصر والعوالم العلوية والسفلية كلها موجودة بأيجاده قائمة به
وهو المقوم لها والواسطة بين الحق تعالى والخلق يستمد من الحق ويمد
الخلق فالحق يدبر الأمر ، والأمر يدبر الخلق ، فسيقولون الله يعنى أنك اذا

أوقفتم على هذه الأمور المتقدمة ومنها ما لا يعلم له سبب ظاهر ومنها ما فيه السبب موجود ولا توجد ثمرة كسماع المسموع على غير حقيقته وإبصار المبصر على غير وجهه بل قد يستج الشيء ضد ما كانت العادة تقضي به كإخراج الحى من الميت والعكس فسيقولون الله فيعترفون بأن الله تعالى هو الفاعل المؤثر فقل أفلا تتقون أى أفلا تجعلون الله تعالى وقاية بينكم وبين ملاحظة هذه الأسباب والوسائط التى أضلتكم وأصمتكم وأعمتكم وتنظرون مسببها من ورائها وتعلمون أنه لا فاعل ولا مؤثر الا هو تعالى وأنه الفاعل بالأسباب وعند الأسباب وعند فقد الأسباب فذلكم الله ربكم الحق أى الذى رأيتموه مؤثرا من الأسباب ليس هو غير الله تعالى ولا له استقلال بنفسه بل هو الله تعالى من جهة وجوده وفعله اذ ليس الوجود والفعل الا لله تعالى وحده لا شريك له فلو نسبتم الفعل والأثر الى الأسباب على جهة انها وجوه الحق تعالى وذاته ظاهرة فيها من غير حلول ولا اتحاد ولا امتزاج لكنتم مصيدين فالله هو الحق الثابت ، وما ذا بعد الحق إلا الضلال أى إلا صور وتقدير وخيالات وأوهام وظلال لا ثبات لها بل وتغني وتتجدد فى كل آن لكونها ليست حقا فأنى تصرفون استفهام إنكارى وتعجب من نهيائهم كيف صرف الله عقولهم عن رؤية الحق حقا والباطل باطلا وكيف شركوا العدم الصرف مع وجود الحق والخيال الزايل مع الحق الثابت فانه تعالى يصرف البصائر والأبصار

(الموقف السابع عشر)

سئل سيد الطائفتين الجنيد رضى الله عنه عن العارف والمعرفة فقال :

لون الماء لون إنائه وسكت يريد أن الماء لا لون له وإنما يظهر متلونا بلون

الاناء وكذلك الحق تعالى لا صورته له وإنما يظهر بصورة العارف له فالعارف الكامل هو الذى تظهر فيه صور الحق تعالى على السكال لأنه مرآة الحق يرى الحق فيه أسماءه وأوصافه ، فالعارف صورة الحق أعنى صورة العارف الباطنة فظاهر العارف خلق وباطنه حق فصورة باطنه هى صورة الحق تعالى لأنه متخلق بأخلاقه ، متحقق بأسمائه فكل من رأيناه تظهر منه أخلاق الحق تعالى وأوصافه وأسماءه عرفنا أنه عارف بالله وأن المعرفة وصفه فالعارف بمثابة الاناء والحق تعالى بمثابة الماء ولما كان الماء لالون له وإنما يتلون ويظهر بلون الاناء فكذلك الحق تعالى لا صورة له مخصوصة وإنما يتصور ويظهر بصورة العارف له . فهو هو وكل صور العالم آتية لظهور ماء الحق تعالى ولكن ليس كالانسان فانه الآتية الوحيدة فى قبول هذا الظهور وليس المراد من نسبة الصورة الى الحق تعالى إلا أسماءه لا أن له شكلا مصورا محدودا تعالى الله عن ذلك وفى الخبر أن الله خلق آدم على صورته فالعارف خليفة الله والخليفة لا بد أن يكون ظاهرا بصورة مستخلفه وهى أسماءه وصفاته واذا نقصه شئ من الصفات فقد نقصه من الخلافة بقدرها والعارفون متفاوتون فى هذا والظاهر بالصفات والأسماء على السكال هو الخليفة الكامل ولا يكون الا واحدا فى كل زمان وهو الانسان الكامل والآتية الفريدة بالنسبة لجميع المخلوقات . فأشار الجنيد رضى الله عنه الا أن العارف لا يعرف أنه عارف وأن المعرفة نعتة إلا اذا ظهر متخلقا متحققا بالأسماء والصفات الالهية أعنى الصفات والأسماء التى يمكن الظهور بها فى دار الدنيا وأما صفات الربوبية فان أدب الموطن وهى الدار الدنيا يقضى بعدم الظهور بذلك من أجل حكم الحصر والقيود على صورة العارف الظاهرة المسماة عبدا لمقتضياته

الذاتية اللازمة لصورته الناقصة لئلا يلزم التناقض بين حاله ومقاله وذلك
ليس من السكمال فكتمه لاوصاف الربوبية هو السكمال

(الموقف الثامن عشر)

قال تعالى، ولقد آتيناك سبعا من المثاني الخ كل من رحمه الله تعالى
وعرفه بنفسه وبحقيقة العالم كله علوه وسفله . وجعل يشترك الي رؤية عالم
الغيب والخيال المطلق وما غاب عن الابصار والحسية من الصور التقديرية
والنسب العدمية التي لاحقيقة لها الا الوجود الحق وهي ظهوراته واعتباراته
ونسبة العدمية فهو مخطيء غير مصيب سيء الادب وكنت مما رحمه الله
تعالى وعرفه بنفسه وبحقيقة العالم على طريقة الجذبة لا على طريق السلوك
فان السالك اول ما يحصل له الكشف عن عالم الحس ثم عن عالم الخيال
المطلق ثم ترتقي بروحه الي السماء الدنيا ثم الي الثانية ثم الي الثالثة ثم الي
العرش وهو في كل هذا من جملة العوام المحجوبين الي أن يرحمه الله تعالى
بمعرفة ويرفع عنه الحجاب فيرجع علي طريقه فيرى الأشياء حينئذ بعين
غير الأولى ويعرفها معرفة حق . وهذه الطريقة وإن كانت أعلى وأكمل
ففيها طول علي السالك وخطرها عظيم فان هذه الكشوفات كلها ابتلاء هل
يقف السالك عندها أولا فربما وقف السالك عند أول كشف أو عند الثاني
الي آخر ابتلاء واختبار فان كان السالك ممن سبقت له العناية ودام مصمما
علي طلبته ، ماضيا علي عزيمته ، معرضا عن كل ما سوى مطلوبه ، فاز ونجا ،
وإلا طرد عند ما وقف ، ورجع من حيث جاء ، وخسر الدنيا والآخرة ،
ولذا قال في الحكم ما تبرجت ظواهر المكونات لسالك إلا ونادته هو اتف
الحقيقة ما تطلب أمامك إنما نحن فتنة فلا تكفر وقال بعض القوم :

ووهما ترى كل المراتب تجتلى عليك خل عنها فعن مثلها حلنا
فاذا حصلوا على المعرفة المطلوبة حجبوا عند نهايتهم عن هذه البكشوفات
وأما طريق الجذبة فهي أقصر وأسلم والعاقلة لا يعدل بالسلامة شيئاً . وإلى
هذين النوعين يشير قوله تعالى فستعلمون من أصحاب الصراط السوى ومن
اهتدى أى ينكشف لكم من هم المهتدون بالوصول الى معرفته تعالى بساوكهم
على الطريق السوي المعتدل الذى لا عوج فيه وهو صراط الله تعالى
وصراط رسوله صلى الله عليه وسلم ومن اهتدى أى وصل الى معرفة الله
تعالى من غير سلوك ولا شيء على المقامات بل بجذبة آلهية ، وعناية
رحمانية ، وهو المراد الذى عرفوه بأنه المجذوب عن إرادته مع تهىء
الأمواره بخاز الرسوم كلها والمقامات من غير مكابدة والمقابل لهما
محذوف وهو الذى ما وصل الى معرفة الله تعالى لا بساوك ولا بجذبة
وقد خطر لى فى بعض الأيام لو أن الله تعالى كشف لى عن عالم الخيال
المطلق ودام على هذا الخاطر يومين وحصل لى قبض فكنت أذكر الله
فأخذني الحق تعالى عن نفسى ثم القى علي قوله ، لقد جاءكم رسول من
أنفسكم ، الآية ، ففهمت أن الحق أشق مما حصل لى وفى حالة القبض
دعوت فى بعض الصلوات وقلت اللهم حققني بحقائق أهل القرب
واسلك بى مسالك أهل الجذب فسمعت فى سرى وقد فعلت فتنبهت
من غفاتي وعرفت أن ما طلبته إما لم يحضر وقته وإما الحكمة اقتضت عدم
حصوله وأنى غلط فى هذا وأن مثلي مثل من دعاه الملك الى حضرته
والجلوس معه للحادثة والمباشطة وهو مع ذلك يتمنى أن لو خرج لمشاهدة
دواب الملك وسواسه وخدامه والتفرج فى الأسواق فرجعت الى الله

وسأله أن يحققني بما خلقتني لأجله من معرفته وعبودته وكان مثل هذا
الخطر خطر لي وأنا بطيبة المباركة وتوجهت للذكر فأخذني الحق عن
نفسي ثم ألقى عليّ قوله ، ولقد أتيناك سبعة من المثاني والقرآن
العظيم ، لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم ، الآية ، فلما رجعت
إلى حسي قلت حسي حسي وغاب عني هذا وما تذكرته إلا بعد

(الموقف التاسع عشر)

قال تعالى ، ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا
مرسل له من بعده ، وهو العزيز الحكيم . من الحكايات المتواترة عند القوم
أن عارفا رأى مریدا حزينا ، فسأله عن سبب حزنه ، فقال له المرید : مات
استاذي فقال له العارف ولم جعلت أستاذك من يموت : ففى هذه الحكاية
أدب عظيم وإرشاد جسيم إلى طريق مستقيم . وأكثر المریدين عن هذا فى
غفلة يأتى المرید الشيخ وقد تقرر فى أذهنه أنه يجب على المرید أن يعتقد فى
شيخه الكمال وأنه أكمل أهل عصره وأنه صاحب الهمة الفعالة والبصيرة
النافذة وأنه كذا وأنه كذا ، فإذا حضر عند الشيخ وقال له جئت أطلب
الطريق إلى الله تعالى ، فالشيخ لا يرد من كان هذا قوله كائنا من كان ولو
اطلمه الله تعالى على باطن المرید ، بالكشف أو الفراسة ، وقد كان صلى الله
عليه وسلم يقبل أقوال المنافقين مع اطلاعه على بواطنهم ، وقد يكون المرید
كاذبا فى دعواه الطريق إلى الله ، أو تكون همته باردة أو يكون الحق تعالى
لم يقسم له شيئا فى طريق المعرفة أو تكون له قسمة زمانها بعيد ، أو
تكون له قسمة لىكن على يد شيخ آخر فيخرج هذا المرید من طريق الشيخ
الذى كان دخل تحت عهده ، ويصير يتكلم فى الشيخ ويقول ما هو إلا

كَذَاب ، ما هو الا نَصَاب يَأْكُلُ أموال الناس بالباطل ، ولو كان شيخاً صادقاً لحصل لي منه ما قصدته ونحو هذا فيهلك هلاكاً أبدياً ان لم يتداركه الله تعالى بالتوبة فلو حضر المريد عند الشيخ وقد عرف واعتقد أن الشيخ إنما هو داع الى معرفة الله تعالى وان الحق تعالى قد قسم الحظوظ والأرزاق المعنوية والحسية في الأزل وقال ، ما يبدل القول لدى ، فلا يزداد لاحد في قسمته ولا ينقص له منها وانه لا مانع لما أعطى الله ، ولا معطي لما منع ، وان الشيخ باب الله تعالى ، فما تفضل به الله تعالى على المريد وصله على يد الشيخ وخرج له على الباب وما لم يتفضل به الله تعالى لا يقدر الشيخ على اعطائه وان الشيخ طيب يعرف الخلط الفاسد ، والركن الغالب ، فيأمر المريد بما يصلح الفاسد ويعمل الغالب ويقول له استعمل الدواء الفلاني واترك الغذاء الفلاني وهذه أسباب ان سبق القدر بنجاحها ونفعها نفعت والا فلا ، كسائر الأسباب لا ان الشيخ يعطي من لم تسبق له قسمة في الأزل ، او يقدم ما تأخر أو يأخر ما تقدم فان هذا شيء لم يجعله الله تعالى لأحب خلقه ، وأفضل رسله ، وأكرمهم لديه ، فقال له ، انك لا تهدي من أحببت ، وليس لك من الأمر شيء ، أفأنت تنقذ من في النار ، وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم ، الى أمثال هذا ، وانما الواجب على المريد الكامل أن يكون مع الشيخ الكامل ، كما كان الصديق رضى الله عنه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانه كان يراه باب الله الأعظم والداعي الى الطريق الأقوم وأنه افضل العالمين ، وسيد المرسلين ، وما كان يعتقد بيده ضراً ولا نفعاً ، ولا عطاء ولا منعا ، ولا هداية ولا ضلالة ، ولهذا ثبت يوم موته صلى الله عليه وسلم وخطب خطبته المشهورة فقال من كان يعبد محمداً

فان محمدا قد مات ، ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت ، وتلا ، وما محمد الا رسول الآية ، فكل رسول ووارث داع انما دعوا الى الله والله لا يزول ولا يحول بل كل الدعات انما هم ظهورات الحق تعالى وصورة وهو الداعي نفسه لنفسه بنفسه ، فهو الداعي من حيث ظهوره وتعيينه بصور الرسل والمشايخ والمدعو من حيث ظهوره وتعيينه بصور المردين ودعوته لنفسه من حيث رتبة الألوهية لارتبة الأطلاق (الموقف العشرون)

طلبت من الحق تعالى يجعل لي نورا أكشف به حتى أعرف ما آتى وما أذر فقال لي في الحين ها هو ذا في الكتاب والسنة فانتبهت حينئذ لقوله تعالى قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم ، فعرفت أنه لانور يرغب فيه الراغبون مثل الاستقامة على الكتاب والسنة لانه تعالى ضمن النجاة في العمل بهما وما ضمنهما في العمل بالكشف ولذا قال استأذنا أبو الحسن الشاذلي أنه يرد علي الوارد فلا أقبله الا بشاهدين عدلين وهما الكتاب والسنة او كما قال وان طوق الشريعة لا يزول عن رقبة عارف ولا مكاشف مادام بدار التكليف

(الموقف الواحد والعشرون)

قال تعالى في سحرة فرعون ، قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون ، وقال حكاية عن فرعون ، آمنت أنه لا آله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين انما زاد السحرة ذكر موسى وهارون وما اقتصروا على قولهم رب العالمين لأنهم مأمورون بتصديق موسى وهارون فيما جاء به من

الأوامر والنواهي الزائدة على التوحيد وكل من كان داخلا تحت رسالة رسول أي رسول فلا ينفعه توحيده دون إيمانه بذلك الرسول وانقياد دله فإنه مأمور أن يوحد لقول الرسول له وحد لا مطلق التوحيد، ففى ذكر السحرة لموسى وهارون اقرار برسالتهما وان توحيدهم هذا اتباع لهما واذعان لما جاء به من التوحيد وغيره كأنهم قالوا فى ضمن ذكر موسى وهارون صدقنا رب العالمين لأمر موسى وهارون وفى ذلك نجاتهم لأن التوحيد الجرد عن الإيمان برسول إنما ينفع من لم يكن داخلا تحت رسالة رسول كقس بن ساعدة الأيادي، وزيد بن عمرو بن نفيل، وأضرابهما وكذا قول فرعون آمنت أنه لا آله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل، مراده ببنى اسرائيل موسى وهارون وأتباعهما فهو توحيد واقرار برسالة موسى وهارون واذعان لهما، ولما جاء به وما هو بإيمان يأس فإنه شاهد كرامة الله تعالى لموسى، وعين قدرته تعالى، كيف جعلت البحر ييسا فلم ييأس من حصول هذه الكرامة له بإيمانه بموسى وهارون عليهما الصلاة والسلام، وقد نص الله تعالى على أن فرعون آمن إيمانا كاملا بقوله، الآن وقد عصيت قبل فمانع عليه الا تأخير الإيمان فقط لأن عصيان فرعون ما كان عن جهل بصحة رسالة موسى وصدقه وإنما جحوده استكبارا مع معرفته فى الباطن قال تعالى فى حقه وحق قومه وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا وأقوى حجة للمخالف فى عدم قبول إيمانه قوله تعالى، فاخذه الله نكال الآخرة والأولى ولقد أعلمنى الحق تعالى أن معناها أنه جمع لفرعون فى الفرق نكال الآخرة والدنيا، فلم يبق عليه بعد الفرق نكال فى الآخرة هكذا ألقى الى وقد ذكر أستاذنا محي الدين للآية وجهها غير هذا وما كان فرعون مغرغرا حتى لا يقبل

إيمانه فان الغرغرة نفس واحد يخرج ولا يرجع ، وفرعون تسكلم بعد الايمان
كلمات كثيرة حكاه الله عنه وخاطبه الحق بكلمات كثيرة وكون ايمان اليأس
غير مقبول انما هو في دفع العذاب الدنيوي سنة الله التي قد خلت في عباده
الا قوم يونس لما آمنوا كشف الله عنهم العذاب في الدنيا ولذلك قال في
آخر الآية وخسر هنالك الكافرون ، الاشارة للبعيد وهو يوم القيامة
أى الذين ماتوا وهم كفار ، لا الذين ماتوا وهم مؤمنون ، وانما لم ينفعهم
ايمانهم في كشف العذاب الدنيوي لانه تعالى جعله لهم تطهيرا لما سلف من
الكفر والعناد كالخاود في الدنيا فانها لا ترفعها التوبة وقد شهد عليه السلام
لما عز بانه تاب توبة لو قسمت على أهل الارض لو سعتهم ومع هذا رجه
عليه السلام وكيف لا يكون ايمان اليأس مقبولا وقد وردى صلى الله عليه
وسلم القوم الذين قتلهم خالد بن الوليد رضى الله عنه وكان خالد صبيحهم
جعلوا يقولون صباانا صباانا ولم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا ، وقال عليه السلام
لأسمامة رضى الله عنه ، أقتلته بعد أن قالها ، قال أسمامة فما زال يكررها
حتى تمنيت أنى لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم ، وقال عليه السلام للذي
سأله ، أرايت لو لقيني مشرك وضربني وقطع إحدى يدي ثم لازمني
بشجرة وقال لا آله الا الله أقتله ، فقال له عليه السلام ، ان قتلته كنت
بمنزلة قبل أن يقولها وكل هذا في الصحيح فمن قال بعسدم قبول ايمان
اليأس ما أمعن النظر ومن عرف الحق عرف أهله ومن عرف الحق بالرجال
تاه في مهامه الضلال وربما يقول الواقف ان هذه المسألة مما لا يعنى وانما
ذكرتها ليعلم الواقف سعة رحمة الله فلا ييأس ولا يقنط ويظن خيرا فيكون
الحق عند ظنه

(الموقف الثاني والعشرون)

ورد في الصحيح عنه تعالى ، قال أنا جليس من ذكرني ، الحديث بكما له
لفظة أنا ونى يقتضيان أن المراد المجالسة بالذات ومجالسة الحق تعالى الذاتية
انما هي اذا ذكره باسماء الذات كالله والهوى والحق والاحد وأسماء الضمائر
وأما اذا ذكره الذاكر بأسماء الصفات أو اسماء الأفعال وكان قصد الذاكر
المعنى الذى دلت عليه لفظة الاسم فلا يكون الحق جليسه الا من حيث
ذلك المعنى خاصة بالذات وكذلك اذا ذكره بالاسم ، الله ، وكان قصد
الذاكر معنى من المعانى التى دل عليها الاسم ، الله ، من حيث أنه جامع
لجميع معاني الاسماء كما اذا قال يا الله ارزقني او يا الله عافني مثلاً فان
مقصوده من لفظة الله ما دل عليه من معنى الرازق والمعافي وكل اسم
من اسماء الصفات والأفعال له اعتباران اعتبار من حيث دلالاته على
الذات واعتبار من حيث المعنى الذى دلت عليه لفظة الاسم ، فأما من
حيث الاعتبار الأول فهو عين الذات وعين جميع الأسماء فيصح نعتة
بجميع الأسماء وأما من حيث الاعتبار الثانى فهو غير الذات وغير
جميع الأسماء ومن هذا المعنى الذى أسلفناه قوله تعالى يوم نحشر المتقين الى
الرحمن وفداً فيثلم يكن المتقي جليساً للرحمن فى الدنيا وانما كان جليساً
لاسم من أسماء الجلال كالمنتقم والجبار وشديد العقاب ونحوها ومجالسة اسماء
الجلال تمنع من اسماء مجالسة الجمال كالرحمن ونحوه وهى التى حملته على التقوى
جزاء الله تعالى بحشره الى الرحمن وفداً حتى يرحمه الرحمن ويكرمه وينعمه
وقد عقل عن هذا المعنى العارف الكبير أبو يزيد البسطامي رضى الله عنه
فانه سمع قارئاً يقرأ يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفداً فقال يا عجبا كيف

يحشر اليه جليسه ولذا قال امام العارفين محي الدين ليس العجب من قول الله هذا وانما العجب من قول أبي يزيد والكلام لله فلهذا نقول: الذي يحشر الى الرحمن مقطوع بنجاته بخلاف الذي يحشر الى الله كما في قوله ، واتقوا الله الذى اليه تحشرون ، فانه بين خوف ورجاء من حيث الأسم ، الله ، جامع لمعاني أسماء الجلال والجمال فيمكن أن يقابل المحشور اليه بأسماء الجمال ويمكن أن يقابله بأسماء الانتقام لا يقال أن الأسم ، الرحمن ، كذلك له الأسماء كلها كما قال تعالى ، قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى ، لأننا نقول الاسم الرحمن ولو كانت له الأسماء كلها كما هي منه فانها حين تكون تحت حيطته وفي قبضته لا تخرج الا بنفسه ، وهو الرحمة لأن الدولة والحكم له وأما قوله تعالى ، وأنذره الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم ، الآية فكذلك خافوا من الحشر الى الحضرة الجامعة لأسماء الربوبية كلها ولا يعرفون ما يتلقاها منها من الأسماء ولو عرف كل واحد أنه يحشر الى ربه الخاص ما خاف لأنه كان معه فى الدنيا وكل واحد من المربوبين مرضى ربه لأن الربوب شأنه طاعة ربه الخاص ، فذلك هو ربه راض عنه كيفما كان ربه مفضل أو هاد أو جبار أو عفو أو غير ذلك وهذا الخبر الرباني ما جاء على مقتضى خطاب العموم حتى تقبله العقول المحجوبة من غير تأويل وما قبلته الا بضرب من التأويل ولا جاء على ما هو الأمر عليه فى نفسه وحقيقته فانه لو جاء على هذا لقال لا إذن ذا كرى أنه غيري فأنا ذا كرى والذكر والمذكور والحكمة فى وروده باللفظ الذى ورد به هو قبوله لتأويل المتأولين بخلاف ما لو صدعهم بصريح الحق ونفس الأمر فانهم يعجزون عن تأويله فلا يقبلونه وكم من حديث رده

علماء الرسوم لعجزهم عن تأويله وعندهم من علامة وضع الحديث وروده بصفة تخالف العقل ولا يقبل التأويل حتى يجمع بين مقتضى العقل ومقتضى الحديث ، وهؤلاء جعلوا عقولهم أصلاً يرجع إليه الكتاب والسنة ، وهذا آخر شيء على المتكلمين في التشابهات من الآيات وأحاديث الصفات نعوذ بالله من الجهل الذى صورته صورة علم ولو كان من هذه سبيله عامياً يؤمن بالتشابهات على مراد الله تعالى ، ومراد رسوله صلى الله عليه وسلم كالسلف لكان خيراً له وأول من وسع باب التأويل أبو الحسن الأشعري رضي الله عنه ولكنه ما اتخذ ديناً وعقيدة وإنما ألجأه إلى ذلك أهل الاهداء والبدع فأنهم يستدلون لبدعتهم من الكتاب والسنة بكلامهم بلسانهم ورد عليهم بسهامهم ولذا قال فى كتابه الأبانة وهو آخر مؤلفاته أن مذهبه فى التشابهات مذهب أئمة السنة أحمد بن حنبل رضي الله عنه

(الموقف الثالث والعشرون)

قال تعالى ، هو الأول والآخر والظاهر والباطن ، اعلم أن الحق تعالى ، هو الظاهر بهذه الصور المشكلة المحدودة التى هى خيالات لا وجود ولا حقيقة لها إلا فى المشاعر الانسانية كما اذا أخذت عوداً فى طرفه نار وأردته بسرعة فانك ترى دائرة نار لا تشك فيها وكذا أن حركته مستقيماً فانك ترى خطاً من نار لا تشك فيه بحسبك وتخيلك وتحكم بمقلك وعلمك أنه ليس نمة إلا الجمرة التى على رأس العود فهكذا جميع ما ترى فى الأرض والسماء ليس إلا أمر الله الذى هو مجموع صفات الله الظاهر بكل صورة وما أمرنا إلا واحدة كالح بالبر و هذه الصور المشكلة المحدودة فى الأرض والسماء هى أحكام الاستعدادات الممكنة الثابتة فى العلم التى ما شئت راحة الوجود ولا

تشم أبدا المسماة بالأعيان الثابتة وبالحقائق عند الصوفية وبالماهيات عند المتكلمين والحق الذي هو الأمر الظاهر بها على ما هو عليه من الإطلاق وعدم التقييد بهذه المظاهر والوجود الحق المسمى بالأمر لا يظهر إلا بما يقتضيه استعداد كل عين ثابتة وما هي طالبة له من الأحوال ومتأهلة من الأزل والقدم من إيمان وكفر وطاعة ومعصية وعلم وجهل وصلاح وفساد وحسن وقبيح وغير ذلك من الأقوال والأفعال والاعتقادات والصفات فصاحب هذا الشهود إذا بدا له قول أو فعل يسوءه من صورة لا يقول هذا حق وأنا مستحق لهذا الأمر الصادر من هذه الصورة وإنما يرجع إلى نفسه ويفتشها والإنسان على نفسه بصيرة لأن الفاعل والمتكلم وإن كان هو الحق حقيقة من خلف أستار الصور فهو لا يفعل ولا يقول إلا ما هو مقتضى العين الثابتة التي تلك الصورة حكاية عنها كحكاية الصور الظاهرة في المرايا مما قابها من الأشخاص فأمر الله الذي هو الوجود المنفص على المكونات هو الظاهر وهو الشهادة، وهو المحيط بكل شيء والمخلوقات هي الباطنة وهي الغيب وليسكن الحكم دائما للباطن في الظاهر وللغيب في الشهادة فحكمت أحكام الأعيان على الوجود الحق الظاهر بما تقتضيه حقائقها فلا يظهر إلا بأحكام كائنة ما كانت من نقص أو كمال وهي اعدام لأنها نسب وأعراض وهو تعالى في هذا الظهور على ما هو عليه من الكمال لا حلول ولا اتحاد ولا امتزاج ومن هنا كانت الحجة البالغة للحق تعالى على الخلق ولا يظلم ربك أحدا لأنهم يطلب استعداداتهم طالبون منه تعالى أن يظهر بأحكام كل عين وما تقتضيه وهذا الاستعداد السكلي غير مجعول فما هو مخلوق ولا هو من فعله فتكون الحجة للخلق وهنا ظلمات مدلهات تقصر دونها الخطا

وتفضل فيها القطا

(الموقف الرابع والعشرون)

قال تعالى ، فاعلم أنه لا إله الا الله المعني أنه لا يستحق العبادة والخضوع والاتصاف بصفات الآله وجه من وجوه الحق تعالى الظاهرة بالمظاهر التي هي أي المظاهر اعدام عند التحقق الا الذات المسمى بالله وذلك أن الحقيقة المسماة بالله واحدة من كل وجه ومع وحدتها فهي ظاهرة وتظهر بما لانهاية له من الصور ولها في كل صورة وجه خاص بتلك الصورة فهي واحدة كثيرة واحدة بحقيقتها كثيرة بتعييناتها ومظاهرها حقيقة الله وان ظهرت بكما لها في مظاهرها التي لا تنهاى فهي لا تنجزىء ولا تتبعض ولها في كل مظهر وجه خاص أى ذات ولا يستحق العبادة وجه من تلك الوجوه الظاهرة بالمظاهر الا الذات المسمى بالله لأن غيرها وان كان هو هي فانه لا يسمى الله فانه تعالى لما ظهر بهذه الصور سماها غير أو سوى وانسانا وما كوا وعرشا وفلكا وشمسا وكوكبا ونحو ذلك قال تعالى موبخا لعبدة الأصنام قل سموهم يعنى الأصنام التي عبدوها فلو سموهم ماسموهم الا حجرا أو شجرا أو نحو ذلك وما سموا معبوداتهم الله أبدا فكل من عبد شيئا غير مسمى الله فهو كافر وان كانت حقيقة ذلك المعبود هي الحقيقة المسماة بالله وما أصاب الحق الا من عبد الذات المسمى بالله الغيب المطلق الذي لا صورة له ولا يعرف منه الا وجوده لا غير من حيث اتصافها باللوهية وما سوى ذلك مما يعده المتكلمون في الذات من علماء الرسوم معرفة فهو الي الجهل أقرب منه الى المعرفة وعلى هذا التفسير يكون الاستثناء ظاهرا فهو بمثابة قولنا لا رجل الا زيد نفينا صفة الرجولية عن كل رجل وان كانت ثابتة له وأثبتناها للذات المسماة بزيد

فقط وأما التفسير المشهود فالاستثناء فيه مشكل ولذا كثر فيه اللفظ والاختلاف حتى قال بعض العلماء ينبغي أن يكون الاستثناء في الكلمة المشرفة قسما برأسه ليس من أقسام الاستثناء المعروفة والذين عبدوا ما عبدوا من دون الله ما قصدوا بعبادتهم إلا المظاهر التي حصروا الحق فيها وهي الصور المشهورة لهم وما عرفوا الحق المظاهر بتلك الصور وبغيرها فضلوا وأضلوا

(الموقف الخامس والعشرون)

قال في الحكم ، لولا ميادين النفوس ما تحقق سير السائرين ، معناه لولا ما يكون فيه سير معنوي ويحصل فيه تردد وصعود وهبوط وهي صفات النفس المعبر عنها بالميادين أي المجالات المتسعة والسير فيها بقطع وصلتها وتبديل صفاتها ومحو آثارها وعاداتها والنفس حقيقة واحدة ولكن تعددت باعتبار تعدد صفاتها وتباين مقتضياتها فيقال أمانة ملهمة مطمئنة ما تحقق سير السائرين أي ماثبت ونسب سير لسائر لأنه ليس هنالك شيء محسوس يسير فيه السالك حتى يقطعه وإنما هو سير معنوي في مجالات معنوية وهي النفوس التي يكون سير السالك فيها وقطعها كناية عن تبديل صفاتها البهيمية بالصفات الإلهية بمعنى أنه يملكها حتى يضع كل وصف في محله اللائق به ويصرف كل وصف مصرفه وأما محو الصفات بمعنى زوالها بالكلية فهو غير واقع لأنها لو محيت لحيت النفس رأسا وانعدمت ولا يتوهم متوهم أن السالك سائر إلى الله في مسافة محسوسة وأن الوصول إلى الله وصول محسوس فإن هذا وهم باطل ، وجهل عاطل ، لأن من هو أقرب الإنسان من حبل الوريد ومن الجليس كيف يتوهم السير والوصول إليه لا مسافة بينك وبينه تقطعها

رحلتك، وتطويها وصاتك، فلا يصح اطلاق السير الى الله تعالى الا بنوع من المجاز وهو أنه لما كان السالك السائر في ميادين النفوس اذا قطع تلك العقبات المعنوية يصل الى العلم بالله تعالى، صح أن يقال سار الى الله والا فجل ربنا ان يسير اليه أحدا ويصل اليه فانه أقرب اليك من نفسك التي تتخيل مغايرتها لله تعالى وانها سائرة اليه وواصله

(الموقف السادس والعشرون)

قال تعالى، فوال وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره، الحكمة في تحجير الأمر باستقبال القبلة في الصلاة مع قوله فأينما تولوا فثم وجه الله أى ذاته ومع كون التحجير فيه نوع تقييد للمعبود انه مظهر بغيرها ومع ما في ذلك من التشبه بعبد الأوثان والأصنام في الظاهر اذ التوجه في الصلاة والطواف بها لا يقع في ظاهر الأمر وبإدى الرأي الا الى الكعبة وأحجارها هو أنه تعالى لو أطلق الأمر وما حجره وجعل التخير للمصلين لا أدى ذلك الى التفرقة والحيرة فربما يريد وصل جهة ويريد الآخر أخرى وآخر أخرى فينحل النظام وتخل الجماعة وأساس الدين هو الاجتماع والاتفاق وأيضا تكون حيرة العارفين في الاطلاق وعدم التحجير أعظم لانهم عارفون بظهور الحق تعالى في كل مظهر وصورة بوجه خاص والمظاهر متفاضلة بما لا ينحصر في قبول الظهور والعارف أكثر مشاهدته وتوجهه الى المظهر الذي خواص الوجود فيه أكثر ظهورا وخواص الوجود الحق ما ظهرت في مظهر مثل الانسان الكامل في كل عصر فلو أطلق الأمر الى العارف ما توجه الا اليه وهو مجهول المكان فتعظم حيرة العارف

(الموقف السابع العشرون)

قال تعالى، وانه هو أضحك وأبكى، كنت متوجهاً أذكر الله في خلوتي فأخذني الحق تعالى عن العالم وعن نفسي فسمعت قائلاً يقول ان الله تعالى ما أضحكنا وأبكنا في الدنيا الا ليضحك لنا الآخرة فلما رجعت الى نفسي علمت أن هذا تسليمة وبشارة ، فان السالك السائر تتلون أحواله دائماً فتارة قبض وتارة بسط وتارة ضحك وتارة بكا والموجب لذلك مشاهدتان الأولى مشاهدة مامن الله تعالى اليه من الستر عليه والاحسان اليه وأنه عبد الله تعالى وأنه سائر اليه ولحضرة قربه، ولحسن ظنه ، بربه بأنه سيرحه ويرفع حجبته ويعرفه بنفسه ويجلسه مجلس الرضى مع الأحابيب المخصوصين بالقرب والكرامة فهذه مشاهدة توجب الفرح والضحك والانبساط والثانية مشاهدة مامن الله تعالى من سوى الأدب والتقصير في الأمر وعدم شكر النعم مع التفكير في حالته الراهنة وبعده من حضرة الاحباب وتراكم الحجب وغلبة النفس والهوى واستيلاء حب الدنيا والشهوات على قلبه فمشاهدة هذه الأمور توجب القبح والحزن والبكا بل توجب ازهاق الروح لمن كانت له همة سنية، ونفس انسانية ، فالسالك لا يخلو من هاتين الحالتين أبداً ولا تظهر له من الحق تعالى علامة الرضى وهو الضحك الخالص مادام في هاتين المشاهدين فإذا أراد الله تعالى رحمته أظهر له علامة الرضى برفع الحجاب وأدناه من حضرة الاحباب وعرفه بنفسه وخلع عليه من خلع الكرامة، وأنعم عليه بأنواع النعم لأن من عادة الملك اذا ضحك لأحد فعل به أنواعاً من الكرامة ويكون المراد بقوله في الدنيا الحالة القربى من السالك وهى بدايته في السلوك والسير اذ الدنيا مأخوذة من الدنو وهو القرب.

لكونها أقرب اليما من الآخرة ويكون المراد بالآخرة حالة السالك المتوجه حين يرحمه الله تعالى بحلول رضوانه عليه وكشف حجابها لأنها آخرت بالنسبة الى حالته الأولى وما سميت الآخرة آخرة الا لتأخرها بالنسبة الى الدنيا (الموقف الثامن والعشرون)

قال تعالى، قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا، قال عامة المفسرين الكلمات هي المقدورات لان القدرة تتعلق بكل ممكن ولانهاية للممكنات وعندى من باب الاشارة أن المراد بالكلمات الكلمات الحقيقية جمع كلمة وذلك أن الحق تعالى هو المتكلم من وراء جدار كل صورة ينسب الكلام اليها لأنه لسان كل متكلم وسمعه وبصره كما ورد فى الصحيح ولأنه وجود كل متكلم والكلام تابع للوجود كسائر الصفات فالكلام له تعالى حقيقة ولغيره مجاز والمتكلمون مجاز لانهاية لكلامهم لأنهم بعد دار الدنيا يصيرون الى الدار الأبدية التى لانهاية لها فلانهاية لكلامهم وليس كلامهم الا كلام الله وانما كان لانهاية له لأنه لم يدخل جميعه فى الوجود فيلزمه التناهي فهو غير محصور بخلاف البحر فانه محصور دخل فى الوجود وكل ما دخل فى الوجود فهو متناه فلو كان البحر المتناهي مددا لكلمات ربي الغير المتناهية لنفد البحر وانقضى قبل أن تنفذ كلمات ربي لانها غير متناهية ولو جئنا بمثله مددا أي ولو جئنا ببحر آخر مثله أى مماثل له فى صفاته التى من جملتها دخوله فى الوجود والتناهي مددا أى تقوية له وزيادة فيه لنفد قبل أن تنفذ كلمات ربي الغير المتناهية وأيضا كلامه تعالى تابع لعلمه أو هو العلم نفسه تعددت أسماؤه لتنوع ظهوراته فاذا أضيف علمه تعالى الى استماع دعوة

المضطر قيل سميع، وإذا أضيف علمه الى رؤية كل شيء قيل بصير، وإذا أفاض علما على قلب عبد من عباده قيل متكلم، ونحو هذا ومعلوماته لانهاية لها فكذلك كلامه لانهاية له.

(الموقف التاسع والعشرون)

كنت بين النائم واليقظان فقبل لي ان الناس يظنون أنهم في حالة النوم في خيال وعدم، وفي حالة اليقظة في وجود حق، وما يدرهم أنهم في الحالتين في خيال لا حقيقة له، فأنهم في حالة النوم في خيال متصل، وفي حالة اليقظة في خيال منفصل، وحقيقة الخيال فيهما واحدة اذ الخيال المتصل شعبة من الخيال المنفصل والخيال لا وجود ولا معدوم، ولا منفي ولا مثبت وجميع ما يدرك بأي آلة من آلات الادراك كانت فهو في هاتين المرتبتين وليس في الوجود الحق الثابت الا الله تعالى عز وجل والأرواح والأجسام خيال كلها

(الموقف الثلاثون)

قال لي الحق تعالى: تدري من أنت؟ فقلت نعم أنا العدل الظاهر بظهورك، والظلمة المشرقة بنورك، فقال لي عرفت فالزم واياك أن تدعي ما ليس لك فان الأمانة مؤداة، والعارية مردودة، واسم الممكن منسحب عليك أبدا كما هو منسحب عليك أزلانم قال لي أتدري من أنت؟ فقلت نعم أنا الحق حقيقة والخلق مجازا وطريقة أنا الممكن صورة الواجب ضرورة اسم الحق لي هو الأصل واسم الخلق علي العارية والفصل فقال لي أهم هذا الرمز، ودع الجدار ينقض على السكنز، حتى لا يستخرجه الا من أعجب نفسه، وعين رسمه، ثم قال لي الحق تعالى ما أنت فقلت ان لي حقيقتين من حيثيتين أما من حيث أنت

فأنا القديم الأزلي الواجب الوجود الجلي أما الوجوب فمن اقتضاء ذاتك ،
وأما القدم فمن قدم علمك وصفاتك ، وأما من حيث أنا ، فأنا العدم الذي
ماشم رائحة الوجود ، الحادث الذي في حال حدوثه مفقود فما كنت
حاضرا بك لك فأنا وجود ، وما كنت غاييا بنفسي عنك فأنا مفقود
موجود ، ثم قال لي ومن أنا ؟ فقلت أنت الواجب الوجود بالذات المنفرد
بكمال الذات والصفات بل تنزهت عن كمال الصفات بكمال الذات فأنت
الكمال في كل حال ، المنزه عن كل ما يخدع بالبال ، فقال ما عرفني فقلت
من غير خوف عقوق ، وأنت المشبه بكل حادث مخلوق ، فأنت الرب
والعبد ، والقرب والبعد ، وأنت الواحد الكثير ، والجميل الحقير ، الغني
الفقير ، العابد المعبود ، الشاهد المشهود ، فأنت الجامع للمتضادات والجميع
أنواع المنافاة فأنت الظاهر الباطن ، المسافر القاطن ، الزارع الحارث ،
المستهزى الماكر الناكث ، فأنت الحق ، وأنا الحق ، وأنت الخلق ، وأنا
الخلق ، ولا أنت حق ، ولا أنا حق ، ولا أنت خلق ، ولا أنا خلق ، فقال
حسبك عرفني فاسترني عمن لا يعرفني فإن للربوبية سرا لو ظهرت لبطلت
الربوبية ، وللعبودية سرا لو ظهرت لبطلت العبودية ، وأحمدنا على أن
عرفناك بنا فأنت لا تعرفنا بغيرنا ، اذ لا دليل غيرنا علينا

(الموقف الواحد والثلاثون)

قال الله تعالى ، لا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه فإذا
أحبيته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، الحديث القدسي
بطوله أخرجه البخاري ومسلم ، هذه رتبة عليا وصاحبها غير كامل لأنه
يرى له ذاتا ونفسا قائمة بوجوده والحق صفاتها من سمع وبصر ويد ورجل

فنفسه عنده مقررره وأفعاله بالحق تعالى وأعلى منه وأكمل عكسه ، وهو الذى يرى نفسه صفات الحق ، فيكون سميع الحق وبصره ، وكلامه الى آخره ، وهذا وإن كان أكمل ممن قبله ففيه بقية نقص فانه ما انعدمت عينه جملة واحدة وأعلى منهما معا من يحصل على الفناء والحق فانه رجع الى الاطلاق بعد التقييد ، ولم يبق له اسم ، ولا عين ولا رسم ، ونودي عليه لمن الملك اليوم هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا ، وفي هذا الفناء تحصل الرؤية الحقيقية فانه ما غاب عن العالم وعن نفسه الا برؤية الحق تعالى ، وفي نفس الأمر الرائي والمرئي واحد والتعدد اعتبارى وما عدا هذا مما يقال فيه رؤية فهو مجاز ومن السالكين من يحصل على الفناء والمحو قبل قرب النوافل والفرائض وهو السالك المجذوب بالعناية وقوله : كنت سمعه الى آخر الحديث فيه إيماء الى ما هو الأمر عليه فى حقيقته بأن الحق تعالى هو السامع والسميع والمتكلم والكلام اذ لا يصح أن يكون الحق تعالى صفة يقوم بذات العبد الحادث لأنه تعالى ذات ما هو صفة والذات لا تقوم بذات أخرى فمنطوق الحديث غير مفهومه لأن منطوقه اثبات عين العبد وتقرررها ومفهومه نفي عين العبد ومحوها وانه ليس هنالك الا الحق تعالى هو العين والصفة وهو الظاهر بأحكام عين العبد الثابتة فى العلم والعدم ، اذ العبد معدوم أبدا كما هو معدوم أزلا وانما هو عبارة عن الأحكام العدمية التى ظهر الوجود الحق بها لا غير ولا حلول ، ولا اتحاد كما يفهمه العميان ، ولا تأويل كما يقوله أصحاب الدليل والبرهان ، وسمى الحق تعالى نفسه فى هذا الظهور وهذه المرتبة عبدا وهو العزيز الحكيم ولا يسأل عما يفعل ، ويدل قوله تعالى كنت سمعه انه تعالى سميع بذاته بصير بذاته الى آخر الصفات ولا يفهم من قوله كنت

سمعه الى آخره انه لم يكن كذلك ثم كان وانما المراد رفع الحجب عن هذا المتقرب بالنوافل حتى يشاهد الأمر على ما هو عليه في هذه المرتبة وهذا الظهور لا أنه حدث ذلك بعد أن لم يكن فوقها مراتب كما ذكرنا فهو المتكلم منك لأنه لسانك ، وهو السامع لأنه سمع مخاطبك ، فهو المتكلم والسامع من كل متكلم و سامع ، فتحت اشارة هذا الحديث الرباني بخور ذاخرة ، ترجع العقول عنها حائرة ، كأنها حمر مستنفرة ، فرت من قسورة

(الموقف الثاني والثلاثون)

قال تعالى ، واذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداعي اذا دعان ، اعلم أن الحق تعالى لا يعطي احدا ما يطلبه بلسان مقاله الا اذا وافق طلب لسانه طلب استعداده ، فاذا خالف طلب الاستعداد طلب اللسان فلا يعطي تعالى الا ما يطلبه الاستعداد كأنما ما كان ذلك الطالب وذلك المطلوب فلو طلب القصار تبييض وجهه ما أجابه الحق لأن استعداده يطلب خلافه وهو تسويد وجهه ، ولو طلبت شقة الكتان مثلا تسويدها ما أجاب الحق سؤالها لأن استعدادها يطلب خلاف ذلك ، وهو تبييضها ، والانسان قد يكون له استعداد الطالب باللسان وما يكون له استعداد قبول المطلوب فاذا سأل أحد من الحق تعالى شيئا ولم يعطه إياه ، فانما ذلك لكون استعداده طلب خلافه وليس له استعداد لقبول ذلك المطلوب والافتعالي الحق أن يمنع أحدا عن بخل فالآية الكريمة وان كانت مطلقة في ظاهر اللفظ فهي مقيدة بطلب الاستعداد وسؤاله فان مدار الأمر كله على الاستعداد للقبول سواء طلب أو لم يطلب والاستعدادات السكائية قديمة لم يتعلق بها جمل ، وانما حصلت بالفيض الأقدس الذاتي فالحق تعالى حكيم لا يعطي أحدا شيئا هو غير طالب

له باستعداده فيكون مستعدا لقبوله فلو عهد الملك مثلا الى خزائن السلاح فأعطاهما العلماء لطلبهم اياها منه، وعهد الى خزائن السكتب فقرها على الجند لطلبهم اياها منه ، ما كان حكيما لأن العالم غير مستعد لاستعمال السلاح والحرب ولو طلب السلاح بلسانه ، والجندي غير مستعد لفهم السكتب ولو طلبها بلسانه ، والله عليم حكيم .

(الموقف الثالث والثلاثون)

سمعت المؤذن في المسجد الحرام يتلو على المنارة قوله تعالى ، اذ الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، فعجبت من هذه الاخبار للرسول صلى الله عليه وسلم مع تأكيد بان ، ثم ألقى الحق الي ان المقصود بهذا الخطاب والاخبار العامة الجاهلون بالحق ، وأما العارفون فانهم عرفوه تعالى عين كل شيء في الأرض والسماء فكيف يخفى عليه شيء في الأرض والسماء وهل تخفى عليه عينه فهذا الخطاب بمنزلة قوله انا عالم بذاتي ولا يخفى علي شيء من ذاتي وهذا غير مفيد للمعارفين شيئا لم يكن عندهم، وجل الحق تعالى عن الخطاب بغير فائدة فتعين أن المقصود بهذا الاخبار العوام لأن تأكيد الخبر لا يكون الا لمنكر أو متردد ، والرسول صلى الله عليه وسلم وورثته ما وقع منهم تردد فضلا عن الانكار

(الموقف الرابع والثلاثون)

قال تعالى ، قول وجهك شطر المسجد الحرام ، الآية ، اعلم أنه لا وجود الا الوجود الواحد الحق تعالى والمسمى عالما ومخلوقات مظهرة من أول مخلوق الى آخر مخلوق ، خلق بلا خلق لا يظهر ، وخلق بلا حق لا يوصف بالوجود ، والوجود الحق واحد لا يتعدد ولا يتغير ولا ينحصر

ولا يحدد ولا تقيد الأكوان والمظاهر ومظاهره متعددة متغيرة منحصرة
مقيدة فيظاهر في مظهر بالعلم لأنه حكم استعداد ذلك المظهر فيسمى المظهر
عالما، ويظهر في مظهر بالجهل فيسمى ذلك المظهر جاهلا، ويظهر في مظهر
بالقهر فيسمى ذلك المظاهر قاهرا، لأنه حكم استعداد ذلك المظهر ويظهر في
مظاهر بالذل فيسمى ذلك المظهر ذليلا مقهورا، لأنه حكم استعداد ذلك المظهر
ويظهر في مظهر بالمعبود فيسمى المظاهر معبودا، لأنه حكم استعداد ذلك
المظهر، ويظهر في مظهر بصورة العابد فيسمى المظاهر عابد السكون، ذلك حكم
استعداد ذلك المظهر والحق ماعرف الا بجمعه الأضداد، فكل المتضادات
في العالم هو جامع لها بل هو عين الأضداد كلها وانما يظهر في كل صورة
بحكم استعدادها وبما هو من أحوال عينها الثابتة في العلم والعدم وعليه
فالحق تعالى ظهر في الصورة المسماة بالكعبة بصورة المعبودية، وهو المعبود
وان وقعت العبادة للكعبة في الحس، كما أنه ظهر في الصورة المسماة بمحمد
بصفة العابدية وهو العابد وان ظهرت العبادة من الصورة الحمديدية، في
الحس والعقل، فسمى نفسه عابدا في مظهر لظهوره فيه بصفة العابد، وسمى
نفسه في مظهر معبودا لظهوره فيه بصفة المعبود إذ المسمى مخلوقا ليس
هو الأسماءه تعالى ظهرت بذلك الشكل وتلك الصورة والأسماء أمور
عدميه فظهورها في التحقيق ظهور ذاته السارية في كل مخلوق من غير
سريان ولكن الذات باطنة هنا لظهور التعدد في الأسماء ومقتضى الوحدة
بظهور الأسماء فهي باطنة حال ظهورها وقد نقل عن الشيخ الأكبر أنه
قال مظهرية الكعبة أفضل من مظهرية محمد صلى الله عليه وسلم، فانضح
النقل عنه فوجهه ما ذكرناه من مظهرية العابدية والمعبودية لا غير ولا يازم

منه فضل الكعبة ولا هو مذهب الشيخ ولا غيره من العارفين
(الموقف الخامس والثلاثون)

قال تعالى ، فاعلم أنه لا إله الا الله ، فالحق تعالى انما أمر عباده بمعرفة
مرتبة ذاته وهي الألوهية وما أمرهم بمعرفة ذاته التي هي الغيب المطلق
والوجود البحت بل نهاهم عن طلب ذلك ، قال تعالى ، ويحذركم الله نفسه
وقال صلى الله عليه وسلم تفكروا في الآء الله ولا تنفكروا في ذاته فما أمر
الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم الا بمعرفة الألوهية التي هي مرتبة
الذات وظهور الصفات لأن الأثر ليس الا للصفات وان كانت لا عين لها
وانما هي مراتب للذات ومعرفة الأثر توصل الى معرفة المؤثر كما قيل ،
البصرة تدل على البعير ، فالذات من حيث هو هو لا يدرك حسا ولا عقلا
ولا كشفا ، بخلافها من مرتبة الألوهية فانها تدرك حسا وعقلا وكشفا ،
والنكاهون في التوحيد العقلي خلطوا الأمر ، وحيروا الفكر ، وخبطوا
خبط عشواء في ليلة ظلمات ، فكلامهم ان كان في الذات البحت فالذات لا
كلام فيها ينفي ولا اثبات ، وان كان في مرتبة الذات وهي الألوهية فهي
لا حصر عليها ولا حصر ولا تقييد لها فالذات البحت لا خبر عنها ولا
وصف ولا اسم ولا حكم ولا رسم المخبر عنها صامت ، والناظر اليها باهت ،
فان المطلق بالاطلاق الحقيقي لا يصح الحكم عليه بشيء والا انقلبت
حقيقته وصار مقيدا ، وقلب الحقائق محال ومرتبة الألوهية مطلقة مقيدة
فهي جامعة للمضدين مطلقة من حيث أنها لا حصر ولا حد لظهوراتها فلا
ينفي عنها للتميين والظهور بشيء من الصور الحسية أو العقلية أو الخيالية
ولا التحول في الصور ولا النزول والمجيء والمهرولة والجوع والمعاش

والمرض ولا الجمع بين الضدين كالأولية والآخرية، والظاهرية والباطنية،
وكونه في الأرض السابعة ومستو على العرش وموجود في كل مكان ومع
كل مخلوق وقائم على كل نفس، ونحو هذا مما ورد في الكتاب والسنة
وأما كونها مقيدة فمن كونها هي الظاهرة بكل مظهر، المتعينة بكل تعين،
وما ظهر شيء من الأشياء ولا تعين إلا منها وهي في حال تعينها وتقييدها
بالمظاهر مطلقة فتقيدها عين إطلاقها ولو لا إطلاقها ما ظهرت بالمظاهر
التي لانهاية لها مع وحدتها وعدم تجزأتها فرتبة الإطلاق لا يحكم عليها بشيء
ومرتبة التقييد والظهور لا ينفي عنها شيء، جاء في الكتب أو على السنة
الرسول عليهم السلام أو أذنوا فيه أو في مثله وكل من حصر الحق في معتقد
ونفاه عما عداه فهو جاهل بالله، كائن من كان وبالخصوص إذا ظن التقييد
إطلاقا كالتكلمين فلا ضد للحق تعالى فينافيه ويناويه، ولا مثل له فيشبهه
ويدانيه، من حيث الذات، فمن نظر في قول المتكلمين الحق تعالى،
لا يكون كذا وليس هو كذا فلا يدري كلامهم أهو في مرتبة الذات
البحث الغيب المطلق الذي لا يعلم منه سوى وجوده لأننا لما عرفنا مرتبة
الألوهية علمنا أن وراءها شيئا لا يدرك وتعلق الحكم بالنفي والاثبات
في هذه المرتبة محال، لأن ما لا يدرك بشيء من آلات الإدراك ولا
يتصور، لا يصح الحكم عليه إذ المطلق لا يعلم منه إلا نسبه واعتباراته أو
كلامهم في مرتبة الذات المطلق وهي الألوهية التي جاءت الكتب المنزلة،
والرسول المرسل، في أوصافها بالمتضادات وبحيظتها بأنواع المناقاة بتعينها بكل
التعينات، وتشبيهها بأنواع التشبيهات، فإذا أردنا ما وصف الحق به نفسه على
ما يليق بكبريائه وما قبلناه وأجريناه على ما يوافق عقولنا وأولنا وخضنا

بافكارنا فيما وصفته به رسله الذين هم أعرف الخلق به تعالى، كننا جاهلين بل
كننا غير مؤمنين بكلام الله وكلام رسله بل مؤمنين بما حسنته عقولنا وأدت
اليه أفكارنا نعوذ بالله أن نكون من الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا
وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا

(الموقف السادس والثلاثون)

قال تعالى ، وما أرسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله ، هذا اخبار
منه تعالى انه ما أرسل رسولا من رسله الا ليطاع أي الا ليطيعه كل من
أرسل اليهم المصدق والمكذب ، والمهتدي به والضال ، وذلك أما طاعة
الأمر الظاهر ، وأما طاعة المشيئة الباطنة ، وإذا أرسل الحق تعالى رسله ليطاعوا
فلا يكون غير الطاعة أبدا بل لا يتصور خلاف الطاعة وكل رسول لا بد
أن يهتدي به بعض من أرسل اليهم ، يضل به بعض ، فانه أرسل لبيان الطاعتين
معا ، قال تعالى ، في حق القرآن العظيم ، يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا ،
وما أطيع رسول الطاعة الظاهرة بحيث اهتدى به كل من أرسل اليهم ولا عصي
بحيث ما اهتدى به أحد ولا بد لكل رسول من هذين الأمرين ، ولمن أرسل
اليهم من الطاعة بهذين الحسنيين ، وظهور الضلالة والهداية فيهم فالمهتدي أطاع
الأمر الظاهر والضال أطاع الأمر الباطن وكلا الأمرين أرسل الرسول
بهما لأن رسالته لتبين الرشدين الغي فحيث كان ضلال الضال مستورا
وتبين بسبب الرسول كأن ظهور ضلاله طاعة للرسول من هذا الوجه لأنه
لا بد من ظهور الهدى والضلالة بالرسول فكان الرسول أرسل بذلك
فظهور الضلالة طاعة له ، وقوله باذن الله أي بعلمه يعني أن الواقع من طاعة
كل رسول بهذين الأمرين وظهور أثر هذين الاسمين ، الهادي ، والمضل ، واقع

بعلمه وإرادته تعالى، وجل ربنا أن يقع في ملكه مالا يعلمه ولا يريد أومعنى
بإذن الله بأعلامه أي لا بد من طاعة كل رسول باظهار الهدى والضلالة وهذا
بأعلام الله وأخباره وخبره على وفق علمه والخبر على وفق العلم لا يكون
الأصدقاء وأما كون اللام في، ليطاع، لام العلة أو لام العاقبة والصيرورة
وكون الطاعة طاعة الأمر الظاهر فقط فمما ياباه التحقيق

(الموقف السابع والثلاثون)

قال تعالى، وانه لذكر لك ولقومك، وانه أي القرآن لذكر لك
تذكر ربك بتلاوته، وتتعبد بترديده، ولقومك، أمتك، مجازا ولا شك أن
تلاوة القرآن ذكر لله بل هو أجل الاذكار عند العارفين بالله تعالى فقط في
كل الأوقات خلافا لمن قال أنه أفضل الأذكار الا في الأمكنة والأزمنة
التي ورد الأمر فيها باذكار مخصوصة وخلافا لمن قال انه أفضل الأذكار الا
فيما بين صلاة الصبح وطلوع الشمس وفيما بين صلاة العصر والمغرب الثاني
وانه لذكر لك ولقومك بمعنى مذكر يذكرك ولقومك أمتك مجازا العهد
القديم الذي أخذه الله على الأرواح يوم ألت بر بكم فان القرآن وسائر
الكتب المنزلة انما نزلت لتذكر العباد بذلك العهد القديم الذي أخذ عليهم
بالاقرار الربوبية والتوحيد، الثالث، وانه لذكر لك ولقومك، بمعنى تذكر أنت
بالقرآن ويذكر به قومك أي العرب، على ظاهر اللفظ مادام يتلى فيذكر به
الرسول، لأن معجزته الدائمة الناطقة بتصديقه، وتذكر به العرب لأنه نزل
بلسانها ولغتها، الرابع وانه لذكر لك بمعنى مذكر، ولقومك أمتك مجازا أي
وعظ وواعظ ولا يخفى أن القرآن الكريم أعظم واعظ وأفضل وعظ لما
اشتمل عليه من الوعيد والزجر والتخويف والتحذير بل ما تعلم واعظ وعظا

الا منه ولا تسكلم مذكر الا بلسانه، الخامس وانه لذكر لك ولقومك العرب
خاصة بمعنى شرف لك ولقومك أما شرفه صلى الله عليه وسلم بالقرآن فلكونه
معجزته لا عجز الخلق عن أن يأتوا باقصر سورة من مثله ولما فيه من الأخبار
بالمغيبات والأنباء عن الأمم البائدة، والقرون الخالية، وأما شرف العرب بالقرآن
وهم قومه صلى الله عليه وسلم فلكونه نزل بلسانهم الذي به يتكلمون ولغتهم
التي بها يتحاورون، وألزم الخلق جميعهم من انس وجان أن يتلوه بهذا
اللسان في كل زمان ومكان

(الموقف الثامن والثلاثون)

قال تعالى ، في الحديث الرباني ، انا عند ظن عبدي بي ، الى آخر الحديث
هذا الحديث تلقينه تلقيا روحانيا غيبيا بزيادة لفظة المؤمن بعد لفظة عبدي
والرواية المعروفة في الصحيح اسقاط لفظة المؤمن وما أدري هل وردت رواية
به أم لا ، والمراد بالظن هنا الاعتقاد الجازم كفاي قوله الذين يظنون أنهم ملاقوا
ربهم لأن الظن القوي كالعلم والمعنى انه تعالى عند اعتقاد كل معتقد بل هو
عين الاعتقاد لجميع عقائد الخلق على اختلافها الحق عندها أي عينها فهو على
ما اعتقدوا فيه ، سواء كانت حقا في ظاهر الشرايع أو باطلة غير أن من وافقت
عقيدته ظاهر الشرع فمعه صحيح ظاهرا وباطنا ، ومن خالف عقده ظاهرا
الشرع فالحق عند عقده باطنا لا ظاهرا ، وهو مبطل آثم وانما كان الحق تعالى
عند ظن كل معتقد لأنه ليس هناك غير له ، فهو المعتقد والمعتقد فيه والعقد
وجه آخر في المعنى من ظن واعتقد جازما أن كل محسوس ومعقول ومتخيل
هو الحق الظاهر في هذه المحسوسات والمعقولات والمتخيلات فالحق عند
ظنه أي هو كذلك تعالى فهو عين الاشياء بحقيقته المتعينة والاشياء كلها

اعدام باطلة ، وخیالات عاطلة ، وان جزم وظن أن الحق تعالى مغاير
لكل محسوس ومعقول ومتوهم ومتخیل فالحق عند ظنه أي هو كذلك
بحقیقته المطابقة وان ظن جازما ان الحق تعالى محسوس ، غير محسوس ،
معقول غير معقول ، متخیل غير متخیل ، فهو كذلك جامع للتناقض والتضاد ،
بل هو عين التناقض والتضاد ، قابل لصفات الوجوب والامكان ، ولذا
یتجلی الحق تعالى لأهل المحشر بعد ما ينكرونه ويتعوذون منه ، كما فی
الخير یتجلی بصورة كل معتقد اعتقده الخلائق فیہ من أول معتقد الي آخر
معتقد من هذه الأمة المحمدية حتى یقر الخلائق كلهم بأنه ربهم ویعرفونه ،
لأن العلامة التي یقولون أن بینهم و بین ربهم علامة لیست الا الاعتقادات
التي یعتقد كل معتقد أن ربه كذا ولیس كذا فیتجلی الحق فی ذلك الزمان
الفرد بما یعتقد فیہ كل واحد من الجن والانس ولو بقى واحد ما تجلی له
بمعتقد ما عرفه ولا أقر له بأنه ربه وذلك لا یكون والله واسع علیم ،
وقوله ، فلیظن بی ما شاء لیس الأمر علی ظاهره أمرا ، ولا هو للتخیر
والاباحة ، وانما المراد أنه الحق تعالى قابل لكل معتقد ولولا تجلیه تعالى
لذلك المعتقد فی صورة ما اعتقده ما كان ذلك الاعتقاد لأن من العقائد
والظنون ما نهى الشارع عنها وان كان الأمر باطنا كما قلنا لحكمة هو
یعلمها والله لا یأمر بالفحشاء ولیست الفحشاء الا ما نهى الشارع عنها اذ لا
حاکم الا هو عندنا ولذا قال آخر الحديث ان خیرا فخیرا ، وان شرا فشر ،
فالخیر ظن الاطلاق ، والتنزیه فی التشبیہ ، والتشبیہ فی التنزیه ، كما نزلت
به الکتب ، وأخبرت به الرسل ، علیهم السلام ، والشر ظن التنزیه فقط
أو التشبیہ فقط فكلما الفریقین اعور ، والكامل یبصر بعینین ، مشاهد

للحقيقتين ، عارف بالحضرتين ، حضرة الاطلاق والتزيه ، وحضرة
التقييد والتشبيه ، فهو ينظر الاطلاق في التقييد ، والتقييد في الاطلاق ،
والتزيه في التشبيه ، والتشبيه في التزيه ، في آن واحد لا يحجبه هذا عن
هذا ، ولا هذا عن هذا

(الموقف التاسع والثلاثون)

قال تعالى ، بل هم في لبس من خلق جديد ، وورد في الصحيح أنه صلى
الله عليه وسلم رأى جبريل مرتين على صورته فرآه قد سد الأفق اعظم
صورته ، وورد في أخبار كثيرة أن جبريل كان يدخل عليه صلى الله عليه
وسلم في حجرة عائشة رضى الله عنها ويجلس معه فيها ، وفي بعض الأخبار
أن جبرائيل واسرافيل جلسا معه صلى الله عليه في الحجرة ، ومن المعلوم
أن الحجرة كانت صغيرة جدا وقد تكلم علماء الرسم في كون جبريل تارة
يسد الأفق وتارة تسعه الحجرة مع اسرافيل وهو مثله في العظم وجاؤا في
ذلك بما لا يجدي ولا يزيد الواقف عليه الا حيرة بل كلام ماله مستند ، ولا
عليه معتمد ، وتكافوا وتعسفوا وما علموا ان العالم كله العرش وما حواه
من الصور سواء كانت الصور حسية أو عقلية أو خيالية فهي أعراض
والمقوم لها والقائمة به هو الوجود الاضافي المسمى بنفس الرحمن وبالأسماء
الكثيرة فهو كالجوهر لها وكما أن العرض المعروف عند المتكلمين لا يبقى
زمانين عند الاشاعرة يتجدد في كل آن يذهب ويخلفه مثله أو ضده فكذلك
هذه الصورة المحسوسة التي هي أعراض عند أهل الله تعالى العارفين به
وبحقائق الأشياء وهي جواهر عند الجاهلين بالله تعالى وبحقائق الأشياء لا
تبقى زمانين فهي كل آن يخلع النفس الرحماني الذي هو مقوم للصور صورة

ويلبس أخرى أما مثل الأولى أو مخالفة لها هكذا على الدوام وهذه الصورة المحسوسة هي عند التحقق نسب وإضافات واعتبارات وهي أحكام الأعيان الثابتة في العلم والمعدم المعدومة أبدا وأزلا يظهر بها نفس الرحمن المسحى أيضا بأمر الله الذي هو كالمح بالبحر ولا بقاء لها ولا ثبات لا سيما الملائكة الكرام فانها أرواح مجردة ، مالمها صورة مخصوصة لازمة ، ولما كان استعداد جبريل يقتضى الظهور بهذه الصور العظيمة مرة ، الصغيرة أخرى وذلك في نظر المدرك فقط بإرادة جبريل ظهر نفس الرحمن بهذا الاستعداد تارة هكذا وتارة هكذا وهو جبريل حقيقة في كل صورة وكل ظهور والصور التي يخلعها النفس الرحمانى تنعدم في الحس كما هي معدومة في نفس الامر آن لبس خلافها أو ضدها ، وأما آن لبس مثلها فانه لا يدرك انعدامها الا بكشف صائب ، أو عقل ثاقب ، فالصور لا بقاء لها زمانين على كل حال لأنها أعراض فالصور التي هي جبريل مع كثرتها أو صغرها وكبرها واختلافها هي أحكام عين جبريل الثابتة في العلم والظاهر بها هو نفس الرحمن وأمر الله الظاهر بأحكام كل عين سواء العين المسماة بجبريل وغيرها من سائر المخلوقات المقدرات ومن استعداد جبريل وأحكام عينه تعدد صورته واختلافها وهكذا جميع الملائكة والروحانيين من جن وولي متروحن وأنى قد بينت الحق في هذه المسألة وان كانت لا تقبلها العقول لأنها فوق طورها فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر

(الموقف الأربعون)

قال تعالى ، وشهد شاهد ، الآية سأل بعض الأصحاب عن الأفضلية بين الملك وخواص البشر وذكر اختلاف أهل الظاهر والباطن وما ورد

على كل دليل بحيث ماسلم دليل من معارضة ونقض واحتمال ، واستغرب
اختلاف أهل الباطن من حيث أنهم أهل شهود وكشف فالشيخ الأكبر
قال بفضل الملك والشيخ الجبلي فضل خواص البشر فأجبت أنه لا غرابة في
اختلاف العارفين في معلوم لا تعاق له بمعرفة الله وتوحيده وانظر الى قصة
موسى والخضر عليهما السلام ، وهما ماها ، يقول موسى ، لقد جئت شيئاً
نكراً ، شيئاً إمرأ ، ويقول الخضر ، ما فعلته عن أمري ، فأراد ربك ،
وقول الخضر لموسى في هذه القصة نفسها أنت على علم علمك الله لا ينبغي
لي أن أعلمه وأنا على علم علمنيه الله لا ينبغي لك أن تعلمه وقوله مائة ص
علمي وعلمك من علم الله الا كما نقص هذا العصفور بنقرته من البحر ، وفي
صبيحة تلك الليلة توجهت الى الحق تعالى في كشف هذه المسألة فأخذني
الحق عن العالم وعن نفسي والقي الى قوله وشهد شاهد من بني اسرائيل
على مثله فأمن واستكبرتم ، فلما رجعت الى الحسن فهمت من اشارة الآية
الكريمة أن الشاهد الذي شهد في هذه المسألة هو الشيخ الأكبر على مثله
في البشرية والجسمية يعني الكل من البشر وشهادته عليهم الملائكة بثبوت
الأفضلية من جهة واعتبار فأمن يعني الشيخ الأكبر بما أشهده الحق من
ثبوت الأفضلية للملك باعتبار ، ومن وجه واستكبرتم يعني استكبر من
قال بأفضلية خواص البشر على الملك مطلقاً وما أظن الشيخ الجبلي يقول
بأفضلية خواص البشر على الملك مطلقاً فان للملك فضلاً بالتوسط بين
الحق وخواص البشر بالوحي والألهام وان كان للكل من خواص البشر
تلق من الوجه الخاص بلا واسطة ملك والأكثر بواسطة الملك وان خواص
البشر الكاملين فضلاً بالجمعية السكالية والمظاهرية لجميع الأسماء الخلافية وليس

للملك هذه الجمعية ثم بعد رأيت الشيخ الأكبر ذكر في الباب الثامن والخمسين وثلاثمائة مثل هذا وقال في كتابه ما لا يعول عليه ما نصه الكشف الذي يؤدي الي فضل الانسان على الملائكة أو فضل الملائكة على الانسان مطلقا من الجهتين لا يعول عليه فكلامه هذا وما ذكره في الباب المتقدم ذكره نص في أن قوله يفضل الملك على خواص البشر إنما هو بوجه واعتبار لا مطلقا والحمد لله على الموافقة

(الموقف الواحد والأربعون)

قال تعالى ، فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ، الحكمة في الأمر بالاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم عند ارادة قراءة القرآن وعدم الأمر بذلك عند ارادة الصلاة أو الصوم أو الذكر أو غير ذلك من سائر العبادات هو أن القصد الأول بالقرآن بيان الأحكام من حلال وحرام ووجوب وخطر ، وذكر قصص الأنبياء وأخبار الأمم البائدة ، والقرون الماضية ، مع ذكر الجنة والنار وما أعد لأهلها ، من الكرامة والاهانة ، والوعد والوعيد ، فكان قارئه لا يقصد منه غالبا الامعرفة بما ذكر فأمر لذلك بالتحصين من الشيطان لئلا يضل عن طريق الرشاد ويزيغه عن القصد فيما يقصد معرفته على مراد الله تعالى فان القرآن العزيز كما قال فيه تعالى ، يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا ، ولهذا نرى جميع الفرق الإسلامية الثلاث وسبعين تأخذ أداتها والحجج لمذاهبها مع تباينها من القرآن العظيم وما ذلك الا لأعجازه وخروجه عن طوق البشر بخلاف سائر العبادات فليس المقصود منها عند التلبس بها اذا كانت جارية على مراد الله منافي آدائها الا مجالسة الحق تعالى والخلوة به مع صرف النظر عن كل مخلوق وانسيان كل سوي

والاشتغال بمشاهدة من ليس كمثله شيء ، والغيبة عن الجنة والنار ، والملك
والملكوت ومن كانت عبادته على هذا الوجه فما للشيطان عليه من سبيل
فهي حصنه من الشيطان ، فتبين من هذا أن المقصود الأغلب من قراءة
القرآن أحكام الله تعالى ومخلوقاته والمقصود من سائر العبادات ، الله عينه ،
ولهذا ترى العارفين بالله وبطريق السلوك اليه يسلكون مريدتهم بالأذكار
وسائر نوافل الخيرات ولا يأمرؤونهم بالتلاوة إلا قدر الحاجة لأن
تلاوة القرآن له مبتدي الجاهل بالله تعالى لا تجديه غالبا في رفع حجبه ،
والترقي الى المراتب العلية والعارف الكامل يتلوه على طريق لا يهتدي
اليها غيره فيستخرج منه الأسرار والعلوم والمعارف والقوائد التي تحار
العقول فيها

(الموقف الثاني والأربعون)

قال تعالى ، ولقد فتنا سليمان والقيينا على كرسيه جسدا ثم أناب ، قال رب
اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي ، أنك أنت الوهاب ، كان
سليمان عليه السلام قال لأطوفن الليلة على مائة امرأة تحمل كل واحدة منهن
بفارس يجاهد في سبيل الله ، فقال له صاحبه قل ان شاء الله فلم يقل ان شاء الله
فلم تحمل منهن الا واحدة جاءت بشق انسان ، الحديث أخرجه البخاري في
صحيحة والمراد بصاحبه الملك ، وتركه عليه السلام قول ان شاء الله كان نسيانا
وبعد ما صدر منه هذا وكان ما كان كشف الله عن عينه الثابتة فرأى أنه
سيحصل له ملك زيادة على ما كان له من الملك وأنه لا يحصل لأحد من بعده
مثله بشرط سؤاله لذلك فأناب ورجع عن مراده واستغفر من تمني ما لا علم
له بمحصله وان كان تمني خير ودعا ربه أن يهب له ملكا لا ينبغي لأحد من

بعده لاحسدا لغيره ولا رغبة في الملك ولا تحجيرا على الله تعالى والسكن المقام
أو المكشف اقتضى هذا السؤال فإن الحق تعالى يعلم الأشياء على ما هي
عليه حيث كان العلم تابعا للمعلوم فما كان من الممكنات يحصل بشرط أو
سبب أو شروط أو أسباب ، يعلمه تعالى بشرطه أو سببه وما كان يحصل
لا عن شرط ولا سبب يعلمه كذلك فاستغفاره عليه الصلاة والسلام ما كان
عن ذنب وإنما كان من تمنيه ورغبته فيما لا علم له بحصوله وتركه ان شاء الله
لا غير وهذا لا يوجب استغفارا في حق غير الأنبياء والسكن مقام النبوة
الأسّي اقتضى الاستغفار من مثل هذا خسرات الأبرار سيئات المقربين
وسبي الحق تعالى ولادة شق الانسان سليمان عليه السلام فتنة له حيث كان
الأمر ضد رغبته وخلاف أمنيته فانه تمنى مائة فارس تجاهد في سبيل الله
فكان الجسد الذي ألقاه الله على كرسي سليمان هو شق الانسان الذي
ولد له وعبر تعالى عن ولادة الشق بالقائه على الكرسي حيث كان ذلك
بسبب سليمان عليه السلام وقرن الحق تعالى قصة فتنة سليمان مع قصة
سؤاله ملكا لا ينبغي لأحد من بعده حيث كانت القصة الثانية كالتسليية
له عليه السلام ولا يخفى عن أرباب البلاغة العارفين برشاقة الكلام ورقة
المعاني ما في هذه الألفاظ من المناسبة

(الموقف الثالث والأربعون)

قال تعالى ، كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجبون ، كل من يسمع ذكر الحجاب
من غير العارفين يتوهم أن هناك حجابا ومحجوبا ، ومحجونا عنه كما هو المتبادر
من جوهر اللفظ. وهذا وهم باطل لأنه ليس نعمة الا الحق تعالى والخلق أعني
مرتبة الوجوب والامكان ولا واسطة بينهما فالخلق حجاب عن نفسه باعتبار

ومحجوب باعتبار ، فهو محجوب من حيث أنه حين حصول المعرفة بالله والعلم به يكون الخلق هو العارف العالم لا غيره . ومن حيث أنه لا واسطة بين الحق والخلق وقد كانت المعرفة معدومة والعلم منتف ثم حصلت المعرفة والعلم فهو الحجاب وهذا من أعجب ما يسمع وأغرب ما يعلم بل عند التحقق معنى الحجاب لا عين له موجودة ، لا حقيقة ولا مجازا ، اذ لا حجاب الا الجهل والجهل عدم العلم لان تقابله مع العلم تقابل العدم والمملكة واذا رحم الله عبدا بمعرفته لا يجد حجابا ولا يعرف كيف كان هذا المانع من المعرفة بالله ولا كيف زال ولا كيف حصلت المعرفة لانه يجد نفسه ما ارتحل عن مكانه ولا دخل عليه شيء من خارج بل هو هو فمن أين جاءت هذه المعرفة وحصل هذا العلم وكان هذا الاتساع الباطني فسبحان القاهر الحكيم الذي يحجب بلا حجاب ويعلم بلا معلم ويستتر بلا ستر ويظهر بلا ظهور وأما ماورد في الخبر ان لله سبعين حجابا من نور ، رواه أبو الشيخ زاد الطبراني ، وظلمة لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصره من خلقه فالمراد بالحجب هنا المظاهر العظيمة والتعينات الفخيمة التي هي حجب على نفسها وعلى غيرها ، وليس المراد خصوص هذا العدد وانما المراد التكثير فالحجب النورانية هي الحقايق الغيبية والحجب الظلمانية هي الحقايق السكونية وكلها متفقة في الحجابية بمعنى أنها سترت المحجوب لأنها سترت الحق تعالى عن ذلك وقوله لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصره كل من رأيناه تكلم على هذا الحديث من العارفين رأيناه جعل ضمير بصره عائدا على الحق تعالى والذي ألقاه الحق عليّ أنه عايد على ما وقعت عليه ما وهي واقعة على المخلوق إذ الحق تعالى ليس بمحجوب وبصره يدركنا بلا ريب وانما

نحن المحجوبون وأبصارنا لا تدركه فإذا أراد تعالى رفع الحجاب وكشفه عن أحد من مخلوقاته وليس إلا الجهل وواجهته السبحات الوجيبة أحرقت خلقته ، فزالت حجابيته ، وثبتت خفيته وفي الحجاب رحمة لبعض الخلق وفي كشفه رحمة لبعضهم كما قال بعض التراجمه

فلو أنى ظهرت بلا حجاب لتيمت الأخلاق أجمعين
ولكن في الحجاب لطيف معنى به تحيى قلوب العاشقين

فالممتنع هو كشفه عن الجميع فلا تحرقه السبحات الوجيبة لا عن البعض وعند ما تحترق الخلقية وتبقى الخفية يبصر الحق نفسه بنفسه اذ الخلق محترق منتف وجعل صلى الله عليه وسلم نسبة الأَبصار إلينا وهو المبصر والمبصر حقيقة فأحرقت سبحات وجهه المخلوق الذي يريه تعالى نسبة الأَبصار إليه فقني فاحترقت خلقته وانمحقت فرآه ومارآى الحق الا الحق تعالى

(الموقف الرابع والأربعون)

روى مسلم في صحيحه ، أنه صلى الله عليه وسلم مر بقوم يؤبرون النخل فقال لهم لو لم تفعلوا الصلحت ، الحديث ، فليس المراد من هذا أنه عليه السلام يريد منهم ترك الأسباب العادية التي أجرى الحق تعالى عادته بها في مخلوقاته اذ الرسل عليهم السلام والعارفون انما يأمرون برفع حكم الأسباب لا برفع عينها بل يأمرون بأثبات عينها من حيث أن الأسباب وضعها وأثبتها الحكيم العليم بما يجريه ويثبت سببانه فمن طلب رفع العوايد الجارية والأَسباب العادية فقد أساء الأدب وجهل وكيف يدعي المعرفة لله والوصلة به والصحية له من يطلب رفع العوايد ومعروفه وصاحبه الحق تعالى هو الذي وضعها ومن شرط الصحة الموافقة فمن طلب رفع ذلك فهو منازع وليس بمواصل ولا

صاحب بل هو الى العناد أقرب فالذي يثبت العادات والأسباب على وجه لا يناقض التوحيد هو العارف بالله لا أنه يشهد الحق تعالى فيها اذ كل شيء ومن الأشياء هو تجل من تجلياته تعالى وإنما المراد أنه عليه السلام أراد أن يذنبهم على باطن الحقيقة ونفس الأمر وهو أن هذه الأسباب العادية والصورة المشهودة لا تأثير لها في شيء مما جرت به العادة أنه يوجد عندها وإنما الحق تعالى هو الفاعل لذلك فهو المؤثر بوجه الخاص الذي له تعالى في كل مخلوق لأنه تعالى له في كل مخلوق حتى الذرة وجه خاص لا يشاركه غيره فيه، به يكون التأثير وإنما ستر تعالى فعله بصور مخلوقاته رحمة بخلقه، وتقديساً لجنازه، فمراده عليه السلام بقوله لو لم تفعلوا الصلحت أن يكونوا مشاهدين للحق الفاعل الحقيقي عند ملائسة الأسباب معتمدين عليه لا على الأسباب لا أن مراده عليه السلام منهم ترك الأسباب اذ لا بد من الأسباب وجوداً والغيبة عنها شهوداً، وقوله عليه السلام لما طلعت النخل شيصاً أنتم أعرف بدنياكم، كلام خرج منه مخرج الأعراض عنهم حيث ما فهموا مراده بقوله لو لم تفعلوا الصلحت وحملوه على ترك التأثير وليس هو المراد وإنما المراد أنه تعالى يفعل الأشياء عند الأسباب وعند عدم الأسباب وهو التوحيد الحقيقي ولا يفهم من قوله أنتم أعرف بدنياكم إنه عليه الصلاة والسلام جاهل بأمور الدنيا حاشاه من ذلك فإنه عليه السلام كغيره من سائر الأنبياء عالمون بأمور الدنيا والدين وما أرسلهم تعالى إلا ليعلموا الناس مصالح معاشهم ومعادهم ويرشدوهم إلى ما جهلوه من ذلك فأظهر لهم عليه السلام التقرير على عاداتهم حيث فاتهم فهم مراده وما فهموا إلا ترك السبب جملة واحدة وليس هو المراد وقد تكلم أمم العارفين محي الدين وصاحب الأبريز على هذا الحديث بغير ما ألقاه تعالى

الي والكل صواب از شاء الله فان الكل من عند الله
(الموقف الخامس والأربعون)

قال تعالى، هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض، المعنى
لا خالق إلا الله لأن الاستفهام الانكاري نفي فلا أحد غير الله يقدر على
إيجاد شيء من الأرزاق الحسية والمعنوية إلا الله تعالى وإن كانت الأسباب
حاضرة متهيئة فالسما والأرض سببان ومحلان لوجود الأرزاق وهما موجودان
حاضران ولا يقدر إلا الله على إخراج الأرزاق منها وكذا سائر الأسباب
والمسببات عنها وإذا كان لا يقدر أحد غير الله تعالى على إيجاد المسببات مع
حضور أسبابها وتهيأها فهو عن خلق السبب أعجز والرزق الذي يخرج به الله
من الأرض هو ما به قوام الأجسام والرزق الذي ينزله الله من السماء هو
رزق الأرواح والعقول وهو ما به قوامها في العلوم والأسرار وفي قوله
يرزقكم من السماء والأرض إشارة إلى اعتبار الوسائط والأسباب مع نفي
التأثير عنها فإنه قال منها وما قال بها فهو تعالى يوجد المسببات عند أسبابها
حكمة واختياراً، لا عجزاً واضطراً، إلا إذا اعتبر السبب من جهة الوجه
الآلهي والسر الرباني الذي قامت به صورة ذلك السبب فيكون التأثير
حينئذ عند السبب وبه كما هو مذهب المحققين من أهل الله بمعنى أنه كالألة
للنجار مثلاً والفاعل هو الصانع لا الألة

(الموقف السادس والأربعون)

قال تعالى، كل من عليها فان، الجار والمجرور متعلق بمحذوف أي استقر
عليها أي الأرض ولا تدخل العلويات لأنها ليست بمستقرة على الأرض،
والمستقر على الأرض المحكوم عليه بالقضاء هو الصور الأرضية التي تدبرها

الأرواح الملوية والفنا هنا ضد الوجود وان كان في غير هذا المحل ضد البقاء والمراد أنها فانية في الحالة الراهنة وان حصل الشعور بوجودها فهو شعور مخالف لما في نفس الأمر وهذا الشعور من غلطات الحس والعقل ولهما غلطات كثيرة بعضهم ينسبها الى الحس، وبعضهم ينسبها الى العقل، لأنه العاكن وهذا هو الحق فهذا الشعور والحكم في جملتها لأن قوله فان اسم فاعل وهو حقيقة في الحال اتفاقا ولا يعدل عن الحقيقة إلا عند التعذر أي تعذر الحمل عليها وقوله ويبقى وجه ربك، وجه الحق تعالى ذاته باعتبار قيوميته تعالى على كل موجود أي يبقى العلم بوجهه الذي هو وجوده وذاته تعالى حين يرتفع اللبس وتظهر الحقيقة ويتبين أن كل شيء قيل فيه سوى وغير فهو فان باطل معدوم في الحال والاستقبال، اذ لا وجود إلا الوجود الحق في الحال والاستقبال، ولا يتوهم متوهم أن الآية تدل على أن ما على الأرض له وجود في الحال وإنما ينفي في ثاني حال فانه وهم باطل وإنما مثل هذا قول القائل من العارفين حتى ينفي من لم يكن ويبقى من لم يزل يعني ينفي الشعور والظن الذي كان يظن أنه علم بوجوده لا أنه كان وجودا وانعدم وفني لانه قال لم يكن أي لم يوجد مع الشعور، والظن الباطل بانه وجود فهو عدم في آن الشعور بوجوده فاذا ارتفع الحجاب الذي هو الجهل لا غير فلا يقع العيان، إلا على فقد الأعيان، يعني اذا حصلت المعاينة الحقيقية الموافقة لما في نفس الأمر فلا تقع إلا على فقد الأعيان أي عدم ما كان يتوهم أنه أعيان ثابتة مغايرة للوجود الحق

تعالى فليس إلا الوجود الحق الظاهر بالمظاهر التي هي خيال ووهم

أنما السكون خيال وهو حق في الحقيقة

كل من قال بهذا حاز أسرار الطريقة

وقد وافقت السوفطائييه على كون كل محسوس من العالم خيالا ليست له حقيقة فلو قالوا كقول العارفين العالم خيال وباطنه حق ثابت أي هو حق في صور خيالية لأصابوا الحق ويحتمل أن يكون الضمير في عليها عائدا على معهود ذهني، ومقرر علمي. وهو حقيقة الأماكن أي كل من سلك على طريقة الامكان صح وثبت مروره على حقيقة الممكن فهو فان هالك حالا لا وجود له، وحينئذ يشمل حكم العدم في الحال كل ممكن من المظاهر العلوية كالأرواح المجردة والصور المثالية والأجسام والمعاني وكل ما يسمى غير أو سوى كان الله ولا شيء معه وكان هنا تامه، أي الله وجود ولا شيء معه بوجود وهذا الوجه والاحتمال يشمل كل ممكن كما قلنا بخلاف الأول فإنه خاص بمن على الأرض فيحتاج الى دليل آخر على عدم كل ممكن في الحال الحاضرة ومن المعلوم أن الأماكن الذي هو حقيقة كل ممكن لا عين له قائمة وإنما هو أمر معقول لأنه برزخ بين الوجود المطلق، والعدم المطلق، الذي هو المحال، والبرزخ لا يكون الا معقولا فلو كان محسوسا ما كان برزخا اذ حقيقة البرزخ هو الأمر المعقول الحاجز بين الشئيين لا يكون عين واحد منهما ولا خارجا عنهما

(الموقف السابع والأربعون)

قال تعالى، وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون، الحكمة في تكليف العباد بالتكاليف الشاقة والزامهم بالأوامر والنواهي والتججير عليهم هو أن العبد وان كان يسمى ممكنا النسبة مجازية أورثته هذا الاسم فله نسبة حقيقية الى الربوبية والحق تعالى أراد بظهوره في المسمى خلقا وعبدا أن يرى جميع أسائه فيهم وأن يعرفوه ويعبدوه فلو تركهم مطلقين مأمورهم ولا نهامهم ولا

حجر عليهم لما ظهرت فيهم جميع أسماؤه ولتعلقوا بما فيهم من الربوبية ونسوا
إمكانهم ، وما جعل الحق تعالى لهم عينين ظاهرة وباطنة الا لينظروا بالعين
الباطنة نسبتهم الباطنة ، وبالعين الظاهرة نسبتهم الظاهرة ، الامكانية فهما غفلوا
عن واحدة من النسبتين هلكوا وحيث كانت النسبة الباطنة التي هي الربوبية
غالبة وحاكمة جاءت الأوامر الآلهية ، والنواهي والتكاليف القهرية
ملازمة لهم ماداموا في هذه الدار التي هي دار الغفلة والنسيان والحجاب حتى
يبقوا واقفين عند ما خلقوا لأجله ملتزمين لأداب العبودية ولا يتعلقوا
بما فيهم من الربوبية حيث كان مراد الحق تعالى منهم اظهار نسبة العبودية
والغيرية في هذه الدار فاذا انقلبوا الى الدار التي مراد الحق تعالى منهم فيها
اظهار نسبة الربوبية أزال عنهم الحجر وحط التكاليف وجعلهم يقولون للشيء
كن فيكون ، وأحل عليهم رضوانه فأمنوا بخطئه ولا لذة أحلى وأعظم من
لذة الأمن ، ولحكم أخرى منها ما لا يجوز ايدائه بطون الأوراق

(الموقف الثامن والأربعون)

ورد في خبر متواتر متداول بين القوم ، وان ضعفه الحفاظ من علماء الرسم ،
من عرف نفسه عرف ربه ، يعني من عرف نفسه التي هي ربه المقيد عرف ربه
الذي هو نفسه المطلق ، فان حقيقة النفس هي الروح ، وحقيقة الروح هو
الحق ، تعالى ، واتحد هنا الشرط والجزاء والفرق بينهما التقييد والاطلاق ،
أني اتحداهما معنى لالتضا فان كانت النفس لا تعرف بل هي مجهولة أبدا
فكذلك الرب لا يعرف أبدا ، اذ المعلق على الممنوع ممنوع ، بل الرب تعالى
أحق وأولى بعدم تعلق المعرفة به ، فمعرفة الرب مشروطة بتقديم معرفة
النفس والتقديم رتبى لازمانى اذ ليس في هذا المقام زمان ، فلا مساء عند ربك

ولا صباح، والقضية الشرطية لا تقضي وجود المتقدم بل ولا مكانه، إذن اشركت
ليحبطان عملك، وهو لا يشرك بل لا يتصور منه الاشراك ومن يقل منهم
إني آله من دونه فذلك نجزيه جنهم ولا يتصور من الملائكة دعوى الألوهية
وان كانت النفس تعرف من وجه دون وجه وباعتبار، لا من وجه واعتبار
فكذلك الرب يعرف من وجه واعتبار دون كل الوجوه والاعتبارات ولذا
ورد في الخبر، أعرفكم بنفسه أعرفكم بربه، وورد أيضا أنا اعلمكم بالله
واشدكم منه خشية، فالناس متفاوتون في معرفة نفوسهم كما هم متفاوتون في معرفة
ربهم بما لا يكاد ينحصر ولا يدخل تحت ميزان
(الموقف التاسع والأربعون)

قال تعالى، قل إنا كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله، محبة الله تعالى
من حيث الذات الغنية عن العالمين التي لا تطلب العالم ولا يطلبها محال لأن
المحبة لا تكون إلا لمناسبة ولا مناسبة بين الخلق والذات البحت ولا ارتباط
بوجه ولا حال فعلم بهذا أن العبد لا يحب الذات من حيث هي هي لأن
ما لا يسمى ولا يوصف ولا يعلم لا يحب، والذات تشهد ولا تعلم، ومرتبة الصفات
تعلم ولا تشهد، فرتبة الصفات، وحضرة الذنب والاضافات، هي المحبوبة
لجميع المخلوقات فما أحب محب الاحضرة الجمال، ونعوت الافضال، كالا نعام
والافضال، والرحمة والغفران، ونحو ذلك، وعند التحقيق ما أحب محب الا
آثار صفات الجمال بل ما أحب الانفسه ومن هنا قال محققوا العارفين لا يكون
انس بالذات العلية أبدا لعدم المناسبة والمجانسة، وانما يكون الانس ببعض
الاسماء الجمالية، وقد أشار صلى الله عليه وسلم الى أن الذات الدحت الغيب
المطلق، لا تتعلق بها محبة أحد بقوله أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه، رواه

الترمذي والحاكم، فأرشد عليه السلام إلى أن محبة الله تعالى لا تكون إلا من هذا الوجه وهو كونه منعماً رحيماً ستاراً إلى نحو ذلك. وهي مرتبة الصفات، وفي قوله تعالى، فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه، وفي قوله، إن كنتم تحبون الله، إشارة إلى أن متعلق محبة العبيد^(١) إنما هي مرتبة الألوهية لا غير، كما قلناه، وعليه فالحكاية المشهورة بين القوم عن أبي سعيد الخراساني رضي الله عنه أنه اجتمع برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له يا رسول الله شغلتني محبة الله عن محبتك، فقال له صلى الله عليه وسلم، يا مبارك محبة الله هي محبتي، يا مبارك معناه يا مغفل، يريد شغلتني محبة المظهر الروحي العلوي عن محبة المظهر الجسمي الأرضي فأجابه عليه السلام بأن الظاهر في المظهرين واحد لا تعدد فيه ولا تغاير فالمحسوب في المظهرين واحد ولا يضرك تغاير المظاهر وتعددتها حيث كان الظاهر المحبوب فيها واحد لا يتجزى، ولا يتبعض إذ المظاهر كلها اعدام والعدم لا يحبه عارف ولا يشغل باله به ناقل فمن أحب الظاهر في المظهر الروحي فقد أحب الظاهر في المظهر الجسمي وليس الظاهر في جميع المظاهر العلوية والسفلية إلا الصورة الرحمانية، المسماة بالحقيقة الحمدية، وكل ما قيل فيه أرواح وأجساد ومثال وخيال ليس ذلك بشيء ثابت وإنما هي تقادير وتصاوير، قدّر لها الحق إظهار صورته ولا وجود لها لا قديم ولا حديث وإنما الوجود للحق تعالى وحده كما قيل

مراتب بالوجود صارت حقائق الغيب والعيان

وليس غير الوجود فيها بظواهر والجميع فإن

كأنه عليه السلام قال لأبي سعيد الشيء الذي قلت أنه رسول الله وأنتك

مشغول عن محبته ليس هو بشيء مغاير لله تعالى الذي قلت شغلتك حبه
بل هو هو فالرسول عليه السلام مرتبة ظهور الحق تعالى ، وهذه المرتبة
واسطة لجميع الظهورات ، ومنها تفرعت فهي ينبوعها وهيولاهها
(الموقف الخمسون)

قال تعالى ، فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ، اعلم أن نسبة الفعل الصادر
في بادئ الرأي من المخلوق جاءت متنوعة في الكتاب والسنة ، فمرة جاءت
نسبة الفعل الى المخلوق ، ومرة الى الله تعالى ، ومرة الى الله تعالى بالعبد ، ومرة
الى العبد بالله تعالى ، فأما نسبته الى الله فمن جهة أنه الوجود الحق والفاعل
الحقيقي ، وأما نسبته الى المخلوق فمن جهة أنه مصدر الفعل في الحس ، وأما
نسبته الى الله بالمخلوق فمن جهة أنه آلة الفعل كآلة النجار والحداد ، والفاعل
هو الصانع لا الآلة ، وأما نسبته الى المخلوق بالله فمن جهة أن المخلوق مظهر
وتمين للحق ، والحق غيب والمخلوق شهادة وفعل المخلوق في الحقيقة سواء
كان حيوانا أو إنسانا أو ملكا أو غير ذلك ، هو فعل الله تعالى ، وفعل المخلوق
من حيثية واحدة ولا حلول ولا اتحاد اذ سم المخلوق انسانا أو غيره شامل
لظاهره وباطنه . وباطنه باعتبار هو الوجود الحق ، وظاهره باعتبار هو الصورة
المحسوسة ، التي هي أحكام الاستعدادات الثابتة وأحوالها وهي معان ظهرت
في صورة محسوسة كما تتصور المعاني يوم القيامة وفي البرزخ صوراً محسوسة
تتكلم وتوزن كما ورد في الأخبار الصحيحة فمن كان شهوده مقصوراً على
الحس قال الفعل للعبد ، ولا بد يعني الصورة الظاهرة المحدودة المقدرة ،
ومن كان شهوده مقصوراً على أن الكمال والقدرة على الفعل ، لا يكون الا
لله تعالى ، قال الفعل لله تعالى ولا بد يعني الأمر الغيبي ولا مدخل للصورة

المشكلة المحسوسة إلا من جهة المكسب وكلا الطائفتين يرى أن الحق تعالى مباين للعبد وينفصل عنه ، فيلزمه ، ولا بد أن الحق في جهة من جهات العبد لا محيص له عن ذلك ومن كان كاملاً عارفاً بالحقائق ذا عينين : قال الفعل للحق تعالى من حيث هو فعل العبد ، وفعل العبد من حيث هو فعل الرب ، إذ ليس في نفس الأمر إلا الوجود الحق الظاهر بأحكام الأعيان الثابتة التي هي نسب الوجود واعتباراته تستر بها وتسمى باسم العبد والمخلوق ووصف بأوصافه في هذه المرتبة ، وهذا الظهور ومن عجيب أن الظهور تستر والتستر ظهور وفي هذا المجلي عميت العقول ، فتباينت مداركها وأخطأت في كل ما تقول ، من قدرتي وجسدي وكسبي وجزء اختياري فلا طائل تحتها عند السير والتحقيق ودفع التشغيب والتفريق ، وقد قال أمامنا واستاذنا أبو حامد الغزالي : إن مسألة نسبة الفعل الصادر في العبد إلى الله تعالى أو إلى العبد لا يرفع أشكالها شرع ، يعني الأداة الشرعية ولا عقل ولا كشف ونحن والمنة لله رفع عنا أشكالها بالكشف مع أننا نعلم يقيناً أن كشف الشيخ أتم وأعلى بما لانسبة بيننا وبينه والله أعلم بمطامح نظر الشيخ

(الموقف الواحد والخمسون)

قال تعالى : وتشتكهم فيما لا تعلمون ، الآية ، أنه يوجد في كلام - أدات القوم رضوان الله عليهم -م لفظة الانسلاخ كما يوجد لفظة الميراج التحليلي ومعني اللفظتين واحد وإيضاحه هو أن يعلم أن كل ما يطلق عليه اسم موجود في أي مرتبة من مراتب الوجود كان ليس هو إلا الحق تعالى ظاهراً ومقيداً بحسب تلك المرتبة التي حصل الظهور فيها فهو الظاهر في ملابسه اللبسية المتعين باسمائه القدسية ، والظهورات والتعينات والتقيدات كلها أمور اعتبارية

عقلية لا وجود لها خارج العقل كسائر الأمور المصدرة ولما ظهرت حقيقته المطلقة مقيدة في بادئ الرأي والوهم والأفهي مطلقة حالة الحكم عليها بالتقييد ولا يكون العارف كاملاً حتى يشهد الاطلاق في التقييد، والتقييد في الاطلاق، في آن واحد، انحجب من حيث تقييده عن نفسه، من حيث اطلاقه، فاشتاق المطلق الى الاتحاد بالمقيد والى هذا يشير سلطان العاشقين بقوله :

فكلي لكلي طالب متوجه وبعضى لبعضى جاذب بالاعنة
فأرسل الرسل لذلك وشرع الشرايع وأمر باستعمال الأدوية والأسباب
المعينة على دفع الحجب المسدولة على المقيد بالوهم والخيال حتى يتحد المطلق
بالمقيد الاتحاد النسبي المعروف عند أهله وليست الأسباب الرافعة للحجب
الا الأدوية التي ركبها الرسل عليهم السلام والكل من ورثتهم بأمره تعالى
من العبادات والأوامر والنواهي والرياضات والمجاهدات ثم ليعلم ثانياً أن
صورة كل شيء كائن ما كان حقاً أو خلقاً هي ما به ظهور ذلك الشيء وتعيينه
من غيبه النسبي فالأجسام صور الأرواح والأرواح صور الأعيان الثابتة،
والأعيان الثابتة صور الأسماء الإلهية، والأسماء الإلهية صور الذات العلية،
الغيب المطلق فلولا الأسماء التي هي كالصور للذات الغيب البحت ما ظهرت
الذات ولا عرفت، ولولا الأعيان الثابتة التي هي صور ومظاهر للأسماء
الإلهية ما ظهرت الأسماء ولا تعينت ولولا الأرواح التي هي صور الأعيان
الثابتة ما عرفت الأعيان الثابتة ولولا الأجسام التي هي صور الأرواح ما
عرفت الأرواح ولا ظهر لها أثر، فاذا استعملت حقيقة من الحقائق المقيدة
الأدوية التي جاءت بها الرسل عليهم السلام على وجه مخصوص وكيفية
معروفة عند أهل هذا الشأن حصل له علم ضروري كسائر الضروريات

بأن هذا الجسم ليس هو بشيء حق له حقيقة وثبوت وإنما هو خيال ووهم كسراب بقية تراه شيئاً محسوساً فإذا حققته وجدت لا شيء ، وكما إذا أخذت عوداً على رأسه جرة نار وأدركته بسرعة فانك تراه دائرة من نار محسوسة عندك لا تشك فيها، فإذا أمعنت النظر فيها بعقلك حكمت أنه ليس نمة إلا الجرة التي على رأس العود ولا دائرة هناك أصلاً وكذا إذا حركته مستقيماً ترى خطاً من نار ولا شيء غير الجرة فكل ما يدركه الحس من الصور والأجسام فهو مثل دائرة النار والخط لاحقيقة له إلا في المدارك وحينئذ يصير الجسم عنده ليس بشيء يعتد به ويعول عليه ويرى في ذلك الشهود ، وذلك العلم أنه روح فإذا داوم على التوجه والأقبال على الله ودأب على ذلك حصل له علم وشعور بأن هذا التعيين الروحي مثل التعيين الجسمي لاحقيقة له ويرى أن حقيقته الخفية إنما هي عينه الثابتة في العلم القديم وحينئذ يصير في علمه وشعوره عيناً ثابتة ثم بعد هذا يحصل له علم بأن حقيقته إنما هي الأسماء الإلهية وحقيقته الخفية ، هي الذات العلية لأن الاسم عين المسمى ما هو شيء زائد على ذات المسمى الآتي العقل وإلى هذه الملابس الوهمية والخيالات المتخيلة يشير ابن الفارض بقوله :

إذا ما أزال اللبس لم يبق غيره ولم يبق بالأشكال أشكال رتبة
واليها يشير الشيخ الأكبر بقوله :

جل الآله الحق أن يبدو لنا فرداً وعيني ظاهراً وبقائي
وإذا أردت تعرفاً بوجوده قسّمت ما عندي على الغرماء
وعندمت من عيني فكان وجوده فظهوره وقف على إخفائي
يريد تحليل النشأة العنصرية ، والغرماء هم العناصر الأربعة ، الماء ، والتراب ،

والنار، والهواء، فإن السالك مادام مقيدا بهذا الهيكل لا يعرف الله تعالى فإنه لا يعرف الله إلا الله فإذا تجرد السالك من كل تعيين جسمي وروحي وقلبي وفني وصل الى العلم بالله تعالى وتحصل له علوم وأسرار ما كانت تخطر له ببال . بعد هذا إما أن يمسكه الحق عنده أو يرده فيلبس ملابسه الأول التي كان خلعها فيلبسها لكن على غير اللبس الأول ففي اللبس الأول حق ظهر بخلق باطنه حق ، وظاهره خلق ، وفي اللبس الثاني حق ظهر بحق فهذا هو الانسلاخ والمعراج التحليبي وإن اختلفت العبادات عنه وكل واحد عبدا بما حصل عنده فإنه ما سلك اثنان على طريق واحدة من كل الوجوه ولولا القهر الإلهي ما عبرت عن هذا فمن شاء فليؤمن ، ومن شاء فليكفر ، وبعد ما كتبت هذا الموقف القى الحق تعالى على في الواقعة قوله تعالى ، ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا ، والحمد لله رب العالمين

(الموقف الثاني والخمسون)

قال تعالى : قد أفلح من زكاهما وقد خاب من دساها ، الزكاة الطهارة وتزكية النفس تطهيرها من دعوها ما ليس لها النفسها وكفها عن غصب كمالات غيرها والتخلي بها حتى تترك جميع الدعاوى الكاذبة لأن النفس تدعي الوجود مع الحق تعالى وهي فاجرة كاذبة في ادعائها وغصبت الكمالات التابعة للوجود من العلم والقدرة والاختيار والفعل والترك فتحات بها وادعتها وهي فاجرة في دعوها لأن الوجود وكل كمال تابع للوجود فهو خاص بالحق تعالى لا شريك له في ذلك فمن عرف أنه العدم الظاهر وتحقق أنه لا علم ولا قدرة ولا فعل ولا اختيار له ، وأنه محل لفعل الحق تعالى فهو الفاعل فيه وبه فهو الذي زكى نفسه وطهرها من الجور والفجور ومن لم يعرف هذا وادعى خلافه فهو الذي

دسى نفسه وقد خاب من دسّاتها ، والدس ستر الشيء وتغطيته فمن ادعى له وجودا مع الحق تعالى فقد ستر عدمه بوجود الحق تعالى وكذا من ادعى له كمالا من علم وقدره واختيار فقد ستر عجزه وجهله وضعفه بعلم الحق تعالى وقدرته وقوته ومن ادعى ما ليس فيه افتضح ، اذا حصص الحق واتضح

(الموقف الثالث والخمسون)

قال تعالى ، والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ، أي الذين بارزوا أنفسهم بالمجاهدات والرياضات فينا بسبب الوصول اليها والى جنة معرفتنا ومشاهدتنا لنهدينهم ، لنعرفهم سبلنا الطرق الموصلة اليها ، فانهم ما جاهدوا في غيره لا دنيا ولا آخرة ، ثم ليعلم أن دخول جنة المعارف والمشاهدة خلاف دخول جنة اللذائذ المحسوسة ، فجنة المعارف والمشاهدة دخولها غالبا بالكسب والمجاهدة ، كما قال ، والذين جاهدوا فينا ، أي جاهدوا أنفسهم بسبلنا ، ثم تقسم بالوهب والجود الآلهي والاستعداد ، ودخول جنة اللذات المحسوسة يكون بالرحمة ، ثم تقسم بالأعمال ، كما ورد في الخبر . ادخلوها برحمتي واقتسموها بأعمالكم ، والحكمة في هذا الاختلاف ان جنة اللذات المحسوسة يستحقها كل مؤمن ولو بعد حين ، بحسب الوعد الصادق ، فلو منعها مؤمن دون مؤمن لدخل النار وخلد فيها ، إذ ليس هناك إلا داران وهما ضدان فلهذا كانت الرحمة العامة سببا في دخولها ، وأما جنة المعارف فانها مخصوصة بقوم مخصوصين من خواص المؤمنين ، أصحاب المجاهدات والرياضات ، فاذا لم يدخلها بعض المؤمنين دخل جنة اللذات المحسوسة ، ولو دخل المؤمنون كلهم جنة المعارف والمشاهدة في الدنيا ، ما دخل أحد من المؤمنين النار يوم القيامة ، وقد سبق العلم القديم

والارادة الازلية ، بدخول طائفة من عصاة المؤمنين النار ثم يخرجون بالشفاعة ، ومما يجب اعتقاده أنه لا بد من نفوذ الوعيد في طائفة من عصاة المؤمنين

(الموقف الرابع والخمسون)

قال تعالى ، فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد ، ليعلم أن حال أهل الجنة المعارف والمشاهدات ، مخالف لحال أهل جنة اللذات المحسوسة ، في الدنيا والآخرة ، لأن أهل جنة المعارف الآلهية أشهرهم الحق أولاً ، أنفسهم كغيرهم : فشهدوها فاعلة تاركة مختارة ، ولهذا تراهم في بداياتهم يعاقبون أنفسهم اذا حصل منها تقصير ، ويشكرونها إذا وفّت بالعمل في زعمهم ، ولولا شهودهم أن لهم فعلاً وتركاً وقدرة ما فعلوا بها ذلك ، سأل بعض المعارفين ، مریدا لبعض المشايخ ، فقال له ، بما يأمركم شيخكم ، فقال المرید ، يأمرنا بالأعمال وروية التقصير فيها ، فقال له العارف ، أمركم بالمجوسية المحضة ، هلا أمركم بالأعمال والغيبة عنها بشهود مجريها الى آخر القصة ، ثم اذا رحمهم الله وفتح لهم الباب ودخلوا جنة المعرفة والمشاهدة عرفوا أنهم ليس لهم من الأمر شيء ، من حيث ظاهريهم ومن حيث أنفسهم ، وشهدوا الرهبة والمنة فيما كانوا يشهدونه صادراً من أنفسهم ، كما شهدوا المنة والوهاب الصرف أخيراً فغابوا عن أنفسهم وعن العقل والوهاب واستغرقهم مشاهدة الواهب فاصطفاهم الحق لنفسه ، واختارهم لمجالسته ، وأما أهل الجنة المحسوسة فان الحق أشهدهم أيضاً كسبهم واختيارهم ، فهم يعملون الصالحات وينسبونها لانفسهم ، قاصدين الوصول الى الجنة المحسوسة غافلين عن جنة المعارف والمشاهدات فأبقاهم الحق تعالى

على غفلتهم في الدنيا وفي البرزخ وفي الحساب وفي حال دخول الجنة الى وقت
الرؤية في الكتيب الأبيض ولذا يقول لهم الحق تلك الجنة التي أورشتموها
بما كنتم تعملون فنسب الفعل في ذلك الوقت اليهم تقريراً لغفلتهم وجهلهم
ويقول لهم اقتسموها بأعمالكم كما ورد في الخبر ، كل هذا تمشية لدعواهم
السابقة حتى أن منهم من يقول له الحق تعالى ادخل الجنة برحمتي ، فيقول لا
بل أدخلها بعلمي ، ففي ذلك الوقت ما كشف لهم الغطاء ولا زال عنهم الحجاب
فهم واقفون مع أنفسهم ونسبة العمل اليها وأما قوله تعالى ، فكشفنا عنك
غطاءك فبصر لك اليوم حديد ، اذا حمل على الميت انما هو كشف عن بعض
المغيبات دون بعض ولا يرفع الحجاب بالكلية وتقع اليقظة التامة الا بعد
رؤية الحق تعالى في الكتيب لأن الناس في الدنيا نيام بالنسبة الى اليقظة
الحاصلة بعد الموت في البرزخ ، وهم نيام في البرزخ بالنسبة الى اليقظة الحاصلة
في البعث والحساب ، وهم في الحساب نيام بالنسبة الى اليقظة الحاصلة في الجنة ،
وهم نيام بعد دخول الجنة بالنسبة الى اليقظة الحاصلة عند رؤية الحق تعالى ،
الرؤية الخاصة في الكتيب وانما فعل الحق تعالى مع هؤلاء هذا الأمر
لأنهم ما طلبوا بالأعمال الا الجنة المحسوسة وما تشوقوا لجنة المعرفة والمشاهدة
ولا سمت همهم اليها وما كان مطلوبهم الا ما تشتهي النفس لا ما تشتهي
الأرواح ولا يظلم ربك أحداً وكانت جنة المعرفة والمشاهدة لقوم مخصوصين
دون عامة المؤمنين ، والجنة المحسوسة لعامة المؤمنين ، لأن جنة المعرفة
والمشاهدة يدخلها أهلها في الدنيا قبل الموت الحسي ، وبعد الموت المعنوي ،
ومحال أن يدخل النار من دخل جنة المشاهدة والمعرفة ، وقد سبق العلم
القديم والإرادة الأزلية بدخول بعض المؤمنين النار ثم يخرجون بالشفاعة ،

فجنة المعرفة والمشاهدة . مثل لا آله الا الله ، فلو وضعت كلمة التوحيد في الميزان ما دخل مؤمن النار ، وانما توضع في الميزان حسنات المؤمنين خير كلمة التوحيد ، ولا توضع كلمة التوحيد في ميزان الا في ميزان صاحب السجلات خصوصية فلهذا كانت جنة المعرفة والمشاهدة مخصوصه بقوم مخصوصين ، وهم الذين أراد الحق تعالى بقوله فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات

(الموقف الخامس والخمسون)

قال تعالى ، ان ما تدعون لآت وما أنتم بمعجزين ، ما موضوعه للعموم ، فكل وعد ووعدآت للموعود به ولا حق خيرا كان أو شرا في الدنيا والآخرة طلبه أو هرب منه بمعنى أن ما قدر لكل انسان ، أو عليه وسبق العلم القديم والارادة الازليه بلحقه به فهو واصل لا محالة فلا يقدر أحد ان يعجز المقدور ويسبقه بحيث لا يلحقه ما قدر له أو عليه سراء طلبه أو لم يطلبه وسواء هرب منه أو استقبله

(الموقف السادس والخمسون)

قال تعالى ، إنما قولنا لشيء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون ، فقوله قولنا يريد أنه متكلم وهو عبارة عن توجه آلهي يحصل به سماع المأمور بالتكوين فيكون لنفسه بما فيه من الاستعداد ، وليس للحق تعالى الا الأمر ، ولما كانت فائدة الكلام وتنتيجته هي إيصال ما في نفس المتكلم ومراده الى المخاطب السامع أخبر الحق تعالى أنه متكلم بمعنى أن له صفة الكلام وحقيقته وهو إيصال ما في إرادته تعالى ونفسه الى من يريد أمره أو نهييه أو اخباره أو تبشيريه أو تحذيره مما يحصل عرفا بالكلام فلا مناسبة بين كلام الحق تعالى

وكلام المخلوقين إلا من هذا الوجه الواحد وهو اتصال ما في نفس المتكلم الى السامع ، وكلام الحق تعالى على نوعين باعتبار تغير واسطة مشهودة ، ويسمى الهاما أو القاء ونحو ذلك وبواسطة مشهودة وهي المظاهر الروحانية ويسمى وحياء وكلام الحق اذا كان بغير واسطة مشهودة لا يدرك سامعه له كيفية ولسكن يجد السامع له مراد الحق تعالى منه مقررًا عنده من غير ادراك كيفية من السكيفيات التي تكون لكلام المخلوقين ، وكلام الحق تعالى يسمعه الأنبياء ، ولذا ولياء منه نصيب ، ولسكن أذواقهم في السماع مختلفة متباينة فليس ذوق النبي كذوق الولي فبين ذوقيهما ما بين رتبتيهما وإنما اختص موسى عليه السلام باسم التكليم من بين سائر المكلمين لذوق اختص به موسى عليه السلام لا يعلمه الا هو ، كذا قال شيخنا محي الدين باخبار موسى عليه السلام له بذلك والذي ألقاه الحق الى أن اختصا موسى بالتكليم دون غيره من المكلمين لكون كل من كلمه الحق تعالى لا يكلمه الا في باطنه بحيث لا يسمع الحاضرون تكليم الله اياه ، وموسى كلمه الحق بحضرة السبعين الذين اختارهم من قومه وكلمهم سمعوا تكليم الحق وخطابه لموسى عليه السلام وليعلم أنه كما أن الوجود للحق تعالى خاصة وليس لغيره وجود مستقل لا قديم ولا حادث وإنما لغيره تعالى النسبة للوجود فكذلك توابع الوجود من كلام وعلم وقدرة وإرادة ليست لغيره تعالى فهو الوجود من وراء حجابية كل موجود والعالم من وراء حجابية كل عالم والمتكلم من وراء حجابية كل متكلم ونحو ذلك فالوجود وتوابع الوجود اذا نسبت لغير الحق تعالى فهي مجاز وفي الحقيقة ليس كلامه تعالى سوى ظاهر علمه ، وجميع صفاته ترجع الى علمه ولا ينفصل بعضها من بعض الا في العبارات لتفهم المعاني المتواضع

عليها ، فاذا أضيف علمه الى دعوة المضطر قيل سميع ، واذا أضيف علمه الى رؤية كل شيء قيل بصير ، وإذا أوصل ما في نفسه من أمر أو نهي أو أخبار وأفاض ذلك على المراد إيصاله اليه قيل متكلم ، وكما أن للحق تعالى الظهور بالصور كذلك هو المتكلم بها ، قال تعالى ، فأجره حتى يسمع كلام الله ، وكلامه صمته ، وصفته لا تقوم بغير ذاته أى حتى يسمع كلام الله بظهيرية رسول الله صلى الله عليه وسلم : فهو كلام الله من حيث أنه كلام رسول الله من حيثية واحدة فافهم والا سلم تسلم ، ولا تنكر تندم ، اذا كشف الساق والقدم ، وكما ان ظهور الحق تعالى بالصور حادث فكذلك كلماته لأَن كلماته أفعاله وأفعاله حادثة وأعني بكلماته مخلوقاته المخاطبة بسكن لانفس الكلام الذي هو صفته وصفاته تعالى اذا نسبت الى مرتبة الاطلاق تكون مطلقة فيتعلق علمه وكلامه بالواجب والممكن والمستحيل وتتعلق قدرته وارادته بكل ممكن وسمعه وبصره بكل مستعد لأن يرى ويسمع واذا نسبت الى مراتب التقييد لا تظهر الا مقيدة فيتعلق العلم ببعض المعلومات والقدرة ببعض المقدورات وقس على هذا

(الموقف السابع والخمسون)

رأيت في بعض المراتي أني جالس في قبة بيضاء وأنا أتكلم مع أشخاص لا أراهم فتكلمنا في قول القطب عبدالسلام بن بشيش^(١) رضي الله عنه واجعل الحجاب الأعظم حيات روحي وروحه سر حقيقي ، فقلت لهم ، سأل الشيخ بهذا أن يكون الحجاب الأعظم وهو الحقيقة المحمدية والتعيين الأول المسمي بالأسماء الكثيرة بحسب اعتباراته ووجوهه ، حياة روحه أي اجعلني به حيا

على السكمال لا مطلق الحياة، لأن الروح مستلزم للحياة ولا عكس فكل روح حي وليس كل حي له روح ومطلوب الشيخ ومقصوده أن يكون روحه مظهرًا كاملاً ومجلى تاماً للروح السككل الذي هو الحجاب الأعظم والحقيقة المحمدية إذ كل روح إنما هو من الروح السككلي المحمدي ولكن لا على السكمال الأرواح الكمل الحاصلين على رتبة السكمال، من الورثة المحمديين فإنه يتطبع فيه كالتطبع الطابع في الشمع ونحوه فقال لي واحد لم أر شخصه، فعلى هذا يتماثل المنطبع فيه مع الطابع فقلت له، هيهات المنطبع حقيقة وأصل، والمنطبع فيه مجاز وفرع، فانا نقول في الحق تعالى حي وفي زيد حي وأين حياة الحق تعالى من حياة زيد، ونقول، في زيد عالم وفي الحق تعالى عالم وأين علم الحق تعالى من علم زيد فإن تباین حقيقة كل واحد من الموصوفين بالصفة الواحدة مؤذن بعدم المشابهة بينهما في النسبة كما إذا ضرب نور الشمس في حائط من كوة مثلاً فنقول ظهرت الشمس في الحائط وأين الشمس من شعاعها الظاهر في الحائط وقوله وروحه سر حقيقة يريد الشيخ رضي الله عنه روح الحجاب الأعظم فالضمير عائذ عليه وروح الشيء ما به قوامه وروح الحجاب الأعظم هو الذات الغيب المطلق البحت الذي لا يعبر عنه بعبارة ولا تتطرق إليه إشارة إذ الحجاب الأعظم هو غاية معرفة العارفين، ونهاية السائرين، غير أنهم علموا أن وراء هذا الذي أدركوه شيئاً من حقيقته وصفته نفسه أنه لا يعرف ولا يدرك منه سوى وجوده لا غير فكان أدراك العجز عن إدراكه إدراك إذ العلم انكشف المعلوم على ما هو عليه حينئذ ظهر لي واحد منهم وقبل يدي وليعلم أن كثيراً من أهل الرياضات والمجاهدات على غير طريق الأنبياء وصل إلى الروح الكلي فظن

أنه هو حقيقة الحقائق وأنه ليس وراءه مرمى فكفر ورجع من حيث جاء ولهذا يقول بعض سادة القوم ما رجع من رجع إلا من الطريق ولو وصلوا ما رجعوا يعني الوصول إلى الذات الغيب المطابق إذ ليس وراء الله مرمى وأما مرتبة التعيين الأول والحقيقة الحمديه والحجاب الأعظم فوراؤه مرمى وهو الله من حيث أنه اسم مرتجل علم على الذات الغيب المحض لا شيء فيه من الوصفية

(الموقف الثامن والخمسون)

قال تعالى ، للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ، المراد أحسنوا لأنفسهم وأحسنوا دخولوا حضرة الاحسان ، فإن الحق تعالى لا يحسن أحد إليه ولا يسيء ، كما قال ، من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها ، والاحسان هو الحضور مع الله تعالى في الأعمال الصالحة ، وهو يستلزم إخلاص العمل من كل شوب ، وفتر صلى الله عليه وسلم الاحسان كما في الصحيح في حديث سؤال جبريل عليه السلام فقال هو أن تعبد الله كأنك تراه ، يعني العبادة على الحضور فالعبادة الخالصة من الشرك الخفي ، لا تكون إلا لمن دخل حضرة الاحسان وقد وعد الله تعالى ، ووعدته الحق ، فإنه لا يخلف الميعاد من عبده كأنك تراه بالحسنى أي المعرفة والشهود الالايقين بهذه الدار والزيادة وهي المعرفة والشهود الالايقان بالدار الآخرة فإن الشهود هناك أتم ، والمعرفة أكمل ، لا أن الشهود يتبدل والمعرفة تتغير ، فإن صاحب الشهود والمعرفة في الدنيا ، يكون في الآخرة كما هو في الدنيا ، كما قال بعض العارفين ، هم ، يعني العارفين في الآخرة كما هم في الدنيا إرشاء الله ، وإن كان الحجاب مصاحبا في الدارين لأن رداء الكبرياء لا يرتفع عن وجهه تعالى لا دنيا ولا آخرة ، كما ورد في الصحيح وليس بين القوم

وبين أن ينظروا الى ربهم الآرداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن ، ورداء الكبرياء هو أول التعينات ، وهو الحقيقة المحمدية ، وقوله صلى الله عليه وسلم أن تعبد الله كأنك تراه تعليم لدخول حضرة الاحسان واذن في تخييل الحق تعالى بالحضور مع العابد وأنه في قبلة المصلي وبينه وبين القبلة ، وأنه يناجيه كما في صحيح الأخبار ، فاذا أراد الله تعالى لقربه وأزال الحجاب عن عين بصيرته ، صيرته الى حالة لا يعبر عنها لسان ، ولا تخطر اعاقل بخنان . منها أن يرفع عنه الكاف من كان وحينئذ تصير حضرة الاحسان في حقه فيها نوع - وه ادب ، لما فيها من الحصر والتقييد بالنسبة الى ما صار اليه وحسنات الأبرار سيئات المقرين وإنما أمر صلى الله عليه وسلم ، ورغب في حضرة الاحسان ، تعليمًا وتدريبًا لما هو أعلى وأقدس وأغلي وأنفس وهو صلى الله عليه وسلم سيد المعلمين ، وأحكم العالمين

(الموقف التاسع والخمسون)

قال تعالى ، بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم مالك يوم الدين ، من أرد أن ينظر الى تبشير الحق تعالى عباده بسعة رحمته وأخبارهم تلويحًا بل تصريحًا لمن عقل بعموم عفوه ، وشمول مغفرته ، فلينظر فيما جعله الله فاتحة لكلامه تعالى المنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم وخاطب به كل من بلغه فانه أخبر تعالى أنه الملك يوم الدين أي ملك الجزاء بعد أن أخبر تعالى أن الحمد له على الحصر والاختصاص ، أو الاستحقاق وهو بمعنى جنس الحمد إن كانت اللام لاستغراق أفراد الجنس أو حقيقة الحمد ، ان كانت اللام للحقيقة والماهية والحمد هو الثناء على المحمود بصفاته الجميلة ، وليست الآصفات الجمال كالحلم والعفو والستر والرحمة والكرم والاحسان لآصفات الجلال

كالا تتقام وشدة البطش والغضب، فان الحمد عليها من كونها صفات كمال فالحمد عليها نسبي ثم اخبر تعالى، أنه رب العالمين ، والرب هو المصالح لكل ما أضيفت اليه تربية فيريه الى أوان حصول ثمرته المقصودة منه ، وبلوغ نتيجه ، والقصد الأول من خلق المخلوقات معرفة الحق تعالى قال تعالى ، وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون أي يعرفون لأن العباداة فرع المعرفة وثمرتها، وقال تعالى في الخبر المتداول بين القوم ، كنت كنزا مخفيا فاحييت أن أعرف فخلقت خلقا وتعرفت اليهم فعرفوني بي، فمعرفة تعالى حاصله لكل مخلوق من وجه وهي معرفة الفطره وغير حاصله لمخلوق أي مخلوق كان من وجه وهي معرفة السكنة ، وحاصله لبعض دون بعض من وجه ، وهذا الوجه الحاصل لبعض دون بعض، من لم يحصل له في الدنيا حصل له في الآخرة، ولو كان لاعلي الكمال فن حصلت له المعرفة في الدنيا فهو سعيد في الدنيا والآخرة ومن لم تحصل له المعرفة الا في الآخرة فهو سعيد في الآخرة والكل تحصل له في الآخرة فالكل حاصل على الثمرة المقصودة من ايجاده فالكل سعيد في الآخرة والشقاء الحاصل لبعض في الآخرة انما هو مثل الشقاء الحاصل لبعض في الدنيا ، بالامراض والفقر ، وسائر الآلام الزائلة بضدها ، أو بالموت ثم أخبر تعالى ، أنه الرحمن الرحيم بصيغة المبالغة افادة للتكثير بمعنى أنه تعالى كامل الرحمة بحيث لا يشوبها نقص ، يرحم عباده بسبب وبغير سبب كما أوجدكم ، بلا سبب غير رحمته فلا سبب لرحمته عباده الا رحمته فمن رحمته ايجادهم ، ومن رحمته إسعادهم ، ثم أخبر تعالى أنه مالك يوم الدين بمعنى مالك الجزاء فيجازى كل أحد بما يريد مجازاته به ومن المعلوم ضرورة أن الحق تعالى أرشدنا وندبنا في كتبه وعلى السنة رسله ، عليهم الصلاة

والسلام، الى العفو والصفح والستر فيما بيننا ومدح فاعل ذلك، ووعد به بمجزيل الأجر، بل جعله تعالى واجبا عليه ، فقال، فمن عفا وأصلح فأجره على الله، وعلى من صيغ الوجوب ، ومحال أن يأمر تعالى باستعمال مكارم الاخلاق ، ويندب الي الاحسان ثم لا يفعل ذلك هو مع عباده ولا يعاملهم به تعالى عن ذلك اذ لا أحد أحب اليه المدح من الله تعالى ، كما في الصحيح ، ولا سيما والحكمة التي وضع لاجلها تعالى العقوبات والحدود التي شرعها لنا في الدنيا لاصلاح ديننا ودنيانا ، وابقاء اعمارة الدار الدنيا الي أجلها الموعود ، زالت في الآخرة ، وما بقيت لها فائدة يرجع منها نفع للمخلوقين بعد حصول القصاص فيما بينهم، واستيفاء كل ذي حق حقه وقد أخبر الحق تعالى، أنه يوقف عباده يوم القيامة ومحاسبهم ويأخذ للظالم من الظالم ولا يضيع حق أحد ، وهو الصادق فيما أخبر ، وكل هذا الرحمة فيه أغلب للغضب ، والحلم أكثر من العقوبة وفي الخبر الصحيح ، أن الله تعالى يصلح بين عباده يوم القيامة فلا تزال الرحمة في حال الحكم وبعد الحكم بين الخلائق ، تغالب الغضب وتسابقه، حتى تمحو أثره وتنسى خبره فتشمل السعادة وتعم الرفاة ، ولا شك أن الحق تعالى مالك يوم الدين سواء كان المراد بيوم الدين يوم الجزاء في الدنيا والآخرة أو الآخرة فقط ، فهو في الدنيا يملكه بوسائل وأسباب وحجب وهو الفاعل المالك من ورائها ، لأن الدنيا مبنية على الحكمة وفي الآخرة ترفع تلك الحجب وتهتك تلك الأستار ، لأن الآخرة مبنية على اظهار القدرة فيشهد كل فعل للواحد القهار

(الموقف الستون)

قال تعالى ، وكبره تكبيرا ، أي تكبيرا بالغا في الفخامة والضخامة

غاية ما يتصور، وإنما أمر المصلي بقول ، الله أكبر ، عند دخوله في الصلاة ، وعند انتقالاته في الركوع والسجود والرفع منه ، الى تمام الصلاة لكونه أمر بأن يعبد الله كأنه يراه وأن يعتقد أن الله تعالى في قبلته، وأنه مطلع عليه يراه ، وأنه بينه وبين القبلة ، وأنه يناجيه ، وأمثال هذا مما ورد في الأخبار الصحيحة، وكل هذا يستلزم التخيل والتصوير لاحالة، وكل مصل بل مخلوق يتصوره معبوده ويتخيله بمعنى أنه يعتقد في معبوده أنه كذا وليس كذا وهذا هو التصور والتخيل فلما كان الأمر هكذا وعلى ما ذكرنا، أمر المصلي وغير المصلي أن يقول الله أكبر ، بصيغة المفاضلة أي مسمى الله في مرتبة اطلاقه أكبر وأعظم من أن يتخيل أو يتصور أو تحوم حوله حماد شائبة تقييد بوجه أو صفة ، أو يحصره نعمت أو اعتقاد فانه ليس كمثله شيء ، وكما نقت هذه الآية الكريمة المثلية ، نفت الضدية فلا مثل له تعالى فيدانيه ، ولا ضد له فيناويه ، بل هو المطلق حتى عن الأطلاق ، لأن الأطلاق تقييد له بالأطلاق ، وإنما ضرورة التعبير أوجت الى ذكر الأطلاق ونحوه من الألفاظ الضرورية فالمفاضلة اذاً علي بابها بمعنى أنه تعالى في مرتبة اطلاقه ، أكبر منه وأعظم في مرتبة تقييده ، وهو هو في المرتبتين لا غير من غير تغيير يلحقه ولا تحويل فهو المطلق في آن تقييده المقيد في آن اطلاقه كما أنه الأول في عين آخريته ، الآخر في عين أوليته ، الباطن في عين ظاهريته ، الظاهر في عين باطنيته ، ولما كان الحق تعالى فاعلاً لا فعالاً في مرتبة التقييد جاءت صفة المفاضلة في المكتب المنزلة ، وفي السنة المفضلة ، كقوله تعالى ، أحسن الخالقين ، خير الرازقين ، نعم القادرون ونحو هذا ، وفي السنة الله أفرح بتوبة عبده ، الحديث بطوله ، ونحوه كثير فكل هذا باعتبار مرتبة

الاطلاق والتقييد فهو مفضل على نفسه باعتبارين كمسالة السكحل عند النجاة وإنما أمر الشارع صلى الله عليه وسلم بحضرة الاحسان للتعليم والتأنيس فاذا دخلها العبد ، وأراد الله رحمته رحمة كاملة رفعه منها الى رؤيته تعالى في كل جهة ، حيث لاجهة بل يرى حقيقته هو لاجهة لها فيرى الحق في الخلق ، والخلق في الحق ، من غير حلول ولا اتحاد ولا زندقة في هذا ولا إلحاد ، وإنما هو توحيد محض ، ورفض للشرك ودحض ، ومن ذاق عرف ، ومن جهل لج وما أنصف ، ولو سلم كان له أسلم لا يعرف الشوق الا من يكابده ولا الصبابة الا من يعانيتها اللهم زدني علما بك ، فأنت خير مسئول ، وأكرم مأمول ،
(الموقف الواحد والستون)

قال تعالى ، والله يدعو الى دار السلام ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم ، أخبر تعالى أنه يدعو عباده من أنس وجن في الحال والاستقبال الى دار السلام ، بمعنى السلامة وهي الرحمة المحضة العامة التي تعم العباد كلهم بعد نهاية الغضب الالهى يدعوهم في الحال بالسنة الرسل عليهم الصلاة والسلام الى الأعمال والأقوال والاعتقادات الصالحة التي هي أسباب نيل السلامة ، بمعنى الرحمة الكاملة الخالصة من غير أن يتقدمها شوب غضب ، ويدعوهم في الاستقبال الى نيلها بالفعل ، ثم أخبر تعالى ، أنه وان دعا الجميع في الدنيا بمعنى دعائهم الى الأعمال ، واتباع الرسل فيما أرسلهم به ، فقد فرق بينهم بحكمته وإرادته فيهدي من يشاء هدايته وهم المؤمنون الى صراط مستقيم أي طريق قريب الوصول سهل الممشى الى السلام ، فيصلون اليها من غير مشقة ولا تقدم غضب ، ويضل من يشاء وهم الكافرون العاصون للرسل عليهم السلام ،

فلا يصلون الى الرحمة الكاملة الاً من طريق غير مستقيم بعيد، وبعد نفوذ الغضب الالهي، وهم الذين قال تعالى في حقهم، أولئك ينادون من مكان بعيد، من الرحمة المحضة، الى الرحمة المحضة، فانها لاتنالهم الا بعد حين

(الموقف الثاني والستون)

قال تعالى، وما أمرنا الا واحدة كلمح بالبصر، اعلم أن كل ما يقع اليه الادراك من محسوس ومعقول ومتخيل، فهو متغير متجدد في كل نفس، يوجد ويعدم، اذ كل مدرك فهو صورة قائم بغيره كقيام العرض بالجوهر عند علماء الكلام وذلك الغير المقوم لتلك الصورة هو نفس الرحمن، وأمر الله وحقيقة الحقائق وله أسماء كثيرة بحسب اعتباراته والكون كله العرش وما حوى من عالم الأرواح وعالم المثال وعالم الأجسام أعراض ونفس الرحمن مقوم لها وهي قائمة به، قال بعضهم ما الكون الا عرض، سيان في ذلك الجوهر والعرض، ولولا أن هذه الصور المدركة بأي مدرك كان من أنواع الادراكات أعراض ماصح انقلاب العصا حية، ولا العرجون سيفاً، ولا صبح مسخ اذ لو كانت هذه الصور المدركة هي حقائق الاشياء ماصح انقلابها، لأن قلب الحقائق محال، فحقيقة الأشياء غير هذه الصور المدركة بل حقيقة كل شيء هو المقوم لصورته، وهو غير مدرك بالحس بل يدرك بالحس ولا يعرف أنه هو لأنه لا يتميز عن الصورة ولا تتميز عنه وإذا صبح أن كل ما يتعلق به الادراك مطلقاً صورة بمعنى عرض قائم بغيره فهو لا يبقى زمانين بل زمان وجوده عدمه كما تقول الأشاعرة من المتكلمين، العرض لا يبقى زمانين، وقال بعدم بقاء الصور الجسمية زمانين قوم من الحكماء قديماً عقلاً والقوم رضي الله عنهم قالوه كشفاً فكل صورة مطلقاً لا يقع عليها

ادراك أي ادراك كان إلا اذا تميزت عند المدرك ، لأن موجودية الأشياء تابعة للادراكات لا غير عن الوجود العام المفاض عليها المقوم لها ، وزمان تميزها حيث يتعلق الادراك بها هو زمان عدمها لأنه ما حصلت على اسم الموجود الا بملازمة الوجود الحق الظاهرة فيه وبه من غير حلول ولا اتحاد فاذا تميزت عنه في المدارك المدركة حصلت على العدم بمثابة الصورة المرئية في المرآة ففهما نظر الناظر الصورة في المرآة لا يرى المرآة فانعدمت المرآة في نظره وانعدمت الصورة لأن المقوم لها هو المرآة ولو بقيت الصورة في ظنه وفي خياله فهي معدومة في المرآة موجودة في خياله فهو يراها في خياله ويظن أنه يراها في المرآة ، أعني زمان انعدامها ، وأيضا الوجود الحق تعالى من حيث هو غني عن العالمين ، فهو ظاهر بذاته الأحدية لذاته ووحدته تطلب عدم الكثرة لأن مقتضى الأحدية اعدام الكثرة ، وأسماءه تعالى تطلب ظهورها بظهور آثارها وهو مقتضى الكثرة فالكون دائما بين مقتضى الأسماء وهو ظهور الكثرة وان كان ظهور الكثرة بظهور الأسماء بآثارها هو ظهور الذات في الحقيقة حيث أنها اعدام ونسب لافيام لها بدون الذات ولهذا كان الحق تعالى ظاهرا باطنا ، أولا آخر ، من حيثية واحدة ، وجهة متحدة ، ولا يفهم من تمثيلنا بالجواهر والعرض المعروفين عند المتكلمين أن العالم والمقوم له مثلها من كل وجه ، وإنما هو للتقريب اذ لا يشترط في التمثيل التساوي من كل وجه وأكثر الناس يعلمون هذه المسألة ولا يعلمون أنهم يعلمون ، لأنك إذا قلت للمنطقي مثلا ما حقيقة الانسان فيقول الحيوان الناطق ، فتقول له الحيوانية والناطقية جوهر أو عرض ، فيقول عرض عند المحققين ، فكان الانسان الذي هو أعظم الجواهر وأشرفها وأجمعها لحقائق

الأجسام عندهم عرضاً تجري عليه أحكام الأعراض، اذن ولا بد، وكذا، تقول للطبيعي العلوية غير العرش والكرسي والأطلس وتلك الشوابت والسفلية المشهودة والغير المشهودة من أي شيء هي مركبة، فيقول لك، من العناصر الأربعة وهي التراب والماء والهواء والنار، فتقول له والعناصر الأربعة من أي شيء هي مركبة؟ فيقول لك التراب مركب من البرودة واليبوسة، والماء مركب من البرودة والرطوبة، والهواء مركب من الحرارة والرطوبة، والنار مركبة من الحرارة واليبوسة، فتقول له وهذه الطبائع الأربعة جواهرها وأعراض فيقول هي أعراض فكانت الجواهر والأجسام كلها مركبة في الأعراض تجري عليها أحكام الأعراض ولا بد

(الموقف الثالث والستون)

قال تعالى، فتمثل لها بشرًا سويًا، ورد في صحيح مسلم تجلي الحق تعالى لأهل المحشر، وتحوله في الصور، وفي الصحيح المتواتر أنه صلى الله عليه وسلم كان يرى جبريل في صورة دحية ويعرفه أنه جبريل والصحابة يجزمون أنه دحية وهذا هو التجلي الذي أنكره علماء الرسوم المحجوبون على العارفين رضي الله عنهم ورموهم بالخلول والاتحاد ولوا أنصفوا ما أنكروا ما جهلوا لأن الحكم على الشيء تصويبا وتزييفا فرع تصوره وهم ما تصوروا التجلي والشهود على ما هو عند القوم رضوان الله عليهم، فما رد علماء الرسوم الأباطلهم الذي تصوروه في أنفسهم، تصوروا باطلا وردوا باطلا، اذ القوم رضي الله عنهم لا اثنية عندهم ولا يقولون بوجودين قديم وحادث حتى يتحدأ أحدهما بالآخر أو يحل فيه، حقيقة الوجود عندهم واحدة لا تعدد ولا تتجزأ ولا تتبععض، وهي مابه وجدان الشيء وتحققه التحقق الذي له بالذات، فالأشياء كلها من عالم

الأرواح والأجسام وعالم المثال والمعاني، المجردة العقلية، لا تظهر ولا تتعين إلا بظهور الوجود الحق فيها، من غير حلول ولا اتحاد ولا اتصال، ولا انفصال، كما أن الوجود الحق لا يظهر ولا يتعين إلا بمخلوقاته، ومثال ذلك، والله المثل الأعلى، العالم إذا لم تكن الشمس مشرقة عليه، وظاهرة لديه، كان كالمعدم لا وجود له في الأعيان، ولا يتميز ببعده عن بعض، فإذا أشرقت عليه الشمس ظهر الأعيان، وتحقق وجوده وتميز ببعده عن بعض وظهور نور الشمس في أجزاء العالم ليس بحلولها فيه ولا اتصالها به ولا انتقالها، ولا بتغيرها عما كانت عليه، ولا بانفصال بعضها عنها، ولولا أجزاء العالم ما ظهر نور الشمس ولا تعين، ولو قدرنا ارتفاع العالم وعدمه وكذا الوجود الحق تعالى، لا وجود لمخلوقاته إلا بإشراق نوره عليها ولا ظهور له ولا تعين إلا بها وظهور نور الشمس وإشراقه على أجزاء العالم يختلف بحسب صفاتها وقوابلها واستعداداتها وهو شي واحد غير متعدد، ولا متجزئ، ولا منلون، وإنما عدده ولونه أجزاء العالم بحسب صفاتها، وكما فتهاودنسها، وشفافتها، فتجلى الوجود الحق على العالم كله واحد لا فرق بين جليل وحقيق، وصغير وكبير، ولكنه لا يظهر في صورة الآ بحسب قابليتها، مثال آخر للتجلي والشهود الذي دلت عليه الآي والا حاديث، الشمع إذا صورت منه صورة إنسان أو حيوان ثم أحضرت لذي جماعة فيهم عقلاء وجهال وصبيان، فالجهال والصبيان لا يقع إدراكهم إلا على الصورة، ولا يتأملون إلا فيها، وفي تخطيطها وتشكيلها، وأعضائها غافلون عن الشمع الذي هو مادتها وبه قامت وظهرت حتى صارت تتعلق بها الإدراكات الحسية، وأما العقلاء فلهم ينظرون الصورة كما ينظرونها غيرهم، ويتعدى نظريتهم إلى الشمع الذي قامت الصورة به وتعينت، ويعرفون أن

الصورة من حيث هي لولا الشمع أظهرها ما ظهرت ولا وقع عليها إدراك ،
لأنه لو كان لها وجود مستقل منفصل عن وجود الشمع ، لكان يصح أن
تنفصل عن الشمع وتبقى على ظهورها وتتعلق الإدراكات بها وذلك محال ،
فثبت أن الوجود والظهور للشمع وإن ظهر بالصورة أي متلبسًا بها فالظاهر
هو والصورة خيال ، إذا فتشتها لا تجد لها شيئًا مع إطلاق الحقيقة الشمعية
وتقييدها بالصورة وبذلك الهيئة والشكل والتخطيط ، فلو فرض أن الحقيقة
الشمعية تكيفت بكيفية إرادية من عدم الظهور بتلك الصورة المخصوصة ،
وظهورها بصورة أخرى أو بعدم الظهور مطلقًا إنعدمت تلك الصورة التي
كان ظاهرًا بها ، مع بقاء الحقيقة الشمعية على حالها من غير تغيير ولا زيادة
ولا نقص ، ولا يصح أن يقال الصورة حلت في الشمع ولا اتحدت به ولا
امتزجت ، لأن هذه الأمور إنما تقال على شيئين مستقلين بالموجودية ، وليس
الاشيء واحد وهو الشمع مثلاً والصورة لاشيء ، والقوم رضوان الله
عليهم لا يثبتون الوجود لاشيء واحد وهو المقوم القائم على العالم جميعه
جواهره وأجسامه وأعراضه ، والعالم كله أعراض عندهم بمعنى أنه كالعرض
القائم بالجواهر عند المتكلمين ، ولو أدركنا الصور بحواسنا تتكلم وتفعل
أفعالاً مختلفة فأنما ذلك لتعلق إدراكنا بالصور دون تفوذ إلى بواطنها
وحقايقها التي الصور فيها بمثابة العرض في الجوهر ولو عرفنا حقيقة الأمر
لعرفنا أن الأفعال كلها للحقيقة المقومة للصور لأن الأفعال والكيفيات كلها
تابعة للوجود وقد ثبت أنه لا وجود إلا للحقيقة المقومة للصور والصور عدم
متخيل وجوده غير أن الصور ظهرت لظهور الوجود الحق متلبسًا بها
أذ ظهوره بلا صورة متخيلة محال لأنه لا صورة له فظهرت به وظهر بها .

مع عدمها ولا يقال في الصورة أنها عين ما قامت به لأنها عدم والمقوم لها وجود ولا يكون العدم عين الوجود ، ولا أنها غيره لأن الغيرين عند المتكلمين أمران وجوديان ، وليس إلا وجود واحد لا قديم ولا حادث ، وإذا قيل أنها غير فهي غيرية اعتيادية لا حقيقية ، وكذا أن قيل أنها عين بمعنى أن الظاهر عين المظهر فهو مجاز أيضا لأنها شؤنه في مرتبة التعيين الأول ، فلا يقال أنها عين ولا غير وإن قيل في مرتبة الظهور إنها أحكام الاستعدادات أعني الصور وما يتبعها من الأحكام زيادة إيضاح ، أن الأعيان الثابتة هي حقائق الممكنات في العلم ولا وجود لها أزلا وأبدا وإنما لها الثبوت ولو وجدت لكان قلبا لحقيقتها وقلب الحقائق محال فكل ممكن له حقيقة وماهية في العلم وليست غير العلم ولا العالم لأن علمه عين ذاته عند المحققين فإذا أراد الحق تعالى أن يظهر بأحوال عين من الأعيان الثابتة ، ويظهرها ، توجه بإرادته وكلامه على تلك العين الثابتة فكانت هذه الصورة المحسوسة ، وهي معان اجتمعت فكانت منها صورة قائمة بنفسها في بادي الرأي والتخيل وهي نسبة بين الوجود الحق وبين عينها الثابتة التي كان التوجه إليها من الوجود الحق والنسب كلها أمور اعتبارية لا موجودة ولا معدومة فوجودها إنما هو في اعتبار المعتبر مادام معتبرا وفي عقل المتعقل كسائر الأمور المصدرية ، فهي مثل الصورة الظاهرة في المرآة ، فالمرآة والمرآة المتوجه على المرآة مظهرت الصورة في المرآة ، والصورة خيال لا حقيقة له وإنما نسبنا الوجود للصورة مجازا لكونها مظهرت إلا بتوجه المتوجه على المرآة وهو الوجود فالعالم كله بما فيه من الصور الحسية والخيالية والعقلية ، ظل لأعيانه الثابتة من جهة الصور المقيدة وظل للوجود الحق من جهة الوجود وتوابع الوجود من

الأفعال والادراكات ، فقاصر النظر الجاهل الذي لا يرى إلا الظل يتوهم أن الأفعال الصادرة من ذي الظل هي للظل فقط ، حيث ما تعدى نظره إلى ذي الظل ، وأما من يرى ذا الظل حيث نفذ نظره من الظل إليه فإنه يعلم الأمر على ما هو عليه ويعرف أن ذا الظل هو الفاعل للأفعال كلها والظل تابع له لا استقلال له بشيء أصلاً

(الموقف الرابع والستون)

قال تعالى ، إنا كل شيء خلقناه بقدر ، قرىء بالرفع في غير المشهورة وهي قرآءة أبي السمالك ، اعلم أنه ليس للحق تعالى ذات ولخلقاته ذوات مستقلة قائمة بأنفسها لم يمجدها أبداً ، وإنما ذات الحق تعالى هي عين ذوات المخلوقات من غير تعدد ولا تجزئة ، لذاته تعالى ، وذوات المخلوقات هي عين ذات الحق تعالى لا على أن للحق ذاتاً وله مخلوقات ذوات ، ثم اتحدت ذوات الحق بهم أو امتزجت أو حلت فيهم ، فإن هذا محال وليس بمراد بل بمعنى أن ذاته تعالى التي هي وجوده المقوم للمخلوقات ، القائم عليها هي عين ذوات المخلوقات أي هي أي ذوات المخلوقات عبارة عن ظهور الوجود الحق متلبساً بأحكام استعدادات المخلوقات أي أعيانها الثابتة في العلم والعدم أزلاً وأبداً وهي نسب الوجود الحق واعتبارات وإضافات ، ولا عين لها في الوجود الحق ولكن لما كان الشأن أنه لا حكم إلا لباطن في ظاهر ، ولا أثر إلا لغيب في شهادة حكمت أحكام الاستعدادات الثابتة علماً ، المعدومة عيناً ، على الوجود الحق ، الظاهر بأحكامها ، وصارت الأحكام والأوصاف لها فيه مع عدميتها ، فذاته تعالى وجود حق قديم قائم بنفسه وذوات المخلوقات كلها هي الوجود الحق الظاهر بأحوال أعيانها الثابتة الحادثة الظهور القديمة بالعلم ، والظاهر

بها الذي قامت به الوجود الحق القديم فهو تعالى ذاتنا من حيث ظهور صفات أعياننا وأحوالنا به حاكمه عليه في الاتصاف بها، ونحن ذاته من حيث ظهوره بنا فهو ظاهر بنا وإن كنا عدما، وذات الشيء ما به ظهوره ولا يقدح فيما ذكرنا، التعبير بنحن، وهو لا ضرورة التفهيم أوجت الى ذلك، فليس إلا ذات وحقيقة واحدة اذا ظهرت بالتأثير والفعل وصفات الكمال كانت آلهاء، وإذا ظهرت بالانفعال والتأثير وصفات النقص كانت خاغا وعبدا والعين واحدة وكذلك الصفات، ليس للمخلوقات صفات مغايرة لصفات الحق تعالى، فصفاته المطلقة المتعلقة بكل ما يصح تعلقها به هي عين صفاتنا المقيدة التي تتعلق ببعض ما يصح تعلقها به دون بعض، وصفاتنا المقيدة هي عين صفاته المطلقة، فقدرته المطلقة تتعلق بكل ممكن، وقدرته المقيدة بتاتعلق ببعض الممكنات دون بعض، وعلمه المطلق يتعلق بكل واجب ومستحيل وجائز، وعلمه المقيد بنا المنسوب إلينا يتعلق ببعض المعلومات دون بعض، فمن حيث الاطلاق هي صفات الحق تعالى ومن حيث التقييد هي صفات

ان الانسان ما أعطى التحكم في العالم بما هو انسان وانما أعطى ذلك بقوة آلهية إذ لا تحكم في العالم الا صفة حق لا غير وهي الانسان ابتلاء لا تشرىف ولو كان التحكم في العالم تشرىفا بالنسب الحاكم الى عدل ولا الى جور ولا الى الخلافة في العالم الا أهل الله تعالى بل ولي الله التحكم في العالم من أسعده الله به ومن أشقاه من المؤمنين والسلاطين والأمراء نواب القطب ومن استعدهم فمن قبل المدد بحاله كان صالحا حكما عدلا ومن كان من السلاطين والأمراء غير صالح غير المدد ورده الى استعداده فكان جائرا ظالما كالطير ينزل من السماء عذبا فراتا فاذا وصل الى الأرض غيرته الارضين كذا الى طبائعها وردته الى استعداداتها فمنه ما يصير صالحا ومنه زعاقا ومنه حامضا الى غير هذا من طبائع الارضين ومنه ما يبقى على حاله بطن أرض انتهى

الخالق وهي هي في الحاليتين والنسبتين وإنما تميزت بالاطلاق والتقييد والمطلق عين المقيّد في الخارج وإن كان نيره في الاعتبار والتعقل والتقييد والحدوث، إنما حصل للصفات بإضافتها إلى الخالق وكذا أفعال المخلوقات هي أفعاله تعالى، وأفعاله أفعال مخلوقاته، ولذا ورد في الكتاب والسنة نسبة الأفعال إلى الحق تارة ونسبتها إلى المخلوقات تارة، ونسبتها إلى الحق تعالى بالخلق تارة، وإلى الخالق فالخلق تارة، فافهم واحذر أيها الواقف على هذا، ترمينا بحلول أو اتحاد، أو زندقة، أو الحاد، فنحن بريئون من فهمك الأعوج، وعقلك الأهوج

(الموقف الخامس والستون).

قال تعالى، لهما ما كسبت وعليهما ما اكتسبت، قد طول المتكلمون من علماء الرسوم الحديث في الثواب والعقاب من حيث أن فعل العبد بقضاء الله وقدره وإرادته وسبق عاهه فما للعبد حيلة في التحول عن مراد الله تعالى فيكون العقاب ظلماً علي وهمهم حتى أدي النظر في هذا إلى الاختلاف والتشعب بين المسلمين، فقالت طائفة، الخير فعل الله، والشر فعل العبد، وقالت أخرى، العبد يخلق أفعاله الاختيارية، فجعل الله تعالى شركاء لا يحصون عدداً، وقالت طائفة بالكسب ولم يفهم أحد حقيقته على اليقين حتى ضرب به المثل في الخفاء وهو في الحقيقة إسم بلا مسمى، ولفظ بلا معنى، وقالت طائفة بالجزاء الاختياري وهو كالذي قبله فإن محصل كلام القائل به يرجع إلى أنه معنى اعتباري لا وجود له إلا في اعتبار المعتبر مادام معتبراً وكيف يكون مالا وجود له في الخارج غلة الموجود في الخارج عندهم وعلى مذهبهم، إلى غير ذلك من المقالات المذكورة في كتب علماء الكلام، ولو كشف الله تعالى

الغطاء عن بصائرهم لعلوا ، أن الثواب فضله ورحمته ، لأن الرحمة بها الإيجاد
والأمداد والثواب واما العقاب والجزاء على سيء أفعالنا فانما جاء من قبلنا فاننا لما
كنا عند أنفسنا موجودين ، بعد أن كنا معدومين تخيلنا أن لنا وجودا حادثا
مستقلا مبينا للوجود الحق تعالى ، وتوهمنا أن لنا صفات مبيضة لصفات
الوجود الحق ، من قدرة وإرادة ، وعلم وإختبار ، وأننا نفعل إذا أردنا ،
ونترك إذا أردنا ، فعاملنا الحق تعالى حسب تخيلنا ، وخاطبنا بذلك في ،
كلامه ، وبالسنة رسله ، فقال افعلوا واتركوا ، وهو يعلم أنه لا فعل لنا
ولا ترك ، وانه الفاعل تعالى وحده ، ورتب تعالى الثواب والعقاب على
وهمنا هذا ، والثواب منة منه تعالى ، وفضل ، فما جاءنا الشر إلا من قبلنا ، ما
ولا حملنا ما حملنا إلا بجهلنا ، قال تعالى ، إنا عرضنا الأمانة على السموات
والأرض والجبال ، الآية ، يعني تعالى أنه عرضها عليهن عرضا ، إلزام
فأبين وخفن من حملها لأنها عارفة بالله تعالى فطرة وما طرأ عليها حجاب ،
وعرفت أن حمل الأمانة يستلزم الحجاب الذي هو سبب المخافة ، ودعوى
الاستقلال بالوجود والفعل والاختيار ، وإن كان حمل الأمانة على الكمال
والتمام ، يقضى بحمامها الى شرف ما يبلغه سدوا من المخلوقات ، فاختارت
هي السلامة كما قيل

وقائلة مالي أراك مجانباً أمورا وفيها للتجارة مريح
فقلت لها مالي بربحك حاجة ونحن اناس بالسلامة نفرح
وحماها الانسان ، لأنه كان ، أي وجد ظلوما ، حيث أنه وضع الشيء
في غير محله بدعواه الوجود لنفسه مع توابع الوجود من قدرة ، وإرادة ،
وفعل ، واختيار ، جهولا بنفسه ، أي حقيقة التي بها هو هو ، فانه ما عرفها

ولو عرف نفسه لعرف ربه ، ولو عرف ربه من غير أن يطرأ عليه حجاب ، كما عرفت السَّمَوَات والأَرْض ما حصل عليه ضرر ولا لحقه عذاب ، ولا ألم ، فلو فرضنا مستحيلا وأنه لم يمكن في نوع الإنسان إلا عارف بالحقيقة ، وبما هو الأمر عليه ، ما جاء للإنسان تعب ولا مشقة ، ولا كانت منه مخالفة أمر ولا نهى ، ولا يقال أن في نوع الإنسان عارفين بالحقيقة ، فلم كان ما كان ، لانا نقول المقصود والمراد ، بهذا العموم وأما الفرد النادر فلا حكم له ولا اعتبارية

(الموقف السادس والستون)

قال تعالى ، وإن من شيء إلا يسبح بحمده ، شيء أنكر النكرات وكل مسبح فهو عالم ناطق ، بنطقه مدرك ، وعلى هذا فكل ما يطلق عليه اسم موجود في أي مرتبة من مراتب الوجود ، كان سواء كان وجودا عينيا خارجيا أو ذهنيًا خياليا ، أو وجودا لفظيا ، أو وجودا خطيا ، وجميع المحسوسات والمعاني فانه يوصف بجميع الأوصاف من حياة ، وعلم ، وقدرة ، وإرادة ، وسمع ، وبصر ، وكلام ، وغير ذلك ، لأن هذه الأوصاف والأحوال تابعة للوجود فحينما كان الوجود كانت هذه الأوصاف لازمة له ، لأنه ما صح شيء من الأشياء الاتصاف بالوجود إلا بعد اقتران الوجود العام المتفاض على الممكنات بأحوال ذلك الشيء وانصباعها بالوجود ، فوجود كل شيء ، أي شيء كان هو تعين الحق تعالى الذي هو الوجود ، وظهوره بأحوال ذلك الشيء وصفاته ، قال تعالى ، استمعوا بالصبر والصلاة ، وقال ، وإياك نستعين ، أي لاتستعينوا إلا بي فدل على أنه هو الوجود الحق ، وهو الصبر والصلاة ، ولكن ظهور آثار صفات الوجود الذي اتصفت به الموجودات

ونسبت اليه متباين متفاوت ، بحسب استعدادات الموجودات وقبولها ،
لظهور آثار الصفات عنها ، فإنه ليس قبول الجماد هو استعداده كقبول النبات ،
ولا قبول النبات كقبول الحيوان ، ولا قبول الحيوان كقبول الانسان ،
ولذا قال إمامنا وشيخنا محي الدين ، الحروف أمة من الأئمة مخاطبة مكلفة
ولا يكلف الا من يدرك ، ولا يدرك الا من يعقل ، ويسمع ويعلم ويتكلم ،
وقد حصلت لنا حكايات في هذا الباب مع الجمادات
(الموقف السابع والستون)

قال تعالى ، ألا إن أولياء الله ، الآية ، جمهور المحققين من أهل الله تعالى
على أن الولاية مكتسبة ، لا كتساب افتعال ، وهو طلب الشيء بقوة واجتهاد ،
وعليه فالعمل لأجل تحصيل الولاية التي معناها القرب من الله تعالى برفع
الحجب والخلاس العبودية اليه ، وصدق التوكل عليه والانحياش ، ظاهرا وباطنا
اليه ليس بعلة قادحة في العبادة ، وفي قوله تعالى ، لا يزال العبد يتقرب الى
بالنوافل ، الحديث ، إيماء الى ما ذكرنا فان المتقرب تفعل أى يطلب القرب
ومن المعلوم ضرورة ان الاخلاص في الأعمال واجب باجماع ، واجمع أهل
الله تعالى ، انه لا يصح الاخلاص لأحد الا بعد موت النفس ، واجمعوا على
أن موت النفس لا يكون الا بعد معرفة حقيقتها التي هي شرط في معرفة
ربها ، فمن البعيد ان يكون هذا قصد الطالب علة قادحة في العبادة لان
ما لا يتوصل الى الواجب ، الآية ، فهو واجب وأما إذا قصد بالعمل الولاية
التي معناها ظهور الخوارق والكرامات وانتشار الصيت واقبال الخلق ،
فيذا لا يشك أحد انه علة بل شرك ، وعليه يحمل قول من قال ، لا يصل
أحد الى الله مادام يشتهي الوصول اليه ، وعندى على ما ألقاه الحق تعالى

الى أن بداية الولاية بمعنى التوفيق لطلبها موهبة لأنها حال والأحوال مواهب ووسطها اكتساب ، لأنه جهد وإجتهاد ، وارتكاب أهوال ، ورياضات ومجاهدات ، وآخرها ولا آخر ، ونهايتها ولا نهاية ، مواهب ، والقرب من الحق تعالى قرب معنوي ، وليس ذلك إلا برفع حجاب الجهل ، والآفاق أقرب اليها من جبل الوريد ، فما بعدنا إلا الجهل ، ولا قربنا إلا العلم ، وقوله تعالى : فإذا أحببته كنت سمعه ، الحديث ، أي ازلت عنه حجاب الجهل ، فمرف الأمر على ما هو عليه ، وهو ما بينه في آخر الحديث ، لأنه حدث شيء لم يكن ، وإنما المراد أنه رفع الحجاب عن المتقرب بالنوافل أي الطالب القرب من الله تعالى فكان ما كان ، وهذه المرتبة أول مراتب الولاية

(الموقف الثامن والستون)

قال تعالى ، قال رب أرني أنظر اليك ، الآية ، قد أكثر الناس الكلام في هذه الآية من علماء الرسوم والعارفين ، أهل الوجد والشهود الذي ورد به وارد الحق تعالى على أن موسى عليه السلام رأي علو مقامه عند ربه بسماع كلامه وغير ذلك فحمله ذلك على طلب رؤية خاصة وهي رؤية تضاءل فيها الحجب ، إلا حجابا لا تتصور رؤية الحق بدونه مع بقائه عليه الصلاة والسلام عند حصول هذه الرؤية على حالته وصحة بنيته ، وموسى عليه السلام وكل عارف يعلم أن رؤية الحق تعالى تلزمها الحجب ، أما كثيرة ، وأما قليلة ، وأما لطيفة ، وأما كثيفة ، ومن المحال رؤية الحق تعالى بلا حجاب ، لا في الدنيا ولا في الآخرة ، ولكن الرائي متفاوت في كثرة الحجب ، وقلتها ، وكثافتها ولطافتها ، فالمعقل الأول يرى الحق من وراء حجاب واحد ، والنفس السكينة

تراه من خلف حجابين وهكذا، وما رؤية محمد صلى الله عليه وسلم كرؤية غيره من الأنبياء، ولا رؤية بعض الأنبياء، كرؤية باقيهم، فانه تعالى أخبر أنه رفع بعضهم فوق بعض درجات، وليس ذلك إلا بزيادة العلم به، ولا رؤية الأولياء كرؤية الأنبياء، ولا رؤية بعض الأولياء كرؤية البعض الآخرين، فان كل راء للحق تعالى انما تكون رؤيته بحسب استعداده، والاستعدادات متباينة متفاوتة، فلا يشبه استعداد استعدادا وهذا هو الواسع العظيم، وانظر قصة المريد الذي قيل له، هلا ذهبت تنظر أبا يزيد، فقال، لا حاجة لي أن انظر أبا يزيد، فاني أنظر الحق تعالى، ثم اتفق ذهاب هذا المريد الى أبي يزيد، فلما وقع بصر المريد على أبي يزيد خرم ميتا، فقال أبو يزيد، كان هذا المريد صادقا في رؤيته الحق تعالى، ولكن كاذرا، على حسب استعداده، فلما وقع بصره على رأى الحق تعالى بحسب استعدادي، وبما هو متجل به على فلم يقدر فئات فلما سأل من ربه ما سأل، أجابه الحق تعالى، بأنه لا يقدر على الرؤية حسب سؤاله لاهو، ولا ماهو اقوي منه شدة، وأشد بنية، كالجبال التي هي صخر فنجلى الحق تعالى، للجبل ولموسى، فما استقر الجبل، ولا ثبت موسى، فتد كدك الجبل، وخر موسى صمعا، جسما وروحا، وقد ورد في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم، أنه قال، إن الناس يصمقون يوم القيامة فأكون أول من يفتيق، فاذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش، فلا أدري أصمق فأفاق قبلي، أم جوزى بصعقة الطور، وصمق القيامة للأرواح، وانما كان الدك للجبل، والصمق لموسى، لان استعدادهما لا يقوي على هذه الرؤية الخصوصية التي سألتها موسى صلى الله عليه وسلم، فقوله لن تراني، بمعنى لا تطبق رؤيتي على الحالة التي سألتها من قلة الحجب ولطافتها

وبقائك على حالتك من غير تغيير فالمنفي هو الرؤية المقيدة المخصوصة بما ذكر ، وأما الرؤية فهي ثابتة حاصلة له عليه السلام ، ولولا حصول الرؤية له ما خر صعبا ، فسؤاله مقبول من جهة حصول الرؤية ، وغير مقبول من جهة حصول الصعقة ، وفساد البنية ، وتغيير النظام ، وما أمر الحق تعالى ، موسى عليه السلام ، بالنظر الى الجبل الاتسالية وإعلاما بالمعينة ، إن عدم الثبات ، واضمحلال التركيب ، عند هذا التجلي المخصوص ليس خاصا به ، بل هو له ، ولأن هو أشد واقوى بنية ، ومن زعم أن موسى عليه السلام ، لم ير الحق تعالى ، وإن الجبل رآه ، اذ لا يمكنه انكار رؤية الجبل له تعالى ، لأن الآية نص في إثباتها للجبل ، فقد جعل الجبل أكرم على الله تعالى من موسى ، وكفى بهذا جهلا وتوبة من موسى عليه السلام ، إنما كانت من سؤاله ما لم يؤذن له فيه ، ولا يقوى عليه ، ومقامه السامى يقضي أن هذا سوء أدب مع الحق تعالى ، وحسنات الأبرار نسيئات المقرين ، وإيمانه إنما كان بانه لا يرقى أحد فوق استعداده في رؤية الحق تعالى ، وأوليته في هذا الايمان بالنسبة الى ملته ، وأهل شريعته ، الذين هو رسولهم

(الموقف التاسع والستون)

قال تعالى ، إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم ، الآية ، ورد الوارد أيام السلوك بهذه الآيات فعلت ان المراد من هذا الالتقاء ، الحث على المجاهدة والرياضة ، فانه حصر الايمان بانما في المجاهد بماله ونفسه ، والمراد من طريق الاعتبار الجهاد الأكبر الذي قال فيه عليه الصلاة والسلام ، لأصحابه الكرام ، رجعتكم من الجهاد

الأصغر ، الي الجهاد الأكبر ، أي بذلوا جهدهم وطاقاتهم في طلب معرفته تعالى ، والوصول اليه مستعنيين على ذلك بأموالهم أي يبذل ما زاد على حاجتهم من أموالهم في وجوه البر وأنواع الخيرات لأن السالك إذا كان له مال زائد على ضروراته ، تعين عليه إخراجـه في وجوههـ ولا تغنيـه مجاهدة نفسه بغير إخراج المال الزايد في أنواع المجاهدات والرياضات ، قيل لذي النون رضي الله عنه ، إن فلانا له مال كثير ولا يخرج منه شيئا في وجوه البر ، وهو يصوم النهار ، ويقوم الليل ، فقال ، مسكين ترك حاله ودخل في حال غيره ، يريد أن السالك الى الله أول حالاته أن يقول بفاضل ماله هكذا وهكذا في عباد الله تعالى ، وانفسهم أي جاهدوا مستعنيين بأنفسهم فان النفس مطية السالك في سيره الى الله تعالى ، ونعمت المطية لمن وفقه الله وهداه رشده في سبيل الله ، أي في طريق الوصول الى الله تعالى ، ومعرفته ولولا وجود النفس ماسار سائر الى حضرة الحق ولا وصل اليها فهي الحجاب على العبد وهي موصلة الى ربه ووسيلته اليه ، وأولئك هم الصادقون في محبة الله ومحبة الوصول الى حضرة قربه ، فاذا ظهرت على مدعى محبته تعالى والسلوك اليه ، علامة الصدق وهي بذل ماله ونفسه تحقق صدقه في دعواه محبته تعالى ، ومن ادعى ذلك بلسانه ولم تظهر عليه العلامة فهو إما كذاب وإما دنيء المهمة ، ضعيف العزيمة ، وإنما قدم الجهاد بالمال على الجهاد بالأنفس ، لأن الانسان في الغالب قد يجود بجهاد نفسه بالصيام والقيام وأنواع الرياضات والمجاهدات ، ولا يقدر بجود بماله لما جبل عليه الانسان من الشح اذ الشح صفة نفسية للانسان ، قال تعالى ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ، وذلك لأن وجوده الذي هو به هو

مستعار من غيره وهو الحق تعالى ، فهو أبدا يحب أن يأخذ ولا يعطي ،
أتعلمون الله بدينكم ، الهمزة للاستفهام الانكاري ، ومعناه النهي والدين
من معانيه الجزاء كما في مالك يوم الدين ، فيجب على السالك ان لا يطلب
جزاء على سلوكه وأعماله وان طلب فانما يكون طلبه على وجه الذلة
واظهار الحاجة والافتقار مع تفويض الأمر اليه تعالى فيما يريد ويختار ،
فان مطلوب الحق من عباده ترك الاختيار معه فاحرى من السالكين كما
قيل على طريق الترجمة

مرادي منك نسيان المراد اذا رمت السبيل الى الرشاد

فربما طلب السالك شيئا يراه خيرا له من غير تفويض فكان فيه
هلاكه وشره ، فكأنه تعالى ، يقول للسالكين ، لا تعلموني بجزائكم ، ولا
تخبروني بحاجتكم وحالكم ، فاني عليم بما في السموات والأرض اعلم كل
مخلوق وما يصلحه وما يضره لسان استعدادده وما تقتضيه الحكمة في حقه ،
بحيث لو اطلع كل سائل عليها لكان راضيا بما أعطيته من خير وشر ،
ونفع وضر ، ولو اطلع على باطن الحقيقة والأمر قبل السؤال ماسأل الآما
أعطاه الحق كائنا ما كان بل لا يعطى الحق مخلوقا شيئا خيرا أو شرا الا وهو
سائل لذلك بلسان استعدادده ، وان خالف لسان نطقه لسان استعدادده ،
فانه قد يكون السائل مستعدا للسؤال باللسان النطقي ولسان استعدادده
يسأل ضده

(الموقف السبعون)

قال تعالى ، والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا ، الآية ،
ورد بهذه الآية بعد التي قبلها فعلت من هذه الالتقاء بشارة الحق تعالى

للسالكين إذا صدر منهم شيء مما نهوا عنهم من طلبهم الجزاء وتعيينه ،
والتحكم على الحق تعالى ، وعدم تفويض الخيرة إليه ، ثم تابوا إلى الله
ورجعوا إليه بما أمرهم من ترك طلب الجزاء ، وعدم التحكم عليه لأن النهي
عن الشيء أمر بضده على خلاف عند الأصوليين وآمنوا أي صدقوا بأن
الله يغفر لهم ما وقع منهم بحسب وعده الصادق ورحمته الواسعة ، وهذا
إيمان خاص ، ماهو الإيمان الذي يعصم الدماء والأموال ، فإن ذلك شرط في
صحة الأعمال كلها ومتقدم عليها .

(الموقف الواحد والسبعون)

قال تعالى ، وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ، الآية ، ورد الوارد بهذه
الآية بعد التي قبلها ، فعلت أن الأمر بجهاد النفس وقتالها هو على وجه
مخصوص ، وحد محدود ، ووقت معين ، وهو أن لا يكون إلا في سبيل الله
أي لأجل معرفة الله وادخال النفس تحت الأوامر الإلهية ، والاطمئنان
والاذعان لأحكام الربوبية ، لا شيء آخر من غير سبيل الله كمن يجاهد
نفسه بالرياضات الشاقة لأجل طلب جاه عند الملوك ، أو صرف وجوه العامة
إليه ، أو حصول غنى أو نحو ذلك ، من الحظوظ النفسية ، وقوله ، الذين يقاتلونكم ،
أي قاتلوا النفوس التي ما اطمأنت ولا أذعنت ، ولا سكنت تحت الأوامر
الإلهية ، مادامت على حالتها من عدم الاذعان و اظهار العصيان فإذا تركت
العصيان والقتل السلاح ، وصارت تبادر لامثال الأمر والنهي ، فاتركوها
ولا يجوز حينئذ جهادها كالكافر الحربي إذا أذعن لأداء الجزية يحرم قتاله
بعد ذلك ، كما قال تعالى ، حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ، وقال تعالى ،
فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ، ولهذا ترى العارفين رضوان

الله عليهم، لما اطمأنت نفوسهم وسكنت تحت الأثر والنهي، واذنعت لاداء ما عليها من حق الحق والخلق، تركوها من غير جهاد ووضعوا عنها إصرها والأغلال التي كانوا يحملونها إياها، في وقت جهادهم وبدائتهم، حتى قال سيد الطائفة الجنيد، من رآني في بدايتي قال صديق، ومن رآني في نهايتي قال زنديق، وصاروا أول خير واحسان يفعلونه مع أنفسهم، فانها أقرب اليهم، والأقربون أولى بالمعروف، ثم يتعدون بالاحسان الى الأقرب فالأقرب، أبداً بنفسك ثم بمن تعمل، كما هي سيرة كمال البشر وهم الرسل والأنبياء عليهم السلام، وقوله، ولا تعتدوا، نهى عن قتال النفس على غير الحد المشروع وعن التجاوز والتفاني في ذلك كمن يجاهد نفسه بالرهبانية، وبأمور نهى الشارع عنها وفي الخبر لارهبانية في الاسلام، ومن رغب عن سنتي فليس مني، وكما يفعل بعض المشايخ الجهال بالطريقة والشريعة، يأمرون المرید بالصيام فاذا كان في الغد، أمرهم بالقطر حتى لا يكمن له حظ في الأكل ولا في الأجر، فقي اتباع السنة قولاً وعملاً وحالاً، أعظم جهاد للنفس فلا أشق على النفس وأتعب لها من امتثال الأمر ظاهره وباطنه، واجتناب النواهي كذلك ومخالفتها عند طلب الشهوات الغير الضرورية

(الموقف الثاني والسبعون)

قال تعالى، إلا أنه بكل شيء محيط، وقال، وهو بكل شيء عليم، اعلم أن الاحاطة تقتضي تحديد المحاط به من جميع وجوهه وجبهاته، والعلم هو ادراك المعلوم على ماهو عليه فلذا تقول الحق تعالى يعلم ذاته ولا يحيط بها، لأن ذاته تعالى غير متناهية فلو قلنا أنه يحيط بها لانقلب العلم جهلاً، تعالى الحق عن ذلك، لأنه حينئذ تعلق بها على خلاف ماهي عليه من عدم التناهي

ولا نقص في قولنا، علم ذاته ولا يحيط بها بل هو الـكل فالجهل على الحق تعالى محال، لأن الجهل إدراك الشيء على غير ماهي عليه حقيقة ذلك الشيء، واحاطته بالذات العلمية محال لأن الاحاطة تستلزم التناهي، والتناهي على الحق تعالى محال، لا يقال التناهي وعدم التناهي مشعر بإمكان التبعض والتجزئة وذات الحق تعالى واحد من كل وجد وحدة حقيقية ليس في مقابلة كثيرة لأننا نقول المراد بعدم التناهي في حق الذات الوجود الحق عدم تناهي ظهوره بالمظاهر وتعيينه بالأسماء والصور التي هي أثار الأسماء أو هي الأسماء عينها، والظهور والتعيين ممكن من حيث هو، والممكنات التي هي متعلقات العلم والقدرة لانهاية لها باجماع المتكلمين والحكماء وأهل الله تعالى، فلو تناهى ظهور الذات بظهور الاسماء والصفات بظهور آثارها في الممكنات لتناهت الممكنات، المعلومات المقدورات، وهو محال ولذا يقال ذات الحق تعالى قابل للوجوب والامكان. فالوجوب ثابت للذات الوجود الحق من حيث هو والامكان من حيث الظهور والتعيين بالممكنات وما ذكرناه من عدم إحاطة العلم بالذات الوجود الحق المراد به العلم الذي هو شأن من شئون الذات ونسبة من نسبتها وصورته، ومظهره العقل الأول وهو الذي يعبر عنه القوم رضي الله عنهم بظاهر العلم وهو الممكني عنه بقاب قوسين، وهو غاية معراج الرسل غير محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم، فان غاية معراجهم أو أدنى فابمعني الواو، لأن تعلق هذا العلم بما تعلق به هو عين وجود المعلوم في الخارج فلا يتعلق بما لا يتناهى لان كل موجود في الخارج متناه وأما العلم الذاتي الذي هو عين الذات من كل وجه فهو محيط بالذات لانه عينها مع عدم تناهيها بل لا يقال في الشيء انه محيط بنفسه ولا غير محيط، قيل لي

ليلة بالمسجد الحرام، الحق تعالى ما عرف إلا لكونه عين الضدين قلت نعم ، هو كذلك ، فقيل لي وكذا هو محيط بذاته مع عدم تناهيهما على ما يليق به وما عرف الله إلا الله ، وهذه المسألة كثر الخوض فيها وحارت فيها أهل العقول وأهل الكشف ، وبما ذكرنا يحصل الجمع بين قول إمام الحرمين ، بالاسترسال الذي أنكره عليه أهل زمانه كافة ، وبين قول الفخر الرازي ، بحدوث التعاقبات لو كان المتكلمون يقولون بالعلم الذي هو عين الذات من كل وجه ، وهو غيب ، وبالعلم الذي هو ظاهر هذا الغيب وهو عين الموجودات الخارجية وبه تعينت وفيه ومنه

(الموقف الثالث والسبعون)

قال عليه الصلاة والسلام، رجعنا من الجهاد الأصغر الى الجهاد الأكبر، أخرجه البيهقي ، وفي رواية ، رجعتم خطابا لأصحابه الكرام رضوان الله عليهم، وفي رواية رجعنا من الجهاد الأصغر الى الغزوة الكبرى، يريد صلى الله عليه وسلم بالجهاد الأصغر جهاد الكفار بالأبيض والأسمر ، وبالجهاد الأكبر جهاد النفس بالتزكية والتخلية والتجلية ، وإنما سمي عليه السلام جهاد الكفار بالأصغر، مع أن فيه إهلاك النفس وتقوية الحياة الحاضرة رأسا إذ الغالب على من انغمس في العدو، ورمى نفسه بينهم بالموت إلا القليل النادر ، ولذا ما عرف بالشجاعة وذكر بالاقدام مع كثرة المقاتلين إلا القليل وإنما سمي عليه الصلاة والسلام جهاد النفس بالأكبر، مع أن الغالب فيه عدم تقوية الحياة الحاضرة بالموت، وإنما فيه تقوية راحة وشهوات، وتهذيب اخلاق، وتبديل احوال ذميمة، بأخلاق جميلة، فأما ان يكون ذلك لكون جهاد العدو الكافر لا يكون خالصا مخلصا من الشوائب المفسدة والحظوظ

المتبعة الا بجهاد النفس وتهذيبها وتزكيتها والا فلا يخاص جهاد لمجاهد، بل ولا عمل من الأعمال الصالحة مادامت النفس حية متلطفة بالخباثات، فجهاد النفس أكبر لكونه شرط في صحة جهاد العدو الا كبر والشرط مقدم فهو أكبر من المشروط لأن قبوله وصحته بوجوده مربوط وأما ان يكون عليه الصلاة والسلام سمي جهاد العدو الكافر أصغر، باعتبار مقتحميه الخائضين فيه. فانه ليس كل من قاتل مجاهدا حقيقة لأزمصايرة العدو تكون من البر والفاجر، بل ومن المنافق والكافر، وانظر جوابه عليه الصلاة والسلام للذي قال له يا رسول الله الرجل يقاتل حمية، والرجل يقاتل ليرى مكانه، والرجل يقاتل ليذكر، الحديث، وهو في صحيح البخاري، فأجاب عليه الصلاة والسلام بأن من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله فهو لأصناف تلبسوا بالجهاد ظاهرا وليس المجاهد حقيقة الا واحدا فما كل مقاتل للعدو الكافر سعيد ولا كل مقتول فيه شهيد، وقضية قزمان الواردة في الصحيح أكبر دليل، وأما جهاد النفس الذي سماه صلى الله عليه وسلم أكبر فهو جهاد مخصوص، يقوم مخصوصين، اهتدوا بأنوار الهداية، وسبقت لهم من الحق العناية، فلا يخوض غمرات هذا الجهاد الا موفق سعيد، يمشى على الأرض حيا وهو شهيد، ففي الحديث إشارة إلى أن جهاد الكفار لا يميز المقتول عند الله تعالى، المراضي من المغضوب عليه الشقي، بخلاف الجهاد الأكبر فانه عنوان السعادة والسبب في حصول الحسنی والزيادة فلا يتلبس به إلا مؤمن تقي، وصديق صفي، فهو لهذا أكبر، وأما أنه عليه الصلاة والسلام سمي جهاد الكفار أصغر، لكون جهاد الكفار وقتلهم ليس مقصورا للشارع بالذات إذ ليس المقصود من الجهاد إهلاك مخلوقات الله وإعدامهم، وهدم بنيان الرب تعالى وتخریب بلاده فانه

ضد الحكمة الآلهية. فإن الحق تعالى ما خلق شيئاً في السموات والأرض وفي ما بينهما عبثاً. وما خلق الجن والانس إلا لعبادته، وهم غابدون له عرف ذلك من عرفه، وجهله من جهله، وإنما مقصود الشارع دفع شر الكفار وقطع أذاهم عن المسلمين لأن شوكة الكفار إذا قويت أضرت بالمسلمين في دينهم ودنياهم، كما قال تعالى، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع، الآية وقال تعالى، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض، واهلاك المفضول للابقاء على الفاضل، عين العدل والحكمة كقطع العضو المتآكل مع عصمته للابقاء على البدن كله فلو فرض أنه لا يلحق المسلمين أذى من الكافرين ما أبيض قتلهم فضلاً عن التمرّب به الى الحق تعالى، ولذا لا يجوز قتالهم قبل الدعوة الى الاسلام، ثم الى الجزية فإن أطاعوا بالجزية حرم قتالهم وما ذلك إلا أن السلامة من شرهم وأذاهم صارت محققة، ولذا لا يجوز قتل النساء والصبيان الذين لم يبلغوا الحلم ولا الرهبات بخلاف جهاد النفس وتركيتها فإنه مقصود لذاته إذ في جهادها تركيتها، وفي تركيتها فلاحها، ومعرفة ربها والمعرفة هي المقصودة بالحب الآلهي في الایجاد، وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون قال ابن عباس الا ليعرفون إذ العبادة فرع عن المعرفة ولا ريب أن المقصود لذاته أكبر من المقصود لغيره

(الموقف الرابع والسبعون)

قلت للحق تعالى، لي القدم بالعلم ولك الحدوث بالظهور والحس، فانت القديم وأنا القديم وأنت الحادث القديم وأنا الحادث القديم فما الذي تميزت به مني، وانفصلت به عني، فقال لي قدمك بي، وحدوثي بك، فالقدم ووجوب الوجود لي بالذات ولك بالغير والحدوث وجواز الوجوب لك بالذات ولي

بالغير فلذا تميزت مرتبتي بالربوبية ، ومرتبتك بالعبودية ، والمراتب حافظة
للمازل، فلا يلتبس عال بسافل .

(الموقف الخامس والسبعون)

قال تعالى . مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان ، فالبحران الشريعة
والحقيقة والبرزخ بينهما العارف ، فلا تبغي الشريعة على الحقيقة ولا الحقيقة
على الشريعة ، فهو دائما بين ضدين ومشاهدة نقيضين ، ينفي ويثبت وينفي
عين ما أثبت ، لا يستقر به قرار ، ولا تطمئن به دار ، متحرك ساكن ، راحل
قاطن ، فهو كطائر يطير من غصن الى غصن ، والذي طار اليه هو الذي طار
عنه ، يشاهد الشريعة بقوله تعالى ، اعملوا فسيرى الله عملكم . ويشاهد الحقيقة
بقوله ، لا يقدرُونَ على شيء مما كسبوا . ويشاهد الشريعة بقوله ، نخذوهم
واقتلوهم ، ويشاهد الحقيقة بقوله ، فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ، ويشاهد الشريعة
بقوله ، ليس لك من الأمر شيء ، ويشاهد الحقيقة بقوله ، ان الذين يبايعونك
انما يبايعون الله ، ويشاهد عبوديته بقوله ، ان كل من في السموات والأرض
الا أنى الرحمن عبداً ويشاهد ربوبيته بقوله ، أنا كل شيء خلقناه بقدر ، في قراءة
الرفع فلذا العارف بين نارين نار الشريعة ونار الحقيقة ، بل بين شقتي طاحون
كل واحدة تدفعه الى الأخرى . فالشريعة تطالبه بالحقيقة وبالشرعية ، والحقيقة
تطالبه بالشرعية وبالحقيقة ، وهذا هو الابتلاء الذي أشار اليه صلى الله عليه
وسلم بقوله ، أشد الناس بلاء الأنبياء ، ثم الأمثل فالأمثل

(الموقف السادس والسبعون)

ورد وارد غيبي بالمسجد الحرام بسؤال ونصه الايمان بالجنة والجحيم
والعذاب الحسي ، والنعيم من ضروريات الدين ، المعروفة عند جميع المسلمين ،

فمن جحد ذلك فهو كافر باجماع، ومن المعلوم اليين، الواضح المتعين، أن البنية
الانسانية والنشأة الآدمية مركبة من صورة هي عظم ولحم وحواس ظاهرة
وباطنة وأعضاء يدان، ورجلان، وعينان، وأذنان، ولسان، ونحو ذلك، وروح
حيوانية شهوانية سفلية، هي محل الشهوات والصفات البهيمية، وروح قدسية
علوية هي العاملة من هذه الصورة، وهي المدركة للخطاب، المقصودة به
وبالجواب، فهل تقولون المذب هو الأعضاء والحواس، كيف والحق تعالى
يقول، يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون، ويقول،
شهد عليهم سمعهم وأبصارهم، والشاهد الصادق يكرم ولا يهان، فكيف يعذب
بالنيران، أم تقولون المذب هو الروح البهيمي الحيواني الشهواني، كيف
وهو غير مدرك، ولا عالم بالأوامر الشرعية، ولا مقصود بالخطاب، ولو كان
مقصودا بالتكليف لكانت الحيوانات المعجم داخلة تحت هذه التكاليف التي
نحن مكلفون بها، ولا قائل به من علماء المذاهب إذ الروح الحيواني غاية
مبلغه طلب الملائم للطبع ولا خبر له بما وراء ذلك، أم تقولون المذب هو
الروح القدسي العلوي المخاطب المجاب، كيف والحق تعالى يقول، ونفخت
فيه من روحي قل الروح من أمر ربي، فكيف يعذب روح الله وأمر الله مع
هذه الاضافة المؤذنة بأعظم تشريف، وأكبر تكريم، أجيئوا أجورين
واذيلوا حيرة المتحيرين، فكان الجواب أن جواب هذا السؤال لا يجري
به قلم وإنما يكون من قلب الى قلب، ومن فم الى فم

(الموقف السابع والسبعون)

قال تعالى حكاية عن يعقوب عليه السلام، يا بني لا تدخلوا من باب
واحد، الآيات، هكذا فليكن تعاليم المعلمين، وتأديب المؤدبين، أمرهم أولا

باستعمال الأسباب لميل الطبيعة اليها ، وايناس النفوس بها، ثم أمرهم بالتوكل حالة ملازمة السبب، وهذا هو السكّال، وإنما عكس بعض مشايخ الصوفية اليوم حيث أنهم يأمرّون تلامذتهم بالتوكل ثم إذا ثبت قدمهم في مقام التوكل ردوهم الى الأسباب لأن أولئك قريبون من النور النبوي، والصفاء القطري، فعلاجهم بهذا أقرب وأسهل وأسرع في الترقّي من تقديم التوكل فإنه يحتاج الى تمب شديد ومعالجة قوية، والناس في هذا الامر ثلاثة، متسبب، صرف نظره مقصور على السبب وقوته وضعفه فهو أعمى، ومتوكل صرف معرض عن الأسباب ظاهرًا وباطنًا وهو صاحب حال لا يقتدى به، ولا يحتاج عليه، ومتسبب بظاهره، ومتوكل بباطنه، يده في السبب، وقلبه متعلق بخالق السبب، ظاهر لظاهر، وباطن لباطن، وهذا هو السكّال الناظر بعينين، واعلم أن الأسباب كلها حجب وأستار دون وجه الحق وهو الفاعل من خلف أستارها ما يظن العميان أنه أثر الأسباب وناشيء عنها، وسواء في ذلك الأسباب العادية أو العقلية، أو الشرعية، من الأوامر والنواهي لأن معنى الأمور أفعال كذا، فيكون سبب دخولك الجنة، ومعنى المنهيات لا تفعل كذا فيكون سبب دخولك النار، والشرائع كلها من لدن آدم الى محمد صلوات الله وسلامه عليهم إنما جاءت باعتبار الأسباب العادية والشرعية، اذ هي مقتضى الحكمة ومن أسمائه تعالى الحكيم، وترك الأسباب مقتضى القدرة، ومن أسمائه تعالى القادر، والوقوف مع أحد الاسمين تعطيل الآخر والمعتل هالك والسكّال في اعتبار الاسمين على وجه لا يناقض التوحيد، وافراد المولي بأنه الفاعل لما يريد فيعتبر الاسم الحكيم بالتلبس ظاهرًا بالأسباب الشرعية والعادية، ويعتبر الاسم القادر بالتعلق به باطنًا والغيبية عن الأسباب

بشهود مسببها ومجريها، واعتقاد عدم تأثيرها في شيء ما إلا بوجودها الخاصة
بها فانها من هذا الوجه هي هو، وهذه طريقة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام
والكامل من ورثتهم ولا يلتفت الى أصحاب الأموال فان أحوالهم حكمة
عليهم، وقاهرة لهم، ومن العجب أن المواظبة على الأسباب الشرعية التي قلنا
أنها حجب وأستار، دون الحق على وجه مخصوص وطريقة معروفة عند
أهلها، تكون سببا لرفع حجايبتها مع بقاء عينها فالذي يرفع حكمها لا عينها،
فان عينها مأمور باثباتها ومن هنا ترى العارفين أهل الوجود والشهود
يتلبسون بالأسباب العادية والشرعية كلها لافرق بينهم وبين عوام المؤمنين
في ظاهر الأمر وبإدراك الرأي ولكن في الباطن بينهم ما بين السماء والأرض،
والشرق والمغرب، لأن من كوشف بالفاعل الحقيقي الذي تصدر منه الأفعال
وعرف حقيقة المكلف والمكلف وحكمة التكليف، والعلة الغائبة منه ليس
كالجاهل بذلك، هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون، وهل يستوي
الأعمى والبصير، أم هل تستوي الظلمات والنور، وهذا هو السور الذي ضرب
بين عوام المؤمنين والعارفين بالله، باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب،
فالعارفون تتلبس ظواهرهم بالأوامر والأفعال الشرعية ويعلمون أنهم ظروف
لأجرائها، لا فاعلون لها، فلذا لا يرجون بما ينسب اليهم من الأفعال حصول
خير، ولا دفع شر، فهم ناظرون به الى قلوبهم عاكفة ليس إلا عليه قد يئسوا
من خير غيره، وآمنوا من شره، فقالوا بذلك أعظم راحة، ونعما دائمة مستباحة،
وقفوا على حقيقة الاسمين الظاهر والباطن فعرفوا أنه لا ظاهر إلا هو، ولا
باطن إلا هو وكل شيء إما ظاهر وإما باطن وأما عامة المؤمنين وأعني بعامةهم
صلحاءهم من العباد والزهاد وعلماء الظاهر فهم في تعب وعناء ومشقة وضنا

لظنهم الذي أرداهم أن أفعالهم المخلوقة فيهم تجلب لهم نفعاً، وتدفع عنهم ضراً
وإذا فأنهم سبب حزنوا لقوته لتحققهم بفوات مسببه عندهم بفعلون ما يفعلون
معتقدين أن لهم وجوداً حادثاً مستقلاً ، مبيناً للوجود الحق وثانياً له وهذا
عام في جميع طوائف المؤمنين الا الطائفة المرحومة بمعرفة تعالى وأن لهم
قدرة على الفعل والترك ان كانوا معترلة، وإن لهم كسباً إن كانوا أشعرية أو
جزاء اختيارياً ان كانوا ماتريدية. والكل قلوبهم في أكنة وفي آذانهم وقر وعلى
أبصارهم غشاوة ولو نور الله بصائرهم، وفتح أسماعهم وأبصارهم، علموا أنهم
لا وجود لهم لا قديماً ولا حادثاً واتبرؤا من إدعائهم الوجود إذ هو الصنم
الأكبر والشرك الأعظم الذي لا يقبل معه عمل الا بفضل الله تعالى ورحمته
إذا قلت ما أدبت قالت مجيبة وجردك ذنب لا يقاس به ذنب

فليس شيء مما يقال أنه غير الحق وجود أصلاً ، وإذا انتفى الوجود
انتفى كل شيء من الصفات والأحوال والأفعال، فانها توابع الوجود لازمة له
(الموقف الثامن والسبعون)

قال تعالى ، وهو معكم أينما كنتم ، الخطاب إنما جاء على ما يتخيله أكثر
العباد من أن لهم وجوداً مستقلاً مبيناً للوجود والحق ، ومغايراً له ، فشي
الحق تعالى دعواهم وتركهم على ما يتخيّلوه ، فقال لهم ، ان كنتم كما توهمتموه
فهو معكم ، أينما كنتم فاحذروه وراقبوه ، في كل مكان ، وأما في نفس الأمر
فسمى الخلق مالمهم مع الحق رتبة المعية ، وإنما لهم التبعية ، فسمى الخلق
عند من يشبهه كالظل بالنسبة الى ذي الظل ، وهو الشاخص ولا يقال في
مسمى الظل انه مع الشاخص وإنما يقال الظل تابع للشاخص إذ المعية لا تقال
الا على شيئين مستقلين بالموجودية ، والمسمى خلقاً وعالم بالوجود له

استقلالاً، وإعماله التبعية كالصوت والصدأ، فهما شيئان في الحس، وشيء واحد في نفس الأمر، وكل ما يقال فيه غير الله تعالى وهو العالم جميعه، أعلاه وأسفله، فهو عدم لو اعتبر مجرداً عن الوجود الحق، لأنه لو كان لغير الله وجود فلا يخلو إما أن يكون وجوده قديماً أو حادثاً. ولا قديم إلا الوجود الحق، باجماع من أهل الملل والحكماء فانهم وإن قالوا بالقدم الزماني فهم مجمعون معناه علي أنه لا قديم بالذات إلا الوجود الحق تعالى ولا جائز أن يكون حادثاً، لأنه لو كان حادثاً لكان إما جوهرًا أو عرضاً، ولا جائز أن يكون جوهرًا، لأن الجوهر لا توصف به الجواهر، والأعراض والوجود وصف لهما ولا جائز أن يكون عرضاً لأن العرض لا بد له من مقوم وهو الجوهر، والجوهر ممدوم قبل اتصافه بالوجود، والممدوم لا يكون مقوماً للعرض الموجود وهذا البرهان للواقفين مع عقولهم وأما أهل الشهود فقد أغناهم الله عن إقامة البرهان إذ هذا عندهم من الضرورات وعليه فلا يجوز السؤال عن العالم هل هو قديم أو حادث، لأن القدم والحادث بعد ثبوت الوجود، والعالم ما صح له وجود، ولا يقال في الممدوم هل هو قديم أو حادث فإنه سؤال فاسد

(الموقف التاسع والسبعون)

ورد في الخبر، من سرته حسنة وسأته سيئة فهو المؤمن، رواه الترمذي وهذه صيغة حصر، حصر عليه الصلاة والسلام الإيمان في الموصوف بها لأن غيره أما جاحد مكذب، وأما عارف مشاهد مكاشف، صار الغيب عنده شهادة فلا يطلق عليه اسم المؤمن إلا بالمجاز فهذا تعريف للمؤمن فمن كان بهذه المثابة فهو مؤمن، أي مصدق بالغيب من أخبار الشارع بنسبة الأفعال

الى من صدرت عنه من العباد في بادي الرأي وأثابتهم وعقوبتهم، عليا وأما غير المؤمن وقد قدمنا أنه يشمل الجاحد والعارف المكاشف، فالعارف وهو الذي كشف الله له عن حقيقة الأمر فعرف نفسه فعرف ربه فانه لا تسره حسنته ولا تسؤه معصيته، ولو قدر عليه قتل ألف نبي ما تغير ولا حزن الدية على القاتل، ولو بشر بالقطبانية الكبرى ما سره ذلك ولا تغير له فانه عارف بانه ليس له من الأمر شيء، فهو وإن شارك المؤمن في تصديق الشارع فيما أخبر به من المغيبات، فقد زاد على مطلق المؤمن وصار ما كان غيبا شهادة له فالعارف لا يرى له حسنة ولا سيئة الا بالنسبة الشرعية التي هي لحكم لا يعلمها الا الله تعالى، أو من أطلعه الله تعالى من خواص عباده فالشريعة جامعة للأب والقشر، والحقيقة لب فقط

(الموقف الثمانون)

ورد في الصحيح، لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية، يريد عليه الصلاة والسلام، بطريق الإشارة، أنه لا يصح ولا يستقيم لمن فتح الله عين بصيرته، وأراد سريان الأحدثية بلا سريان، وقيام القيومية على كل ذرة من ذرات الوجود ورؤية الوجود الحق تعالى في كل شيء من غير حلول ولا اتحاد أن يهجر شيئا من المخلوقات بأن يحقره ويزدريه ويجعله كالشيء اللقي فان هذا لا يصح من عارف مشاهد كان ما كان ذلك المخلوق حيوانا أو غيره وعلى أي دين كان وعلى أي ملة ونحلة حصل فانها كلها شعائر الله، ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب، أي من يعظم مخلوقات الله التي هي شعائره، فان ذلك التعظيم من تقوى أهل القلوب، وهم أهل الشهود، روي أن عيسى عليه السلام، مر عليه خنزير، فقال له، عم صباحا، وما قال تعالى

فإنها من تقوى أهل العقول ، ولا من التقوى ، ولكن مع هذا الشهود
وعدم الهجرة شيء ، والاحتقار له والأعراض عنه ، لا بد من الجهاد ،
والنية أى المجاهدة والقصد أى الجمع بين شهود الحقيقة وإجراء أحكام
الشارع من قتال مخالفى دين الاسلام ، حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ،
وتغيير المنكر شرعا ، وتحسين ما حسنه الشرع ، وتقبيح ما قبحه حكمة
وعسلا ، لأنه تعالى قال لهذا العارف المشاهد ، على لسان الرسول صلى
الله عليه وسلم ، اذا وجدتني متلبسا بأحوال أهل الكفر فاضرب عنقي ،
واذا رأيتني متلبسا بأحوال أهل المصيان فازجرني ، وأقم الحدود عليّ مع
الشهود والمعرفة ، وهذا أصعب شيء يكابده العارفون

(الموقف الواحد والثمانون)

ورد فى الحديث الصحيح ، ينزل ربنا كل ليلة الى السماء الدنيا حين يبقى
ثلث الليل الأخير ، الحديث ، نزوله تعالى كناية عن تجلية وظهوره ، فإن
التجليات كلها تنزلاته تعالى من سماء الأحدى الصرفة الى أرض الكثرة ،
وسماء الدنيا كناية عن مظهر الصورة الرحمانية التى يظهر بها الكامل ، وهو
فرد واحد فى كل زمان لا يتعدد ، وهى الصفة الجامعة لصفات الجمال كلها ،
من رحمة ولطف ، وستر وحلم ، وجود وعطاء ، ونحو ذلك ، وهذا التجلي
فى هذا الوقت المخصوص هو للعباد والزهاد ، والمتوجهين بالأعمال ، ولهذا
كنى عنه بسماء الدنيا لأنها قبلة الداعين ، وأما العارفون فتجليه لهم دائم
لا يختص بزمان ولا مكان ، إذ الحق تعالى متجل من الأزل ، الى الأبد ،
لا يزيد تجليه ولا ينقص ، ولا يتغير ، وهو تعالى على ما هو عليه قبل نسبة
التجلي اليه ، والاختلاف والتعدد والحدوث المنسوب الى التجلي ، إنما هو

للمتجلى له بحسب التوايل والاستعدادات ، ففي كل آن يحصل للمستعد تجل بحسب استعداده وقابليته ، فالماء حقيقة واحدة تختلف صورته باختلاف القوالب من أنواع النباتات والفواكه والزرورع والأواني ، وإنما خص هذا التجلي بالثلث الآخر لأنه وقت قيام المجتهدين ، وزمان توجه المستغفرين ، والتائبين والداعين

(الموقف الثاني والثمانون)

ورد في الخبر ، من لم يشكر الناس لم يشكر الله ، رواه الامام أحمد والترمذي ، يريد عليه الصلاة والسلام ، أن الذي لا يشكر الناس حيث رآهم ، غيراً وسوياً ، واعتقده وهماً وتخيلاً ، ان الحق تعالى مبين لهم ومنفصل عنهم ، وانه في السماء ، أو فوق العرش فقط لم يشكر الله حيث أنه ما عرفه ، وكيف يشكره من لم يعرفه لأنه تعالى ما عرفه من عرفه إلا في مراتب التقيد والظهور والتعين ، والناس وجميع المخلوقات والأسباب والوسائط مظاهره وتعيناته ونسبه واعتباراته فانها آثار أسمائه وصفاته ، بل هي عين أسمائه إذ ليست الصور المحسوسة المشهودة كائنة ما كانت ، روحانية أو مثالية أو جسمانية ، إلا أسماء الحق تعالى وهي معان اجتمعت فخلت منها هيئة اجتماعية فكانت صورة محسوسة كما تقول اجتمعت البرودة واليبوسة ، فكانت صورة التراب ، واجتمعت البرودة والرطوبة فكانت صورة الماء ، مثلاً ، والعالم كله هكذا ، الناس وغيرهم ، ومتعلق الخطاب والحدوث والأمر بالكون هو هذه المعاني لتصير هيئة اجتماعية فتصير صورة محسوسة ، فمن عرف الله والناس هذه المعرفة كان شكره للناس شكراً لله اذلاً أثنية في الوجود ، ومن هناك كان الفعل الصادر من

الناس وجميع المخلوقات بداهة وضرورة وهو فعل الله تعالى شرعا وعقلا،
فأين الله وأين الناس لمن يعقل ، أفدي من يعقل عني بنفسي ، وأجعله فوق
رأسي ، قال إمام العارفين محي الدين عندما تكلم على نسبة الفعل الى الله
والي المخلوقات من ، الأسباب والوسائط فمن الناس من قال عندها ولا
بد ، ومن الناس من قال بها ولا بد ، ونحن وأمثالنا يعني من المحققين الذين هم
أعلا رتبة في المعرفة من العارفين نقول عندها وبها ، وايضا أنه أن كل
شيء له وجهان وجه الى الحق ، وهو حق من هذا الوجه وهو وجه الرب
الذي لا يفنى وهو المراد بقوله ، كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ، ووجه
الي سببه الذي ظهر عنه وهو الفاني العدم الباطل وقد نفى الحق تعالى
التأثير عنه في هذا الوجه ، بقوله إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن
فيكون ، فاذا رأيت العارف يشكر مخلوقا ويشني عليه ويعظمه ويلاحظه فمن
هذه الحيثية فلا تظن أنه يرى الناس وسائر المخلوقات كما تراهم أنت ، وإن
بينهم وبين الحق تعالى بونا معاذ الله ، ومن هنا صح ما أخبر به تعالى في قوله
فأينما تولوا فثم وجه الله وهو معكم أينما كنتم ونحن أقرب اليه من حبل
الوريد ، فاعرف الحق واحذر الغلط والسلام

(الموقف الثالث والثمانون)

قال تعالى ، وأما بنعمة ربك فحدث ، هذه الآية الكريمة القيت عليّ
باللقاء الغيبي مرارا عديدة لا أحصيها ولا يخفى ما قاله فيها عامة أهل
التفسير ومما ألقى عليّ فيها أن من المراد بالنعمة هنا نعمة العلم والمعرفة بالله
تعالى والعلم بما جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام من المعاملات والأُمُور
المغيبت ولا شك أن هذه النعمة أعظم النعم وإطلاق النعمة علي غيرها

مجاز بالنسبة إليها والمراد بالتحدث بها ، انشاؤها وبها المستحقين المستعدين لقبولها إذ ما كل علم يصلح لكل الناس ولا كل الناس يصلح لكل علم بل لكل علم أهل ، لهم استعدادا لقبوله ، وهممة والتفات الى تحصيله ، أو يكون المراد إظهار النعمة بما هو أعم من القول والفعل كما في الخبر ان الله إذا أنعم على عبد نعمة أحب أن يرى أثر نعمته عليه فإذا كانت النعمة مما يظهر بالفعل أظهرها بالفعل وإذا كانت مما يظهر بالقول أظهرها بالقول والتحدث بها على حد ما قيل في الحمد العرفي أعم من أن يكون باللسان والجنان والاركان ومن بعض نعم الله عليّ أني منذ رحمني الله تعالى بمعرفة نفسي ما كان الخطاب لي والا لقاء عليّ الا بالقرآن الكريم العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد ، والمناجاة بالقرآن من بشائر الوراثة المحمدية فان القوم أرباب هذا الشأن قالوا كل من نوحى بلفظة نبي فهو وارث ذلك النبي صاحب تلك اللغة ، ومن نوحى بالقرآن كان وارثا لجميع الأنبياء وهو المحمدي لأن القرآن متضمن لجميع اللغات ، كما أن مقام محمد صلى الله عليه وسلم متضمن لجميع المقامات ، ومنها اني لما بلغت المدينة طيبة ، وقفت تجاه الوجه الشريف بعد السلام عليه صلى الله عليه وسلم وعلى صاحبيه الذين شرفهما الله تعالى بمصاحبته ، حياة وبرزخا ، وقلت يا رسول الله عبدك ببابك ، يا رسول الله كلبك باعتابك ، يا رسول الله نظرة منك تغنيني ، يا رسول الله عطفة منك تكفيني ، فسمعتة صلى الله عليه وسلم ، يقول لي أنت ولدي ومقبول ، ندي بهذه السجعة المباركة وما عرفت هل المراد ولادة الصلب ، أو ولادة القلب ، والأمل من فضل الله تعالى أنهما مرادان معا فحمدت الله تعالى ، ثم قلت في ذلك الموقف اللهم حقق هذا السماع بروية

الشخص الشريف ، فانه صلى الله عليه وسلم ضمن العصمة في الرؤية فقال
(من رأي فقد رأى الحق فان الشيطان لا يتمثل بصورتي وما ضمن
العصمة في سماع الكلام ثم جلست تجاه القديمين الشريفين معتمدا على
حائط المسجد الشرقي أذكر الله تعالى فصعقت وغبت عن العالم وعن
الأصوات المرتفعة في المسجد بالتلاوة والأذكار والأدعية وعن نفسي ،
فسمعت قائلا يقول هذا سيدنا التهامي فرفعت بصري في حال الغيبة فاجتمع
به بصري وهو خارج من شباك الحديد من جهة القديمين الشريفين ، ثم تقدم
الى الشباك الآخر وخرقة الى جهتي فرأيت صلى الله عليه وسلم نخما مفخما
بادنا متماسكا غير أن شبيه الشريف أكثر : وحرمة وجهه أشد ، مما ذكره
أصحاب الشرائع ، فلما دنى مني رجعت الى حسي فحمدت الله تعالى ثم جعلت
أذكر الله تعالى فصعقت كالأولى ، فورد عليّ قوله تعالى اذا دعيتم فادخلوا
واذا طعتم فانتشروا فلما رجعت الى حسي حمدت الله تعالى ونظرت في الآية
الكريمة ، فوجدتها مشتملة على أنواع من البشائر ، فانّ إذا تفيد التحقيق فهي
في قوة ، قد دعيتم ، ودعيتم مبني للمجهول يشمل دعا الحق تعالى والرسول صلى
الله عليه وسلم والأمر بالدخول بعد الدعوة فيه غاية التكريم والتشريف ، وإذا
طعتم إخبار بأن الدعوة للإكرام والانعام والاطعام ، وقوله فانتشروا أمر
بمعنى الإذن في الانتشار بعد الإكرام ، وفي الأخبار بأن الدعوة للإكرام
وبالإذن في الانصراف بعد حصول الانعام غاية العناية ونهاية الكرامة ثم
توجهت أذكر الله تعالى فصعقت أيضا ، فألقى عليّ قوله تعالى ، أدخلوها
بسلام آمنين ، فلما رجعت إلى حسي حمدت الله تعالى على تكرار البشارة ثم
توجهت إلى الذكر أيضا فصعقت ، فألقى عليّ قوله تعالى ، وبشر الذين

آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم ، فلما رجعت الى حسي حمدت الله تعالى وعلمت أن قدم الصدق هو صلى الله عليه وسلم ، وأنه أمرني أن أكون واسطة في ابلاغ هذه البشارة الى أمته ، ثم زدت متوجها في الذكر فصعقت أيضا ، فالقي علي قوله تعالى ، قل إن الفضل بيد الله يؤتية من يشاء ، فلما رجعت الى حسي حمدت الله تعالى وعلمت أنه أخبر بان هذه النعم الحاصلة ما هي جزاء علم ولا عمل ولا حال ولا هي باستحقاق وإنما هي فضل وامتنان ثم زدت متوجها في الذكر فصعقت أيضا ، فالقي علي قوله تعالى ، قل نزله روح القدس من ربك بالحق لينبئ الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين ، فلما رجعت الى حسي حمدت الله تعالى على ما في هذه الآية من البشائر والأسرار ثم زدت متوجها في الذكر فصعقت أيضا فالقي علي قوله تعالى ويرىكم آياته فأى آيات الله تنكرون ، فلما رجعت الى حسي حمدت الله تعالى وقلت ، لا أنكر شيئا من آيات الله ، والعبد معترف بفضل مولاه عليه ، ثم هت الى محل عزلي فدخل علي شيخ من أهل الطريق فقال لي اذا أردت أن تتوجه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاجعل بينك وبينه واسطة من الأكار مثل عبد القادر الكيلاني أو محي الدين الحاتمي ، أو الشاذلي ، وأمثالهم فقلت له حتى أستاذن سيدي ومولاي الذي أنا في أعتابه فتوجهت أذكر الله تعالى فصعقت ، فالقي علي قوله تعالى ، النبي أولى بالؤمنين من أنفسهم فلما رجعت الى حسي حمدت الله تعالى ، وعند مراجع عندي ذلك الشيخ قلت له إن سيدي ومولاي ما أحب أن تكون بيني وبينه واسطة وأخبرني أنه أولى بي من كل أحد حتى من نفسي ثم وثم وثم

وكان ما كان مما لست اذ كره فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر
وأول ما فتح لي في عالم الخير والنور اجتمعت في الواقعة بالخليل عليه
السلام في المطاف وكان في مجلس حافل وهو يحكي قصة تكسير الأصنام
ورأيت في السن الذي كان فيه ذلك الوقت ، إذ يقول الله تعالى ، قالوا سمعنا
فتى يذكرهم فما رأيت عيني أجمل منه ، كيف ورسول الله صلى الله عليه
وسلم شبهه جماله به ، فقال ، ورأيت ابراهيم وأنا أشبهه ولده به فعلمت أنه
يكون لي بعض إرث منه في محبة الخلق ، فانه القائل ، واجعل لي لسان
صدق في الآخرين ، فأجاب الله سؤاله فاجتمعت على محبته أكثر الملل
والفرق وليس هذا لأحد غيره من سائر الرسل عليهم السلام

(الموقف الرابع والثمانون)

كنت مع أهلي في لحاف وأنا في مشاهدة فصعقت فكلمني الحق تعالى
وقال لي ، اني أنا الله لا آله الا أنا الرب المبارك ، فحصل لي بعد الرجوع الى
الحس فرح وعرفت منه بشارة وأي بشارة

(الموقف الخامس والثمانون)

ورد في الصحاح ولا يبعد أن يكون في الاحاديث المتواترة أن هذا
القرآن أنزل علي سبعة أحرف فاقروا ما تيسر منه ، قد تكلم الناس علي
هذا الحديث قديما وحديثا ، ذكر الأمام السيوطي رضي الله عنه منها نحو
الأربعين قولاً ، ومنها ما لم يبلغه بلا شك وأكثر الناس عليه كلاماً علي
طريق أهل العرفان العارف بالله عبد العزيز الدباغ الفاسي فانه أبدع وأتى
بما لم يسبقه اليه غيره ، وكل ما قيل في معنى هذا الحديث فصواب وأصوب ،
وحق وأحق ، فان السكك من عند الله تعالى ومن تجلياته اذ كلام الحق تعالى

وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم بحر ذاخر، ماله ساحل، فكل ما فهمه الخلق في كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم الذي هو كلام الله على لسانه، لأنه ما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، هو مراد ومقصود وإن خالف الحق ظاهراً، فإنه كما قال يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً، فالضلالة مقصودة وما يطلق عليه اسم الخطأ مقصود فالكل عطاء الله كلاً نمدُّ هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك مخطوراً. ومن المراد لله ولرسوله في الكلام ما لم يهتدوا إليه ولا بلغوه، والذي ألقاه الحق تعالى عليّ من معاني هذا الحديث العظيم الشأن ومن اشاراته المعجوز عن استيفائها بالبيان، أن من المراد بالاحرف الحقيقية اذ الاحرف عند الطائفة العلية ثمانية أنواع أحرف حقيقية، وأحرف عالية، وأحرف روحانية، وأحرف صورية، وأحرف معنوية، وأحرف خيالية، وأحرف حسية لفظية، وأحرف خطية، والمراد من الاحرف الحقيقية الامهات السبعة والاصول السككية، العلم، والارادة، والقدرة، والكلام، والسمع، والبصر، والحياة التي هي شرط في اثبات الجميع، ولا يصح إثبات شيء بدونها، أخبر عليه الصلاة والسلام أن هذا القرآن وهو النظم المعجز المنزل عليه صلى الله عليه وسلم انزل مستولياً ومستعلياً استعلاء دلالة على متعلقات هذه الأحرف التي ذكرناها وهي أمهات الأسماء والصفات فكل مدلولاتها ومتعلقاتها يدل عليها القرآن العظيم، وتؤخذ منه، ولذا ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما، أنه قال، ما حرك طائر جناحيه الا وجدنا ذلك في كتاب الله تعالى، وترى العارفين يستخرجون العلوم والأسرار والأخبار بالمفاتيح الآتية من القرآن، وجميع العلوم المتداولة مأخوذة من القرآن، ويهدي إليها هداية بيّنة، وجميع الثلاثة والسبعين

فرقة يأخذون الأدلة والحجج لمذاهبهم من القرآن وهذا من جملة وجوه اعجازه وخروجه عن طوق البشر كيف لا وهو تعالى يقول ، ما فرطنا في الكتاب يعني القرآن، من شيء، فكل ما يطلق عليه اسم شيء فهو في القرآن العظيم إما صريحاً وإما إشارة ، إما ضمنية وإما التزاماً ، والشيء أعم من الموجود، والمعدوم عند أهل اللغة ، ولذا قالوا ، ان ذكر النكرات شيء ثم موجود لأجل هذا الجمع العظيم سمي بالقرآن من القرء وهو الجمع ، اذ القرآن الكريم ليس هو الا ظاهر علم الحق تعالى ولا ريب أن علمه تعالى محيط بالكليات والجزئيات ، فالقرآن محيط بالكليات والجزئيات ، فانه أمر الله المنزل كما قال تعالى ، ذلك أمر الله أنزله اليكم ، وأمره صفته المحيطة بكل شيء ، القائمة على كل شيء ، وتختلف وجوه دلالات القرآن على متعلقات الأحرف باختلاف وجوه قراءاته من زيادة ونقص ، وتقديم وتأخير ، ورفع ونصب ، وخفض وسكون ، فانها الأحرف الصغار وكل وجه يتفرع الي وجوه منها أصول ومنها فروع ومنها ملزومات ومنها لوازم بيّنة ، ومنها غير بيّنة ، ومنها لوازم اللوازم وهكذا والحق تعالى بجوده يفتح على كل واحد ويعطيه مما أحاط به القرآن مدلولاته ما يستحقه ، ويطلبه استعداداً ، أما هدى وأما ضلالة ، أما رشد وأما غيا ، والاحاطة بجميع ما أحاط به القرآن محال ، فلذا قال عليه الصلاة والسلام ، فاقرأوا ما تيسر منه ، أي من مدلولاته والعلوم التي تضمنها فهو أمر بالدال وإراءة المدلول لأن القرآن كله يسر ، كما قال ، ولقد يسرنا القرآن للذكر ، فليس منه يسر وغير يسر بل تعدد أوجه القراءة تيسير ، كما ورد في الحديث اقرأني جبريل على حرف واحد فاستزدته فزادني الى سبعة ، والذي منه يسر وغير يسر ، هي متعلقات الأحرف السبعة التي ذكرناها

قبل ولا يتيسر لأحد شيء إلا ما هو مستعد له قوله ولا تختلفوا إلى آخر الحديث، أي لا تجعلوا ما يفتح الله به على بعضكم في الفهم فيه خلافا قادحا في القرآن، وموجبا للشك فيه حتى يؤدي ذلك إلى الشك في أصل الدين، ولهذا اختلفت الصحابة رضوان الله عليهم وكذا من بعدهم من أهل الفضل والعلم وما جعلوا ذلك إختلافا في الدين ولا كثّر بعضهم بعضا وما حصل للخلق كلهم من معلوماته تعالى التي هي متعلقات صفات الامهات الأصول إلا كما قال الخضر لموسى عليهما السلام، ما نقص علمي وعلمك، أي ما يتعلق به علمي وعلمك من علم الله أي معلوماته إلا كما نقص هذا المصنفور بنقرته من هذا البحر، فهذا إشارة إلى ما أشار إليه هذا الخبر العظيم الشأن (الموقف السادس والثمانون)

قال تعالى، والشمس وضحاها والقمر إذا تلاها والنهار إذا جلاها والليل إذا يغشاها والسماء وما بناها والأرض وما طحاها ونفس وما سواها، هذه الأشياء المقسم بها هي كناية عن بعض مراتب تجليه، وتعين تنزله وتدليه، وهي مراتب كلية فما أقسم الحق تعالى في الحقيقة إلا بذاته لأن المراتب والتنزلات كلها أمور اعتبارية لا وجود لها إلا في اعتبار المعتبر ما دام معتبرا، فكل المراتب والتعينات والتنزلات من أول مرتبة وتعين وتنزل وهو الحقيقة المحمدية، إلى آخر تعين وتنزل، وهو الصورة الانسانية، إنما هي اعتبار وتعين وظهور وتنزل لا وجود لها خارج العقل، كسائر الأمور المصدرية، فهي لا موجودة ولا معدومة، فهي خيال لا حقيقة لها، غير الوجود الحق الذي به ظهرت كما قيل

مراتب بالوجود صارت حقائب الغيب والعيان

وليس غير الوجود فيها بظاهر والجميع فان
فالوجود ليس الا للذات العلية، وكل ما قيل فيه مرتبة وتعين وسوى
وغيره، فهو اعتبار ونسبة وإضافة لا غير، فقوله، والشمس وضحاها، هو
قسم بمرتبة الأحدثية وهو أول المجالي فهو مجلي ذاتي ليس للأسماء ولا
للصفات ولا لشيء من المكونات فيه ظهور، فهو ذات صرف مجرد عن
الاعتبارات الحقيقية والخلقية، وان كان الجميع موجودا فيها ولكن بحكم
البطون فنسبة الواحد الى ذاته نسبة واحدة هي عين أحدىته لا وأحدىته
ونسبته الى الثاني هي وأحدىته فالأحدثية هي تجليه تعالى لذاته بذاته اذ
لا غير في هذه المرتبة فان لفظ الأحد ينفي أن يكون هناك اعتبار غير
وسوى، فلا يحتاج في أحدىته الى تعين يمتاز به عن شيء اذ لا شيء فهو
الوجود بشرط لا شيء ولا حظ للمخلوقات من هذه المرتبة الا الاعتبار
والتعقل لأن هذه المرتبة مرتبة الكنه لا ينكشف لأحد ولا يدرك بحس
ولا عقل، ومن طلب معرفته من هذا الوجه طلب المحال لأن الذي
لا تعين له بوجه من الوجوه لا يعرف ووجهه ووجه الكناية عن هذا
التجلي بالشمس وضحاها، إن الشمس تدرك بها الأشياء ولا تدرك هي،
ولا يظهر معها نور من أنوار الكواكب، وكذلك الأحدثية فهي
ماحية للأنوار، ممحقة للآثار، فهي مرتبة اللائقين فما للخلق من ملك
ورسول وولي في هذه المرتبة الا الايمان بالغيب فانهم لما وصلوا بالكشف
والنظر بالبصائر الى التعين الأول عرفوا أن وراءه شيئا لا يعرف منه الا
وجود لا غير اذ الوجود المجرد عن الظهور بالغير والتعين به لا يعرف ولا ينعت
ولا يوصف لأنه الذات الغنية عن العالمين وهذه المرتبة في الحق والتحقيق

هي حقيقة الحقائق، وإن كانت هذه التسمية أطلقها القوم على الوحدة المطلقة،
والحقيقة الكلية، وقد وصل بعض الرهبان والبراهمة وغيرهم من أهل الرياضات
والمجاهدات على غير سبيل الرسل عليهم السلام إلى العقل الأول، فظنوا
أنه هو حقيقة الحقائق، وأنه لا شيء وراءه فخسروا وباءوا ورجعوا من حيث
جاءوا، وقوله، والقمر إذا تلاها، هو كناية عن المرتبة الثانية والتعين
الأول المسمى بالروح السكاني وبنفس الرحمن وبالوجود الإضافي وبالحقيقة
المحمدية، ويرزخ البرازخ، وله أسام كثيرة ويعبر عنه بالوحدة المطلقة، وذلك
أن الوجود إذا أخذ بشرط لا شيء فهو الأحدية وإذا أخذ بشرط كل شيء
فهو الواحدية، وإذا أخذ مطلقاً لا بشرط شيء ولا بشرط لا شيء، فهو
الوحدة فالوحدة منشأ الأحدية والواحدية لأنها عين الذات من حيث هي،
أي المطلق الذي يشمل كونه بشرط لا شيء أو بشرط شيء، والوحدة إذا
اعتبرت من حيث هي هي، لا تغاير الأحدية بل هي عينها، والوحدة هنا
لا تتعقل في مقابلة كثرة ولا يتوقف تحققها على تصور ضدها، وهذا
الوجود الإضافي المشترك بين جميع الموجودات، المتعين بها، هو عين الوجود
الباطن المجرد عن التعيين والظهور، ولا يغايره إلا بالاعتبار كالتعين والتعدد
الحاصل بتعدد المظاهر، وهي كلها أمور عدمية لا وجود لها إلا بالاعتبار،
والحق تعالى في هذه المرتبة مرئي للرائين، معروف للعارفين؛ لأنها مرتبة اسمه
تعالى الظاهر وهو محجوب مجهول للغافلين، فهم يرونه ولا يعرفونه وهذه
المرتبة أول ظهور الله تعالى من كنز الخفا ومعرفة القوم رضوان الله عليهم،
وغاية وصولهم إليها، وبها يتغزلون في أشعارهم وعنها يكون بليلي وسعدى،
والبرق والذسيم، والحمر والسكاس، وهي الظاهرة في سائر الخلق وهي أمر الله

كما قال ذلك أمر الله أنزله اليكم وقال ، ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي، أي الروح أمر ربي ، فمن بيانيه وهو الذي صدر عن الله بلا واسطة، وهو نور محمد صلى الله عليه وسلم، فما صدر الا بمشافهة الأمر العزيز وهو، أي الأمر العزيز، السبب الثاني بالاضافة الى الوجود المطلق فان الوجود المطلق هو الله حيث لا تعين، وقد صدر هذا الأمر المذكور بصورة النور الحمدي عنه تعالى، فهو التعين الأول لأنه تعالى ظهر بعلمه في هذا التعين من غير تمييز شيء من شيء، قاله سبب ظهور الأمر القديم، في حضرة النور الكريم ، وقام النور في تعينه بالأمر القديم فهو أي الأمر الكريم سبب ثان بالاضافة الى الله ، فالنور الأول المذكور هو التعين الثاني باعتبار قيامه بالأمر والتعين الثالث باعتبار نزوله في عالم الخلق فهو ثلاث مراتب وهو واحد وكون الأمر ظهر بالنور الحمدي ، فهو السبب الأول باعتبار الاضافة الى الوجود المقيّد ، وهو النور الحمدي المتعين ، في عالم الخلق ووجه الكناية عن هذه المرتبة والتعين بالقمر هو أن القمر واسطة بين الشمس والأرض فهو يستمد النور من الشمس ويمد الأرض به ، وكذا هذا التعين الأول فانه يستمد من الوجود الباطن الأحدي الذاتي، ويمد العالم أعلاه وأسفله بما يفيضه الحق تعالى عليه فله وجهة الى الحق، ووجه الى الخلق، ولهذا سمي ببرزخ البرازخ لأن البرزخ جامع بين الطرفين لا يكون غيرهما ولا عينهما فمن وجهه الذي للحق هو حق، ومن وجهه الذي للخلق هو خلق، فهو حق وخلق ولا حق ولا خلق وهو بالنسبة الى الوجود الأحدي فقير مستمد قابل ، وبالنسبة الى العالم غني ممد فاعل، وكذا القمر من وجهه الذي للشمس مستمد قابل ومن وجهه الذي للأرض ممد فاعل ، والتعينات

والظهورات كلها ممكنة حادثة ، والمتعين والظاهر قديم واجب ، ولهذا
المرتبة قدم باعتبار ، وحدوث باعتبار آخر ، وقوله ، والنهار إذا جلاها ،
هو كناية عن المرتبة الواحدية وهو التعين الثاني وهي اعتبار ، الذات
من حيث انتشار الأسماء والصفات منها ، ووحدتها لها مع تكررها
بالصفات فالواحد لاسم الذات بهذا الاعتبار ، فهي مجلي ظهرت الذات فيه صفة
والصفة ذاتا فظهر كل من الاسماء والأوصاف عين الآخر ، فهي بهذا الاعتبار
حيث ظهرت في شيء من أسمائها أو صفاتها أو مؤثراتها ، فذلك الشيء عينها
وهي عينه ، وكل شيء مما ظهر فيه الذات بحكم الواحدية فهو عين الآخر وإلى
ذلك أشرت في بعض القصائد التوحيدية فقل عالم ، وقل آله ، وقل أنا ، وقل
أنت ، وهو ، لست تخشى به ردا ووجه الكناية عن هذه المرتبة بالنهار هو أن
النهار تظهر فيه وبه الأشياء ويتميز بعضها من بعض وكذلك هذه المرتبة ،
فإن إليها تستند الآثار كلها نهي المجليه للمرتبة التي قبلها كما أن النهار مجلي
ومظهر للشمس وأيضا هذه المرتبة هي عبارة عن علم الحق تعالى بذاته ،
وبجميع أسمائه وصفاته ، وبجميع حقائق مكوناته ، على التفصيل وقد كان
علمها في المرتبة التي قبلها وهي الوحدة المطلقة اجمالا لا تتميز الذات
من الصفات من حقائق المكونات ولا يتوهم متوهم أن قوائنا اجمالا
أن العلم الاجمالي موجب للجمال كما عليه جمهور المتكلمين بل هو تعالى
بعلم الأشياء كما هي ، المفصلة تفصيلا ، والمجملة اجمالا ، فلو قيل العلم المتعلق
بالأحادية وبالوحدة علم تفصيلي ، للزم الكذب والمناقضة ، لأن قوائنا
الأحادية والوحدة ينافي هذا ، فالعلم المضاف إلى مرتبة الوحدة يسمى
علما إجماليا لا تصاف معلوماته بالاجمال ، وأما العلم نفسه فلا يوصف من

حيث هو انكشاف ، وظهور بالأجمال والتفصيل لأنها من لوازم السكم ولا كم ، ولا كيف ، وقد زل هنا عالم كثير ، وعالم كبير ، وقوله ، والليل إذا يغشاها ، هو كناية عن الطبيعة الكشيفة ، والتعين بالأجسام العنصرية المظلمة الظاهرة في المعدن والنبات ، والحيوان والجاز والانسان ، لأن العالم الجسماني الطبيعي محل الظهور الآلهي الكمالي ، إذ لولا الكشيف ، أعرف ولا سمع خير للطيف ، فظهور الحق تعالى بالأجسام أكمل من ظهوره بالأرواح ، ولذا قيل ظهور الحق تعالى ، أجهل الناس وأعظمهم انقياداً للأشياء الطبيعية والنفسانية أتم من ظهوره في اعلم الناس وأعظمهم تحقيقاً بالأشياء الروحانية ، إذ عالم الشهادة أكمل من عالم الغيب ، وعالم الغيب أشرف من عالم الشهادة ، فالشرف بقلة الوسائط ، والتمام بكثرتها ، ووجه الكناية عن هذه المرتبة بالتجلي بالليل ، هو أن الليل أصل للنهار ، وقال تعالى ، وآية لهم الليل نسلخ منه النهار ، وكذا الأجسام الطبيعية لكشفها وحجابيتها سبب وأصل لظهور الأرواح الجزئية وتعينها من الروح الكل ، كما قال تعالى ، فإذا سويته ونفخت فيه من روحي ، فالطبيعة تفعل الصور على الدوام ، والروح يفيض الأرواح شمس ونهار ، فقوله ، والليل إذا يغشاها ، أي التعين بالأجسام العنصرية الشبيه بالليل يغشى التعين السابق الشبيه بالنهار ، لأنه روح نوراني ، وقوله ، والسماء وما بناها ، هو كناية عن مرتبة التعين بالأرواح ، لأن الأرواح سماء الأشباح ، ولها العلو ، وهو في الحقيقة ونفس الأمر روح واحد عدته الصور المنفوخ فيها ، كما عدت الطاقات والأبواب ، والخروق والأماكن الشمس ، وحقيقة الشمس واحدة ، فالروح حقيقة واحدة لا تعدد ، ولا يتبعض ولا يتجزأ

ولهذا ماورد في القرآن العزيز ، إلامفرداً فاذا اعتبر الروح مع الأجسام المدبرة اسم مفعول تعدد بتعدد مجازا لاحقية ، وكما تسلم أن كل جسم له روح واحد يدبره مع تعدد أعضاء الجسم وقواه الظاهرة والباطنة ، وتباين آثار القوي وهو في كل قوة الفاعل للأثر النسوب الى تلك القوة كذلك يلزمك أن تسلم أن العالم كله له روح واحد يدبره على تعدد أنواعه وأشخاصه من الذرة الى العرش والفعل والتأثير له في كل ماينسب الى العالم من الأفعال والتأثيرات ووجه الكناية عن هذا التعين بالسما هو أن السماء لها العلو والشرف الحسي والمعنوي ، وأنها منبع الأنوار، ولها الفاعلية بما فيها من الكواكب والأملاك ، وكذلك الأرواح مع الأجسام ، وكما أن السماء بما فيها ، تدبر الأرض وما فيها ، من معدن ونبات وحيوان ، من غير اتصال ، ولا امتزاج انتقال ، كذلك الأرواح تدبر الأجسام المتعلقة بها من غير حلول ولا اتصال ، ولا امتزاج ، وأمر الروح لا يدرك الا بالكشف ، ولا يدرك بالعقل أبداً ، وكل كلام العقلاء فيه من حكيم ومتكلم خطأ ، وقد عزمتم ان أكتب فيه شيئاً ما علمت أحيداً سبقني اليه فصعقت ، فالتفتي عليّ قوله تعالى ، قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً ، فتأدبت واقتديت بمن قبلي ، فانهم الأدباء مع الله ، الناصحون لعباد الله ، وكلام القوم فيه ، إنما هو إيماء وتلويح ، وإشارة وتاميح ، وما ذلك الا لبعدها منالها ، وعظم أشكالها ، فهو القديم الحادث ، الواجب الممكن ، الموجود المعدوم ، الحامل المحمول ، ليس له ند ، ولا مثل ، ولا ضد ، وقوله والأرض وما طحاها ، هو كناية عن التعين بالنفس الكلية المنبعثة من العقل الأول ، كانبعاث حواء من آدم ، وهي المسماة بالروح

المحفوظ ، وهي الحاوية لتفصيل ما أجمل في العقل الأول من العلوم ، فالعقل يدفع ما يفيض عليه الى النفس ، والنفس تدفع الى ما تحتها ، بحسب تقدير العزيز الحكيم ، الى أن يصل الى العناصر ، الى المعدن ، الى النبات ، الى الحيوان ، الى الانسان ، فالنفس السكينة اذا أقبلت على الجسم يسمى اقبالها نفسا ، والعقل السكلي إذا أفاض على الجسم يسمى اقباله عقلا ، فالنفوس من فيض النفس السكينة ، والعقول من فيض العقل السكلي ، وللنفس وجه الى العقل الأول ، ووجه الى الطبيعة ، لأن الطبيعة لها ثلاث رتبة في الابداء ، ووجه الكناية عن هذه المرتبة والتعين بالأرض هو ان الأرض لها صفة الانفعال عن الأمور السماوية ، وكذلك النفس لها رتبة الانفعال عن العقل الأول ، والأرض محل لما يتكون فيها ، وكذلك النفس محل لما يتفصل فيها من علوم العقل المجردة فيه ، وقوله ، طحاها ، كناية عن تفصيل العلوم ومدها فيها ، وقوله ، ونفس وما سواها ، هو كناية عن مرتبة التعيين بالنفس الجزئية الانسانية وهي مخلوقة من نور واجب الوجود لذاته ، ولهذا وجد فيها من الكمال جميع ما للحق تعالى ، ووصفت بجميع صفاته ، ما عدا الوجوب بالذات ، وحوث من النقائص جميع ما كان في الوجود فجمعت صفات الحق والخلق حقيقة النفس الروح ، وحقيقة الروح الحق تعالى ، ولذا ورد في الأثر ، من عرف نفسه عرف ربه ، فاذا نظر العارف الى نفسه وجدها الروح الأعظم القايم بظهور الذات الالهية المحيطة بكل شيء ، ومن جملة الأشياء العرش وما حواه ، وإذا قال العارف الكبير أبو يزيد رضي الله عنه ، لو أن العرش وما حواه ألف ألف مرة في زاوية من زوايا قلب العارف ما أحس به ، فاذا نزلت الروح الى عالم الأجسام

الطبيعية وأخلدت اليها مسخت نفسا ، والنفس الغافلة بيت الشيطان ،
والنفس من حيث هي ، لا خبت فيها ، فهي طاهرة قدسية ، وإنما هي
منفذة للخبث بالعبد ، فتزل في كل هيكل على حسب ما يليق به ، وتدبره بما
هو مكتوب له وعليه من الأزل ، ان خيرا نخير ، وان شرا فشر ، ومنها
ما هو مطيع للروح ، ومنها عاص ، فالمطيع يسمى عالم الجبروت ، وهي التي
لا خبت فيها لأنها بهذه الاعتبار هي الروح التي هي أمر الله المنفوخ في
الاجسام الانسانية ، والممد للأجساد الحيوانية ، وهو وجه النفس الى
الملوكوت ووجهها الذي الى الملك هي العاصية التي نزلت الى أسفل سافلين ،
فقد دسست بدنس أوانيها ، كلماء الطاهر ينزل في الأواني النجسة فشرع
الله تعالى الشرايع وأرسل الرسل ، لتطهر النفس من خبائثها ، وتزكى من
رذائلها ، فتعود روحا كما كانت ، وأنه لا يتم لها هذا إلا باتباع الرسل قولاً
وفعلاً وحالاً ، ولا يصح لها هذا أيضاً إلا بمجذبة آلهية ، وخطفة ربانية ، أو
بالمسلوك على يد شيخ عارف ، والحاصل أن جملة الانسان روح وعقل ونفس ،
فالروح واحد يتعدد بتعدد الأعضاء ، فهو واحد كثير ولا يدبر الجسم
والعقل هو نور الروح ، وهو يدبر الجسم بأمر الروح والنفس ، هو نور
العقل وهي بمنزلة الخادم للعقل فان كمل كملت النفس وبالعكس ، وجملة
هذه الثلاث أمر واحد وهو أمر الله ، وقولنا في هذه المراتب تعين الحق
تعالى بكذا لا يفهم منه الحصر والتقييد ، وإنما الحق في كل تعين قابل للحكم
عليه بأنه متعين ، مع العلم بأنه غير محصور في التعين وإنه من حيث هو هو
غير متمين حال الحكم عليه بالتعين فهو مطلق في آن تقييده ، مقيد في آن
إطلاقه ، فهو تعالى على ما تقتضيه ذاته من الإطلاق والتعين والتجلي

والاستتار ، لا يتغير ولا يتحول ، ولا يلبس شيئا فيترك غيره ولا يخلع شيئا
فيأخذ سواه بل هو على ما هو عليه ، أزلا وأبدا ، وإنما هذه التعينات
والتغيرات والتحولات في الصور ، وفي النسب ، والاضافات ، والاعتبارات ،
إنما هو بحسب ما يتجلى به علينا ، ويظهر به لنا وهو في ذاته على ما هو عليه
من قبل تجليه وظهوره

(الموقف السابع والثمانون)

روى مسلم أنه صلى الله عليه وسلم قال ، إن الله لا ينظر الى أجسادكم
ولا الى صوركم ، وإنما ينظر الى قلوبكم ، فمن بعض ما دل عليه هذا الخبر من
المعاني أنه تعالى لا ينظر بمعنى لا يبالي ولا يتوجه بنظر خاص نظر عناية
فهو تعالى يرى ويبصر جميع الاشياء حال عدمها ، وحال إيجادها ، ولكنه
لا ينظر اليها بمعنى يتوجه اليها توجهها خاصا بنظر مخصوص ، ورؤية مخصوصة ،
بخير أو شر إلا إذا أراد ذلك وهو معنى الحديث الآخر إن شاء الله كذا
وكذا نظرة في اليوم الى القلب ، وقوله ، الى أجسادكم يعني إذا كان الجسد مثلا
في المسجد والقلب في السوق ، أو في الضيعة ، أو كان الجسد في أحد
الاماكن الشريفة ، مكة أو المدينة ، أو بيت المقدس ، والقلب في غيرها من
المشرق أو المغرب فلا ينظر الله تعالى الى الجسد بمعنى أنه لا يبالي به حتى
يتوجه اليه بالنظر الخاص والرؤية الخاصة ليفيض عليه من خيراته ، وأنواع
كرامته وتجلياته ، وقوله ، ولا الى صوركم ، يعني لا يبالي بها إذا كانت جميلة
كاملة ، أو كانت قبيحة ناقصة ، فانه تعالى ما تبحر على ذلك خيرا ولا شرا ،
ولا ثوابا ولا عقابا ، ولا كرامة ولا اهانة ، إذ الانسان ما حصل له الشرف
على جميع المخلوقات بحسن شكله وصورته ، فان الصورة في الحائط أو الورق

مثله ، ولا بكبر جسمه ، فان الفيل أكبر منه ، ولا بشجاعته ، فان الأسد أشجع منه . ولا بكثرة نكاحه فان أخس المصافير أكثر سفاداً منه ، فما كان له الشرف إلا بانسانيته وهي قلبه

عليك بالنفس فاستكمل فضائلها فأنت بالقلب لا بالجسم لإنسان

ولذا قال ، وإنما ينظر الى قلوبكم ، لأنها هي الإنسان الحقيقي وهي محل تجل الحق تعالى وهي التي وسعته بالعلم والمعرفة والظهور بالأسماء والصفات ، كما قال تعالى ، ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن ، ولا يسمعه تعالى إلاّ علمه ، فالقلب هو علم الحق تعالى ، فافهم وتفطن للرمز المرموز ، والسر المكنوز ، فمعني نظره تعالى للقلوب إنها هي التي يبالي بها ، ويتوجه بالنظر الخاص اليها ، للاسعاد والاكرام بالعلوم وأنواع الكرامة أو للاشقاء والابعاد والحجاب ، وأنواع الالهانة فلا يقبل الحق تعالى الأعمال الصالحة إلاّ تبعاً للقلوب ، ولا يعاقب على الأعمال السيئة إلاّ مع القلوب ، فان القربان لا تكون قربة إلاّ مع النية ، إنما الأعمال بالنيات ، وهي القصد بمعنى حضور القلب المستلزم لحضور الرب ، وكذلك السيئات لا تكون سيئة حقيقة في الدنيا والآخرة إلاّ مع القلب ، ولذا ورد في الصحيح ، رفع عن أمتي الخطأ والنسيان ، وما استكرهوا عليه ، يعني رفعت المؤاخذه عليه من جهة الحق تعالى لعدم معية القلب وان كانت تسميتها سيئة ، والمؤاخذه بها في الدنيا حاصلة ، وفي قوله تعالى ، قال استوني بأخ لكم من أبيكم الا ترون أنني أوفي الكيل وأنا خير المنزلين فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون ، إشارة الى هذا أي قال الملك الحق تعالى لأخوة يوسف الجوارح ، استوني بأخ لكم بنيامين القلب من أبيكم

الروح السكلي الجامع بينكم في النسب ألا ترون أنني أوفي السكيل لمن جاءني
بمطلوبي منه فأعطيه حقه وأفضل عليه بما لا قيمة له فأن لم تأتوني أيها
الجوارح به بنيامين القلب الذي هو مطلوبي ومحل نظري منكم فلا سكيل
لكم عندي ولا تصلون الى مطالبكم مني اذا لم أصل الى مطلوبي منكم فمعنى
لا سكيل ليكم عندي أي لا تستحقون ولا تستأهلون العلوم والأسرار حيث
ليس لكم استعداد للعلم وإنما المستعد المتأهل لها بالقوة القلب ، وكذلك الآية
قبلها وهي قوله تعالى ، الملك إئتوني به أستخلصه لنفسي فلما قال انك
اليوم لدينا مكين أمين ، قال ، اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم ،
وكذلك مكنا ليوسف في الأرض ، أي قال الملك الحق للجوارح الموكلين
بالسجن وهو الجسم الطبيعي إئتوني بيوسف القلب استخلصه اجعله خالصتي
ومحل سري وغيبتي ، وارفع عنه الحجاب ، وأكشف له النقاب ، وأخصه برؤيتي ،
وابسط يده في مملكتي ، فلما كلم الملك الحق يوسف القلب كلام تأنيس
وبشارة من غير حرف ولا صوت ولا إشارة ، قال له ، إنك اليوم حين رفع
الحجب وزوال البين ، واتحاد العين بالعين ، لدينا مكين ثابت المنزل متمكن
في مرتبتك الرفيعة ، أمين على أسرارنا ، فعيل بمعنى مفعول ، فلما سمع
يوسف القلب الخطاب ، وذاق لذته ، وطرب وطاب ، وشره وطمع ، مثل
الكليم ، لما سمع قال ، أجعلني متصرفا في أعطياتك ، وخليفة على خزائن
كنوز النفوس الأرضية ، أنصرف فيها بامرئ ، وعلى مقتضى إرادتك
وحكمتك ، إني حفيظ لها من الفساد ، أمنعها ممن يختلسها ويفتالها ، من
شیطان وهوى ودنيا ، عليم بأحوال العطية والمعطي ، فلا أعطي من لا

قال المؤلف رحمه الله ان هذا الوارد القدي انتهى قد ورد عليه وهو في لونه

يستحق فأظلم العطية ، ولا أمنع من يستحق فأظلمه ، ولا أعطيه فوق ما يستحق
فأظلم نفسي بتضييع الوزن والعدل ، فأجابه الملك الحق ورده من حضرة
الملكو تية الربانية ، الي حضرة الملك متصرفا في النفوس الانسانية على ما
سبقت به القسمة الأزلية وتعلق العلم القديم فقال ، وكذلك مكنا اليوسف
القلب الكامل في أرض النفوس

(الموقف الثامن والثمانون)

قال تعالى : قل أرأيتم ان أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله
تدعون ان كنتم صادقين بل إياه تدعون ، فيكشف ما تدعون اليه ان شاء ،
وتنسونه ما تشركون ، هذه الآية الكريمة نفى و برهان في الرد على المشركين
الذين جعلوا لله أندادا وشركاء في الألوهية والتماس النفع منهم عند عامة
المفسرين وعندنا وعند أهل طريقنا هي نعمي ورد علي من جعل لله تعالى
شريكا مطلقا في الألوهية وفي الوجود والصفات ، قل يا محمد لهؤلاء
المحجوبين الذين جعلوا المخلوقات وجودا مستقلا حادثا أو قديما ، وجعلوا
لها صفات مغايرة لصفات الله تعالى من قدرة وإرادة وغيرهما ، فأدّاهم ذلك إلى
أن قالوا إنه إذا نزل بنا ما لا يقدر على دفعه المخلوق فانا ندعو الله اليه
وإذا نزل بنا غير ذلك من مهماتنا ومصالحنا فانا ندعو غير الله اليه من مخلوقاته ،
أرأيتم أخبروني إن أتاكم نوع من أنواع عذاب الله الخارجة عن طوق
المخلوق كالزلازل والخسف والريح العاصفة ، أو أتتكم الساعة وهي القيامة
والحشر للحساب ، أغير الله تدعون ، أي أياكون لكم مدعو مغاير لله تعالى في
هاتين الحالتين ، وفي هذين الوقتين ، أم تدعون الله الذي تخيلتموه مبائنا للعالم
ومغايرا له وتنسونه ما تشركون ، أي تنسونه شرككم وهو جعلكم

المخلوقات وجودا مستقلا مغايرا للوجود الحق فلا شك أنهم يقولون ماهو معتقدهم من مغايرة وجود الحق لوجود الخلق، إذ الحق تعالى عندهم لا يظهر في مظاهر ولا يتعين بتعين، ان كنتم صادقين، ان بمعنى لو، أي لو كنتم صادقين لعلمتم وقاكم انكم لا تدعون إلا الله تعالى في جميع الأحوال والأوقات فان المخلاوقات من جن وإنس ومملك وغيرهم، مظاهره هو الظاهر لا غير، والصدق مطابقة الخبر للواقع والكذب ضده، فالصادق هو العارف الذي يقول المدعو السكل أمر وفي كل وقت وحال، هو الله تعالى والمخلوقات مظاهره من غير حلول ولا اتحاد ولا امتزاج، كما قال، يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله، ونحن افتقارنا إلى بعضنا، فافتقارنا ليس إلا إليه، وبعضنا مظاهره وتعييناته لا غير، والكاذب هو الجاهل الذي يقول المدعو في حال ووقت هو الله، والمدعو في حال ووقت غيره بل إياه تدعون ابطال لما تخيلوه، واضراب على ما توهموه، وحصر لدعائهم في كل وقت وحال في الله تعالى فيكشف ما تدعون إليه مما قل أو جل إن شاء فانه لا مكره له تعالى ولأن الغالب علي من كانت حالته الجهل بالله عدم إجابة دعائه لأنه تخيل الله تعالى بعيدا عنه في السماء أو فوق العرش لا غير فيكون الله تعالى بعيدا عن إجابة دعائه جزاء وفاقا لأنه عند ظن عبده به

(الموقف التاسع والثمانون)

قال تعالى، وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين، اعلم أنه ليس المراد من إرساله رحمة للعالمين هو إرساله من حيث ظهور جسمه الشريف الطبيعي فقط، وان قال به جمهور المفسرين وعامتهم فانه من هذه الحيثية غير عام الرحمة لجميع العالمين، فان العالم اسم لما سوى الحق تعالى، بل المراد إرساله من حيث حقيقة

التي هي حقيقة الحقائق ومن حيث روحه الذي هو روح الأرواح فإن حقيقة صلى الله عليه وسلم هي الرحمة التي وسعت كل شيء وعمت هذه الرحمة حتى أسماء الحق تعالى من حيث ظهور آثارها ومقتضياتها بوجود هذه الرحمة ، وهذه الرحمة هي أول شيء فتق ظلمة العدم ، وأول صادر عن الحق تعالى بلا واسطة وهي الوجود المفاض على أعيان المكونات ، وقد ورد في الخبر ، أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر ، ولهذا الحقيقة المحمدية أسماء كثيرة باعتبار كثرة وجوهها واعتباراتها ، وإذا ذكر طرفا منها ليكون نموذجا لما لم أذكره ، فإن كثيرا من الناس الذين يطالعون كتب القوم رضوان الله عليهم ، حين يرون هذه الأسماء الكثيرة يظنون أنها لمسميات متعددة ، وليس الأمر كذلك وإنما هي مثل السيف والصارم ، والقضيب والهندواني ، والأبيض والصقيل والمحدد ، ونحو ذلك لمسمى واحد منها التعيين الأول للحق تعالى ، ولذا قيل في حد الحقيقة المحمدية إنها الذات مع التعيين الأول ، ومنها القلم الأعلى ، ومنها أمر الله ، ومنها العقل الأول ، ومنها سدرة المنتهى ، ومنها الحد الفاصل ، ومنها مرتبة صورة الحق ، والإنسان الكامل بلا تعديد ، ومنها القلب ، ومنها أم الكتاب ، ومنها الكتاب المسطور ، ومنها روح القدس ، ومنها الروح الأعظم ، ومنها التجلي الثاني ، ومنها حقيقة الحقائق ، ومنها العما ، ومنها الروح الكلي ، ومنها الإنسان الكامل ، ومنها الإمام المبين ، ومنها العرش الذي استوى عليه الرحمن ، ومنها مرآة الحق ، ومنها المادة الأولى ، ومنها المعلم الأول ، ومنها نفس الرحمن ، بفتح الفاء ، ومنها الفيض الأول ، ومنها الدرة البيضاء ومنها مرآة الحضرتين ، ومنها البرزخ الجامع ، ومنها واسطة الفيض والمدد ، ومنها حضرة الجمع ، ومنها التوصل ومنها مجمع البحرين ،

ومنها ، رآة السكون ، ومنها مركز الدائرة ، ومنها الوجود السارى ، ومنها نور الأنوار ، ومنها الظل الأول ، ومنها الحياة السارية فى كل موجود ، ومنها حضرة الأسماء والصفات ، ومنها الحق المخلوق به كل شىء ، إلى غير ذلك ، مما يطول ذكره . فأما وجه تسميته بمرتبة الحق والإنسان الكامل بلا تعديد فلأن صورة الحق هي صورة علمه بذاته ، وصورة العلم صورة نسب علمه ، وصورة نسب علمه عبارة عن تعيينات وجوده التي هي أحواله من حيث تعددها ، وعينه من حيث توحيدها ، وأما وجه تسميته بالحد الفاصل فلأنه فاصل بين ما نعين من الحق وما لم يتعين وهو محلي لما تعين منه ، ولا بد من هذا الحد الفاصل ليبقى الاسم الظاهر وأحكامه على الدوام ، إذ لولاه لطلب التفصيل الرجوع إلى الغيب ، والاحمال إذ الأشياء تنح إلى أصولها وأما وجه تسميته بسدرة المنتهى ، فلأنه هو البرزخية الكبرى التي ينتهي إليها سير الكمل وأعمالهم وعلمهم وهي نهاية المراتب الاسمائية ، وأما وجه تسميته بالقلب ، فلمعان كثيرة منها أنه لباب العالم وزبدة الموجودات أعاليها وأدانيها ، وقلب الشىء خلاصته ومنها أنه سريع القلب ، كما قال كلح بالبصر ، ومنها أنه قلب دائرة الوجود ونقطتها ، ومنها أنه قلب المحدثات وعكسها ، بمعنى أن نور قديم آلهي ، بخلاف الممكنات وأما وجه تسميته بالعقل الأول فلأنه أول من عقل عن الحق تعالى أمره بقوله ، كن ، أوجده تعالى لافى مادة ولا مدة ، علما بذاته ، علمه ذاته لاصفة له ، فهو تفصيل علم الأجمال الآلهي وقد ورد فى خبر ، أول ما خلق الله العقل ، وأما وجه تسميته بأمر الله فلأنه الكلمة الآلهية الجامعة الشاملة ، والكلام صفة المتكلم ، وصفته تعالى عين ذاته ، وهو أمر واحد قال تعالى ، وما أمرنا إلا واحدة كلح بالبصر ، فأفرد وقال ألا إلى

الله تصير الأمور، فجمع فهو أمر واحد وأمور كثيرة وقال اليه يرجع الأمر كله فتأكده بكل يقضى بتعدد، لانه لا يؤكدها الا ذو أجزاء وما ذاك الا باعتبار المعدودات لا باعتبار ذاته، وأما كونه كالج بالبحر فلا، أي أمر الله لا صورة له وهو الظاهر بكل صورة حسية، أو عقلية، أو خيالية، أو مثالية، والصور لا بقاء لها أكثر من آن واحد لأنها أعراض والعرض لا يبقى زمانين، وهذا هو الخلق الجديد دائماً، الذي الناس في لبس منه، وأما وجه تسميته بالقلم الأعلى فمن حيث التسطير والتدوين، إذ هو كاتب الحضرة الآلهية، وقد ورد في خبر، أول ما خلق الله القلم، وأما وجه تسميته بالحق المخلوق به كل شيء فلا أنه ليس هو إلا ظهور الحق وتعيينه فهو حق والظهور والتعيين عدم، فهو خلق، ولما ظهر الحق تعالى به جعله شرطاً وسبباً لوجود كل موجود بعده الى غير نهاية، وفوض الحق اليه أمر المملوكة كلها فهو يتصرف فيها بإرادته تعالى، وأما وجه تسميته بحضرة الأسماء والصفات، فلا أنه تعالى لما اقتضى لذاته إيجاد العالم، اقتضى هذا الاقتضا المذكور انقسام الذات العلية، الى طالب ومطلوب، وحاضر ومحضور، ولا شيء إلا الذات وحدها، وكل أمرين متقابلين لا بد أن يكون بينهما أمر ثالث، ليميز كل منهما عن الآخر، فظهرت حضرة الأسماء والصفات من بين هاتين الحضرتين القديمتين، حضرة الطالب والمطلوب، والحاضر والمحضور، فوصف بها الطالب باعتبار المطلوب، والمطلوب باعتبار الطالب، فظهر المطلوب على صورة الطالب، باعتبار اتصافه بهذه الأوصاف مع تباين الطالب والمطلوب بالنظر الى ذات كل منهما وإن كانا ذاتاً واحدة في الحقيقة، حقيقة الاقتضا الذاتي هو طلب الذات حضورها عندها بطلب

هو عين ذاتها ، مثل اقتضائها لأوصافها وإلا كانت أوصافها حادثة ، لأنها مطلوبة لها وأوصافها قديمة أزلية ، وأما وجه تسميته بأمر الكتاب ، فلأن الوجود مندرج فيها اندراج الحروف في الدواة ، ولا تسمى الدواة باسم شيء في أسماء الحروف وكذلك أم الكتاب لا يطلق عليها اسم الوجود ولا العدم ، فلا يقال أنها حق ولا خالق ، ولا عين ولا غير ، لأنها غير محصورة حتى يحكم عليها بحكم ، ولكنها ماهية لا تنحصر بعبارة الآ ولها ضد تلك العبارة من كل وجه وهي محل الأشياء ومصدر الوجود ، فالكتاب هو الوجود المطلق وهذه الحقيقة ، كالذي تولد الكتاب منها فليس الكتاب إلا أحد وجهي هذه الحقيقة إذ الوجود أحد وجهيها ، والعدم هو الوجه الثاني ، فلهذا ما قبلت العبارة بشيء ، لأنه ما فيها وجه الآ وهي ضده ، وأما وجه تسميته بالكتاب المسطور فلأنه الوجود المطلق على تفاريعه وأقسامه ، واعتباراته الحقيقة والخلقية ، وهو مسطور أي موجود مشهود ، وأما وجه تسميته بروح القدس فلأنه الروح القدس عن النقائص الكونية فهو روح لا كالأرواح ، لأنه روح الله كما قال ، وتنفخت فيه من روحي ، وروح الله ذاته فالوجود كله قائم بروح الله الذي هو ذاته ، فروح الله قديم ما سواه تعالى محدث ، فالإنسان مثاله روح مخلوق به قامت صورته ولذلك الروح المخلوق روح آلهي قام به ذلك الروح ، وهو المعبّر عنه بروح القدس ، وأما وجه تسميته بالروح الأعظم ، فلأنه روح الأرواح ، إذ الأرواح الجزئية لكل صورة جسمية ، أو روحية ، أو عقلية ، أو خيالية ، أو مثالية ، إنما هي فائضة منه وتسميتها أرواحا جزئية مجاز إذ لا جزء ، ولا كل ، ولا بعض ، ولا معدود ، إلا بحسب الصور لا غير كما عدت الأماكن ، والأزمان ،

والأبواب، والطاقات، والخروق الشمس، وهي حقيقة واحدة، وأما وجه تسميته بالتجلي الثاني، فبالنسبة الى التجلي الأحدى الأول، إذ هذا التجلي الثاني به وفيه ظهرت أعيان الممكنات الثابتة التي هي شؤون الذات لذاته تعالى وهو التعيين الأول بصفة العالمية والقابلية، لأن الأعيان الثابتة معلوماته الأول الذاتية القابلة للتجلي الشهودي، وللحق به هذا التجلي تنزل من الحضرة الأحدى الى الحضرة الواحدة، بالنسب الأسماوية وأما وجه تسميته بحقيقة الحقائق فلأن كل حقيقة آلهية، أو كونية، إنما تحققت به، إذ هذه الحقيقة لا تتصف بالحقية، ولا بالخلقية، فهي ذات محض لا تضاف الى مرتبة فلا تقتضي اعدام الاضافة وصفا ولا أسماء ولذا قال أمامنا محي الدين، المعلومات ثلاثة، الحق تعالى، والعالم، ومعلوم ثالث، لا يوصف بالوجود، ولا بالعدم، ولا بالحق، ولا بالخلق، ولا بالحدوث، ولا بالقدم، ولا بالوجوب، ولا بالامكان، فاذا وصف به الحق فهو حق، وإذا وصف به القديم فهو قديم، وإذا وصف به الحادث فهو حادث، وهكذا وأما وجه تسميته بالما فلأن العما في اللغة السحاب الرقيق، ورد في الخبر، كان ربنا في عماء ما فوقه هواء، وما تحته هواء، يعني لاصقة حق، ولا صفة خلق، على أن ما نافية، ويصح أن تكون ما موصولة، أي الذي تحته هواء، وفوقه هواء، بمعنى أنه يصلح أن يكون حقا، وأن يكون خلقا، فالعما مقابل للأحدى ولا يصح أن يكون العما هو الأحدى لأن الأحدى حكم الذات في الذات بمقتضى التعالي وهو البطون الذاتي الأحدى والعما حكم الذات بمقتضى الاطلاق، فلا يفهم منه تعال ولا تدان فالأحدى صرافة الذات بحكم التجلي، والعما صرافة الذات بحكم الاستتار، فالعما هو الممكنات

والظاهر فيها هو الحق والاعما هو الحق وسمي الحق لأنه عين نفس الرحمن والنفس مبطلون في التنفس، بمعنى أنه باطن المتنفس فظاهر، فالاعما هو الاسم الظاهر وأما وجه تسميته بالنور فلأنه ورد، أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر، والنور نوران، نور الحق وهو الغيب المطلق القديم، ونور العالم المحدث وهو نور محمد صلى الله عليه وسلم الذي خلقه الله من نوره، وخلق كل شيء منه، فهو كل شيء من حيث الماهية، وكل شيء غيره من حيث الصورة، كما أنه هو نور الحق من حيث الماهية وغير نور الحق من حيث الصورة، وورد في بعض الأخبار، أنا من ربي والمؤمنون مني، وإنما خص المؤمنين للتشريف وإلا فكل الخلق منه مؤمنهم وكافرهم، ولهذا كان الكمال يشهدونه في كل شيء على الدوام حتى قال المرسي رضي الله عنه، لو احتجب عني رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفة عين ما عدت نفسي من المسلمين، فالمراد بعدم الاحتجاب دوام شهود سريان حقيقته في العالم كله لا شخصه الشريف، وإني أيام مجاورتي بالمدينة المشرفة كنت ليلة في صلاة الوتر قرب الحجرة الشريفة، فطراً على حال فسالت دموعي واشتعلت نار محبة رؤيته صلى الله عليه وسلم في قلبي، فتال لي في الحين ألسنت تراني في كل شيء، فحمدت الله ولا يفهم مما ذكرناه حلول ولا تجزية، ولا جزئية فان معنى ايقاد السراج من نور سراج آخر أن الأول أثر في الثاني فظهر الثاني على صورة الأول بل الثاني عين الأول ظهر في فتيلة ثانية من غير انتقال عن الأول، وهذا غاية ما قدر عليه أهل الوجدان في التفهيم فافهم السر واحذر الغلط، وإذا عرفت فاحمد الله، والآمن به على مراد أهله وذوقهم فانهم الفرقة الناجية وأما وجه تسميته بمرآة الحق فلأن الحق تعالى رأى نفسه فيها إذ

الحق شاء أن يرى ذاته في صورة كون جامع ، فظهر بذاته في الحقيقة
المحمدية، وقدّر الصور كلها فيها كما هي في علمه فقامت له نفسه في صورة المعايرة،
مقام المرأة من غير انفصال ولا تعداد، لأن الصورة في المرأة ليست إلا صورة
الناظر فيها، المتوجه عليها، وليست هي صورة الناظر بعينها، فلما نظر الحق
إليها ظهر كل ما في الصورة الإلهية في تلك المرأة التي هي نفس الحق في
الحقيقة، والحقيقة المحمدية في الخلق الأول، وحقايق العالم في حضرة التفصيل،
فنظر الحق فيها فرآى نفسه ظاهرا فيها بجميع معلوماته من غير حلول ولا
اتحاد فخطب معلوماته التي كساها حالة وجوده، بكن، فكانت لانفسها وفي
الحقيقة ماخطب إلا نفسه بنفسه، وأما وجه تسميته امرأة الكون فلا لأن
الأشكال وأحكامها وأوصافها لم تظهر إلا فيه، وهو مختلف بظهورها
كما تختفي المرأة بظهور الصور فيها وأما وجه تسميته بالظل الأول
فلا أنه هو الظاهر بتعينات الأعيان الممكنة وأحكامها، التي هي معدومات
ظهرت بما نسب إليها من الوجود فستر ظلمة عدمها، النور الظاهر
بصورها، وصار ظلا لظهور الظل بالنور وعدميته في نفسه قال تعالى : ألم
تر الى ربك كيف مد الظل ، أي بسط الوجود على الممكنات وأما وجه
تسميته بمجمع البحرين فلا أنه مجمع بحري الوجوب والإمكان ، أو باعتبار
اجتماع الأسماء الإلهية والحقائق الكونية فيه وأما وجه تسميته بالمادة الأولى
أي هيولي الشكل فلا أنه أول مخلوق تعين في الحضرة الغيبية وتفصل منه
جميع ما في العالم الكبير والصغير ، من جليل وحقيق، فهي هيولي العالم أي
المادة المتقدمة على الموجودات، التي هي موجودة في كل الموجودات ، ولا
تخلو عنها صورة في العالم كما تقول الفلاسفة في الهيولي وهي الجوهر الذي

تتركب منه الأجسام عندهم لأن الله خلق الأشياء ، منها ما خلقه من غير سبب متقدم عليه في اليجاد وليس إلا المادة الأولى التي ظهرت عن حضرة اللاتقين وجعلها سببا لجميع المخلوقات وأما وجه تسميته بظاهر الوجود فلأن الوجود منقسم بالاعتبار الى ظاهر وباطن ، فباطن الوجود هو الغيب المطلق الذي لا يسمى ولا يوصف ، وأما ظاهر الوجود فهو ظهور الوجود الحق باعيان الممكنات ، أعني أحكامها وصفاتها ، وهو الوجود الإضافي أي المضاف الى الممكنات ، وأما وجه تسميته بالعرش الذي استوى عليه الرحمن فلا أنه مظهر لجميع الأسماء من جلال وجمال ، فاستوى عليه كما يعلم لا كما نعلم نحن ، ولأن العرش محيط بالعالم في قول ، أو هو جملة العالم في قول ، والمخلوق الأول وهو الحقيقة الحمدية يشبه العرش في وجه الاحاطة وقد ورد في خبر ، أول ما خلق الله العرش ، وأما وجه تسميته بمركز الدائرة ، فالمراد بالدائرة الأسطوان كائنا كان مركزها القطب الذي تدور عليه كقطب الرحي الذي هو ماسك لها ، ولولا استقامته واستقامت على وزن واحد فلا أنهم نظروا الى كل خط يخرج من النقطة الى المحيط ، فالنقطة هي محط فخذ البيكار الأول ، والمحيط هو محط فخذ البيكار الثاني ، وله شعبتان لحمل المداد التي تكون عنه صورة الدائرة لكنه لا يدور إلا على الفخذ الأول الرأى على أمر واحد من غير استدارة ولا مداد فيه ، لكنه يمد ما فيه المداد بالاستقامة على حركته الدورية فلماذا يخرج كل خط مساويا لصاحبه الذي قبله والذي بعده ، لأن الدائرة كلها نقط وخطوط متصل بعضها ببعض ، فنقطة المركز تقابل كل نقطة من نقط الدائرة بكاملها ، وكل نقطة من نقط الدائرة هي عين نقطة المركز باعتبار انفرادها ومقابلتها بياها ، فهي محيطة بكل نقطة من هذا الوجه

وليست هي نقطة من نقط الدائرة باعتبار استدارتها واتصالها بما قبلها وبما بعدها ، فهي في هذا الوجه مغايرة لكل نقطة فاعتبر ذلك في الحق تعالى فالدائرة دائرة الأكوان واتصال بعضها ببعض ، والركز إشارة الى سكون الأمر وهو الحقيقة الحمديّة تحت القضاء والقدر ، وتنفيذ ما أراد الله بعباده ، وأما وجه تسميته بالوصل فلأنه يصل الأشياء الكثيرة بعضها ببعض حتى تتحد ، ولأنه الواصل بين البطون والظهور ، وأما وجه تسميته بواسطة الفيض والمدد فلأنه هو الرابط بين الحق والخلق بمناسبته للطرفين ، فله وجهان هو في أحدهما حق ، وفي الآخر خلق . وأما وجه تسميته بنفس الرحمن فلكونه شبيهها بالنفس الخارج في الجوف المختلف بصورة الحروف مع كونه هواء ساذجا في ذاته ونظرا الى الغاية التي هي ترويح الأسماء الداخلة تحت الاسم الرحمن عن كربها وهو كمون الأشياء وكونها بالقوة كترويح الإنسان بالنفس وكذا الحقايق السكونية لانعدام أعيانها واستهلاك الجميع ، أعني النسب والشؤون الآلهية والسكونية في الوحدة الذاتية ، وأما وجه تسميته بالفيض الأول ، فلأن الحق تعالى أبرزه من حضرة قبل كل شيء ، وأفاضه على عين كل شيء ، فظهر كل شيء ممتدا منه بسبب فيضانه عليه ، وحملهم على هذه التسمية أشهرأوا الأجسام بيوتامظلمة فاذا غشيها نور الحقيقة الحمديه أشرقت وأضاءت بالألوان النماضية من هذه الحضرة التي هي من حضرات الحق تعالى ، وأما وجه تسميته بالدرة البيضاء فلأنه محل تجلي الحقيقة الآلهية والتجلي في الشيء الصافي الذي ماخالطه شيء من الأدنى أقوى وأرقى ما يكون ، وقد ورد في خبر ، أول ما خلق الله درة بيضاء . الحديث بطوله وأما وجه تسميته بمرآة الحضرتين ، فلأنه محل ظهور حضرة الوجوب بظهور

الأسماء والصفات جميعها فيه ومحل ظهور حضرة الامكان بظهور الممكنات،
كلها صورها وأوصافها وأحكامها فيه، فهو مرآة لعين الذات وماتعين فيها
وبها، ونسبة ماتعين لما لم يتعين نسبة ما يتناهى الى ما لا يتناهى، وأما وجه
تسميته بالمعلم الأول فباعتبار أنه أول موجود ظهر في الغيب باعتبار نشأته
الباطنة، وهو الروح الكل وأول معلم ظهر في الارشاد باعتبار نشأته
الظاهرة، فعلم الملائكة الأسماء كلها وما علم الأسماء إلا من نفسه بأن كشف
الحق له عن ذاته فوجدها مجموع الأسماء، فالحقيقة المحمدية مجموعة صورة آدم
الظاهرة والباطنة

ولاني وإن كنت ابن آدم صورة فلي فيه معي شاهد بأبوتي
وأما وجه تسميته بالامام المبين، فلا أنه فصل الموجودات وبين أعيانها بظهوره
فيها، كما بين الخبر الحروف والكلمات، وأما وجه تسميته بالروح الكل،
فلا أنه مشتق من الريح وحكمة المناسبة أن الريح ليست له صورة يعرف بها
الأمن حيث مروره على الأشياء فيجركها، وكذلك الروح يهب في مطلع
الأحذية الى مرتبة الأسماء والصفات، فيحمل منها العلوم والأسرار وينزل
الى عالم العناصر والصور والأعيان المفصلة فيجركها على حسب قوايلها
واستعداداتها، وينفذ الروح فيها ذلك على حسب مراد الله تعالى إذ هو أمر
الله القائم على جميع الخلق كلمع البصر، والروح يتردد دائما بين شعائه أي
أثر نوره الصادر عنه كصدور الشماع الصادر من قرص الشمس، والمراد
بالشماع الصادر عن الروح العقل والنفس وسائر القوى الروحانية، وبين
ضياءه أي نوره الكلي الذي هو الأصل كقرص الشمس والمراد به هنا
وجود الحق المحيط بالروح الكل، فلذلك نقول الروح له وجهان، وجه الى

أصله وهو الحق، ووجهه الى فرعه وهو الخلق، فيأخذ الأمر من الحق، ويكتبه بقلم العقل في لوح النفس، فتقرأ الأعضاء أقوالاً وأعمالاً، وإنما قيل فيه كآتي لأنه قائم على جميع الصور ومحيط بها، فأهل الله ينظرون بعلمهم فيجدون العالم كله أرواحاً مقدسة، وأسراراً مستترة، وأما وجه تسميته ببرخ البرازخ فلا أنه لا يفاير حقيقة الواجب، ولا الممكن فهو جامع بين الطرفين إذ حقيقة البرزخ أنه الحاجز بين الشئيين، لا يكون عين واحد منهما ولا غيرهما، ولا يكون إلا معقولا فإذا كان محسوسا فليس ببرزخ وهو الخيال، وهو الوهم، وهو الذي تصير اليه الأرواح بعد الموت، فالكام ثلاث، كلمة جامعة لحروف العقل والتأثير التي هي حقائق الوجوب، وكلمة جامعة لحروف الانفعال والتأثر، وهي حقيقة العالم، وكلمة جامعة بينهما، فاعلة منفعة، متأثرة مؤثرة، وهي هذه الحقيقة السكينة، وأما وجه تسميته بالوجود الساري فلا أنه لولا سريان الوجود الحق في الموجودات بالصورة التي هي منه، وهي الحقيقة الحمدية ما كان للعالم ظهور، ولا صح وجود لموجود، لبعد المناسبة وعدم الارتباط، فما صح نسبة الوجود للموجودات إلا بواسطة هذه الحقيقة : وأما وجه تسميته بالإنسان السكامل فلا أن كل إنسان كامل من حيث صورته الظاهرة والباطنة، مظهر له وللوازمه وأما وجه تسميته بالخزانة الجامعة فلا أنه كناية عن علم الله تعالى بأسمائه وبحقائق العالم، فكل ما خرج من الغيب فحله هذه الخزانة الجامعة، وأما وجه تسميته بالصورة الرحمانية فلا أنها الصورة الظاهرة لذاتها، الحاصلة في الاجتماع الأول الاسمائي فهي صورة الرحمن، لأن مدلوله من له الرحمة العامة ولا شيء كذلك إلا هذه الصورة، فالرحمن إسم لهذه الصورة الوجودية من حيث ظهوره لنفسه، كما أن الله

تعالى من حيث أنه مشتق ، لا من حيث أنه مرتجل ، إسم لرتبة الألوهية الجامعة للحقائق ، ويكفي هذا القدر من ذكر أسماء هذه الحقيقة الحميدة لمن فهم فأنها بحر لا ساحل له ، ولهذا ورد في الخبر عنه صلى الله عليه وسلم ، لا يعلم حقيقي غير ربي ، وقال العارف الكبير ، أعجز الخلاق ، فلم يدركه منا سابق ، ولا لاحق ، يعني العلم بحقيقته

(الموقف التسعون)

قال تعالى ، وإن الله قد أحاط بكل شيء علما ، اعلم أنه ما كان جهل إلا بسبب التمايز ، ولا كان علم إلا بسبب الاتحاد ، فكما كثر ما به التمايز عظم الجهل ، وكما كثر ما به الاتحاد عظم العلم ، وإذا انتفى التمايز رأسا انتفى الجهل رأسا ، وليس هذا إلا للحق تعالى فانه ما علم الأشياء علما كاملا بحيث لا تتصور فيه شائبة جهل ، إلا من علمها من ذاته بذاته لا بصفته ولا من غيره وليس ذلك إلا هو تعالى فانه لما علم ذاته علم الأشياء من علمه بذاته ، وعلم عين ذاته أعني باطن العلم لا ظاهر العلم ، والحق تعالى من حيث الذات الغيب المطلق ، ليس داخلا في الأشياء فلا تطلق عليه الشيئية في مرتبة إطلاقه ، حتى يحيط به علم غيره أو علمه أني ظاهر العلم فان حقيقة الشيء هو ما يضح أن يعلم ويخبر عنه ، والحق تعالى من حيث الذات والكنه والإطلاق لا يصح أن يعلم ولا أن يخبر عنه ، فان الذات لا تعلم لأطلاقها ولو علم المطلق لا نقلبت حقيقة ، وقلب الحقائق محال ، فالمطلق إذا علم ليس ذلك العلم علما بحقيقته وإنما هو علم بوجوهه واعتباراته لا غير ، فالحق تعالى يعلم ذاته ولا يحيط بها ، أعني بالذات الغيب المطلق ، وأعني بالعلم ظاهر العلم ، فانه أتى بالاسم الله الذي هو إسم لمرتبة الألوهية ، أعني الله المشتق لا المرتجل ، ولا نقص

في هذا بل عين السكّال والتنزيه ، وأما مرتبة التقييد التي تعلم ولا تشهد
خلاف الذات فهي مرتبة الألوهية ، فانه يعلم ذاته المقيدة بصفات الألوهية
ويحيط بها علما ، بمعنى أنه يعلم وجود ذاته المطلقة واعتباراتها لاحقيقتها ،
وهو في هذه المرتبة داخل في الأشياء التي أحاط بها علمه ، وهي المسماة
بظاهر الوجود وبالأسماء الكثيرة ، وكل مادخل الوجود فهو متناه تصح
الاحاطة به ، وفي هذه المرتبة دخل في الأشياء واليه الإشارة بقوله تعالى ،
قل أي شيء أكبر شهادة قل الله ، فمن عرف هذا الموقف حق المعرفة ،
زالت عنه إشكالات كثيرة في عدة مسائل أكثر الناس الخوض فيها ، وكذا
موقف ، إلا أنه بكل شيء محيط السابق فالعلم حقيقة واحدة لا تتجزأ
ولا تتعدد وكل معلوم له حقيقة واحدة ، فما يعلم من كل معلوم إلا الوجود
والاعتبارات ، فتعدد العلم ونسبة الكثرة اليه إنما هو بحسبها لا غير ، فاذا
تعلق علم زيد مثلا بعشرين وجها لحقيقة من الحقائق ، وتعلق علم عمرو بعشرة
بقال علم زيد أكثر من علم عمرو ، والحدود الموضوعات للأشياء إنما هي وجود
لهذه واعتبارات ولوازم ، فلا تعلم الحقائق بالحدود فافهم ترشد والسلام
(الموقف الواحد والتسعون)

قال تعالى ، وما أمرنا إلا واحدة ، أمر الله تعالى هو كلمته الكلية
وهو الصورة الرحمانية التي استوى بها على العرش ، فهي في العرش واحدة
كما قال ، وما أمرنا إلا واحدة ، يعني كلمة واحدة جامعة لجميع الحروف
والكلمات ، لأنها السارية في كل حرف وكلمة ، ثم لما تنزلات هذه الكلمة
الي الكرسي صارت كلمتين بمعنى ذات صفتين متقابلتين مزدوجتين ،
وهما المكنى عنها بالقدمين أعني الصفتين المتقابلتين حق وخلق ، خير وحكم ،

وظهرت الزوجية بعد أن كانت السكامة واحدة في العرش ، إذ الكرسي زوج للعرش ، ومن الكرسي ظهر التعدد والمقابلة في كل الأشياء حتى في الأسماء الإلهية ، قابض وباسط ، ومعطي ومانع ، ومحي ومميت ، والمسمى واحد ، كما كان حسن وقبيح ، وطاعة ومعصية ، وخير وشر ، وصحة وفساد ، وحق وباطل ، وقيل ^(١) الكرسي ليس إلا شيء واحد كله حق ، وحسن وخير ، فأصل القدمين عبارة عن الأسماء المتضادة المخصوصة بالذات وأسماء الذات المتضادات لها آثار في المخلوقات ، فقد يراد بالقدمين هما معا الصفات الذاتية المتضادة وآثارها وقد نخص المتضادات ، من أسماء الأفعال لأن الصفات الذاتية فوق أسماء الأفعال وقد ورد في خبر ، رده علماء الظاهر ورسموه بالوضع ، حيث أنهم ما وجدوا له تأويلا حتى تقبله عقولهم وقبله السادة العارفون بالله وهو ، رأيت ربي في صورة شاب أمرد له وفرة ، وعلى وجهه فراش من ذهب ، وفي رجليه نعلان من ذهب ، الحديث

(الموقف الثاني والتسعون)

قال تعالى ، واذكر ربك إذا نسيت ، الذكر المأمورية ههنا هو ذكر القلب لا ذكر اللسان فإنه جعله ضدًا للنسيان ، والنسيان محله القلب فقط لأن شرط الضدين اتحاد محلها واذكر اللسان ضده الصمت عن الذكر واذكر القلب المأمور به هو استحضار صورة العلم بالله الذي حصل له ، كلما غفل جدد ذكرها في قلبه ولا تضره غفلته فإن العلم له الثبوت بخلاف الإيمان فإنه قد يزول فاذا زال الإيمان الذي هو سبب السعادة خلف السعادة ضدها وهي الشقاوة ، وأما العلم فإنه لا يزول ولا تؤثر فيه الغفلات فإنه لا يلزم العالم الحضور

مع علمه في كل نفس لأنه وال مشغول بتدبير ماولاه الله عليه فيغفل عن كونه عالماً بالله تعالى، ولا يخرججه ذلك عن نعمته بأنه عالم بالله تعالى مع وجود الضد في المحل من غفلة أو نوم، فانه لاجهل بعد علم وأعني بالعلم علم القوم رضوان الله عليهم، الحاصل من التجليات الربانية، والالهامات الروحانية، وأما العلم الحاصل عن النظر العقلي بالأدلة الفكرية، فمثل هذا لا يسمى عند القوم علماً لتطرف الشبه على صاحبه فينقلب الدليل عنده شبهة، وقد تكون الشبهة عنده دليلاً، وإن وافق العلم فالعلم الحقيقي باسم العلم ما لا يقبل صاحبه الشبه ولا يطرأ عليه تغيير، وليس ذلك إلا علم الأذواق الحاصل بالتجليات، وليست الغفلات خاصة بالأصاغر، بل تكون حتى للأكابر، فهي عامة في بني آدم حتى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، والسكن العارفين بالله متفاوتون في زمان الغفلات بحسب مقاماتهم، وانظر قوله صلى الله عليه وسلم أنه ليفان على قلبي الحديث فانه صلى الله عليه وسلم، كان مكلفاً بأعباء الرسالة وخطاب الناس على قدر عقولهم ومراتبهم، وتبليغ الشرائع اليهم، وهذا وإن كان من أعظم القربات، وأجل العبادات، فليس هو كخلوته بربه وانقطاعه اليه، ولهذا قيل للولاية أفضل من الرسالة، يريدون ولاية الرسول أفضل من رسالته، لا الولاية مطلقاً لأن ولايته هي وجهه الى الله تعالى ولها يقول صلى الله عليه وسلم، لي وقت مع الله لا يسعني فيه نبي مرسل ولا ملك مقرب، وأما رسالته فهي وجهه الى الخلق ولها يقول صلى الله عليه وسلم أنه ليفان على قلبي فالمشاهدة ثابتة له صلى الله عليه وسلم في جميع أحواله كما قالت عائشة رضي الله عنها في وصفه صلى الله عليه وسلم أنه كان يذكر الله في جميع أحيانه والسكن المشاهدة تختلف أنواعها، والقلب وإن كان أمره عظيماً وخطره جسيماً وكان لا أوسع

منه ، فكذلك هو لا أضيق منه ، إما وسعه فانه وسع الحق تعالى كما قال تعالى ،
ما وسعني أَرْضِي ولا سَمَاءِي ووسعني قلب عبيدِي المؤمن ، وأما ضيقه فانه لا يقدر
على الجمع بين شيئين في الآن الواحد ، وقل عسى أن يهْدِيَنِي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ
هَذَا رَشْدًا ، عسى من الله واجبة ، والمراد أنه تعالى يرفعه الى مقام أعلى مما
كان فيه في الوقت أو ينقله من تدبير هذه النشئة الطبيعية العنصرية الى قضاء
الحضور مع الله على الدوام أو الى نشأة تجماع الحضور مع الله دائماً كنشأة
اللائكة عليهم الصلاة والسلام

(الموقف الثالث والتسعون)

قال تعالى ، إنا كل شيء خالقناه بقدر ، اعلم أن الشيئية شيئتان شيئية
ثبوت ، وشيئية وجود ، فشيئية الوجود حادثة وهي المراد المغنية في قوله
تعالى ، وقد خالقتك من قبل ولم تك شيئاً ، أي موجوداً ، وشيئية الثبوت هي
عبارة عن استعداد الممكن وقبوله للظهور بالوجود الحق وظهور الوجود
الحق به ، فانه لولا قبوله ما حصل ما حصل - الا ترى المحال لما لم يكن له استعداد
ولا قبول المظهرية ولا للظهور ما كان له وجود وهذا الاستعداد والقبول
للممكن قديم غير مجعول فما تعلق به أثر للقدرة القديمة كما أن العدم السابق
على الوجود ليس من أثر القدرة القديمة فشيئية الثبوت قديمة وهي المرادة
والمخاطبة ، بقوله إنما قلنا شيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون ، كان المأمور
ثابتاً معدوماً فسمع الخطاب فامتثل الأمر بالكون فكان ، فما اثبت الحق تعالى
لنفسه إلا الأمر بالسكون وأما السكون فن الشيء المأمور لنفسه إذ أمر المعدوم
الصرف الذي لا ثبوت له ولا استعداد للكون ، وخطابه بالسكون محال لا سيما
من الحكيم العليم فتعلق الأمر والحدوث والخلق والتكوين إنما هو الصورة

وهي الهيئة الاجتماعية الحاصلة من اجتماع الأسماء فمعني كن أقبل اتصافك بوجودي وظهوري بك فتكون مظهر الي لأنك تكون موجودا ، فالأمر والمأمور والأمر واحد عند التحقق والتغاير بينهما اعتباري ليس بشيء زائد على الهيئة الاجتماعية للأسماء الآلهية التي تلك العين الثابتة صورتها العلمية، فالتكوين عين المكون اسم مفعول ، وعين المكون اسم فاعل ، فالحق تعالى اذ توجه توجهها خاصا لعين من الأعيان الثابتة التي قلنا أنها صور الأسماء الآلهية للإيجاد بمعنى المظهرية للوجود ، الحق ، وتوجهه تعالى عينه وعين ما توجه اليه ، انصبغ الوجود الحق بأحوال تلك العين الثابتة وبما لها من الاستعداد للمصفات التي تعرض لها حالا بعد حال الي الأبد فيظهر الوجود الحق منصبا بصفات والعين نفسها باقية في العدم والثبوت ، وتنصب تلك العين بالوجود الحق صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة فيحصل لها الشعور بنفسها ، وعند ما حصل لها الشعور بنفسها نظرت في مرآة الوجود الحق ، الذي هو نور السموات والأرض ، ونور كل شيء فنظرت نفسها في النور فظنت أن الذي رآته في مرآة الوجود من صورتها شيء آخر ، وإنما حصلت على وجود خارجي غير الوجود العلمي ، وليس الأمر كذلك وإنما الذي رآته وظنته وجودا خارجيا هو الوجود الحق الظاهر بأحكامها واستعداداتها ، وأما هي فما شمت رائحة الوجود أزلا وأبدا ، كان الله ولا شيء معه ، أي الله موجود ولا شيء معه في الوجود أزلا وأبدا ، اذ حد الأعيان الثابتة إذا حدها من حدها هي حقائق الممكنات في العلم الآلهي ، ويسمى المتكلمون الماهيات ، كما يسميها أهل الله أيضا الاستعدادات والحقائق العلمية ، فلو كان لها وجود خارج العلم لانقلب حقيقة وقلب الحقائق محال ، حقيقة كل شيء أي شيء كان ، هي نسبة معلوميته

في علم الحق تعالى من حيث أن علمه عين ذاته ، فافهم الأمر على أصله ،
وأكتبه إلا من أهله ، المستعدين لقبوله ، المتهيئين لتحصيله ، وإن خالفت
ندمت ، إذ ما كل ما يعلم يقال وأنهم يكذبونك ، ولا يمكنك إقامة دليل على
صدق دعواك ، فإن الأمور الوجدانية لا يمكن حدها ، ولا إقامة دليل
عليها ، حتى في الأمور العادية العامة في الخلق ، كالفرح والغم ، والخوف
والخشوع ، ونحوها فلا يمكن توصيلها إلى الغير أبدا ، ولا سبيل لها إلا
الذوق ، وإذا أخذها المؤمن بحسن ظنه بالخبر ، يحصل له فرقان بينه وبين
الجاهل بها ، واسكن لامثل ذوقها

(الموقف الرابع والتسعون)

قال تعالى ، وإنا لموقفهم نصيبهم غير منقوص ، نصيب كل مخلوق وهو
مقتضى حقيقته واستعداده الذي لا يزداد عليه ولا ينقص منه ، وهو معنى أعطى
كل شيء خلقه ثم هدى ، ولكل مخلوق استعداد هو نصيبه من الحق تعالى
ولا يشبه استعداد آخر من كل وجه أبدا ، وسبب هذا الاختلاف هو الوجه
الخاص الذي لكل مخلوق من الحق تعالى ، فإن لكل مخلوق حتى الذرة
إسما خاصا لا يشاركه فيه غيره من سائر المخلوقات ، وهو في الحقيقة حقيقة ذلك
المخلوق ، إذ ما تميز عن سائر المخلوقات ، الآية ، والله واسع عليم ، فلا تكرار في
الوجود أبدا فالاستعداد هو الطالب المحجب ، والداعي الذي لا يرد دعاؤه وهو
المراد بقوله ، أجب دعوة الداع إذا دعان ، إن كان المراد الإجابة بالمطلوب قال
في الداعي للعهد ، وهو الداعي الذي يقبل دعاؤه ولا بد وليس ذلك إلا الاستعداد
فالا استعداد محجب وافقه اللسان أو خالفه ، أولا وافقه ولا خالفه ، وهو معنى
ما ورد في الصحيح ، كل ميسر لما خلق له ، فوجه القصار مثلا استعداد السواد

عند مقابلة الشمس وهو نصيبه من الحق تعالى ، فلا بد أن يسوده سأل بلسانه
أو لم يسأل ولو سأل البياض ما أجيب على سبيل الفرض ، وإلا فهو لا يسأل
البياض فلا يسأل إلا السواد لأنه حقيقته ومقتضى ذاته ، ولا يمكن للشئ أن
يقول يارب اجعلني غير أنا فإنه محال والشقة بيد القصار ، كذلك نصيبها من
الحق تعالى البياض ، وهو استعدادها وحقيقتها كما قلنا في القصار سواء ،
أما إجابة الحق تعالى لكل داع إذا قال يارب بقوله ليبيك ، أو تعويضه أمرا
آخر مما دعا به كما ورد في الاخبار فما هو مقصود الداعي وكلامنا في مطلوب
الداعي بعينه فهو الذي قلنا لا يحصل الا بالاستعداد ، فدعاء اللسان مجردا
عن الاستعداد لا أثر له في الإجابة بالمطلوب البتة ، كيف يكون الدعاء
اللاحق ، سببا في القضاء السابق ، والسبب لا بد أن يكون موجودا قبل
المسبب عنه ضرورة ، فما أمر الحق تعالى عباده بالدعاء وجعله الشارع صلى الله
عليه وسلم ، مخ العباد إلا تعبدوا واطهارا للفاقة والحاجة التي هي صفة ذاتية
لكل ممكن ، فربما غفل الممكن عن صفة ذاته لعوارض تعرض له فيكون الدعاء
مذكرا له بأصله ، قال في الحكم العطائية ، الدعاء كله معلول مدخول ، الا
ما كان بنية التعبد والتقرب ، فهو مقبول ، ونحن نقول الحق تعالى ، علم
الأشياء أزلا على ما تكون عليه أبدا بشرط ، أو سبب ، أو أسباب ، أو
شروط ، أو بغير ذلك وهذا لا يقدر فيما قلنا ، إذ السببية الحقيقية إنما هي
منه تعالى ويرجع ذلك الى الاستعداد الذي عليه الأعيان الثابتة كما ورد ،
من القضاء رد القضاء بالدعاء ، وهذه من مقامات الخيرة أمرنا بالدعاء فإن
دعونا يقول لنا لم تدعون ، جفت الاقلام وطويت الصحف ، تدعون أو
لا تدعون لا يكون الا ما سبق ، وإن لم ندع توعدنا وتهددنا ، قل ما يعبا

بكم ربي لولا دعاؤكم ، وقال إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم
وآخرين ، قيل المراد بالعبادة هنا الدعاء ورضي الله تعالى عن الشيخ الأَكْبَر
إذ يقول ، يشير الى ما قلناه من الحيرة

إذا قلت يا الله قال لما تدعو وإن أنا لم أدعو يقول ألا تدعو
لقد فاز بالذات من كان أخرسا وخصص بالراحات من لا له سمع
وهذه الحالة من سر القدر الذي لا يطلع عليه الا النادر الفرد ، وأما
القدر نفسه فما علمت هل يطلع عليه أحد أولا ، وقد سألت الله تعالى أن
يجمعني بواحد من أكابر العارفين حتى أسأله عن مسائل فالقى علي في الحال ،
أليس العارف مظهرا وواسطة من جملة الوسائط التي أوصل بها العلم الى من
شدت ، فقلت بلى ، فقال ، الواسطة ما هي محصورة في العارف ، أسألني العلم
أعلمك كيف شدت وبمن شدت ، وإذا ما علمتك فاعرف أنه ليس من نصيبك
ولا لك استعداد لقبوله ، ولو أعطيتك على الفرض ما قبلته ولرددته ،
فانه لا أمتنع عن بخل ، ولكن علما وحكمة ، فلست أنا المانع بل أنت لعدم
قبولك واستعدادك

(الموقف الخامس والتسعون)

قال تعالى ، إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر
فلا جناح عليه أن يطوف بهما ، المعنى بطريق الإشارة والمفهوم بحاله لنعموم ،
الصفا ، بمعنى تصفية النفس حتى يزول شرها وجماحها الى الصفات الذميمة ،
والأخلاق اللثيمة ، وهو المسمى بالمجاهدة والريضة ، فالمجاهدة بالأفعال
الظاهرة ، والريضة بالأُمور الباطنة ، أي ارتياض النفس وتركها للصفات
البيمية المرذولة شرعا وطبعاً ، وهي التي سماها صاحب أحياء علوم الدين ،

بالمهلكات ، كالحسد ، والغضب ، والرياء ، والسمعة ، والكبر ، والبخل ، ونحوها وليس المراد اعدام هذه الصفات ونحوها بالكلية بحيث لا يبقى لها أثر فانه محال ، إذ حقيقة الانسان معجونة به هذه الصفات ، وقلب الحقائق محال ، ومن اعتقد نحوها رأساً من أهل الرياضات والمجاهدات فقد غلط ، وكنا نقول بهذا تقليداً لمن قال به ، ولما أطلعنا على حقيقة الأمر رجعنا إذ لو انعدم الحسد مثلاً ما كان تنافس في الفضائل ومحاسن الخلال ، ولو انعدم الغضب ما كان جهاد ولا تغيير منكر ، ولو انعدم بذل المال ما كان الذي يقول بما له هكذا وهكذا في عباد الله ، وكالكذب في الحرب ونحو هذا ، وإنما المراد تذليل النفس وقمعها على الاسترسال وقهرها ، حتى تكون تحت حكم الشرع وإشارة العقل ، فان الخصال المذمومة لها مصارف عينها الشارع لتصرف فيها ، ومواطن عينها لها فما تبقى معطلة فما هي مذمومة مطلقاً ، وإنما هي مذمومة في موطن وحال ، محمود في موطن وحال ، ولما كانت الصفات تبدل مصارفها لا هي ، قال سيدنا في الفتوحات ، باب التوبة ، باب ترك التوبة ، الرجا ترك الرجا ، الخوف ترك الخوف ، ونحو ذلك فحمدها وذمها تابع للشرع والعقل واليه الإشارة بقوله تعالى ، ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين ، فالهوى ميل النفس الى ما يلائمها وما كل ما يلائمها مذموم بل منه مذموم ومحمود ، فالمدموم منه هو الذي يكون بغير هدى من الله ، أى بغير هداية وتعيين من الشارع ، والمحمود هو الذى يكون بهداية الشارع ودلائله وإشارته وهى المصارف التى عينها الشارع ، فالحسد مثلاً مذموم ، وقدعين الشارع مصرفه فقال ، لا حسداً إلا فى اثنتين ، رجل أعطاه الله ما لا يسلمه

على هليكتته في الحق ، ورجل أتاه الله حكمة فهو يعمل بها ويعلمها الناس وكذا الحرص مذموم ، وعين الشارع مصرفة وهو الحرص على أفعال الخير أثلا تفوته ، قال عليه الصلاة والسلام ، للذي خاف فوات الجماعة فأسرع ، زادك الله حرصا ولا تعد ، وكذا الغلظة والفظاظة فإنها مذمومة ، وعين الشارع لها مصرفا ، فقال تعالى ، وجاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ، وكالغضب فإنه مذموم ، وعين الشارع مصرفة في الجهاد وتغيير المنكر ، كان صلى الله عليه وسلم لا يغضب لنفسه ، فإذا انتهك من محارم الله شيء لم يقم لغضبه شيء ، وكالريا فإنه مذموم ، وقد عين الشارع مصرفة وهو مراة الله بأن يعمل ليراه الله فإنه مشتق من الرؤية ، فمثل الريا السمعة وقس على هذا ، وكذا الخصال الحمودة هي مذمومة في بعض المواطن والأحوال كالصدق في القول ، مثلاً فإنه مذموم في بعض المواطن قال تعالى ، ليسأل الصادقين عن صدقهم ، شبه الغيبة والنيمة ومدح الانسان نفسه بقصد الترفع والنصيحة في الألفانها مذمومة وكذا من يجبه الناس في وجوههم بما يكرهون فإنه مذموم ، ولو كان حقا ، وقس على هذا ، والشارع هو الميزان من مسكه في يده لا يظلم ولا يظلم ، ووقوف النفس عند ما حده الشرع والعقل عسير جدا ، إنما يحصل بتذليل النفس وحملها على مكروها حتى تطمئن وتنقاد وتستسلم من غير منازعة ، وقوله والمروة بينها وبين المروءة مناسبة في الاشتقاق إذ المروءة الحجارة البيضاء والمروءة بياض العرض والاتصاف بالحماد ، يقال أبيض العرض إذا كان ذا مروءة ، والمراد تحلية النفس وتزيينها وتبييضها بمكارم الأخلاق ومحاسن الخلال ، وجماعا أحسن الخلق ، قال صلى الله عليه وسلم إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق ، وهي التي سماها صاحب

أحياء علوم الدين بالمنجيات وهي أضداد المهلكات قوله من شعائر الله ، أي من دين الله المعروف عند الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأتباعهم فمن حج البيت قصد معرفة الله تعالى والقرب منه برفع الحجب عن عين بصيرته ، أو اعتمر قصد الأجور والدرجات الجنائية والدخول في زمرة الصالحين أهل السجادة والمحراب ، فانه قال تعالى ، وذلك جزاء من تزكى ، بعد قوله فأولئك لهم الدرجات العلى ، والقصد الى معرفة الله تعالى بالكشف والعيان فرض عين كالقصد الى الحج ، والقصد الى الجنة ، والدرجات كالقصد الى سنة العمرة ، فهي دونه بل من قدم الاحرام بالعمرة قبل الحج في أشهر الحج ، ازمه هدى عقوبة له حيث آخر ما هو الأهم الأكسد ، وكذا إذا قرن بين الحج والعمرة لزمه هدى عقوبة له لأن الافراد أفضل عند بعض الأئمة وهو إشارة الى افراد القصد الى معرفة الله تعالى دون تشريك ، وأما المحرم بالعمرة في غير أشهر الحج فلا هدى عليه وفيه إشارة الى أن من كان عاجزا عن طلب الوصول الى مقامات العارفين بالله تعالى وعلومهم لعدم استعداده فهو معذور في قصد الأجور والدرجات كالذى قدم العمرة في غير أشهر الحج لعجزه عن مشاق الاحرام مع طول المدة فلا جناح عليه أن يطوف بهما ، أي يجب عليه أن يطوف ويسعى بين هذين المشعرين اللذين هما أعظم أركان الطريق والسلوك الى الله تعالى ، بالتخلية والتحلية ، فهما أساس الخير للعارف والعايد ، وليس المراد كما هو الظاهر أنه لا حرج عليه في السعي بينهما بل المراد أنه يجب عليه هذا الفعل ولو كان المراد رفع الحرج عن فاعل هذا الفعل ، فلا جناح عليه أن لا يفعل ، وإنما قال ، فلا جناح عليه أن يفعل ، وهذه الآية الكريمة ، ألقيت علي مع ما ذكرته فيها بالحرم المبكي أيام

المجاهدة والحال غالب على صاحبه وكل إناء يرشح بما فيه
(الموقف السادس والتسعون)

قال تعالى ، قل إن الهدي هدي الله ، أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم ، بالنصح لأئمة ، وأن يخبر المسترشدين الطالبين الهداية الى معرفته تعالى والوصول اليها والحصول عليها ، بأن الهداية لا يشوبها شيء من الزيغ والزلل والضلال والخيرة ، هي هداية الله تعالى ، لا هداية غيره . إذ هذا التركيب في الآية مؤذن بالحصر والهدى والدلالة الى معرفته تعالى ، إما دلالة حق ، وإما دلالة خلق ، لا ثالث لهما ، فأما هداية الحق فهي الهداية الموصلة للمطلوب من غير ضلال ولا انحراف ، وليست هداية الله تعالى إلا فيما جاءت به الرسل عليهم السلام من التوحيد والأوامر والنواهي ، وقبول ذلك منهم سواء قبله العقل أو لم يقبله ، فإذا عمل المؤمن على ذلك حينئذ يعلم الله تعالى من عنده علما ويهديه الى معرفة ما كان قبله تقليدا ، قال تعالى واتقوا الله ويعلمكم الله ، وقال في الخضر عليه السلام ، آتيناه رحمة من عندنا وعلّمناه من لدنا علما ، وذلك بالتجليات الذوقية ، والافاضة الربانية ، فيعرفه بما أنكرته العقول مما أخبرته به الرسل عليهم الصلاة والسلام ، عن ربها ووصفته به ، ولا أصدق من الحق ولا أدل منه على نفسه ، وأما هداية الخلق ، فهي هداية العقول ، وهي إما أن يكون فيها زيغ أو ضلال وخيرة ، وأما أن يكون فيها خروج عن المقصود جملة واحدة ، فهي أمامهلكة وأما نافضة ، إذ غاية معرفة العقل التنزيه عن صفات المحدثات بأنه ليس كذا وليس كذا ، وما هي هذه المعرفة المطلوبة منا ، وإنما المطلوب منا معرفة طريقة الرسل عليهم السلام بل الواجب تنزيه الحق تعالى عن معرفة العقول ، فانها حصرت الآله الحق تعالى وحددته

وحجرت عليه ، وكل محدود محصور وكل محصور مقهور ، كيف وهو تعالى
القاهر فوق عباده جل أن يدخل تحت حكم نقل وتصور خيال ، فالذي ظنه
العقل تنزيها هو غاية التشبيه بالمحدثات وهذا الافراط في التنزيه العقلي ، أورت
جهلا عظيما لمتبعيه ، وأوقعهم في أبعد ما يتصور من البعد عن معرفة الله تعالى ،
ومعرفة تجلياته لعباده في الدنيا والآخرة ، على أن التنزيه لا يحتاج اليه المؤمن
إلا لرد على مشبه إن كان ، فإن لم يكن هناك مشبه فقيه من سوء الأدب ما فيه
إذ الحق تعالى نزيه لنفسه ، وإنما ينزه من يجوز عليه مانزه عنه وهو الحادث
خيفة إذ يكون للتنزيه طعم ، فقال الشيخ الأكبر رضي الله عنه

فنزه الحق المبين مجوز ما قاله فراميه تضليل

وإذا فكر المنصف في قول المنزه ، الآله الحق ، ليس بأعمى ، ليس
بأخرس ، ليس بأصم ، ليس بعاجز ، ليس بتجور ، علم ما في هذا من
البشاعة

ألم تر أن السيف ينقص قدره إذا قيل هذا السيف خير من العصا ،
فالنفي لا يكون إلا في ممكن الثبوت فيرد عليه النفي فينفيه ، وإذا ورد على
ماليس بممكن الثبوت ولا للرد على من يعتقد أنه كان لغوا من الكلام ، وإن كان
صدقا وليس فيما أدرك العقل من صفات الآله صفة ثبوتية بل كلها في التحقيق
صفات تنزيه ، تنفي أضدادها والحق تعالى ما نزه نفسه في كتبه وعلى السنة
رسله الأردا على معتقد ذلك في الآله الحق فالآله الذي أرسل الرسل عليهم
السلام ، وأمرنا بمعرفته ما هو الآله الذي عرفه العقل بنظره واكتسابه تلك
المعرفة من الدلائل المأخوذة من المحسوسات ، فإن علم العقل كله من الحواس
لأن آله الرسل كما أنه ليس كمثل شيء ، ولا يشبه شيئا ، ولا يشبه شيء ،

هو موصوف بأن له وجهها ، ويداً ويدين وأيدياً ، وعيناً وأعيناً ، وعيماً ، وأنه يضحك ويبشش وينزل ، ويجيء ويهرول ، ويتردد ، وأنه مستو على العرش ، وأنه في السماء وفي الأرض ، وأنه معنا أينما كنا ، إلى غير ذلك فهو منعوت بهذه النعوت كلها ، وهي معروفة في لسان العرب المخاطبين بها ، ولا يمكن أن يخاطبوا بما لا يعرفون ولا يفهمون ، فهذه النعوت معقولة المعنى ، مجهولة النسبة إلى الآله ، فالتزنية الحقيقي هو أن تثبتها له ولا تنفيها عنه ، فنقول يهرول ويسعى ، ويجيء وينزل ، ولا تؤول ولا تشبه ، كما قال مالك رضي الله عنه ، الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، وإذا حصص الحق ، وتبين الأمر ، وانكشف السر ، ظهر أن التجلي الإلهي في أعيان الممكنات ، هو الذي أعطى هذه النعوت فلا شاهد ولا مشهود ، إلا الله تعالى ، قال تعالى ، وشاهد ومشهود ، أترى أنه أقسم بغيره ، لا والله ما أقسم إلا بذاته ، ومثال الحق تعالى ، والله المثل الأعلى ، في هذا مثال ملك ، كان لا يعرفه أحد من رعاياه لشدة احتجابه بحيث لا يمكن أن يصل إليه أحد ، ولا يراه من قريب ولا بعيد ، ثم أراد رفع الحجاب والتعرف لرعاياه والانصال بهم ، فصار يواجههم ويمحاذتهم ، إلى أن صار يمشي في الأزقة مع الناس ، وزاد في التنزل إلى أن صار يحضر الأسواق يبيع ويشترى ، كل هذا ليعرفوه ويعرفوا حوائجهم إليه من غير واسطة ، وهم في كل هذا ينكرونه وكلما زاد في التنزل إليهم ، والتعرف لهم ، زادوا جهلاً به لما يعرفونه من شدة حجابهم وعزته في سلطانه ، وقالوا لا يمكن أن يكون هذا هو الملك ولا يصل إلى هذا الحد في التنزل إلى الرعايا والقرب منهم ، فجاء العقلاء منهم وقالوا يمكن أن يكون هذا هو الملك ، فإن الملك يفعل ما أراد ولا أحد يحجر عليه ويمنعه

ويرده عن مراده ، وهذا الذي فعله من التنزل والتقرب من رعاياه هو من كماله ومحاسن خلاله ، لا ينتص ذلك من مرتبته عند العقلاء شيئا مما هو واجب للملك من الطاعة والاحترام ، والعقلاء في المثال هم الرسل عليهم الصلاة والسلام ، فالآله الجامع بين التنزيه والتشبيه هو آله الرسل الذي أمرنا بمعرفته ولا يعرف العقل آلهه هكذا ، فاله العقل آله آخر منزله عن الاطلاق ، لا يقبل نعتا من نعوت التشبيه ، فاذا آمن العقل بآله الرسل عليهم الصلاة والسلام ، فأما تسليما وتفويضا كما هو مذهب السلف ، فأنهم فوتضوا من غير تأويل ولا حيرة ولا منازعة ، وإما على كره واستسلام ، كما هو شأن المتكلمين ، ولا يزال العقل الغير المؤيد بنور الايمان الغالب على نور العقل في اضطراب وحيرة ومنازعة عن قبول أوصاف آله الرسل ، فان وجد سبيلا الى إحالتها الى ما تعطيه معرفته فعل واستراح لظنه أن ذلك هو المطلوب وهيئات هيئات ، ما أبعد المؤولين من معرفة الآله تعالى ، وإن لم يجد سبيلا لذلك بقي على اضطرابه وحيرته ، فازرحمه الله بما شاء مما يزيل اضطرابه رحمه ، وإلا بقي على ذلك حتي يلقي الله تعالى وهو الذي نتكلم فيه مع العقل إنما هو الألوهه وهي مرتبة للذات ماهي عين الذات ، كالخلافة والسلطنة للخليفة ، والسلطان ، وأما الذات فلا كلام فيها للعقل ولا يصل اليها بالاته أبدا ، ولكن من جهة الفيض الرحماني والتعريف الرباني ، تهب على العارفين منها نسائم ، لأن الذات لا تعقل ، والكلام فيما لا يعتسل محال ، وكل من رام ذلك رجع خائبا وهو حسير .

(الموقف السابع والتسعون)

قال تعالى ، وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا ، أي سئل الذين

جعلوا أنفسهم وقاية لربهم من نسبة الشر والقبح اليه ، وهم العارفون بربهم .
ماذا أنزل ربكم ، أي ما فعل فيكم وفي سائر مخلوقاته ، وكل واقع فهو نازل من
حضرة الجمع التي هي حضرة من حضراته تعالى كما قال ، وإن من شيء إلا
عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم ، قالوا خيرا ، أي فعل وأنزل خيرا إذ
كل واقع مما صورته شرا وخيرا ، ونفعاً أو ضريراً ، فهو خير على الحقيقة ، وذلك
من وجوه شتى ، فما ظاهره شر كالكفر والبلايا والمحن ، فهو خير لمن نزل
به ، وإن كان شرا بحسب ظاهره وبحسب غير النازل به ، إذ الواقع النازل
بكل إنسان هو مقتضى حقيقته التي بها هو هو وهو ، طالب لذلك النازل
به بلسان استعداده الذي هو أفصح من لسان مقالته ، ولو نزل به ضد ذلك
لرده وتأذي به وما قبله فالاستعداد هو الأصل والأسباب الخارجية
تابعة له وهو أزلي قديم غير مجعول ، فالنازل بكل إنسان هو من لوازم عينه
الثابتة ، وتأثير القدرة تابع الإرادة ، والإرادة تابعة للعلم ، وصفات الحق
غير داخلية تحت الزمان ، ولكن هكذا هو الأمر ، والعلم تابع للمعلوم ،
تبعية رتبة لا تبعية زمان ، بمعنى أن تسميته لما اقتضت تبعيته للمعلوم ،
أعني مادام المعلوم في حضرة العلم الذي هو عين الذات من كل وجه واعتبار
لم يوصف بالوجود الخارجي ، وأما بعد الوجود الخارجي وتعلق العلم الذي يعبر
القوم عنه بظاهر العلم ، كان المعلوم حينئذ تابعا للعلم إذ الوجود الخارجي ظل
وحكاية لهذا العلم الذي يسمى بظاهر العلم ، كما أن العلم الذاتي حكاية للمعلوم
وهو معنى تبعيته ، والمعلوم هو ذلك الذي لا يتبدل ولا يتغير ولا ينقلب ، إذ
لو تغير لكان جهلا تعالى الله عنه ، فالنازل بكل إنسان لازمه وحقيقته
وليس الواقع النازل بشيء زائد عليه أو خارج عنه ، فالظاهر عين الباطن ،

والغيب عين الشهادة ، لا يكون هنا ما ليس هناك ، وكل ما هناك يكون هنا ، ولا يقول شيء يارب لم جعلتني أنا ، فهلا جعلتني غيري ، فانه غير معقول وبهذا كانت الحجة البالغة له تعالى على مخلوقاته ، ولولا هذا ما كانت له الحجة ، وإليه يشير حديث ، كل ميسر لما خلق له ، وحديث ، إن الرجل لعمل يعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس حتي لا يبقى بينه وبين الجنة الا شبر أو ذراع فيسبق عليه الكتاب ، الحديث بطوله ، فليس في هذا الكتاب إلا الاستعداد الذي عليه ذلك المعلوم ، وعمل المستعد للنار بعمل أهل الجنة ، والعكس هو استعداد جزئي لذلك العمل فلا ثمرة له كاستعداد الانسان لطلب شيء بالدعاء أو بالسعي فيه ولا استعداد له لقبول المطلوب ، بحيث لو أعطيه لرده وكرهه أخيرا ، وحديث ، إعملوا ولا تتكلموا ، هو كسائر الحكم المودعة في الاسباب ، فقد يوافق ذلك الاستعداد وقد لا

(الموقف الثامن والتسمون)

قال تعالى ، وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين ، لو أردنا أن نتخذ لهم الآتخذناه من لدنا إغتركا فاعلين ، بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ، ولكم الويل مما تصفون ، أي ما كان فعلنا في خلق السموات والأرض وما بينهما فعل اللاعبين الذين لا ثمرة في أفعالهم ولا فائدة ترجع من فعلهم لاهم ولا لغيرهم ، بل ما خلقناهما إلا طبق المصلحة ونهاية الحكمة ، فلا ذرة في السموات والأرض إلا وهي ناطقة بملء فيها ، شاهدة بما فيها ، في الحكم والمصالح التي لا يحيط بها إلا خالقها ويصح أيضا ما خلقنا ما ذكر لاعبين ، أي ما كان فعلنا في ذلك فعل اللاعب الذي يصور أشخاصا وأشباحا

لا حقيقة لها ، ولا طائل تحتها ؛ مثل اللعبة المسماة بخيال الظل ونحوها فانها أشخاص وأشباح تقبل وتدبر ، في رأي العين ولا حقيقة لها ، فليس خلق السموات والأرض وما بينهما هكذا ، خلافا للسوفسطائيين القائلين ، العالم خيال لا حقيقة له ، وللحساسيه القائلين ، ليس وراء المحسوسات شيء يصح أن يدرك ، بل القول الحق أن صور العالم وأشباحه وراءها حق ، فهي حقة بذلك ، وإن كانت في الظاهر خيالات ، فهي حق ، لا لعب ولا لهو ، كما قال في الآية الأخرى ، وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق ، فهي حق بذلك الحق المخلوقة به ، إذ المخلوق بالحق حق ، قال إمام العارفين محي الدين

إنما الكون خيال وهو حق في الحقيقة

كل من قال بهذا حاز أسرار الطريقة

ويدخل في قوله وما بينهما ، جميع أفعال العباد فهي كلها حق لا لعب فيها ولا عبث إذ هي أفعاله تعالى وإذا اطلق العبث على بعض أفعال العباد بالنسبة الى من صدرت عنه وإلا فهي بالنسبة اليه تعالى لا تخلو عن حكم ثم أخبر تعالى أنه وإن خلق السموات والأرض وما بينهما كما ذكر فليس ذلك بواجب عليه ، ولا متحتم لديه ، كما تقول البراهمة ، والمعتزلة من وجوب فعل المصلحة عليه تعالى بل له أن يفعل كما أراد مجوزته العقول أو أحواله ، فقد رتبته مطلقا التصرف نافذة الحكم في كل ما أراد ، ليس عليها تحجير ولا ياحقها عجز ، كما قال لو أردنا أن نتخذ لهمو أي نخلق خلقا من أنواع ما أحالته العقول علينا ، وحجرتة عن قدرتنا ، لا نتخذناه من لدنا أي من جهة قدرتنا فانه لا يعجزها شيء أردناه ، لكننا ما أردناه كما قال ، ولو أراد الله أن يتخذ ولدا لا يصطفى مما يخلق ما يشاء

فأخبر أن هذا المحال العقلي الذي هو أعظم محال يتصور ، هو ممكن تحت قدرته يفعله لو أراد فادخله تحت لو ولا يدخل تحتها إلا ممكن في نفسه وأما قوله لم يلد ، فهو إخبار بأن هذا ما كان ولا يكون ، وما أخبر أنه لا يدخل تحت قدرته ، وإنه عاجز عنه لو أراد ، وقد قال الحافظ بن حزم بقولنا هذا ، فنسبه الشيخ السنوسي إلى الكفر ، وما كان ينبغي له ذلك ، وابن حزم قال به على طريقة المتكلمين لإعلى طريقتهما ، ثم ذكر تعالى نوعاً من أنواع المحال العقلي وهو تحصيل الحاصل فإنه من أجلها فأخبر أنه يفعله بل هو فعله في كل آن فرد على الدوام ، وعبر بالمضارع استحضار هذه العجوبة عند العقل وهو قوله ، بل نقذف الخ الآية ، فبل اضرب عما تخيلته العقول من استحالة هذا وتحجيره على القدرة الإلهية ، نقذف نرمي بالحق النور الوجودي الإضافي الساري في كل موجود وذلك كناية عن اقتران الوجود الحق بالعين المراد إيجادها على الباطل العدم الذي كان وصفاً لتلك العين فيدمغه فيهلكه ويذهب كما يهلك المضروب في دماغه ، كناية عن السرعة بمعنى يهلك النور الحق العدم الباطل ولا يبقى له حكماً في تلك العين ، ويصير الحكيم للوجود الحق فيصير الوجود الحق وصفاً لها ، بعد أن كان العدم الباطل وصفاً لها ، فإذا هو أي العدم المسكني عنه بالباطل زاهق ، أي ذاهب الحكيم ، بعد أن كان ثابت الحكيم في تلك العين ، حيث كان وصفاً لها فإذا فجائية ، هو زاهق إذ لا يجتمع الحق الباطل كما لا يجتمع النور الخامة فني الآية تحصيل الحاصل إذ العدم معدوم لذاته فإذا هابه تحصيل لما هو حاصل ، وفعل لا نفعل له ، والعدم قبل اتصاف العين بالوجود كان له وجود في علم الواصف ، فإنه ما حكم على العين بالعدم إلا بعد التصور فللعدم وجود في هذه المرتبة ، فصح الرمي عليه ، والازهاق له

بما ذكرنا ، وكل من زعم أن الله تعالى لا يقدر على المسمى محالاً فما عرف الله ، بل ما شئ لمعرفته راحة ، فهو قادر على إيجاد المحال إذا أراد ، ومن المحال العقلي اجتماع الضدين في محل واحد في آن واحد ، وذلك موجود في حركة الأفلاك التي هي ضمن الفلك الأعظم محدد الجهات ، فإنها تتحرك عند علماء الهيئة حركة طبيعية من المغرب إلى المشرق ، والفلك الأعظم يحركها حركة قسرية من المشرق إلى المغرب ، فكل فلك له حركتان على هذا طبيعية ، وقسرية في آن واحد ، وهذا محسوس في الحيوان كالنملة مثلاً ، إذا كانت على شقة الطاحون العليا ، وكانت حركتها ضد حركة الطاحون ، فإنها تجتمع لها حركتان قسرية واختيارية ، وأكثر أمور البرزخ والآخرة مما نحيله العقول ، قال تعالى ، في حق الشهداء ، أحياء عند ربهم يرزقون ، ونهانا أن نؤمن أنهم أموات والحس يشاهدهم أمواتاً ، ولا شك عنده في ذلك فالقائل أموات ، صادق شاهده الحس ، والقائل أحياء صادق شاهده الإيمان ، بصدق الله تعالى في أخباره فهم أحياء أموات في حالة واحدة ولو لم يجتمع الموت والحياة ماصداقاً ، وكذا سؤال القبر من هذا المعنى ، وكذا الفعل الصادر من العبد ببادي الرأي هو فعل الله تعالى وفعل العبد ، فالعقل والشرع يثبتان الفعل لله تعالى وحده ، والحس والشرع يثبتان الفعل للعبد ، وكلا الأمرين يصدق القائل بهما ، ويجب الايمان بهما معاً ، ونحن ليس كلامنا مع من يقول نسبة الفعل إلى الله غير نسبتها إلى العبد وكذلك يوم القيامة هو على الكافر مقدار خمسين الفسنة بنص القرآن وعلى المؤمن مقدار صلاة ركعتي الفجر بنص الحديث ، وخص الركعتين بالفجر لأن الأمر ورد بقصر القراءة فيهما ، وكذلك تجد الأعمال ووزنها وهي أعراض يوم القيامة ، بل الأعراض هي اليوم متجسدة قبل يوم القيامة ، والناس يشهدونها

ولا يعرفونها ومن الناس من ينكر تجسد الأعراض حتى في يوم القيامة ، ومن الناس من يقول بها هنالك وينكرها هنا

(الموقف التاسع والتسعون)

قال تعالى ، ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه إن الله لغني عن العالدين ، الجهاد هنا أعم من الجهاد الأصغر الذي حدّه عند الفقهاء ، فقال مسلم ، كافرًا بالأعلاء كلمة الله ومن الجهاد الأكبر الذي هو جهاد النفس والهوى باتيان المأمورات ، واجتناب المنهيات ، وارتكاب مشاق الرياضات والمجاهدات ، الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم لا صحابه ، رجعنا من الجهاد الأصغر الي الجهاد الأكبر ، أخبر تعالى في هذه الآية ، إن فاعل ما ذكر انما يفعله لنفسه ، أي حقيقة التي بها هو هو ، وهي الحقيقة السارية في كل إنسان التي قال فيها صلى الله عليه وسلم ، من عرف نفسه فقد عرف ربه ، وهي المسماة بالبرزخ وبالصورة الرحمانية ، وبمرتبة الأسماء والصفات ، وغير ذلك من الأسماء بحسب ما لها من أوجوه والاعتبارات ، فهذه المرتبة هي مرتبة الألوهية وهي الطالبة للعباد بحقيقتها وهي المقتضية لعبادتهم وهي الربوبية ، الطالبة للربوبين وليست هي الذات وإنما هي مرتبة كسائر المراتب والحكم والفعل ، والتأثير لها للذات ، ولا عين لهذه المرتبة ولا لغيرها من المراتب زائدة على الذات ، فالألوهية تعلم ولا تشهد ، والذات تشهد ، ولا يحاط بها ولا تعلم ، وأكثر المتكلمين أو كلهم والعابدين من غير أهل الله العارفين لا يفرقون بين الذات والمرتبة ، فإشارة الآية الكريمة الى أنه لا يعبد عابد ولا يتقرب متقرب إلا الى مرتبة الألوهية والربوبية التي هي منشأ العالم جميعه المقتضية لا يجاده ولكل ما يصدر عنه ، فإن الألوهية تطلب مألوهاً وعابداً ، قال تعالى ، كفى بنفسك

اليوم عليك حسيبا ، فنفس كل إنسان هي الحسبية عليه ، المحصية لا فعاله ، وهي غير نفسه المأمورة في مقام الفرق وهي في مقام الجمع وإسقاط الاعتبار ، وأما الذات العلية عينها فهي غنية عن العالمين لا تتعلق بها عبادة عابد ، ولا معرفة عارف ، ولا تعطي ولا تمنع ، ولا تضر ولا تنفع ، ولا تطالب مخلوقا ولا مربوبا ، ولا عابدا ولا عارفا ، حتى يعبدوها ويتذلل اليها ، فهي غنية حتى عن أسمائها ، الطالبة لظهور آثارها بظهور العالم ، وهي المسماة بالأحد وباللّه ، ومن هنا قال من قال في اسم الله انه علم مرتجل لا صفة ولا مشتق من شيء ، حيث كان علما على الذات الذي لا يوصف ولا يعلم ، ولا يحد ولا يرسم ، وفي الحديث ، ليس وراء الله مرمى ، بمعنى أنه فوق المراتب كلها ، وليس فوق المراتب كلها الآ ذات ، وهذه الآية تدل على هذا ، فالأمر الإلهي ماورد إلا بعبادة الصفة للصفة وهي عبادة المربوب لربه ، والمألوه لآله كما قال ، وما أمروا الا ليعبدوا ألها واحدا ، وكل ماورد في القرآن من الأمر بالتوحيد والعبادة إنما هو لهذه المرتبة ، وهي مرتبة الألوهية لا للذات ، وأما من قال في اسم الله انه صفة أو مشتق من كذا أو كذا ، فقد جعله لمرتبة الألوهية ، ووروده في القرآن يحتمل الوجهين ، وقول من قال لا يجوز التخلق بالاسم ، الله ، يريد الأول وقول من قال يتخلق بالاسم ، الله ، فانه كسائر الأسماء يريد الثاني ، فمن قال من العابدين أصلي أو أصوم ، أو أفعل كذا قياما بحق الله أو الأحدث لم تقبل عبادته إن قصد الذات الغنية عن العالمين ، فان الذات لا تقبله والا حدية ترمي به فانها بحقيقتها تنفي أن يكون معها غيرها من عابد أو عارف ، فالذي يعبد الأحد والله إن كان علما على الذات لا تصح له عبادة ، فهو يعبد في غير معبد ، ويعمل في غير معمل ،

الأرجالا من خاصة الخاصة ، فان عبادتهم ذاتية لأنهم لما تجلت لهم نفوسهم وعرفوها ، رأوا استفادة وجودهم من غيرهم فاعطتهم رؤية أنفسهم العبادة الذاتية لا عبادة المرتبة كغيرهم ، لأن معرفتهم شهودية ماهي علمية كغيرهم وهم الزنادقة الذين قال فيهم الجنيد رضي الله عنه ، لا يكون الصديق صديقا حتي يشهد فيه مائة صديق ، بانه زنديق ، ومن تساق على هذا المقام وليس من أهله هلك ، ومن قال أصلى أو أصوم ، أو أفعل كذا قياما بحق الربوبية والعبودية ، قبلت عبادته والسعيد الجامع بينهما ، واحذر أن تظن بنا أننا ممن يحرف الكلام من بعد مواضعه ، وإنما المفهوم من الآية بحاله ولكن هذه اشارات ، تظهرها أنوار المعارف والتجليات على القلوب

(الموقف المائة)

قال تعالى ، إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم ، انظر إلى هذا التأكيد في الآية ، الرفع لكل تجوز ومجاز ، فالحق تعالى لما أراد الظهور لذاته من حيث الاطلاق بذاته ، من حيث التقييد والمطلق ، عين المقيد جعل نورا بمثابة المرآة ثم تجلى في ذلك النور فانطبعت الصورة الالهية في ذلك النور انطباعت الصور في المرايا والله المثل الاعلى ، وصورة الشيء مجموع أوصافه لا عين ذاته ، والترتيب حكمي لا زمني فانه لا زمان هناك ، ولكن للتفهم ، وسمي الحق تعالى هذا النور والمنطبع فيه حقيقة محمدية ، وروحا كليا ونحو ذلك فالمتوجه على المرآة هو الحق تعالى ، والمنطبع في المرآة حقيقة محمدية ، وصورة رحمانية ، فالمتوجه على المرآة والصورة في المرآة والمرآة شيء واحد ، اذ ليس الا وجود واحد هو وجود الحق تعالى ، فليس للمرآة ولا للصورة في المرآة وجود مغاير للوجود الحق المتوجه على المرآة فمن كان نظره واعتباره الي أن

هذه الصورة ظهرت به بعد أن لم تكن ظاهرة ، قال بحدوثها ، ومن كان نظره واعتباره الي أنه ليس هناك غير الوجود المتوجه علي المراتة وهو الحق تعالى ، قال بقدمها ، فالحقيقة المحمدية هي تعين الحق لنفسه بجميع معلوماته ونسبه الآلهية والكونية ، فهي الحق اذ التعيين أمر اعتباري لا عين له ، فليس هناك الا المتعين ، قال تعالى ، قل الروح من أمر ربي ، هو أمر ربي الصادر بالأمر وهو كن ، فهو عين كن اذ كلامه عين علمه ، وعلمه عين ذاته ، فالحق واحد من كل وجه لا يتبعض ولا يتجزأ ، ولذا كان الحق تعالى في كلامه الكريم تارة يجعل نفسه نائبا عن محمد صلى الله عليه وسلم ، فيقول ، وانبلونكم حتي نعلم المجاهدين منكم والصابرين ، أي يعلم محمد ويقول فليعلمن الله الذين صدقوا ولعلمن الكاذبين ، أي يعلم محمد وتارة يجعل محمدا نائبا عنه ، فيقول إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم ، ويقول ، من اطع الرسول فقد أطاع الله ، ويقول ، ومارميت إذ رميت ولكن الله رمى ، وقال تعالى ، رسول من الله ، وورد في الخبر عنه صلى الله عليه وسلم ، من رأي فقد رأى الله يعني رؤية حقيقية ، صلى الله عليه وسلم فلامغفرة إلا بالاعتبارات العدمية كالاطلاق والتقيد ، ومن هنا قال بعض الأُكابر ، الوجود الحق تعالى ، ظهر في الحقيقة المحمدية بذاته ، وظهر في سائر المخلوقات بصفاته ، يريد أن الحقيقة المحمدية ظهرت بالتجلي الذاتي موصوفة بجميع صفات الحق تعالى ونسبه الآلهية والكونية ، وفوض اليها تدبير كل شيء يوجد بعدها فهي المتصرفة في معلوماته تعالى ، حسب إرادته ومشيئته تعالى ، فتستمد من العلم وتمد الخلق فما صدر عن الله تعالى بغير واسطة إلا هذه الحقيقة وكل ما عداها حتي العقل الأول إنما كان بواسطتها وإن كان الحق تعالى له الخلق والأمر فهي الظاهرة

في الأشياء وهي السارية في الوجود ، ومن مشاهد سريانها في الموجودات
قال من قال لو احتجب عني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، طرفة عين ما
عددت نفسي من المسلمين

(الموقف المائة وواحد)

قال تعالى ، سبحانه الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى
المسجد الأقصى الذي باركنا حوله انريه من آياتنا إنه هو السميع البصير ،
أخبر تعالى في هذه الآية ، إنه أسرى بعبده محمد بجسده وروحه ليريه من
آيات الآفاق بعد أن أراه آياته في نفسه ، كما قال تعالى ، سنريهم آياتنا في
الآفاق وفي أنفسهم ، حتى يتبين لهم ان ما رأوه هو الحق لا غيره ، وهذه
حالة المرادين المجذوبين ، المصطفين يريهم آيات الأنفس قبل آيات الآفاق ،
خلاف المرادين ، ثم أخبر تعالى أنه أي محمدا هو السميع البصير ، فعيل بمعنى
منفعل ، أي كل ما أبصره وسمعه محمد في أسرائه هو محمد من حيث حقيقته
فانها هيولى العالم وحقيقة الحقائق ، وهو الانسان الأزلي وهو الأول
والآخر ، والظاهر والباطن ، وهو بكل شيء عليم ، كما أن الحق تعالى له هذه
الصفات فان الله تعالى لما أوجد حقيقته ، قال له أعطيتك أسمائي وصفاتي فمن
رأك رأي ، ومن علمك علمي ، ومن جهلك جهلني ، غاية من دونك أن يصلوا
الي معرفة نفوسهم منك ، وغاية معرفتهم بك العلم بوجودك ، لا بكيفيةك
وكذلك أنت معي لا تعرفني إلا من حيث الوجود ، حقيقة محمد هي المشهود
لا لاهل الشهود ، وهي التي يتغزلون بها ، ويتلذذون بحديثها في أسفارهم ، وهي
المنعينة عندهم بليلي وسلمى ، وهي المكني عنها بالخر ، بالشرب والكأس ،
والنار والنور والشمس ، وبالبرق ونسيم الصبا ، والمنازل والرسوم والربا ، هي

نهاية سير السائرين ، وغاية مطلوب العارفين ، وبعد ما كتبت هذا الموقف خطر في بالي أنه إذا وقف عليه بعض من لم يكشف له سر الحقيقة المحمدية ربما يقول ما قال الحافظ بن تيمية رحمه الله تعالى ، لما وقف علي شفاء عياض ، لقد تغالى هذا المغيربي ، ثم نمت فقبل لي في المنام زد ، وهي نار موسى وعصا موسى ، ونفس عيسى ، الذي كان يحجي به الموتى ويبري الأكمه والأبرص فلما استيقظت زدتها

(الموقف المائة والاثنين)

قال تعالى مخاطبا لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء ، وإنك لاتهدي الى صراط مستقيم ، وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم ، اعلم أنه لاتناقض بين هاتين الآيتين في نفس الأمر والحقيقة ، وإنما يظهر التناقض بينهما بباديء الرأي عند من لا يعرف مرتبة محمد صلى الله عليه وسلم ، ومن عرف كيف هو صلى الله عليه وسلم من ربه استراح وما اعتاص عليه مثل هذه ، وتوضحها أنه صلى الله عليه وسلم ، كان حريصا على هداية عباد الله تعالى ، وإيمانهم وانقيادهم لطريق نجاتهم كما أخبرنا تعالى عنه ، عزيز عليه ما عنتم ، أي عنادكم ، حريص عليكم ، وقال له مشفقا عليه ، لعلك باخع نفسك ، أي قاتلها ان لا يكونوا مؤمنين ، فلعلمك باخع نفسك على آثارك إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا ، وهو صلى الله عليه وسلم ، في هذا الحال متخلق بأخلاق ربه ، متحقق بها ، فانه تعالى يحب الايمان والهداية لجميع عباد الله ، كما قال ، ولا يرضى لعباده الكفر أي لا يحبهم ، وإنما يحب لهم الايمان والهداية ، وان تشكروا يرضه لكم ، فلا يفهم أنه صلى الله عليه وسلم أحب غير ما أحب الله تعالى ، أو أراد غير ما

أرادته: فإن المحبة غير الإرادة وإذا كان الولي الذي هو قطرة من بحر الذي لا نهاية له ، يصل عند نهاية كماله الى أن تتحد إرادته بإرادة الله تعالى ، فلا يريد غير ما تعلقت به الإدارة القديمة ، وإن كره ذلك شرعاً أو طبعاً ، أو أحب ضده شرعاً أو طبعاً ، ولهذا يقول للشيء بسم الله ، بمعنى كن فيكون ، وما ذلك إلا لاتحاد إرادته بإرادة الحق تعالى ، وقالوا حقيقة الكامل هو الذي لا يمتنع عن قدرته ممكن كما لا يمتنع عن قدرة خالقه محال ، خزائن الأمور في حكمه ومفاتيحها بيده ، ينزل بقدر ما يشاء فكيف به صلى الله عليه وسلم الذي هو البرزخ بين الحق والخلق ، له وجه الى الحق ، ووجه الى الخلق ؟ بل هو الوجه الواحد فإنه لا ينقسم وهو الحق المخلوق به فهو على بصيرة من ربه فيما يحب أو يريد فهو المنفذ لأمراده تعالى في عبادته من ضلال وهدى ، وكفر وإيمان ، من حيث حقيقته فهو مظهر العلم القديم والإرادة الأزلية ، فلا إرادة له إلا إرادة الحق تعالى وإرادته تعالى تابعة لعلمه فلا يريد إلا ما علم والعلم لا يتبدل ولا يتغير إذ لو جاز عليها ذلك ما كان علماً ، وانقلاب الحقائق محال فمعلومات الحق تعالى هي صور أسمائه ومحال تغير الأسماء فإن ما ثبت للذات من التنزيه هو ثابت للأسماء ، وقوله وليكن الله يهدي من يشاء هو إثبات لما عساه إن يتوهم من وقوع شيء بغير إرادته تعالى وقدرته ، وقد قال ذلك بعض الفرق الضالة ، ونقول نحن ، لا يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا ما أراد الله تعالى ، ولا يحب إلا ما أحبه الله تعالى ، وهو الوساطة بين الحق والخلق ، ولا شيء إلا وهو به منوط ، ولولا الوساطة لذهب كما قيل المتوسط ، فهو مظهر مرتبة الصفات التي لها الفعل والتأثير ، وقوله وهو أعلم بالمتسدين ، أي هو تعالى أعلم العالمين من رسول وملك ، وولي بالمتسدين ،

أى الذين لهم استعداد الهداية وطلبها من حيث حقائقهم ، ولهم قبولها إذ الحقائق العلمية بمثابة الشخص والشخصيات الظاهرة ظلالها ، وما كان فى الشخص من عوج ، أو استقامة ، أو طول أو قصر ، أو رقة ، أو غلظ ، مثلاً يظهر فى ظله ولا بد ، فغيره تعالى إذا أطلعه الله تعالى على الاستعدادات وهى الأعيان الثابتة فى العلم ، فهذا الغير كان ما كان ما علمها إلا من علمه تعالى وهو تعالى علمها حيث لا تميز لها لا فى العلم ولا فى العين ، ولكن لها صلاحية التعيين فى العلم والعين وقوله ، وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم ، صراط الله وهو صراط النجاة ، ففى الآية إثبات لما قلنا من نيابته صلى الله عليه وسلم ، فى الهداية وغيرها وخلافته الكبرى ، وإنه الهادى من يشاء بهداية الله تعالى إذ حصول الهداية لكل مهتد إما بواسطة العقول أو بواسطة الرسل عليهم الصلاة والسلام ، وكلاهما بواسطة صلى الله عليه وسلم ، فإنه المورث الأصهى الذى همه من كونه حقيقة من كونه حقيقة ، وإنك لا تهتدى ، من أحببت من حيث أنك غير وسوى ، وإنك رسول مخلوق كما هو رأى الحجووين ، وفى ذلك وهو نظر إبليس حيث قال ، لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، اسمك الهادى وليس لك من الهداية شيء ، وإسمه هو الأبعد المضل وليس له فى الضلالة شيء ، وذلك لجهله عدو الله بحقيقة محمد كما جهل حقيقة أبيه آدم ، وقوله ، وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم ، صراط الله من حيث حقيقتك فإنك التعيين الأول ، والمظهر الكامل ، والخليفة المفوض ، فأثبت له ما نفاه عنه لأن محمداً صلى الله عليه وسلم ، ليس له وجود مع الحق تعالى ، وإنما هو ظهور الحق تعالى لنفسه بنفسه فهو كناية عن علم الحق تعالى بنفسه ، فهاتان الآيتان مرتبتان فى المعنى وإن تباعدتا فى رسم المصحف

الكريم ، ومساقيها إنك لاتهدي من أحببت ، وإنك لاتهدي الى صراط مستقيم ولكن الله يهدي من يشاء كما قال ، وما رميت إذ رميت ، ولكن الله رمي ، نفى الرمي عن محمد ، ثم أثبت الرمي لمحمد ، ثم أثبت الرمي الذي أثبته لمحمد الى الله تعالى ، فكانت قوة الكلام أن الرامي هو الله تعالى ، وهو المدعو بمحمد صلى الله عليه وسلم ، عند أهل الحجاب وهنا نفى الهداية عن محمد ، ثم أثبت الهداية لمحمد ، ثم أثبت الهداية التي أثبتها لمحمد ، الى الله تعالى ، فكانت قوة الكلام الهادي هو الله تعالى وهو المدعو بمحمد صلى الله عليه وسلم ، ولا يفهم عنا إلا أهل طريقتنا إذ لا يفهم عنك إلا من أشرق فيه ما أشرق فيك ، وتقول العامة ، لا يفهم كلام الأخرس إلا أمه

(الموقف المائة والثالث)

قال تعالى ، الله نور السموات والأرض ، مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ، المصباح في زجاجة ، الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية ، يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم ، أخبر تعالى في هذه الآية الكريمة أن الله الاسم الجامع لجميع الأسماء من حيث الاسم ، النور نور السموات والأرض أي وجودها وقيامها ومظهرها إذ بالنور ظهر ما كان في ظلمة العدم مستور فلولا ما أدرك شيء ولا تميز شاخص من شيء ، فالنور سبب ظهور الكائنات التي من جلتها الأرض والسموات ، كما هو في الحس إذا كانت ظلمة الليل تكون الأشياء كأنها معدومة بالنسبة الى المبصرين ، فإذا ظهر النور ظهرت الأشياء ويميز بعضها

من بعض حتى قال بعض الحكماء في الألوان أنها معدومة في الظلمة، والضوء شرط في وجودها، وإنما خص السموات والأرض بالذكر لأن السموات محل الروحانيات، والأرض محل الجسمانيات، والكل مستنير بنور واحد، لا يتجزأ، ولا يتبعض، ولا ينقسم، ولما كان النور المحض لا يدرك، كما أن الظلمة المحضة لا تدرك تجلي النور على الظلمة، فأدركت الظلمة بالنور، وأدرك النور بالظلمة وهو معنى قول القوم، الحق تعالى ظهر بال مخلوقات وظهرت المخلوقات به، قال الشيخ الأكبر، فلولا ولولانا، لما كان الذي كانا، خالق بلا حق لا يوجد، وحق بلا خلق لا يظهر، وليعلم أن الحق تعالى في ظهوره لذاته بذاته، غير متوقف على المخلوقات، فانه من حيث الذات غني عن العالمين، وهو غني حتى عن أسمائه، من حيث الذات يتسمى لمن، ويوصف لمن، وليس إلا الذات الأحدية الغنية، ولكن في ظهوره بأسمائه وصفاته، بظهور آثارها هو مفتقر الى المخلوقات، قال الشيخ الأكبر، الكل مفتقر ما الكل مستغني، يعني الحق والخلق، ولا نقص في افتقار الأسماء الى مظاهرها بل هو عين الكل الأسمائي الصفاتي، إذ افتقار المؤثر من حيث اسمه مؤثر الى الأثر، من حيث هو أثر عين الكل، لأجل امتياز الأسماء بعضها عن بعض، فانه لا تميز لها إلا بآثارها، والأسماء من الوجه الذي يلي الذات هي غنية عن العالمين، أيضا، فانها من ذلك الوجه عين الذات، ولهذا كان كل اسم يوصف ويسمى بجميع الأسماء كالذات، وقد رأيت في بعض المشاهد رفع لي سجل عظيم منشور ومكتوب في سطر منه الاسم، ثم ينعت بجميع الأسماء بعده في ذلك السطر الى آخر الأسماء ثم سطر آخر فيه اسم آخر منعوت كذلك بجميع الأسماء

الى آخرها ، وهكذا الى تمام التسمية والتسمين ، وأما الأسماء في الوجه الذي يلي العالم فهي مفتقرة الى العالم ، بمعنى طالبة لآثارها ، وكل طالب مفتقر الى مطلوبه ، فالسماوات والأرض وجميع الكائنات التي نورها الاسم النور ، هي ظلال الأسماء والصفات ، والذي ظهر عليه هذا الظل هي الأعيان الثابتة في الحضرة العلمية ، إذ لا بد للظل من شيء يظهر عليه كالأرض والماء مثلا ، فالنور يظهر الظل ، والشاخص يرسمه ، فالشاخص هو مرتبة الأسماء والصفات ، والنور هو الوجود الفاضل على الممكنات ، ثم أخبر تعالى من يسأل ويقول هل هذه هي الانارة الحاصلة للأرض والسماوات وجميع الكائنات مباشرة أو بواسطة ، وهل باتصال أو اتحاد أو امتزاج ، بما ضربه في المثل بالمشكاة والزجاجة والمصباح ، بأن الانارة من غير اتحاد ولا امتزاج ولا اتصال ، وان هذه الانارة بواسطة الحقيقة المحمدية ، التي هي التعين الأول وبرزخ البرازخ ومظهر الذات ومجلي النور ، الذي هو نور الأنوار وهي المكني عنها بالزجاجة وأما المشكاة فهي جميع الكائنات ما عدا الحقيقة المحمدية فان النور دائما سرى من الزجاجة وبواسطة ، فالمصباح هو النور الوجودي الإضافي ظهرت به السماوات والأرض ، والزجاجة هي الحقيقة المحمدية ، والمشكاة هي جميع الكائنات كما قلنا ، ثم أخبر تعالى ، إن هذه الزجاجة التي هي الوسطة في وصول النور الى المشكاة في لطافتها ، وبساطتها ، وصفائها ، واستعدادها لقبول النور وإفاضته على المشكاة ، الاستعداد التام الذي لا مزيد عليه ، حتي قيل أنها هو كما قال صاحب بن عباد

رق الزجاج ورقتي الحمر فتشابهها فتشاكل الأمر
فكانما خمر ولا قدح وكأنما قدح ولا خمر

كانها كوكب دري يوقد، أي يستمد هذه المصباح وهو النور الوجداني الإضافي من شجرة أي من أصل منبع مباركة ثابتة البركة والزيادة لا ينفد مددها، لشرقية ولا غربية، أي هذه الشجرة التي يستمد منها المصباح لا يقال شرقية من الشروق والانارة، ولا غربية من الغروب والظلمة، فانها كنه الذات التي لا يحكم عليها بشيء، لأنها لا تعقل، والحكم على ما لا يعقل محال، فهي لشرقية ولا غربية، لا وجوب ولا إمكان، ولا حق ولا خلق، ولا حدوث ولا قدم، ولا وجود ولا عدم، فهي ماهية لا تظهر بشيء إلا ولها ضده يكاد يقرب ولم يكن زيتها ما تمسك به المصباح المتقدم الذكر يضيء، يظهر لذاته بذاته من غير اقتران بشيء، الاقتران المعنوي، ولو لم تمسه نار كناية عن المظاهر التي يقترن بها المسكني عنه بالزيت الذي هو حقيقة المصباح، والمصباح لا يظهر ضوءه إلا بعماسة النار، فالنار لا تضيء ولا تظهر من غير شيء، انما كرم الله نوره، لا يراه من غير النار، نور على نور أي النور المضاف الى السموات والأرض هو عن النور المطلق الذي لا يقيد بالسموات والأرض، فعلي بمعنى نحن يهدي الله بتعريفه وتجليه، لمن يشاء من عباده لنوره المطلق الغير المضاف الى الشيء، ويضرب الله الأمثال للناس ليبين لهم الأمر فانه بكل شيء عليم، فيعرف كيف يضرب، وأما الناس فقد قال لهم، فلا تضربوا الله الأمثال، فحجر عليهم لجهلهم لأنهم لا يعلمون كيف يضربون الأمثال، والتحجير إنما هو في الأسم الله الجامع، وأما غيره من الاسماء فلا تحجير، والله أعلم وأحكم

(الموقف المايه والأربعة)

قال الحق تعالى لبعض عبيده، قل للجاهلين لم لا تعملون وقل للعالمين

لم لا تعملون ، وقل للعاملين لم لا تخلصون وقل للمخلصين لم لا تتخلصون
فتعرفون أنكم لستم بفاعلين من حيث صوركم وخلقكم وما رميت لما أنتم
فاعلون من حيث وجودكم وحقكم إذ رميت فسبحان من يعبد نفسه في أعيان
خلقه ، ولكن الله رمى قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم

(الموقف المايه والخمسة)

قال تعالى ، يحبهم ويحبونه ، لعلم أن محبة الحق تعالى لخلقاته على أنواع ،
نوع قبل خلقهم ، ونوع بعد خلقهم ، وهي على نوعين ، نوع للخاصة ، ونوع
لخاصة الخاصة ، أما النوع الأول من المحبة فهو عام في جميع المخلوقات على
اختلاف أجناسها وأنواعها وأشخاصها ، وهو قوله في الخبر المشهور عند
القوم : كنت كنزا مخفيا ، فاحببت أن أعرف فخلقت خلقا وتعرفت إليهم
فعرفوني بي ، وهذه المحبة هي السبب الأول لوجود العالم ، قال ، وما
خلقت الجن والانس إلا ليعبدون ، أي ليعرفون ، وهذه المحبة المذكورة
هي الميل إلى الظهور بالأسماء والصفات ، وهو ذاتي ما تخلله اسم ولا صفة ،
إذ لا ظهور للأسماء في هذا الاعتبار ، ثم سرى هذا الميل ومحبة الظهور في
جميع الأسماء الإلهية فطلبت الظهور بظهور آثارها ، وقد كانت مستجزة في
الذات مستهلكة في الأحدية ، ثم لما خلقهم عرفوه كما أراد ، لأن خلاف
الارادة محال ، وعرفه كل نوع من المخلوقات على قدر ما أعطاهم من معرفته
ما استعدوا له من ذلك ، فأما الملائكة فكل ملك نوع بانفراده ، له مقام
ومرتبة كسائر أنواع المخلوقات ومراتبها ، لا ينزل عنها ولا يتعداها ولهم
قبول زيادة العلم بالله تعالى ، فأنها لاشك قد ازدادت علما بما علمهم آدم عليه
السلام ، من الأسماء كما أخبرنا تعالى بذلك في كتابه ، وأما الجماد والحيوان

من غير الانسان فمعرفة فطريه لا تزيد ولا تنقص ، فكل له مقام معلوم لا يتعداه في المعرفة ، وأما الانسان فله معرفة فطرية متجددة وتجدها إنما هو بالنسبة لظاهرة أعني نفسه وعقله ، وإلا فالعلوم كلها مر كوزة في حقيقة تظهر آناً بعد آناً بإرادته تعالى ، لأن الحقيقة الانسانية موجودة في الجميع ، وكل إنسان بما هو إنسان قابل لرتبة الانسان الكامل ، ولكنهم متفاوتون في ظهور آثار الانسانية ، وأما النوع الأول من نوعي المحبة الخاصة فهي محبة تعالى لبعض خواص عباده ، كقوله إن الله يحب التوابين المتطهرين الصابرين الشاكرين المتوكلين الذين يقاتلون في سبيله صفاً ، الى غير ذلك من أنواع المحبوبين الذين اتصفوا بصفات خاصة أوجبت لهم محبة خاصة من الحق تعالى ، ولكنها محبة على الحجاب وشهود البعد ، وهذه المحبة هي المنفية عن أقوام مخصوصين كقوله لا يحب الظالمين ، لا يحب الكافرين ، الا المحبة الأولى أما النوع الثاني من نوعي المحبة الخاصة فهي المحبة المشار اليها بقوله تعالى ، لا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه ، فاذا أحبته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره ، الحديث بطوله ، أي كشف له أن هوية الحق تعالى هي حقيقة قواه الظاهرة والباطنة ، وهذا النوع من المحبة على كشف من المحبوب وثمرته ظاهرة في الدنيا لأجل ما يحصل له من المشاهدة والرؤية على التخيل أو في الأشياء وأدراك العلوم الذوقية بأنواع التحف وأما النوع الذي قبل هذا من المحبة فهو على الحجاب باعتبار شهود صاحبه للغيرية والاثنية ، ولا تظهر ثمرة إلا في الآخرة ولذا قال في الحكم العطائية ، خرج العباد والزهاد من الدنيا وقلوبهم مشحونة بالاغيار

(الموقف المائة والستة)

قال تعالى ، ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ، اعلم أن العلل والأمرض يراد بها علل القلوب ، وعلل النفوس ، وعلل الأجسام ، والعلل التي القرآن شفاؤها ، ماهي علل النفوس إذ تلك العلل أطباؤها المشايخ أهل التربية ، العارفون بالله تعالى ، إذ معرفة علل النفوس وطبها ركن من أركان المعرفة بالله تعالى ، وعلل الأجسام أطباؤها العارفون بعلوم الطبيعة وإن ورد الاستشفاء بالقرآن من علل الأجسام فما هو المراد هنا منشا ، وإنما مرادنا علل القلوب وأمراضها ، وهي العقائد الباطلة ، والنحل الزائغة ، فهي التي القرآن شفاؤها ، وما هو شفاء إلا لهو من خاصة ، وهو الذي سلم الأمر إلى ربه وإلى رسله عليهم الصلاة والسلام ، وانقياد ظاهرا وباطنا لما اضطرب ، ولا نازع الشرع بعقله فيما وصف به تعالى نفسه من صفات المخلوقين ، أو وصفته به رسله عليهم الصلاة والسلام ، فمأرد ولا أول ، ولا شبه التشبيه المعروف عند العامة ، بل فوض الأمر إلى الله وإلى رسله عليهم الصلاة والسلام ، وقال ، لا أعرف بالله تعالى من نفسه ولا أعرف به من المخلوقين من رسله ، وحينئذ كان القرآن له شفاء ورحمة لأنه لما عمل على هذا اجتمع له نوران نور عقله القلب ، ونور إيمانه الكاشف ، فكان نورا على نور ، وانقشعت عنه غياهب الجهالات إذ لا ظلمة مع نور كاشف ، وحدث من اجتماع هذين النورين نور ثالث ، لا هو عينهما ولا غيرهما ، كالبرزخ الحاجز بين الشيثيين ، لا هو عينهما ولا غيرهما ، إذ يحدث عند التركيب ما لم يكن لكل واحد من المركبين بانفراده ، فجمع بين الشرع والعقل ، بل وجدما كان يتوهمه خلافا وفاقا ، ووجد العقل لبنا والشرع زبدة ،

ذلك الابن منزّه وشبه لا تنزيه مطلق كتنزيه المتعقّلة ، ولا تشبيهه مطاق كتشبيه المشبهة ، فتشبيهه عين تنزيهه ، كشف الله تعالى له عن حقيقة الأمر فعرف محل التنزيه من محل التشبيه فأنزل الأشياء منازلها ، وأورد النصوص الواردة مواردها ، وحينئذ صار إطلاق اسم المؤمن عليه مجازاً ، إذ المؤمن هو المصدق تقليداً ، وهذا قد ارتفع عن مرتبة التقليد فهو يشاهد الأمر عياناً صار الغيب عن غيره شهادة له شهادة ضرورية ، وانظر قوله تعالى ، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، فهاتان الآيتان جمعتا التنزيه والتشبيه ، فان قوله ليس كمثله شيء تنزيه على زيادة الكاف ، كما هو رأي جمهور المتكلمين صريح في نفي التشبيه والمثل ، وقوله وهو السميع البصير ، تشبيه صريح لأن تعريف الجزئين يفيد حصر الخبر وقصره على المبتدأ ، فهو في قوة لا سميع ولا بصير الا هو ، وكل سميع وبصير هو ، ويصح تركيب قياس من الشكل الاول فنقول ، كل حي سميع بصير ، السميع البصير هو الله لا غيره ، فتكون النتيجة كل حي هو الله لا غيره ، أما صدق الأولى فبالضرورة ، وأما صدق الثانية فبالكتاب العزيز ، بل قوله ليس كمثله شيء بانفراده يعطي التنزيه والتشبيه ، على أن الكاف كاف الصفة كما هو رأي العارفين بالله تعالى ، فان الكلام المعجز يحمل عن الزيادة ولا يصار الى الزيادة ، إلا عند التعذر ، ولا تعذر هنا عند العارفين فمعنى إشارة الآية الكريمة الى هذا ، إثبات المثل له تعالى ، وهو التشبيه ونفي المماثلة عن هذا المثل وهو التنزيه ، فانه إذا كان لا مثل لمثله ، كان نفي المثل عنه تعالى أولى وأحق ، وليعلم أن الحق تعالى من حيث اسمه الباطن واسمه الأول ، لا كلام فيه لعقل ، ولا خبر عنه لرسول ، ولكن من حيث اسمه الظاهر واسمه الآخر أمكن للعقول الاستدلال عليه ، وللرسل أن تنبئ عنه ، لأنه لما ظهر باسمه

الظاهر فأوجد العالم على صورته ، أي صورة علمه ، وعلمه عين ذاته ، والعلم عين المعلوم ، ثم أوجد الانسان على صورة العالم ، وجعله نسخة مختصرة من العالم ، حينئذ أمكن الكلام فيه ، فالمماثلة إنما هي بين الصورة الأولى التي هي صورة الحق تعالى ، وبين الصورة الثانية التي هي صورة الانسان الكامل ، فيكون المعنى ليس مثل مثله شيء ، فالمثل المنزه هو الانسان الكامل ، أثبت له المثلية ونفى عنه أن يكون له مثل ، إذ هو الأصل في إيجاد العالم ولو تأخرت صورته ، فالعالم كله بجميع أجزائه العرش وما حوى بمائل الانسان ، والانسان بمختصره بمائل العالم كله فالعالم بمجموعه مثل ، والانسان بمفرده مثل ، فانت ترى هذه الآية كيف نزلت ، لأن تنزيه المماثل اسم فاعل ، تنزيه المماثل إسم مفعول ، وشبهت باثبات المماثل ، فالموثمن الذي يكون القرآن له شفاء ورحمة يكون القرآن كله له محكما ليس فيه متشابه لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ، فما في القرآن اختلاف ، بل هو كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ، وأما قوله وأخر متشابهات ، فانما ذلك في حق من ينصر عقله ويرجعه على الكتاب والسنة ، فان الله ما أرسل رسلا إلا ليعلموا عبادهم ويعرفوهم بربهم ، فطالب الحق بفكره وعقله ليس القرآن شفاء له ، فانه إذا سمع آية أو خبرا يفهم من ظاهرها تشبيها ، يقول أورث هذا الخبر أو هذه الآية شبهة عندي ، حيث خالفا عقله ، فمثل هذا لا يكون القرآن شفاء بل يزيد في علته ، وهو من الظالمين الذين يزيدهم القرآن خسارا ، إذ الظلم وضع الأشياء في غير مواضعها التي تستحقها ، وممن قال في حقه ، يضل به كثيرا ، ومن الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه حتى يؤوّلوه ويردوه إلى عقولهم ، وقد

عمت هذه البلوى ، فلا تجدد اليوم فقيها الأ على هذا المذهب ، وقد
نصحتك والله الموعد

(الموقف المائة والسبعة)

قال تعالى ، من اهتدي فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها ،
إعلم أن من حصلت له الهداية اهتدى ووصل الى مقصوده فانما اهتدى ووصل
الى نفسه لا الى غيره ، ومن ضل بان لم يصل إلى مقصوده ولا اهتدى اليه
فانما يضل على نفسه ، أي عن نفسه ، فعلى بمعنى عن وذلك لأن نفس الانسان
وروحه هي كل شيء يصح أن يعلم وتقصد معرفته من حق وخلق ، وجوهر
وعرض ، وحادث وقديم ، فاذا طلب الانسان الهداية الى شيء ليعرفه ووصل
اليه وعرفه فذلك الشيء نفسه وروحه ، فهي التي تصورت له بصورة ذلك
الشيء المطلوب المهتدي اليه ، إذ الانسان متى صفت روحه ونفسه وتزكّت
باتباع الكتاب والسنة ظاهرا وباطنا ، واستعملت الرياضة والمجاهدة وأراد أن
يعلم شيئا من الأشياء تصورت له روحه بصورة ذلك الشيء المطلوب على
حسب ماهو ، وعلى حسب ما يريد الله تعالى من تعريفه ، فروح الانسان خالية
من كل شيء لا نقش فيها لأنها أمر الله تعالى الواحد الذي هو كليم البصر ،
والمعلومات في العقل بالقوة ، فاذا امتزج العقل بالروح إمتزاجا معنويا ، ظهرت
العلوم في النفس وتصورت بها حتى الحق تعالى ، وما يستحقه من نعوت الكمال ،
فكل ذلك إنما هو للنفس والروح فهي التي تصورت بمسمى الحق تعالى
واجب الوجوب حتى علم وعرف بجميع ما يجب له من الكمالات ، وطالب
الحق تعالى إذا اهتدى ووصل يجد الطالب عين المطلوب واليه يشير خبر ، من
عرف نفسه عرف ربه ، فالفتح الذي يذكره القوم رضوان الله عليهم ، هو أن

يكشف تعالى للعبد أنه هو من غير حلول ولا اتحاد وأن الرب رب والعبد عبد، لا يصير الرب عبدا ولا العبد ربا، فإن قلب الحقائق محال، وجميع الأوامر والنواهي الشرعية إنما هي موضوعة لرفع الحجاب عن العبيد، حتى يصلوا إلى ربهم وصول علم برفع النسب والاعتبارات الحسية والعقلية، إذ هي كلها عند التحقق نسب لأعين لها في الوجود الحق، ولكن الآفة الطارئة على الأصول^(١) صيرته يرى الواحد اثنين، فسبحان مقرب الأبصار والبصائر (الموقف المائة والثمانية)

قال تعالى، هو الأول والآخِر والظاهر والباطن، أعلم أن الأولية والآخرية بالنسبة إلى الممكنات هي نسبة وإضافة، فالأول أول بالنسبة إلى ما بعده، والآخِر آخر بالنسبة إلى ما قبله، وقد يكون الممكن أولا وآخرا بنسبتين مختلفتين، وأما أولية الحق تعالى، فهي عبارة عن نفي البداية عن وجوده تعالى وهي ثابتة له تعالى أذلا كسائر أسمائه لا باعتبار موجود إذ لو كانت أوليته ونحوها بالنسبة إلى الممكنات لسكانت الممكنات ثانية له وليس الأمر على هذا أو أول باعتبار أن كل ما سواه منه ابتداءه وآخريته هي عبارة عن رجوع الأمور كلها إليه، كما قال، لا إله إلا الله تصير الأمور، وإليه يرجع الأمر كله، وليس الشأن في أوليته وآخريته بهذا المعنى، وإنما الشأن في أوليته التي تجتمع آخريته، وأخريته التي تجتمع أوليته، إذ هذه هي الخصيصة بالألوهية وهي التي عرف الآله بها، وهي الجمع بين الضدين، وليس المراد أنها عين تجمع الضدين، بل هي عين الضدين تظهر بهما معا، فهو أول من حيث ما هو آخر، وآخر من حيث ما هو أول، والعين واحدة لا من نسبتين بل من

نسبة واحدة، وانه تعالى مع كل شيء، لا يتقدم عن شيء، ولا يتأخر عن شيء، ولا يتجزأ، ولا يتبعض، فنسبه الذات الى الموجودات العينية والعلمية نسبة واحدة ليس للموجودات تقدم ولا تأخر بالنسبة اليها، فاخريته عين أوليته أولاً أوليته ولا آخريته، والحاضر المستفاد من تعريف الجزئين يفيد أنه لا أول الآهو، ولا آخر الآهو، فشكل أول وآخر هو، ولا آخر إذ الممكنات لانهاية لها، فهي متجددة لا إلى آخر وهذا هو الذي حير العقول وما قبلته، وكذا الظاهر والباطن، فهو ظاهر من حيث ما هو باطن، وباطن من حيث ما هو ظاهر من جهة واحدة، فظهوره عين بطونه، وبطونه عين ظهوره، من حيث الجمع الذاتي، ولكل واحد منهما أحكام وخصوصيات، من حيث الفرق الصفاتي، هذه الجملة لقينها الحق في النوم فالحققتها، فالاسم الباطن هو النفس الرحماني، والاسم الظاهر هو العما والنفس، عين العما، ولكن تبدلت صورته التي هي أمر اعتباري، والعما عين العالم، فالباطن عين الظاهر، والظاهر عين الباطن، والآية مصرحة بهذا كما قدمنا، فلا ظاهر الآهو، ولا باطن الآهو، فشكل باطن وظاهر هو، فهو الشاهد والمشهود والشهادة، ولا نقول ظاهر باسمائه، باطن بذاته، كما يقول الفقيه، لأن الأسماء أمور معنوية يستحيل ظهورها دون الذات المسماة بها، فهو الظاهر بالذات، الباطن بالذات، الظاهر للابصار والبصائر، الباطن عن الأبصار والبصائر، فأين الله وأين العالم فأنم الا الله المسمى بالعالم، فهو الظاهر في عين العالم، والعالم مظهر له وكل ظاهر في مظهر فقد انضم الظاهر الى المظهر من غير حلول ولا اتحاد ولا امتزاج وكيف يتحد الوجود بالعدم، أم كيف يحل الحدوث في القدم، وقد كان الحق باطنا فظهر نفسه بالعالم، فصار ظاهرا لان العالم صورته وهذا معنى قولهم

علم نفسه ، فعلم العالم من علمه بنفسه ، إذ ليس العالم بشيء زائد عليه تعالى ، قال الشيخ الأَكْبَر رضي الله عنه

نحن المظاهر والمعبود ظاهرنا ومظهر الكون عين الكون فاعتبروا
ولست أعبد إلا بصورته فهو الآله الذي في طيه البشر
وقال أيضا

فلا تفر ولا تركن الى طلب فكل شيء تراه ذلك الله
وقال أيضا

فما نتم إلا الله والكون حادث وما نتم إلا الكون والله ظاهر
وما العلم إلا الجهل بالله فاعتصم بقولي فاني عن قريب أسافر
فظهر الحق تعالى بذاته مسمى بأسماء العالم ، متصفا بصفاته ، هو حجاب
وبطونه ، ولو ظهر بأسمائه وصفاته ما كان للعالم عين ولا اسم ، فهو كالواحد
ينتهي الأعداد الى غير نهاية بذاته دون اسمه ، إذ ليس العدد إلا الواحد المنتقل
في راتب الأعداد ، متسميا بأسماء المراتب كالاثنين والثلاثة ، الى ما لا يتناهى ،
ولو ظهر باسمه وقيل واحد لبطل العدد ، فمن تجلى الحق تعالى عليه باسمه
الظاهر ، رأى الحق تعالى في كل شيء من ذرات العالم علوي وسفلي ، وما زهد
في شيء ، ولا طلب الاحتجاب عن شيء ، وهذا هو الذي يرى الوحدة في
الكثرة ، والكثرة في الوحدة ، يعني أنه يرى الواحد الحقيقي كثيرا بنسبه
وأسمائه واعتباراته ، ويرى الكثير واحدا باعتبار رجوع الكثرة الى العين
الواحدة وحدة حقيقية ، وكذا الجاهل يرى الحق تعالى لأنه عين كل ما يرى ،
ولكن لا يعرفه فهو يكلم الحق تعالى ويكلمه وهو معه في كل حركة وسكون ،
وهو جاهل به ، فانفارق بينهما العلم والجهل لا غير وحيث كان الأمر كما قلنا

وقاله كل عارف بالله ، فأين الحجاب وليس إلا الحق تعالى فهو لا يحجب عنه شيء ولا يحجبه شيء ، ولا يصح أن يقبل الحجاب ولا أن يكون غيره محجوبا عنه فانه لا غير ، وما ورد من ذكر الحجب النورية والظلمانية وعدّها بسبعين وسبعائة وسبعين ألفاً ، وقول جبريل بنبي وبينه سبعون حجبا لو وصلت الي أدناها لا احترقت ، وإنه لولا الحجب لأحترقت سبحات وجهه ما أدركه بصره في خلقه ، فقد قال شيخنا محي الدين رضي الله عنه ، حقيقة سبحات الوجه هي دلائل ذاتية إذا ظهرت نسباً لا أعياناً ، فتبين أنه عين تلك الأعيان أعني الوجه فزال الجهل الذي كانت ثمرة أن العالم ما هو عين الوجه فبقي العالم على صورته ، ثم تذهب السبحات بل اثبتته وأبانت عن الحق ما هو انتهى ، أقول ما ذكره سيدنا ظاهر في حق من يمكن أن يكون عليه حجاب ، فتحرقه السبحات فيزول ، فيقال كان في حجاب ثم احترق وزال ، وأما في حق من لا يصح في حقه حجاب دون شهوده كالملك فقير ظاهر ، لأن معرفة النبي والملك بالله تعالى ضرورية فطرية ، لا يقال أنهم كانوا في حجاب ثم احترق وزال ، وعندني أن الحجب في حق النبي والملك إنما هي مظاهر هيبة وجلال وعظمة ، بحيث لا يمكن مشاهدتها لخصوصية ذاتية لها ، فهي تغني مشاهدتها وتمحقه وتسحقه ، وأما غير الملك فما حجابهم إلا الجهل لظهوره الظهور الذي لا يتصور مثله ظهور ، وقربه القرب الذي لا يماثله قرب ، واتصافه بصفات المحدثات ، وتسميه بأسمائها ، فجعل لذلك وانحجب واستتر ، والجهل لا عين له فانه عدم العلم ، كما قال تعالى ، وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجبا مستورا ، أي مجهولا ، لأنه لو كان المراد أن الحجاب عليه ساتر يستره ما كان المستور حجبا ، ولما كان الساتر أولى باسم الحجاب فليس

الحجاب المستور إلا الجهل لا غير ، وأما الأسم الباطن فالتجلي فيه ممنوع جملة واحدة ، ما تجلى فيه لأحد سواه ، قيل لي في الواقعة يوم تقييدى لهذا الموقف ، لو كان الحق متجلياً لأحد من خلقه ، اتجلى للعلماء ، فعرفت أن المراد بالتجلي ، التجلي الممنوع ، وهو التجلي من حيث الاسم الباطن ، وأن المراد بالعلماء ، العلماء بالله تعالى ، الذين هم أعلى من العارفين (الموقف المائة والتسعة)

قال تعالى ، لا تدركه الأبصار ، وورد في الأثر أنه صلى الله عليه وسلم سئل ، هل رأيت ربك ؟ فقال ، نوراني أراه ، وورد أنه قال لسائل آخر ، نعم رأيته ، والتحقيق عندنا ، أنه رآه يقظة ليلة الأسراء ، وما زاع بصره وما طغى ، وجوابه للسائل في الرؤية الأولى ، أما لكونه صلى الله عليه وسلم ، عرف منه أنه لا يعرف إلا رؤية الذات البحت مجرداً عن المظاهر ، ولا يعرف هذا السائل أمر التجلي فكان هذا الجواب الساذج أولى به ، وأما أن يكون السائل لا يعرف إلا الرؤية المعتادة عند العامة التي تمنع أنوار الأشعة الرائي من تحقيق ما رأى ، فوزي له صلى الله عليه وسلم ، بأن الحق تعالى اسمه النور ، وأمر النور في منع تحقيق الرؤية مشهور ، وما قال ما رأيته لأن هذا السائل لا يعرف أن من رأى الحق إنما يراه ببصر الحق لا ببصره المقيد ، فانه قال فإذا أحبيته كنت سمعه وبصره ، الحديث ، وهو اللطيف الخبير ، ومن اطفئه تعالى أنه أخبر ، أن هويته هي بصر العبد وجميع قواه ، ومع ذلك لا يقدر أن يميز بين بصره وبصر الحق تعالى ، فمحمد صلى الله عليه وسلم رأى ربه يقيناً في مظهر وهو التعيين الأول وهو الخاص بمحمد صلى الله عليه وسلم ، لا يشاركه فيه غيره من رسول وملك ، (٢٨ - ل)

والرؤية في غير تعين محال ، وهذه الرؤية التي حصلت لمحمد صلى الله عليه وسلم من غير سؤال هي التي سألتها موسى صلى الله عليه وسلم فمنعها على حسب سؤاله لا مطاقا ، وما حصلت له حتى صعد ثم أفادها أطاقها مع بقاء هيكله على حالته ، وهو معنى قوله ان تراني أي لا تطيق رؤيتي مع بقائك على حالتك حسب سؤالك وأطاقها محمد صلى الله عليه وسلم لما خصه الله تعالى به من القوة روحا وجسما ، وأنه صاحب أرادتي وسائر الرسل عليهم الصلاة والسلام منتهاهم قاب قوسين ، وهو ظاهر العلم وظاهر الوجود ، والرؤية الحاصلة لمحمد وموسى عليهما الصلاة والسلام ، هي غير المشاهدة الحاصلة لكل عارف بالله تعالى ، من نبي وولي وان تفاوتت مراتبهم في المشاهدة وسواء كانت المشاهدة حال الغيبة عن العالم والمحققون من المعارفين لا يقولون أنهم يرون الحق تعالى حالة شهودهم بل يقولون إنهم مارأوه قطعا وإنما يرون صورهم ومرتبتهم واستعداداتهم في الوجود الحق تعالى ، فلا يشبهه الشاهد منا إلا نفسه لأن المشاهدة على قدر ما يعلم منه ، وإن كان العلم خلاف الشهود والرؤية فكل مشهود معلوم ما شهد منه وما كل معلوم مشهود ، فما يلزم من شهود الشيء العلم بحده وحقيقته وإلا فما علمه ولذا كان علما بالله شعورا فقط والشعور علم إجمالي يعطي إن تم شعورا به ، ولكن لا يعلم ماهو كما إذا رأيت صندوقا مقفلا ، فركته فوجدته ثقيلًا تعلم أن فيه شيئا ، ولكن لا تعلم ماهو وإنما يقول المحقق انه مارأى الحق في مشاهدته لأن الصور دائما تنوع على الرائي والحق تعالى عين واحدة لا يتنوع ، مع أن المحقق يعلم أنه مارأى الصور إلا في مرآة الوجود الحق تعالى ، فهو يرى ، ولهذا يشير أمامنا وقدوتنا محي الدين

قلوب العارفين لها ذهاب إذا هي شاهدت من لا تراهم
وذا من أعجب الأشياء فينا نراهم وما نراهم إذا نراهم
على أنه في حال الغيبة عن العالم في المشاهدة يقال أنهم رأوه ولكن
من الرائي ومن المرئي فإنها فناء محض ، فالرائي هو المرئي إذاً ، فعلى كل حال
ما رأوه وإنما يرى الراءون صورهم وتقوسهم و منزلتهم ، فكل مشاهد للحق
تعالى أو الخلق وكل عالم بالحق أو بالخلق إنما يشاهد ويعلم من كل مشاهد
ومعلوم قدر استعداده ومنزلته ، ولكن في الوجود الحق تعالى ، وما رأى
ما رأى إلا فيه ، فإن قال رأيت الحق صدق على طريقة التوسع ، وإن قال
ما رأيته صدق ، فإنه تعالى غير متعين حال تعيينه من حيث الذات ، وغير
مقيد حال تقيده وفي قوله ، فمن أبصر فلسفه ومن عمي فعلها ، تصریح بما
ذكرنا ، يعني أن من أبصر الحق عند نفسه وفي زعمه فانما أبصر نفسه ،
بمعنى استعداده ومرتبته ، ومن عمي فلم يبصر فانما عمي عن نفسه فعلي بمعنى
عن ذلك أن كل من رأى شيئاً يقظة أو مناماً إنما يراه على قدر استعداده
فنفسه رأى فما أبصر مبصر الحق من حيث هو لأن المقيد لا يبصر إلا
مقيداً ، ولا يبصر المطلق عن القيود أبداً ، فروية الوجود الحق تعالى مجردا
عن المظاهر والقيود محال في الدنيا وفي الآخرة ، لرسول وملك ولا شرف
مخلوق وأقربه محمد صلى الله عليه وسلم ، ولذا يقول أمامنا محي الدين
ولم يبد من شمس الوجود ونورها على عالم الأرواح شيء سوى القرص
وليست تنال الذات في غير مظهر ولو هلك الإنسان من شدة الحرص
يريد أن الشمس يدرك قرصها ولكن لا يحاط بها ولا تنضبط كيفياتها
ولا يعلم ماهي عليه وكذا الوجود الحق يشهد بالصود والمظاهر لأنها لا تشهد

إلا فيه وبه واسكن لا يعلم ولا يحاط به ولا ينضبط فما شهد حقيقة إذ نسبة
مأدرك منه الى ما لا يدرك نسبة المتناهي الى غير المتناهي وقال بعضهم
كالشمس يمنعك اجتلاؤك نورها فاذا اكتسبت برقيق غيم أمكننا
مشبه ظهور الوجود بالشمس فالشمس إذا كانت عارية من السحاب
لا تدرك وكذا النور الوجودي إذا كان مجردا عن المظاهر فاذا كسا الشمس
سحاب رقيق أمكن شهودها بحسب إدراك الرأي لا بحسب ماهي عليه وكذا
الوجود النوري قال شيخنا محي الدين

الشمس تدركنا والشمس ندركها نعم ومنها الينا العطف والمسدد
وإننا نراها وهي ظاهرة مثل التجلي ولم يظفر به أحد
النور يمنعنا من أن نكثفها فكيف من لا له كيف فيتحد
فالوجود الحق مرآة تظهر صورة المتجلي له فيها يقدر استعدادده، فتظهر
أحواله وأحكامه كما أن الوجود يظهر في مرآة الأعيان بحسب استعدادها
وقابليتها لظهور أحكامه وأوصافه والصورة دائما حائلة بين الرائي والمرآة
فغير ممكن أن يبصر المبصر الصورة والمرآة في آن واحد، كما ذلك هو في
الشاهد فلا يبصر أحد الوجود الحق من غير صورة إلا إذا فني عن القيود
كلها وحينئذ يكون الرائي والمرئي هو الحق فما أبصره غيره إذ الغيرية منتفية
حال الفناء فلو فرض أن الرائي ما ظهرت له صورته ولا صورة غيره ربما كان
يراه، وهذا لا يكون البتة، فحمد صلي الله عليه وسلم الذي هو أحب
وأشرف وأقرب من كل مخلوق ما رآه في مرتبة أو أدنى إلا في مرتبة التقيد
فكيف بطمع غيره فيما لا مطمع فيه، وما نزل وحي ولا أخذت شريعة إلا
من مرتبة التقيد، وقد ورد في الخبر، المؤمن مرآة المؤمن، أي المؤمن الذي

هو الحق مرآة المؤمن الذي هو الولي ، وبالعكس وإنما خص المؤمن وإن كانت مرآئية الحق عامة لشرفه ، ولأنه هو الذي تنكشف له هذه المرآية لا غيره ، وقال إمامنا محي الدين ، هو مرآتك وأنت مرآته ، يعني هو مرآتك في رؤيتك نفسك ، وآيتك الوجودية العينية ورؤية غيرك كذلك ومرآتك في شهودك عينك الثابتة العلمية الغيبية ، إذا كوشفت بها وكنت من خاصة الخاصة وأنت باعتبار وجودك العيني مرآته تعالى في رؤية أسمائه التي هي ذاته . أخوذة ببعض النسب والاعتبارات ، وليست النسب غير الذات ، فتارة هو المرآة والعبد الرائي ، وتارة العبد المرآة وهو الرائي والرئي ، فالتبس الأمر ، واختلط الشأن ، فلم يتميز الرائي من المرئي من المرآة ، فأيهما حق وأيها خلق ، فإن الناظر نفسه في المرآة هو الوجود الحق ، إذ كل راء لا يرى الحق إلا بما فيه من الحق ، والصورة في المرآة إنما ظهرت من المتوجه على المرآة وهو الوجود الحق ، والمرآة هي الوجود الحق

رق الزجاج ورافت الخمر فتشابهها فتشاكل الأمر
فكأنما خمر ولا قدح وكأنما قدح ولا خمر
البيتان نسبهما الشيخ الأ كبر إلى الحسن بن هانيء ، ونسبهما ابن خلكان إلى صاحب بن عباد ، انتهى بخطه ، حار العارفون وحق لهم أن يحتاروا وأرادوا أن يجعلوه عين العالم فما صفا لهم ذلك انزاهته وقدهسه وأرادوا أن يجعلوه غير العالم فما صح لهم ذلك ، لأن العالم ليس بشيء زائد على نسب علمية مع اعتبار العلم عين الذات ، فالعارف في حجاب ، والجاهل في حجاب ، وإن اختلفت الحجب والعالم في حجاب ، والرأي في حجاب ، والمشاهد في

حجاب ، والمكالم في حجاب ، وكل ما أشعر بالاثنية فهو حجاب وإنما الشأن في العينية وهي لا تجمع الشعور بقيد من قيود الغيرية ، ومن غريب الاتفاق أن إمامنا محي الدين رضي الله عنه ، ذكر عندما تكلم على الطبيعة أنه رأى أمه مكشوفة العورة فسترها ، قال فلذلك سترت ، وما أظهرت ما كنت أضمرت أو نحو هذا الكلام ، يريد أنه عبّر الأم بالطبيعة ، وأنا عبد الله رأيت أثناء كتابتي لهذا الموقف في المنام أبانا آدم عليه السلام أخرج من قبره عريانا فسترته بكسا ، وكان عندي ، فعرفت أن الذي فيه هو الأب الحقيقي الذي منه خرجنا وعنه درجنا ، فلذلك رمزت ولوحت ، وسترته وما أوضحت ، وفي آخر هذه الرؤيا بشارة وأى بشارة ، والحمد لله رب العالمين

(الموقف المائة والعشرة)

قال تعالى ، وقل رب زدني علما ، أعلم أن رسولنا محمدا صلى الله عليه وسلم ملكه الله تعالى كل فضيلة ، وزينه بكل خصلة جميلة ، وما أمره بطلب الزيادة من شيء إلا العلم لعظم شرفه ، ولشرفه على سائر الأسماء والصفات جعله بعض سادات القوم أمام الأئمة ، واعترض على الشيخ الأكبر حيث جعل الاسم الحلي أمام الأئمة ، ولهذا كان علم الحق تعالى عين ذاته إذ المعول عليه هو العلم ، فلو كان غير ذاته تعالى لكان المعول عليه غير الذات ، وهذا لا يقوله عاقل ، وليس المراد بالعلم المأمور بطلب الزيادة منه علم الشرائع والأحكام ، من واجب ومباح وحرام ، فإن هذا النوع من العلم كان صلى الله عليه وسلم يكره الزيادة منه ، ويقول لأصحابه الكرام اتركوني ما تركتم أي لا تسألوني عن الجلال والحرام ، وعن الواجب هل مكرر أم لا كما في

حديث الحج حتى أخبركم إذا نزل به وحي وقال صلى الله عليه وسلم، ومن أظلم ممن سأل عن شيء حرم من أجل سؤاله أو كما قال وإنما المراد بالعلم المأمور بطلب الزيادة منه هو علم التجليات الربانية، وعلم الأسماء والصفات الآلهية، وهو العلم الذي لا تزال ثمرته ملازمة لصاحبه في الدنيا والآخرة في جميع مواطن القيامة وفي الخلود، في الجنة أبد الآباد، وأما غيره في سائر العلوم فالأمر يحتاج إليه في الدنيا، دار التكليف والاحتياج والفاقة، وليعلم أن العلم حقيقة معنوية بسيطة، لا توصف بالزيادة والنقص، والقلة والكثرة، إلا من حيث المعلومات المنكشفة بها فينمذ تتعدد بتعدد المعلومات كما أن كل معلوم حقيقة واحدة لا تتعدد ولا تتجزأ ولا تتبعض، ولكن كل وحدة لها كثرة بحسب وجوهها واعتباراتها، قليلة أو كثيرة، فبهذا تلحق العلم القلة والكثرة والزيادة والنقص مثلاً الحقيقة يكون لها مائة وجه واعتبار، علم منها زيد عشرين وجهاً، وعلم عمر وخمسين، وعلم بكر ثمانين، فعلم زيد أنقص من علم عمر ووعلم بكر أكثر منهما، وعلم عمر وأكثر من علم زيد وأنقص من علم بكر، وكل من زعم أنه علم شيئاً وانتهى علمه فيه، فذلك دليل على أنه ما علم ذلك ولا يعلم المعلوم إلا العلم، وأما العالم فأنما يدركه بواسطة العلم فأنما كان العلم حجاباً بين العالم والمعلوم، فلا تقل إنك أدركت شيئاً قديماً أو حادثاً وإنما أدركت العلم وكل الأشياء تدرك بالعلم، والعلم يعلم بنفسه، وقد ذكرنا في غير ما موقف من هذه المواقف أن الوجود ليس إلا للحق، وكذا توابع الوجود من علم وقدرة وإرادة، وسمع وبصر، وكلام وحياة، فما لا وجود له لا شيء له، وقد ذكرنا أن علم الحق تعالى عين ذاته فافهم واعرف، وارفع الستارة ولا تقف، فإن العرائس من ورائها أفدي من ذاق كلامنا أفدي من إذا

لم يذقه سلمه الينا ، ومن ذاق ما ذقنا عرف الفرق بين العلم والوهم ، وليس الوهم الا الخيال الذي هو متحد العالم كله ، أعني معرفة الفرق بالمعنى الذي رمزنا عليه ، وأوماً نأليه ، لا بالمعنى الذي قاله علماء الرسوم في أنه عند استواء الطرفين يكون شكاً ، فإذا كان أحد الطرفين راجحاً والآخر مرجوحاً ، كان الراجح ظناً والمرجوح وهماً ، ولهذا يقول كل ما يحسبه علماء الرسوم علماً فهو وهم ، وهذا العلم هو الذي يقول القوم فيه إنه حجاب ، فإن الحق تعالى إذا تجلى باسمه الظاهر يكون هذا العلم حجاباً ، رأيت في الواقعة سفينة فسألت عن اسمها فقبل اسمها جالب اليواقيت الى أجواف الخبائث ، فعرفت أن السفينة هي العلم المنجي من بحار الجهالات ، وأمواج الأهواء ، وريح الضلالات ، وجلبه لليواقيت هو ما ينكشف به من نفائس المعلومات ، والحقائق المبهمة ، وأجواف الخبائث هي النفوس الطبيعية ، فإن الخبث ضد الطيب ، والأرواح طيبة كما قال ، اليه يصعد الكلم الطيب ، والنفوس ما هي مثل الأرواح فهي بالنسبة الى الأرواح خبث ، وبواسطة الأرواح تتكشف المعلومات للنفوس

(الموقف المائة والحادي عشر)

قال تعالى ، والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظالمون ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ، ووجد الله عنده فوفاه حسابه ، أى مثل الذين كفروا وسترُوا علمهم ومعرفتهم برهم ومثل أعمالهم كسراب بقيعة ، أى هم وأعمالهم في التمثيل كالسراب الذي يدركه المدرك بالقاع فيتوهم بحسب إدراكه أنه أدرك شيئاً يحسبه الظالمون ماء ، حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ، هذا وجه الشبه يعني أن المتعطش الى ماء الحياة الأبدية والقرب من الله تعالى ، إذا رأى الذين

كفروا ورأى أعمالهم في اجتهدهم وملازمتهم للطاعات ، واقبالهم على أنواع القربات ، والمسارة الى نوافل الخيرات ، يحسبهم أنهم عند أنفسهم لهم وجود وانهم فاعلون ، تاركون ، متقربون ، وأنهم يرجون بذلك حصول نفع ، أو دفع ضرر ، فيعظم ظمأ المتعطش الى ماء الحياة والتقرب من الحق تعالى ، فاذا وصل الظمآن الى ظاهر أحوالهم واليهم ، وتجاوز من معرفة ما ظهر الى ما بطن ، لم يجدهم في أنفسهم ولا في أعمالهم شيئا مغايرا للحق تعالى ، وهكذا هو التجلي الالهي في الصور يكون بصورة حاجة المتجلي له ، كما تجلى لموسى عليه الصلاة والسلام بانار لأنه كان يطلبها ، فهذا المتعطش الى السعادة الأبدية يحسب أن ما عليه الذين كفروا في ظواهرهم من الأعمال هو الماء الذي من شرب منه لم يظأ أبدا ، فلما وصله لم يجد من تلك الصور العاملة العابدة في بادي الرأي ولا من الصور المنعولة المتعبد بها ، إلا الله تعالى متصورا بصور العابدين وبصور عباداتهم ، ومتجليا بها ، فكان الله تعالى العابد بتلك الصور وهي كالات وهو المعبود بها وهذا معني وجد الله عنده ، أو يكون المعنى أن الطالب لما القرب منه تعالى يتوهمه بعيدا منه ، كما يرى العطشان السراب من بعد فيطلبه ويلقى في طلبه مشقة وتعبا ، فاذا جاءه بمعنى انكشف عن الطالب حجاب ، وأميط عن المطلوب نقابه ، وجد ، طالوبه عنده ومقصوده بعد ما فارقه من أول قدم كما قيل

ومن عجب أني أحن اليهم وأسأل شوقا عنهم وهم معي
وتبكيهم عيني وهم في سوادها ويشكو النوى قلبي وهم بين أضامي
فوقاه حسابه أي أعطاه عطاء تاما فوق ما كان يؤمله ويحسبه ، ويعده

من الكرامة، وحسن المقامة، فانه تعالى عند ظن عبده به، كما أخبر تعالى بذلك
عن نفسه

(الموقف المائة والثاني عشر)

قال الحق تعالى لبعض عبيده أتزعم محبتي وان كانت فما هي إلا نتيجة
عن محبتي لك فأنت أحيتت موجودا وأنا أحيتتك معدوما، ثم قال له وتزعم
أنك تطالب القرب مني، والانحياش اليّ، وأنا أشد طلبا لك منك، طلبتك
لحضور من غير واسطة يوم ألدت بربكم و كنت روحا ثم نسيت فطلبتك
بارسال الرسل بعد أن صرت جسما، كل هذا محبة فيك لك لا لي، ثم قال
له، أرايت لو كنت في أشد ما يكون من الجوع والعطش والتعب ودعوتك
لي فتعرضت لك الجنة، محورها وقصورها وأنهارها وثمارها وغنائمها
وولدانها، بعد أن أعلمتك أنك لا تجدد عندي شيئا من ذلك ماذا كنت
فاعلا ؟ فقال له، أعوذ بك منك

(الموقف المائة والثالث عشر)

قال تعالى، ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في
أسمائه، سيجزون، ما كانوا يعملون، من البين المعروف عند أهل اللغة والعقل
أن الاسم ما عين المسحى ومميزه عن غيره، وهو عند أصحاب الكشف والشهود
كل ما ظهر في الوجود، وامتاز في الغيب علي اختلاف أنواع الظهور
والامتياز، وهو في التحقيق التجلي المظهر لعين الممكن الثابتة في العلم والحق
تعالى ما ميزته هذه الأسماء، التي يقال أنها حسنى إذ قد شاركته في التسمية
بها المحدثات فانه يقال في غيره تعالى، أنه حي متكلم قادر عليم الى آخر الأسماء
الحسنى، وسمي تعالى نفسه ونعتها في كتبه وعلى السنة رسلا بأسماء المحدثات

ونعوتها ، التي يقول فيها المتكلمون أنها ليست أسماء ولا نعوتاً له تعالى ،
ويؤوّلونها ، ومن جملة الأسماء الحسنى الظاهر ، وهو تعالى ، ما ظهر لنا
في العموم حتي نعرفه ونميزه بهذا الاسم ، فأبن التمييز بهذه الأسماء
الحسنى المحصورة في التسعة والتسعين ، فما بقي إلا أن كل ما يقال فيه غير
الله وسوي الله ، هو مسمى باسم خاص ، ومنعوت بنعت خاص ، لا يشاركه
فيه غيره من المحدثات فهو تمييز محدث عن محدث والله تعالى له جميع
الأسماء والنعوت التي يقال فيها حسنى والتي يقال فيها غير حسنى ، وتكون
كلها حسنى اذا نسبت اليه تعالى فالحسنى صفة كاشفة لا مخصصة فما كان
تميزه تعالى إلا بجمع الأسماء جميعها والنعوت كلها ، وغيره ليس له ذلك ومع
هذا فلا يسمى ولا يطاق عليه إلا ما أطلقه على نفسه من أسماء المحدثات
ونعوتها ، أو أطلقته عليه رسله عليهم الصلاة والسلام ، الذين هم أعرف به
كما أنه لا يسمى غيره تعالى إلا باسمه الخاص به ، الموضوع له ، فما كل حق
يقال فهو تعالى عين كل مسمى بكل اسم ، وعين كل منعوت بكل نعت ، وبهذا
تميز فهو عين الكل وليس الكل عينه ، فامتيز تعالى عن شيء ولكن
الأشياء تميز بعضها عن بعض ، تميز الأسماء بعضها عن بعض ، والذات
جامعة للكل يشير الى هذا قوله تعالى ، يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله
أثبت تعالى الافتقار اليه لا الي غيره ، ونحن نجد افتقار المحدثات بعضها
إلى بعض ضرورة ، فدل ذلك على أن كل مفتقر اليه هو الله لا غيره ، وذروا
الذين ياحدون في أسمائه أي اتركوا وباعدوا الذين ياحدون أي يميلون عن
الأسماء التي يقال أنها غير حسنى ، الى الأسماء التي يقال أنها حسنى ،
ويخصونه بها دون غيرها مما ورد من الأسماء والنعوت التي أطلقها الحق

تعالى على نفسه ، أو أطلقت رسله عليهم الصلاة والسلام ، والمراد بالملحدین هنا الذين يؤولون ما ورد في الكتاب والسنة ، ولا يؤمنون به على مراد الله تعالى ومراد رسله عليهم الصلاة والسلام ، فهم ياحدون في أسمائه ويعملون عن أسماء التشبيه التي هي تجليه تعالى باسمه الظاهر ، الي أسماء التنزيه التي هي تجليه باسمه الباطن ، فلا يشهدونه ويعرفونه إلا في التنزيه وما هو تنزيه عند المحقق ، ولهذا يتعوذون منه تعالى في القيامة ، حين يقول لهم ، أنا ربكم ، فلم يلحدوا ووقفوا في نقطة الاعتدال كما هو الأمر عند السادات العارفين بالله تعالى ، تنزيه وتشبيه ما أنكروه في تشبيهه ولا تنزيه ، عرفوه في جميع التجليات ، الظهور والباطون ، سيجزون ما كانوا يعملون ، ومن أشر جزائهم وأشد عليهم انحجابهم عن معرفته تعالى ، في الصور الشهادية الدنياوية ، وفي الصور الأخرائية ، في القيامة في ذلك الموقف الحافل المهائل

(الموقف المايه والأربعة عشر)

قال تعالى ، وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم ، وقال ، وما ظلمهم الله ، ونحوها من الآيات التي تثبت ظلم النفس لنفسها ، فإن صاحب النفس ليس مغايرا لنفسه حتى يكون هناك ظالم ومظلوم ، يعني إن الواقع بهم ، مما لا يلائم طباعهم ، مما يظن أنهم غير أهل له ولا مستحقينه ، وإنه تعالى ظلمهم بذلك فما هو الأمر كما ظن ، بل إن كان ذلك ظلما على سبيل الفرض فما هو منه تعالى ، وإنما ذلك من انفسهم وأعيانهم الثابتة ، فانها طلبت ذلك باستعدادها ، فليس لله تعالى إلا إعطاء الوجود لما طلبوه باستعدادهم ، وبهذا كانت الحجة البالغة له تعالى عليهم ، وليس بين قوله فله الحجة

البالغة وقوله ، فلو شاء لهذا كم أجمعين ، تناف كما يتوهم حتى يقولوا ، لم
لم نشأ هدايتنا جميعا ، فانه ما انتفت مشيئته هداية الجميع الا لا تنفء تعلق
العلم القديم بذلك ، إذ العلم يتبع المعلوم ويتعلق به علي ما هو عليه ، فانه
صفة انكشاف وحكاية للمعلوم ما هو صفة تأثير ، والمعلوم هو أن منكم
مهتد ومنكم ضال ، فانتفت مشيئته هداية جميعكم لا تنفء تعلق العلم بهداية
جميعكم ، وانتفى تعلق العلم بهداية جميعكم ، لكونكم مختلفين في الاستعداد ،
فمنكم مستعد للهدى ، ومنكم مستعد للضلالة ، والاستعداد لا علة له فانه
من سر القدر ، والى هذا المنحاشير قوله تعالى ، إن الله لا يغير ما بقوم
حتى يغيروا ما بأنفسهم ، أى أنه تعالى لا يغير حال قوم أو أحد وينقلهم من
حالة إلى حالة أدنى أو أعلى ، فى الظاهر ، حتى يغيروا ذلك بأنفسهم ، بمعنى
يطلبون باستعدادهم فى الباطن من الحق تعالى إيجاد تلك الحالة المنتقل اليها
وهو معنى التغيير ، فليس للحق تعالى الا إعطاء الوجود لتلك الحالة المنتقل
اليها بطلبهم الاستعدادي واراדתهم لذلك وهكذا على الدوام فى جميع
الأحوال ، فى جميع المخلوقات ، فما حكم عليهم غير أنفسهم
(الموقف المائة والخمسة عشر)

قال تعالى ، الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الآية ، الواو ، واو
الحال ، والحال قيد فى صاحبها احترازا من الذين يذكرون الله ولا تطمئن
قلوبهم بذكره وهم الظالمون العاصون يجرى ذكره تعالى على ألسنتهم من
غير حضور ولا تعظيم له تعالى ، قال تعالى ، فى بعض الأخبار الآلهية
لبعض أنبيائه ، قل للظالمين لا يذكروني فانهم إن ذكروني ذكرتهم باللعن أو
كما قال ، فقوله وتطمئن قلوبهم بذكر الله ، هو وصف لمن أناب على

إرادة كل من اتصف بهذا الوصف وهو الرجوع من الخلق الى النفس ،
ومن النفس الى الحق تعالى ، وهو إيمان خاص أي آمنوا وصدقوا بأنه
تعالى يذكرهم ذا ذكروه لقوله تعالى ، فاذكروني أذكركم ، ولقوله إذا ذكرني
في نفسي إذكرته في نفسي الحديث بطوله ، فهؤلاء تطمئن قلوبهم وتأنس
وتسكن من ألم الاشتياق وحرقة الحب ، وقلقه بذكر الله إياهم لا بذكرهم
إياه ، ثم نبه تعالى أنه لا يحق الاطمئنان ، وينبغي السكون والأيساس إلا
بذكر الله تعالى لعبده فإنه المنقبة العظمى والمرتبة الزلفى كما قال تعالى ، ولذكر
الله أكبر ، أي ذكر الله تعالى عبده أكبر وأعظم من ذكر العبد ربه في
صلاته وسائر تقرباته ، من حيث إن ذلك أصبح دليل على القرب والقبول
(الموقف المائة والستة عشر)

ورد في بعض الأخبار ، ادعوني بالسنة لم تعصوني بها ، أعلم أن لسان
العبد وسمعه وبصره وسائر قواه الظاهرة والباطنة هي في نفس الأمر هوية
الحق تعالى كما قال تعالى ، كنت سمعه وبصره ولسانه ، الحديث بطوله سواء
شعر العبد بذلك أو لم يشعر ، فإذا كان العبد غير شاعر بذلك فإنه ينسب اللسان
والسمع والبصر وسائر القوى إليه ، فينسب جميع الأفعال إلى نفسه فإذا حصل
للعبد كشف وشعور ، نسب الأفعال كلها الصادرة عن القوى في بادي الرأي
التي هي هوية الحق في نفس الأمر إلى الحق تعالى لا إلى نفسه ، وحينئذ
يسكون داعياً باللسان الذي ماعصى الله به وهذا اللسان هو الحق تعالى ماهو
اللسان الذي يعصي به العبد ولا يتصور ذلك ، فإن العبد لا يعصي إلا إذا كان في
غير هذا المشهد وهو الفرق الأول ولا يمكن أن يكون الأمر في الخير للعموم ،
فإن العموم غير معصومين ولا أن يكون لخصوص المعصومين وهم الأنبياء

فانه تحصيل للحاصل ، ويصح أن يكون ما ذكرناه في معني هذا الخبر مرارا في الخبر الوارد ، أوحى الله إلى موسى صلى الله عليه وسلم اذكرني بلسان لم تعصني به والمعصية من موسى عليه السلام محال فيكون أمره بالاحسان إلى أهل هذا المقام بالخصوص فيشكرونه فيكونون شاكرين ذاكرين له تعالى ، به لهم بالخبر بالحقائق ومصادر الأمور يعني بمعنى كن ، سببا في ذكرني بلسان غيرك فمن يذكرني بي وإن كان له معني آخر ذكره أمام العارفين شيخنا محي الدين فانه لا ينافي أن يكون هذا المعني مرادا أيضا وكذا يصلح أن يحمل على هذا المعني ماورد في صحيح البخاري وغيره من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه ، فانه ليس المراد من موافقة الملائكة إلا التبري من نسبة الأقوال والأفعال لغيره تعالى ، لا الموافقة في الزمان فانها لا أثر لها سواء كان مشهد المشاهد أن العبد فاعل بالله تعالى وهو الشهود الحاصل من قرب النوافل أو كان مشهده أنه تعالى فاعل بالعبد ، وهو الشهود الحاصل من قرب الفرائض

(الموقف المائة والسبعة عشر)

قال تعالى حكاية عن إبليس قال ، فبعتك لا غوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين ، اعلم أن الغي هو الضلال عن المقصود ، والاغواء هو الاضلال عن المقصود ، والمطلوب منه ، وبنو آدم في تعرض إبليس لهم وتفوذ ضرره فيهم ، على أقسام منهم من يتعرض له فينفذ ضرره فيه ظاهرا وباطنا وهم عامة بني آدم سواء منهم المؤمن وغير المؤمن ، ومنهم من يتعرض له ظاهرا وباطنا فينفذ فيه ضرره ظاهرا وباطنا ، وهم الكمل من الأولياء ورثة الأنبياء فانهم يقبلون ما يأتيهم به من الشر إلى الخير ، فيرجعون بتعرضه فيجد لذلك غيظا وحسرة وهذا أشد ما يلاقى إبليس من أولياء الله حيث رجع سهمه عليه ،

وعاد وبال فعله اليه ، ومنهم من يتعرض له ظاهرا لا باطنا لعله بأن تعرضه لهم في بواطنهم لا ينفذ لعصمتهم ، وهم الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ، ولذا استثناهم بقوله ، إلا عبادك منهم المخلصين ، قرى باسم الفاعل واسم المفعول ، ونمرة هذا الاستثناء وإن حصات لبعض الكمل غير الأنبياء فذلك من بركة متابعتهم للأنبياء ، وإلا فالمقصود بالقصد الأول هم الأنبياء وعدم تعرضه لهم في بواطنهم بمعنى أنه لا يزين لهم المعصية ، ويحسن لهم المخالفة من حيث لا يعرفونه ، ويعدم ويمتنعهم كما يفعل مع غير الأنبياء ، لا عدم التعرض مطلقا فإن تعرضه لهم ظاهرا وارد في الكتب الآلهية ، والأخبار النبوية ، من غير أن يؤثر ذلك في مقاماتهم العلية ، وأحوالهم البهية ، وحقيقة المعصية هي فعل محرم وقع عن قصد اليه ، والزلة ليست بمعصية ممن صدرت منه وإن كانت صورتها صورة معصية ، وكل ما ورد من الظواهر في الكتب المنزلة والأخبارات النبوية ، مما يعطي ظاهره نسبة الأنبياء إلى المعصية فليس هو من المعصية | حقيقته في شيء ، وإنما ذلك بحسب مقاماتهم السامية وبحسب ما عرفوه هم دون غيرهم من جلال الربوبية فإن قيل فلم أطلق الحق عليهم المعصية قلنا يصح أن يكون خطابه لهم بذلك لكونهم لما صدر منهم ما صورته غير طاعة نسيانا كما في قصة آدم عليه السلام ونحوها أو يكون الحق تعالى أمرهم في بواطنهم بما يخالف الظاهر كما في قصة يوسف وأخوته ، وقصة خضر موسى عليهم السلام ، ونحو ذلك ، أو يكون ما صدر منهم خلاف الأولى والأفضل أو بوجه من الوجوه التي لا يؤخذ بها غيرهم ، مثل كذبات الخليل وقتل موسى القبطي ونحو ذلك ، استعظموا ذلك وحدّثوا أنفسهم أنهم أذنبوا بآديء الرأي منهم مخاطبتهم الحق حسب حديثهم أنفسهم ، فإن الوحي غالبا يتبع حديث نفوس

الأنبياء أو يكون الحق تعالى أطلق عليهم اسم المعصية بحسب كون ذلك الأمر غير طاعة في الظاهر وقربة لا غير ، كيف لا والحق تعالى شهد لآدم عليه السلام بالنسيان فقال ، فذبي ولم نجد له عزماً ، أي قصدا للمعصية والاجماع ، على أن الناسي غير عاص ، ولا مؤاخذ فيما بينه وبين الله تعالى ومع هذا قال تعالى ، وعصى آدم ربه ، فلمسيد أن يقول لأعز عبده ما شاء وليس للعبيد أن يقولوا مثل ذلك القول ، فإن قيل قد أخبر تعالى في كتبه وأخبر رسوله الصادقون أن الأنبياء كانوا يبكون ويتضرعون ويتوبون ويعترفون ويستغفرون مما صدر منهم ، قلنا إنما ذلك اكتمال معرفتهم بقدر الربوبية ، وما يجب لها من الأُغْظام والأجلال فهم يشاهدون حسناتهم سيئات ، إذا نسبوها لما تستحقه الألوهية ، فكيف إذا ظهر منهم ما صورته غير صورة طاعة ولا لهم سماعوا قوله تعالى ، ان تنصروا الله ينصركم ، أي ان تنصروا الله على أنفسكم فتنسبوها للتقصير فيما يجب عليها من حقوق الربوبية ، وإنها ما قدرت الربوبية قدرها ، ولا وفاتها حقها ، فلا تعتذروا عنها ولا تنتصروا لها ولا تجادلوا عنها ، ينصركم عليها ويجعلها في قبضتكم ، وتحت أسر قهركم ، فتنصروا فيها بحكم الشرع والعقل ، ولأن مطمح نظرهم صلوات الله وسلامه عليهم إطلاق الألوهية من حيث أنها لا تقييد عليها ، ولا حصر لها ، ولا ميزان ولا ضبط ، فلماذا لا يأمن مكر الله نبي ولا ولي ، فلا يأمن مكر الله الآ القوم الخاسرون ، وإنما لهم حسن الظن به تعالى ولو كانت لهم معاص وذنوب ، كما يقوله كثير من المتكلمين والمفسرين والمؤرخين ، الذين ما عرفوا الله تعالى ولا استحيوا منه ولا راقبوه في أعز عبده عنده لذكروها يوم القيامة في ذلك الموقف الهائل ، يوم تبلى السرائر ، فما ذكر إبراهيم إلا قوله هي أختي ، وقوله ، فعله كبيرهم ، وقوله ، إني سقيم ، وذكر نوع

دعوته على قومه وذكر موسى قتله القبطي ، وذكر آدم أكله من الشجرة نسياناً ،
فيالله والمسلمين ، فهل هذه معاص وذنوب بالنسبة إلي غيرهم ، صلوات الله
وسلامه عليهم ، فنسبه قرناء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إلى الأنبياء من
حيث بوأطنهم ، أعني ماعدا حواسهم الظاهرة والباطنة ، في المثل قاطع الطريق
إذا رأى رجلاً شاكي السلاح كامل العدة حذراً ، فطنا ، يقظاً ، تبدو عليه سمات
الفتك والشجاعة فهو يلاحظه ويماشيه من بعيد لعله أنه لا قدر له عليه ولا
سلطان ، فما لقرناء الأنبياء من حيث قلوبهم تسلط ، وبالجملة فمقام النبوة أسمى
من أن يعبر عنه بعبارة ، أو يدرك لغير أهله بذوق ، أو بأشارة أو ينال بغير
الاختصاص الآلهي أو يجادل ، أو يستشرف عليه مستشرف أو يتناول ،
فبدايته غاية أعلى مقامات الأولياء ونهاية الصديقين الأصفياء ، والنبوة
مهموزة وغير مهموزة من النبأ أو النبوة ، ومارفعة هذا المقام الراسخ السامي
الشامخ بالأنباء عن المغيبات ، وظهور الآيات وخوارق العادات ، فإن هذا قد
يكون لغير أهل مقام النبوة ، وما انقطع ولا ينقطع إلى يوم القيامة ، وإنما دفعته
باختصاص أهله بالعبودية المحضة التي لا يشوبها ربوبية بوجه ولا حال ،
فكأن الربوبية كاملة في معناها من كل وجه وحال لا يشوبها نقص فعبودية
الأنبياء كاملة في معناها لا يشوبها نقص ، فالأنبياء هم العبيد الخالص وهذه
العبودية الخاصة بالأنباء هي التي سد بابها وختم بحمد صلى الله عليه وعلى
آخوته وآله وسلم ، وانقطع الانصاف بها ، والتطلع لنيلها ، وسد باب العبودية
المحض هو الذي قطع قلوب العارفين والصديقين لأنهم علموا أنه بقدر
تمحيض العبودية تكون منزلة العبد عند حضرة الربوبية ، فهما حضرتان
متقابلتان ، كما قال صلى الله عليه وسلم لأبي طالب ، لما قال له ، يا ابن أخي ما

أري ربك الا مطيعا لك، وأنت يا عمي، لو أطعته لأطاعك، وبعد ما ورد عليّ هذا الوارد وعزمت على تقييده، رأيت في المنام أنّي أتكلم مع الناس في مقام النبوة فن جملة ما قلت لهم، إنّ أجسام الأنبياء حيث أرواحهم وأرواح غير الأنبياء حيث أجسامهم، إنّ أجسام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام محكوم لها بحكم الأرواح في الطهارة والصفاء، وكال الطاعة والمعرفة، وعدم التدنس بأحكام الطبيعة المظلمة، وإن لا يستها ظاهرا فهي لا حقة بالأرواح لغلبة حكم أرواح الأنبياء على أجسامهم، فهي مغلوبة لها، والحكم للغالب، كحال أهل الجنة في الجنة، ولهذا لما رأى بعض أهل الكشف أهل الجنة، ورأي الحكم لأرواحهم قال، لا حشر الا للأرواح دون الأجسام، وأراح غير الأنبياء حيث أجسامهم، أي أرواح غير الأنبياء وإن كان أصلها الطهارة والصفاء، وكال الطاعة والمعرفة، فهي محكوم لها بحكم الأجسام لكون أرواحهم مقهورة لأنفسهم، وللأمور الطبيعية الظلمانية، ومغلوبة لها، فهي تجري على مقتضى الأجسام والعجب كل العجب من بعض العلماء حيث نجرؤا على مقام النبوة ونسبوا اليه ما نزه الله عنه بعض أكابر الأئلياء، فضلا عن الأنبياء، وما تأدبوا بأدب عباد الله تعالى الأدياء، بل بأدب إبليس فإنه تأدب معهم حيث قال، الا عبادك منهم المخلصين، لعله أنه لا سلطان له عليهم أما أنه أدرك ذلك من فطرته، أو بعد سماع قوله تعالى، إنّ عبادي ليس لك عليهم سلطان

(الموقف المائة والثمانى عشر)

قال تعالى، قل أو لو جئتم باهدى مما وجدتم عليه أباءكم، اعلم أن الهدى أنواع، كما أن الضلال أنواع، والموصوفون بالهدى والضلال أنواع،

فهمته، وأهدى، وأعظم هدى، وضال، وأضل، وأعظم ضلال، فلم يهتدى هو الذي حصل على الهداية بالدليل العقلي والبرهان، والأهدى هو الذي حصل على الهداية بتصديق الرسول والایمان، والأعظم هدى هو الذي حصلت له الهداية بالكشف والایمان، والضال هو الذي شبه الحق بمخلوقاته تشبيها مطلقاً ونزهة تنزيها مطلقاً، وما اهتدى الي الجمع بينهما بمعرفة مرتبة كل واحد منهما، والأضل هو الذي صور آلهه بصورة محسوسة، كعابد الشمس والنار والأحجار والملائكة والجن، ونحو ذلك، كما قال تعالى، ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له، والأعظم ضلال هو المعطل للخلاق تعالى، كالدهرية والطباعية، على مقتضى أقوالهم، والآ فلا معطل في المعنى وكل مرتبة من مراتب الهدى هي ضلال بالنسبة الى ما هي أعلى منها، فهدى العقل ضلال بالنسبة الى هدى المؤمن بما جاءت به الرسل، وهدى المؤمن بالرسل ضلال بالنسبة الى هدى اهل الشهود والعيان، فان المؤمن وإن عظم إيمانه لا بد أن تنازعه نفسه وتطالب تكليف ما آمن به أو تشبيهه أحياناً ويجد لذلك دغدغة في نفسه ولا يطمئن الاطمئنان الكامل الآ بالشهود، كما أن كل مرتبة من مراتب الضلال هي هدى بالنسبة الى ما هي أشد منها، فضلال العقلاء هداية بالنسبة الى ضلال من عبد صورة من الصور من نار وشمس ونحوهما، وضلال عابد الشمس ونحوها، هدى بالنسبة الى ضلال المعطل ولهذا قال، قل أو لو جئتمكم باهدى مما وجدتم عليه آباءكم، والذي وجدوا عليه آباءهم هو عبادة الصور من الأوثان والأصنام، والذي هو أهدى منه تصديق الرسول فيما جاء به عن الله تعالى فما وجدوا عليه آباءهم هدى بالنسبة الى ضلال المعطل، كما قال تعالى في

الآية الأخرى ، وسوف يعلمون حين يروون العذاب من أضل سبيلا ، فالسكل مجتمعون في الضلال بمعنى الخيرة في طلب الحق تعالى كما ورد في الخبر وإن الملائكة على ليطلبونه كما تطلبونه فما انفك مخلوق أي مخلوق كان حتى المخلوق الأول من الضلال ، بمعنى الخيرة في الذات العلية ، ولكن الضالين متفاوتون في الضلال وقال تعالى في الآية الأخرى ، فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا ، وفي كل نوع من أنواع الضلال والهدي أشخاص لا تكاد تنحصر إلا للخالق تعالى ، فناقص ، وكامل ، وأكمل ، في النوعين وما بين ذلك فالسكل مهتد من وجه ، والسكل ضال من وجه (الموقف المائة والتاسع عشر)

قال تعالى ، بل هم في ابس من خلق جديد ، وقال تعالى ، وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر ، وقال ، إنا كل شيء خلقناه ، في قراءة من دفع كل وقال ، لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ، وورد في الخبر عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ، أنا من نور ربي والمؤمنون من نوري ، وورد ، أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر ، أعلم أن الحق تعالى قد أشهدني معاني هذه الآيات والأخبار في مشهد أقدس ذاتي من وجه ، قدسي صفاتي من وجه بمثال ضربه لي ، شهدت نورا شبه المنارة ممتدا إلى عنان السماء وفي مقابلته شمع ، شبه المنارة ممتدة إلى عنان السماء ومنارة النور متسلطة على الشمعة ومنقضة عليها ، وطالبة لها ، وعند وصول النور بشدة وقوته تنطفئ الشمعة ، فإذا جازت قوة النور وسورته اتحدت الشمعة من أثر النور ثم يندفع النور بقوته وتنطفئ الشمعة ثم تتقدم من أثره وبقيته ، وهكذا على الدوام وكنت أعلم حين ذلك الشهود أن الشمعة مثال الحقيقة المحمدية المسماة

بحضرة الامكان وبهيولى العالم وغير ذلك ، فهي تقبل الاضاءة والانطفاء والايجاد والاعدام ، وان منارة النور باعتبار قوتها وسورتها مثال الأحدية ، وباعتبار آخر هي أي الشمعة مثال مرتبة الألوهية فالأحدية بمقتضى حقيقتها تطلب نفي ما يشفعها واعدامه حتي يصح الأحدية الحقيقية وتنتفي الغيرية المجازية فهي تعدم نور الشمعة بظهورها فلا يبقى غير ، والألوهية التي هي مرتبة الأسماء تطلب ظهور آثارها فتتقد الشمعة ، لأن الألوهية هي استتار الذات الأحدية بظهورها بصورة الغير فالألوهية مرتبة الذات الأحدية ليس لها رتبة العينية ، ولا رتبة الغيرية ، والمخلوقات دائما بين هذين المقتضيين مقتضى الأحدية ، ومقتضى الألوهية ، فهي دائما بين ايجاد واعدام ، وهذا معني الخلق الجديد الذي الناس في لبس منه ، وورود النور بقوته على الشمعة واطفاؤها ثم اتقادها ثم عوده كذلك ، ليس له زمان ولا يظهر له ترتيب إلا في التعقل ، والإف زمان هذا هو زمان هذا ، كلمان البرق زمان لمعانه زمان انصباع الهواء به و زمان انصباع الهواء به ، زمان انكشاف الأشياء به ، و زمان انكشاف الأشياء به و زمان تغلق الأدراك البصري ووقوعه عليها ، ولا ترتيب بين هذه الأمور في الحس وإنما يدرك بترتيبها بالعقل فهكذا هو الأمر الألهي وهو معنى ، وما أمرنا إلا واحد كلمح بالبصر ، وأمره صفته وصفته عين ذاته ، ثم أن النور الذي يوجد في الشمعة باتقادها وينعدم بانطفائها هو عين النور المتوجه عليها بالإيقاد والاطفاء ، ما هو غيره إذ حقيقة النورية فيهما واحدة وإنما تعدد بحسب المظهر والتعين كما يوجد مصباح من مصباح في الحس ، فالمصباح الثاني عين الأول ، ظهر في فتيلة أخرى لا غيره ، فهو يوجد نفسه في مظهر ، ويعدم نفسه في مظهر ، وهذا معنى ، إنا كل شيء خلقناه

ثم أن هذا الاشتغال المتعاقب على الدوام هو كلمات الله التي لا تتقد، فانظر الى هذا التعريف، والمثال المنيف، وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها الآ عالمون، فالأمثال لا تضرب إلا للناس أي الذين فيهم صفة الانسانية لا لمطلق الحيوان، وما يعقل تلك الأمثلة ويعرفها أنها ليست مقصودة لذاتها، وإنما هي سلايم يرقى بها الى المقصود حتى يصير المعقول محسوسا، والآ عالمون بالعلم الحقيقي فيعبرون من ظاهرها الى باطنها وهم العلماء على الحقيقة الذين عرفوا أن العلم والعالم والمعلوم عين واحدة، تعددت أسماؤها لتعدد نسبها لا العلماء الذين يقولون العالم حقيقة والمعلوم حقيقة أخرى غيرها والعلم حقيقة أخرى تغاير العالم والمعلوم وما هو هذا علم ولكنه وهم، قيل لي في واقعة من الوقائع مطاب علم التصوف هو مالا يقف التحقيق عند مسألة من مسائله، بمعنى أن الطالب لمسئلة من مسائله إذا حققها يجعله ذلك التحقق مستعدا لما وراءها، فإذا تحقق بما استعد له مما وراء تلك المسئلة استعد كذلك، وهكذا فلانهاية لمسائل التصوف ومطالبه، دون الذات البحت الغيب المطلق، وهناك منتهى العبارات، ومنقطع لإشارات، وبحر الظلمات، ثم بعد إنقضاء هذا المشهد ألقى الحق تعالى الى قوله تعالى، وسقاهم ربهم شرابا طهورا، الآية، يعني أن الحق تعالى لما أدخل من أدخل جنة معرفته، سقاهم شراب العلم والكشف عن الحقائق، طهورا من قذرات التلبس والشكوك، صافيا من دنس الأفسكار، غير مكدر بأوساخ الطبيعة

(الموقف المائة والعشرون)

قال تعالى، فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين، اعلم أن قول الحكماء

وبعض المتكلمين انقلاب الحقائق محال، والأعيان لا تنقلب، ونحو ذلك من عباراتهم، يريدون أن الجماد لا ينقلب حيواناً مثلاً، لكون الجماد له حقيقة بها هو هو تغاير حقيقة الحيوان التي بها هو هو، لا يصح وكذا تقسيمهم العالم إلى جواهر وأعراض، وزاد الحكماء المجردات لا يصح إذ من المعلوم أن حقيقة الشيء ما به هو هو، وكل شيء في العالم أجناسه وأنواعه وأشخاصه إنما هو هو بحقيقة واحدة لا تعدد، ولا تتجزأ ولا تتبععض، وهذه الحقيقة مع وحدتها هي القومة لجميع أجناس العالم وأنواعه وأشخاصه وجزئياته، والعالم قائم بها ولا يصح انقلاب الواحد بالوحدة الحقيقية لأنه لو انقلب انقلب إلى غيره، ولا غير أو ينقلب إلى لا شيء وذلك لا يعقل، فلو كان لكل فرد من أفراد العالم حقيقة تخصه، وهو مركب من الحقيقة التي تخصه، والعرض لما صح انقلاب العصا ثعباناً مبيناً، ولا نحو ذلك من معجزات الرسل عليهم الصلاة والسلام كأنقلاب النار برداً وسلاماً، ولا يصح قول الحكماء بالشكل الغريب، فثبت أن العرش وما حوى مما قسموه إلى جواهر وأعراض، ومجردات كله أعراض، وحقيقته التي بها هو هو واحدة وهي القومة له وهي لا تدرك على حداثها شيء من الحواس فوجودها في الخارج هو وجود الصورة ولا هي داخله في العالم ولا خارجة عنه وإن هذه الحقيقة تلبس أعراضاً وتخلعها، وتلبس أعراضاً وهكذا على الدوام كما لبست الأعراس التي تخص العصائم خلعتها ولبست الأعراض التي تخص الثعالب ثم خلعتها، وهكذا وهي في حد ذاتها لا تتبدل ولا تتغير عن حقيقتها فهي هي في كل حال، وهي حقيقة النار التي صارت برداً وسلاماً فالنار تحرق بصورتها لا بحقيقتها، قبلت تلك الحقيقة البرد الذي هو عرض، كما قبلت الحرارة

والاحراق الذي هو عرض فالحرارة لا تتقلب برودة ولكن الحقيقة التي قامت بها الحرارة لما انعدمت الحرارة قبلت قيام البرودة بها، وهكذا في جميع الأعراض فالعالم واحد بحقيقته التي بها هو هو مختلف بأعراضه، ولا يمكن حمل قولهم انقلاب الحقائق محال على الأعيان الثابتة التي هي حقائق الأشياء في العلم فانها ما خرجت عن العلم الي العين حتى يتصور فيها الانقلاب ولا أنهم أرادوا بالحقائق أحكام الاستعدادات التي ظهرت بها هذه الحقيقة السكينة المشتركة بين أفراد العالم جميعه، فان هذا ليس من علومهم العقلية وكذا قولهم بالاستحالة أعني قولهم، استحالة الماء هواء والهواء نار، ونحو ذلك لا يصح، بل هو من نمط ما ذكرنا من خلع الحقيقة السكينة عرضاً ولبسها آخر مثله أو ضده على الدوام، فاذا عرفت هذا عرفت ما يزهك في علوم العقلاء من الحكماء والمتكلمين، ويرغبك في علم العلماء بالله تعالى، وهذه المسئلة وما شاكلها من الأوليات الضروريات عند القوم رضوان الله عليهم، وقد خطر لي إن كان في العمر سعة تأليف كتاب أجمع فيه ما وصل اليه علمي من غلطات الحكماء والمتكلمين، اسميه الأعلام باغاليط الأعلام، إن شاء الله تعالى

(الموقف المائة واحد والعشرون)

ورد في صحيح البخاري وغيره عنه صلى الله عليه وسلم، إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر واحد، ففي الحديث تقديم وتأخير، إذ الحكم مؤخر عن الاجتهاد، قد اختلف الأصوليون في المراد من هذا الحديث الشريف كما هو منقول في كتب الأصول والذي ورد به الوارد الآلهي أن المجتهد إذا أصاب ما هو الحكم

عند الله تعالى في النازلة ووافق ما في نفس الأمر فكان له أجران ، أجر الاجتهاد وأجر الاصابة ، وإن أخطأ ما هو الحكم عند الله تعالى وما وافقها في نفس الأمر كان له أجر واحد وهو أجر الاجتهاد ، فليست الاصابة إلا في الباطن وهي موافقة ما عند الله تعالى في النازلة وليس الخطأ إلا في الباطن وهو عدم الموافقة لما هو الحكم عند الله تعالى في النازلة وأما في الظاهر فالكل مصيب ، لأن الشارع قرر حكم كل مجتهد ، ولو كان خطأ المجتهد في الظاهر ، قرر الشارع ولما جعله ديناً مشروعاً يتدين به المجتهد ومن قلده ، ولما كان له أجر بل يكون عليه وزر ، فكل مجتهد مصيب في الظاهر حيث أنه بذل وسعه وأدى ، ما كلف به في طلب الحكم الحق في النازلة وأما في الباطن فالمصيب واحد لا بعينه من المختلفين وعلى ما قررنا يمكن الجمع بين أقوال الأصوليين إن لم ينقل عنهم ما يدفع هذا الجمع ، وقد أنكر الأستاذ أبو إسحاق القول بأن كل مجتهد مصيب ، فقال القول بأن كل مجتهد مصيب ، أوله سفسطة وآخره زندقة ، وقوله صلى الله عليه وسلم إذا حكم الحاكم فاجتهد الخ أعم في الحاكم المجتهد في الفروع الشرعية ، أو الأصول العقلية الاعتقادية ، إذ لا فرق بينهما عند العارفين بالله تعالى ، أهل الكشف والوجود ، فإن كل واحد من المجتهدين في الفروع والأصول ، فعل ما كلف به ، وبذل وسعه فوصل إلى ما أداه إليه اجتهاده ، ولا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها ، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها ، وقد أنكر عامة أهل السنة والمعتزلة غير أهل الكشف القول بأن كل مجتهد في الأصول الاعتقادية مصيب ونسبوه إلى الكفر وقرره العارفون بالله وهو الحق ، وقالوا المجتهد في العقلية إذا وفى النظر حقه وأخطأ فهو معذور ، يريدون المجتهد نفسه لا من قلده ، ووافق

العارفين بالله تعالى أبو الحسين البصري والجاحظ من المعتزلة
(الموقف المائة الثاني والعشرون)

قال تعالى ، وربك يخلق ما يشاء ويختار ، ما كان لهم الخيرة المختار عند
التحقق من اجتماع له العلم والارادة والقدرة ، وليس ذلك الا الحق تعالى فهو
المختار ، عالم بمعنى أنه مريد قادر لا بمعنى الاختيار المعروف وهو التردد بين
الأمرين ، ثم وقوع الاختيار على أحدهم ، فإن أحدية المشيئة تمنع من اتصاف
الحق تعالى بالاختيار بهذا المعنى ، ثم أخبر تعالى بنفي الخيرة اسم في الاختيار
عن كل ما سواه ، بمعنى أنه لا يصح ولا يستقيم ولا يكون لهم ذلك ، لأن
عطف الاختيار على الخلق مشعر بأن الذي يخلق هو الذي يختار ، وليس
ذلك الا الحق تعالى ، فانه الذي له الخلق والأمر ومن لا يخلق لا يصح له
الاختيار فمن يخلق كمن لا يخلق ، والاختيار المنفي عما سوى الحق هو الاختيار
الثابت للحق تعالى ، لا الاختيار الذي هو ضد الجبر ولا انهم مجبورون علي
الاختيار ، ويحتمل أن يكون المراد نفي الخيرة عنهم من حيث مصلحتهم ،
أي ما كان يشب لهم من جهة مصلحتهم أن يختاروا فانهم العجز الجاهلون
بالمصالح ، فقد يختارون ما فيه هلاكهم من حيث لا يشعرون ، وعسي أن تحبوا
شيئاً وهو شر لكم ، وأقل ما فيه من الشر سوء الأدب بدم النفويض
ومشاركة الحق تعالى بالاختيار الذي هو خصيص به فكان اللازم المتعين
على الناصح لنفسه أن لا يختار شيئاً وإن ظهرت له خيرته في الأمور الدينية
غير المتعينة والدنياوية بل يفوض الخيرية الى العالم بالأشياء وبمواقبها فلا
يسأل من الله تعالى إلا ما يعلمه الله خيراً ومصلحة ولذا قال بعض العارفين ،
الفقر ليس له الا الله حاجة ، يعني على التعيين لجهله بما هو خير له ، وقال بعضهم ،

كل داع غير مفوض فهو مستدرج هذا لسان الظاهر والعموم، وأما لسان التحقيق والخصوص، فهو ان الأعيان الثابتة التي هي صور الأسماء الالهية هي المختارة بمعنى الطالبة لما يفعله الحق تعالى بها فلا تطلب غيره بل لا تقبله، فاختياره تعالى لا يكون إلا لما اختارته وطلبته باستعدادها، فالرب المضاف الى مخاطب وهو السيد الكامل صلى الله عليه وسلم هو الرب الجامع يخلق ما يشاء ولا يشاء إلا ما علم وما علم إلا ما اختارته الا عيان الثابتة وما اختارت الا ما هو في حقيقتها واستعدادها بحيث لا تقبل غيره ان لو فعل بها ولا يفعل فان الحق تعالى حكيم يضع كل شيء موضعه اللائق به، ويختار ما اختارته ومحال أن يختار غير ما اختارته ما كان لهم الخيرة من حيث أعيانهم الظاهرة المحسوسة فانها جاهلة محجوبة عن استعدادها وعمما هي طالبة له على مقتضى حقيقتها ولا يخلق تعالى الا ما يشاء ويختار ولا يشاء ولا يختار إلا ما علم وما علم إلا ما هو المعلوم عليه في حقيقته ومقتضاه باستعداده والمعلوم لا يتبدل ولا يتغير عن حقيقته اذ لو تبدل وتغير لا نقرب علمه تعالى جهلا وذلك محال، فليس للخالق تعالى الا الخلق وهو اعطاء الوجود للأحوال التي طلبتها الأعيان الثابتة باستعدادها، أي عين كانت فما حكم عليها الا بها ولا أثر لما يسمى مشيئة واختيارا الا من حيث أنه تعالى غير مكروه ولا ملجأ بمعنى أنه لا يفعل شيئا وهو كاره له غير مرید، ولا مختار، فلا اختيار لأن سبق العلم بالفعل والترك ينافية ولا اضرار ولا جبر، لأن الفعل بالارادة ينافية فلا اختيار محال، والجبر بمعنى الاكراه من الغير محال، ولعل خفاشا لا يقدر بصره على إدراك شمس الحقيقة، يقول إنك نفيت عنه تعالى ما أثبتته لنفسه من المشيئة والاختيار، ووافق على ذلك التقسيم العقلي عند العقلاء فانهم قسموا الفاعل

الى فاعل بالاختيار وهو الذي يتأتى منه الفعل والترك، وليس ذلك الا الحق تعالى، والى فاعل يتأتى منه الفعل دون الترك، ولا يتوقف على وجود شرط ولا انتفاء مانع، وهو الفاعل بالعلة، والى فاعل يتأتى منه الفعل دون الترك، ويتوقف على وجود شرط وانتفاء مانع، وهو الفاعل بالطبع، فأقول، من تغفل في الحقائق، واستظهر ظواهر الطرائق، علم أن الأعيان الثابتة التي قلنا أنها الطالبة من الحق باستعدادها ما يفعله بها، هي صور الأسماء الالهية، والأسماء الالهية صور الذات العلية ومراتب تجلياتها، إذ الاسماء معان لا قيام لها بنفسها، ويكفي هذا النزر القدر لمن يتبصر، ومن لم يجعل الله له نورا فهماله من نور

(الموقف المائة والثالث والعشرون)

قال تعالى، فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين، وقال، ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين، وقال، لنعلم أي الحزين أحصي، ونحو ذلك مما يشعر بحدوث العلم وتجده فاعلم أن الوصول الي فهم هذا يحتاج الى اسهاب فلذلك نقول إن الحق تعالى في هوية ذاته الغيب المطلق وباعتبار الذات البحت لا يحكم عليه بشيء لا بوصف ولا اسم، لا علم ولا غيره، لأن ذلك يقتضي التعيين ومهما نعقل له علم جاءت الكثرة الي عالم ومعلوم وعلم وكانت النسب الالهية والكونية قبل تعقل، تعلق علمه بذاته مستهلكة مندحج في الذات لا تميز لها عن الذات ولا عن بعضها، إذ هو مقتضي الأحدية الحقيقية، فلما مالت الذات الي الظهور والتعيين بميل هو عين ذاتها لا يتخلل صفة تعلق علمها الذي هو عين ذاتها بذاتها وهذا العلم هو أول التعينات، والتنزل من الغيب المطلق فتميزت الحقائق الالهية والكونية تميز المفصل في الجميل، ولهذا نقول علم الحق تعالى

في هذه الحضرة إجمالي ولا محذور فيه ، لأن المعلومات حينئذ جملة واحدة وبهذا يسمى هذا التعيين بأحدية الجمع ، فالعلم المضاف إليها يسمى علما إجماليا فلو قيل العلم المتعلق بهذه الحضرة أعني حضرة الوحدة علم تفصيلي للزم الكذب والعلم لا يوصف بالتفصيل والاجمال ، لأنهما من لوازم النكوع وعارضه ، فصار هذا العلم النفسي الاجمالي الذي هو عين الذات للذات ، ولما هو مستهلك ومندمج فيها من الحقائق المعلومة بمثابة مرآة ارتسم فيها ما قابلها ، والله المثل الأعلى ، ويسمى هذا العلم والتعين بنفس الرحمن وبباطن العلم ، ويتعلق بما لا يتناهى لأنه عين الذات الذي لا يتناهى ، وهو تابع للمعلوم رتبة لا ترتيبا ، إذ الذات من وجه تسميتها معلومة متقدمة على نفسها من وجه تسميتها عالمة ، وليس هناك استرسال كما قال إمام الحرمين ، ولا حدوث تعلق كما قال الفخر الرازي ، وإنما هو تأخر ذاتي لازماني ، وربما عثر عن هذا التأخير بالحدث ثم إن هذه المرآة العلمية الذاتية قابلها العدم ، لأنه ليس في مقابلة الوجود شيء إلا العدم ، فارتسم في المرآة العلمية في العدم ، فصار العدم بما ارتسم فيه بمثابة مرآة ثانية وهذه المرآة العلمية الغير الذاتية الثانية تسمى بالحضرة العمائية ، وبظاهر العلم ، ولها أسماء كثيرة ، وهذا العلم لا يتعلق بما لا يتناهى لأن تعلقه بالمعلومات هو نفس وجودها فيه الوجود العيني وكل ما دخل الوجود فهو متناه والمعلومات تابعة لهذا العلم لأنها حكاية عنه وظل له ، فالعلم تابع للمعلومات في ثبوتها العدمي والمعلومات تابعة للعلم في وجودها العيني من غير تعدد للعلم ولا حدوث تعلق ، فأما العلم الذاتي الاجمالي فالذات هي العالمة من وجه ، وهي المعلومة من وجه وهي العلم من وجه ، فأما كونها عالمة فهو أن الانكشاف حاصل لها لا شيء ، وأما كونها معلومة فلا أنها مع ما هو مستهلك فيها

من الحقائق منكشفة لذاتها وأما كونها علما فلا أن الانكشاف حصل بها لا بشيء زائد عليها، ومن المعلوم أن حقيقة كل شيء أي ما يصح أن يعلم هي نسبة معلوميته في علم الحق تعالى من كون علمه عين ذاته، فذاته أعطته العلم بمعلوماته التي هي عين ذاته في مرتبة التعيين، والعلم الأول، فعلمه بذاته هو عين علمه بمعلوماته من العالم فليس علمه بذاته مغايرا لعلمه بالعالم إذ ليس إلا هو تعالى فلو قلنا المعلوم تابع للعلم في هذه المرتبة لزم تقدم العلم على الذات رتبة وفيه ما لا يخفى فإن قلت الحق أخذ بمعلوماته عن وجود صدقت لأن جميع معلوماته هي شؤن ذاته ونسبه الذاتية، وإن قلت الحق أخذ بمعلوماته عن عدم صدقت لأن معلوماته قبل تعقل تعلق العلم الذاتي كانت معدومة في العلم والعين، ولها صلاحية التعيين في العلم والعين بمعنى أنها مستعدة لأن تظهر لها صور متعددة، وقد قال امام العرفين قدوتنا محي الدين، ان معلومات الحق تعالى أعطته العلم من نفسها، واعترض هذا القول العارف الكبير عبد الكريم الجبلي بما نصه، لما رأى الامام محي الدين الحق، حكم بالمعلومات بما اقتضته من نفسها ظن أن علم الحق مستفاد من اقتضاء المعلومات، وفاته أنها إنما اقتضت ما علمها عليه بالعلم الأصلي السكلي النفسي، قبل خلقها وإيجادها، فأنها ما تعينت في العلم الإلهي إلا بما علمها، لا بما اقتضته ذواتها، ثم اقتضت ذواتها بعد في نفسها أموراً هي عين ما علمها عليه أولاً، فحكم لها ثانياً بما اقتضته، وما حكم لها إلا بما علمها عليه اهـ، وليس لمثلي أن يتبع سهو الأكابر، فإن كنت أيها الناظر ممن يعرف الحق عرفت أهله لا محالة، وإن كنت مقلداً فليس كلامي معك، وفي حقيقة الأمر لا اختلاف بين الشيخين عند من يعلم، وفي أثناء كتابتي بهذا الموقف ألقى عليّ في الواقعة قوله تعالى، فما لهم لا يؤمنون وإذا قرئ عليهم القرآن

لا يسجدون ، وألهمت أن الوارد يثير إلى توبيخ من لا يصدق بكلام
الامام محي الدين وإن كلامه من عنده تعالى كما قال في الفتوحات ، ما
وضعت كلمة إلا بالقاء روحاني في قلب كياني أو كما قال ، فيجب الانقياد
لكلامه والخضوع لمعارفه فانه الوارث الكامل رضي الله عنه
(الموقف المايه والأربعة والعشرون)

قال تعالى ، أم حسبت أن أصحاب الكهف ، إلي أن قال ، لو اطلعت عليهم
لو نيت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا ، اعلم أن قصة هؤلاء الفتيه وكراماتهم
الظاهرة ، وخوارقهم الباهرة ، كانت عند الأمم السابقة ، والأجيال الخالية ،
من أعجب الأحاديث ، تناقلها الأخباريون وعنغها المحدثون فلما سأل اليهود
عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سؤالا استعظام واستكبارا لكراماتهم الدالة
على عظيم رتبته عند الحق تعالى ، في زعم السائلين وغيرهم من الناظرين إلى
ظواهر الأمور ، قص الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم ، قصتهم وشرح
ظاهرا وباطنا حالتهم ، وبين له مقامهم ومرتبتهم فقال ، أم حسبت ، هو
استفهام بمعنى النهي ، أي لا تحسب كحسابهم ، ولا تعجب كتعجبهم ،
فانهم ظنوا أن هؤلاء الفتيه كانوا من أعجب آياتنا وأغرب ما في قدرتنا ،
لظنهم أن خوارق العادات أكرم ما تكرم به أهل كرامتنا لمن ظهرت له
أو فيه ثم أخبره أنهم آمنوا بوجود ربهم ووحدايته ، وانه زادهم هدى
بالثبات والطمأنينة ، وليعلم أن إيمان هؤلاء الفتيه إنما كان بنور عقلي ،
واستدلال نظري ، فانهم ما كانوا تحت رسالة رسول ، والايان العقلي
وإن جلت رتبته ، وعظمت منزلته بالنسبة إلى عدمه ، فصاحبه ضال عند
ذوي الشريعة ، أعنى لدى صاحب البصيرة ، إذ العقل بمجرد قاصر عما يجب

لله تعالى من إطلاق التجلي في المظاهر ، عاجز عن تنزيهه تعالى عن الدخول تحت أحكام العقول وتقيدها له تعالى ، فإن للعقل حدا يقف عنده من حيث هو عقل ونهاية لا يتعداها وإنما شرف العقل وكماله ، هو قبوله لما تأتي به الرسل عليهم السلام من ربهم ولما يفيضه تعالى على اتباع الرسل بواسطة ملك الإلهام وغيره ، ولا حد ولا نهاية للعقل يقف عندها من هذا الوجه ، والرسول إذا اطّلع على ما يخالف ما عنده من الحق نقر وفر باطنا ، ولو ثبت ظاهرا أو فر ظاهرا أو باطنا ، كما فعل موسى عليه السلام مع كونه جازما لحقيقة ما فعله الخضر عليه السلام ، لا علام الله إياه بأنه أعلم منه ، ومع ذلك ما قبله وما فارقه وهو فرار في المعنى ، وفي الصحيح كانت الثالثة من موسى عمدا وأخبره الخضر أول لقيه أنه لا يستطيع معه صبرا ، ومن لم يستطع الصبر فر ، فأخبر الحق تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم في أثناء قصتهم بحالتهم الباطنة وأنه لو اطّلع على ما في بواطنهم مما يقضي إليه الإيمان العقلي عند مشاهدتهم لفر منهم ، وتباعد عنهم ، لما ذكرنا ولمليء منهم رعبا ، فانهم مع هذه الكرامات العظيمة والحوارق الجسيمة المعروفة من أخبارهم ما كانوا في رتبة الأكملية ، ولا بالمنزلة الزايفي لدي الحق وهذا أدل دليل على أن الكرامات وإن جلت ماهي على الأكملية والأقربىة دلالات ، ولا هي مخصوصة بذوي العنايةات ، فليس كل من ثبت تخصيصه ، كمل تخليصه. ولا كل من حصلت له الكرامة ، كملت له الاستقامة ، وحينئذ فليس فراره صلى الله عليه وسلم إلا من نقصهم بالنسبة لمقامه السامي لما عنده من العلم بالله تعالى مما هم دلي خلافه ، ولا امتلاؤه رعبا من الحق تعالى لسبب اطلاعه على بواطنهم إلا من كونه تعالى يعطي الكرامات وحوارق المعاديات لمن ليس بذلك ، ومطلق العارف يزيد الاطلاع على قصة

هؤلاء الفتية اضطرابا ويملاً قلبه رعبا، وظاهره وباطنه مهابة، بل يفتت كبده ويحرق قلبه، وليس المراد فراره ورعبه من عظم خلقتهم وتشويهمها، ونحو ذلك مما قالوه جمهور المفسرين فانه بعيد جدا وهذا المفتوح عليه المكاشف يشاهد أنواعا من المخلوقات العظيمة التي لا توصف، يشاهد من الملائكة أنواعا منهم جسم واحد وله عدة رؤوس، وكل رأس له عدة أسنة، وكل لسان له لغة، ولا يهوله ذلك ولا يروعه، فكيف بمحمد صلى الله عليه وسلم الذي آراه الله الآيات الكبرى وما زاع بصره وما طغى، ومشاهدة أصحاب الكهف دون الآيات الكبرى ييقين والله أعلم وأحكم، وقد كان سأل بعض، من هو الصوفي العلامة الشيخ محمد الخاني النقشبندي، يعز علي عن الآية فما كشفت له الى أن ورد علي في الواقعة قوله تعالى، وأنفقوا مما جعلكم مستخافين فيه، وقواه إنهم كانوا يسارعون في الخيرات فامتثلت الأمر، وعلمت أن السائل مستحق لما سأل عنه، والله يرزقنا حسن الأدب معه ومع مخلوقاته بمنه وفضله

(الموقف المائة خمسة وعشرون)

قال تعالى، أ فلا يعلم إذا بعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور، القبور هي الأجسام الآدمية، فانها قبور الأرواح إذ كل من ستر شيئا فهو قبر له، ومنه قبر السيف غمد، وبعثرتها هو اخراج ما فيها وإظهاره بعد الموت أهم من حالة البرزخ، وحالة البعث والذشور وذلك بتمييز ما فيها من الأفعال الخيرية والشرية عن الأجسام وعن بعضها بعضا، فإن لكل عضو فعلا خاصا من يد، ورجل، ولسان، وسمع، وبصر، وفرج، وبطن، ولكل فعل من أفعال هذه الأعضاء صورة خاصة يتصور بها في البرزخ وفي يوم القيامة، فيتصور

فعل الأذن آذنا كما يصب في الأذن ، ويتصور فعل البطن نهرا من دم يسبح فيه ، وكلما أراد أن يخرج ألقم حجرا ، فيلقمه بفيه ، ويتصور فعل الفرج تنورا يتوقد نارا ، ويتصور فعل اللسان كلوبا يحز حزبه شذفه الي قفاده ، والكنز يتصور بصورة شجاع أقرع ، له زيبتان يأخذ باهزميته يقول أنا كنزك ، كما ورد في الصحاح ونحو هذا ، وهذه الأفعال كانت في الحياة الدنيا عرضا قائمة بالأجسام العاملة ، وأوصافا لها وهي بعينها تصير بعد الموت أجسادا برزخية مثالية يتنعم بها العامل أو يتعذب ، قال تعالى ، ولا تجزون إلا ما كنتم تعملون ، وقال ، سيجزيهم وصفهم ، ففي الحياة كانت الأفعال وصفا للفاعل وعرضا قائما به وبعد الموت تستخرج هذه الأوصاف وتتميز عن العامل وتصير أجسادا ذات صور كما تتصور المعاني صوراً في الرؤيا كالعلم في صورة اللب ، والدين في صورة الثوب ، وبعد البعث تصير هذه الصور المثالية أجساما محسوسة لأن الحقائق تظهر في كل موطن بحسب ذلك الموطن فلا تظهر المعاني متجسدة بصورة بصورة في الموطن الديوي إلا في الرؤيا أو لصاحب كشف ، ويختص برؤيتها النائم والكاشف دون الحاضرين معه ، وكذا الأعمال الصالحة والسيئة في البرزخ وهي بعينها تظهر بعد البعث في موطن الآخرة أجساما محسوسة يدركها كل مدرك لا يختص بها صاحبها فهي حينئذ صور وقصور ومشتبهات ، وحصل ما في الصدور ميز ومنه تحصيل المعدن وهو تمييز الذهب أو الفضة من التراب والصدور هي القلوب مجازا وفيه مجاز آخر بحث عنه ، وما في القلوب هي النيات والمقاصد فرب عامل يقول بلسانه أعمل لله تعالى ، وقصده ونيته غيره تعالى ، ذلك يوم تبلى السرائر يميز خبيثها بالتصفيه كما تبلى الفضة بالنار فلا يقبل قول ولا عمل إلا بنية صالحة وقصد

صحيح ، إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوي ، فلا تقبل حيلة ولا تروج بهرجة في ذلك الموطن ، قال البخاري رضي الله عنه في الصحيح ، باب ترك الحيل ، وساق الحديث المتقدم النص الصريح في إبطال الحيل على الله تعالى ، وإنها لا تنفع في الدار الآخرة ، والعجب كل العجب من النقيض الذي يقول بسقوط فرض الزكاة عنه إذا وهب ماله لزوجته قرب الحول فرارا من الزكاة ويتوهم أن هذا ينفعه يوم القيامة ، بالله وبالمسلمين أئخذ مؤمن ربه ، ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم ، لا والله لا يصدر هذا إلا ممن يقول أنه يعلم إذا جهرنا ، ولا يعلم إذا أسررنا ، فأنزل تعالى ، إلا أنهم حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون ، نعم إن هذه الحيل تسقط عقوبة الدنيا ومطالبة السلطان الذي لا يعلم إلا الظواهر ولا يحكم إلا عليها ، فأما السلطان الأكبر الذي يعلم السر وأخفا ، ويحكم على البواطن والظواهر ، فهيئات هيئات أن تسقط مطالبته بالحيلة والخدعة . ولو كان هذا المتحيل على الله تعالى عمل ما عمل على اعتقاد الحرمة والمعصية ، لكان خيرا له وأولى به ، فانه ترجى له التوبة والاستغفار إذ في اعتقاد حرمة الشيء مع فعله على أنه حرام ، خير عظيم وأجر كبير ، وإني أنزه الامامين أبا حنيفة والشافعي رضي الله عنهما ، أن يقولوا باسقاط مطالبة الحق تعالى في الآخرة بالحيلة هذا بعيد عن أئمة الهدى بل أتيقن أنهما ما قالوا إلا باسقاط مطالبة حكام الدنيا فقط ، ولهذا قال المحققون من الشافعية كالغزالي رضي الله عنه أن الشافعي يحرم استعمال الحيل في الأحكام وقد رأيت في الرؤيا أنني أتذاكر مع جماعة في الفقه والفقهاء ، وما أحدثوا واستنبطوا من الحيل في التوصل إلى الأغراض ، وشهوات القلوب المراض ، فقال واحد من الجماعة ، هذه أقوال أهل

الكشف العارفين بحقائق الأشياء ، المطلعين على بواطن الأحكام ، ليس فيها شيء من هذه الحيل ، وهذا مشارق الأنوار ، يعني كتابا كان بين أيدينا ، ليس فيه شيء من هذا ، فقلت أنا وهذه سنة النبي المختار ليس فيها شيء من هذا وهذا كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ليس فيه شيء من هذا ، فقال بعض الجماعة ، ليس في العلوم علم أبعد من الله من فقه هؤلاء المتحيلين على الله تعالى الذي يعلم سرهم ونجواهم (الموقف المايه والسادس والعشرون)

روى مسلم في صحيحه ، أنه صلى الله عليه وسلم قال ، أنه ليغان على قلبي فاستغفر الله تعالى في كل يوم مائة مرة ، وفي طريق في اليوم أكثر من سبعين مرة ، وفي رواية ، حتى استغفر الله ، وقد تكلم الناس على هذا الحديث في القديم والحديث ، من علماء الشريعة وعلماء الحقيقة ، وكل واحد أثق بحسب وسعه وماله ، وأنبا عن استعداده وحاله ، وقال العارف الكبير سيدي أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه ، سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذا الحديث ، فقال لي يا مبارك هو غين أنوار لا غين أغيار ، ولم يزد شيئا وأنا أشرح بعض ما دلت عليه هذه الجملة التي هي من جوامع الكلام ، ولباب الحكم ، وأما استيفاء ما دلت عليه على الكمال والتمام ، فلا تسمعه مجلدة ولا مجلدتان فأقول ، الغين يطلق على الرين وعلى ما يغش القلب من الشهوات وعلى التغطية والمراد هنا المعني الأخير ، أخبر صلى الله عليه وسلم أن أنوار القرب الموجهة للفنا بالمشاهدة والحق كانت تغطي قلبه الشريف تغطية لا ثقة ومناسبة لمقام النبوة بحيث لا يخل بأقل القليل مما يطلبه الحق أو الخلق ، والمراد بالقلب هنا العقل فإنه المدبر للمملكة الانسانية ، وبه يكون القيام بحقوق الخلق والحق ، فاذا غطي

عليه لم يبق هنالك شعور بغير ، لا من نفسه ولا من غيره ، ولا إدراك لرسالة
ولا المرسل اليهم ، فانه في هذه الحالة تنقضي الغيرية وتزول الأثنية ، فيتحد
المطلق بالمقيد ، فاذا رجع صلى الله عليه وسلم من هذه التغطية الموجبة لعدم
شهود العبودية يستغفر الله تعالى أي يطلب منه الستر والحيلولة عن ذلك ، لأن
هذه الحالة ربوية محضة لا تشهد فيها عبودية ، وهي الوقت الذي قال فيه صلى
الله عليه وسلم ، لي وقت مع الله تعالى لا يسعني فيه نبي مرسل ، ولا ملك مقرب ،
يعني لا يتسع لمعرفتي رسول ولا ملك ، لأنه حال التشذذات محض مطلق عن
القيود الخلقية ، والانحصارات البشرية ، لا يشار اليه بالنظر الى تلك الحالة
باسم ، ولا وصف ، ولا رسم ، وفي رواية لا يسعني غير ربي ، وهذا كان له
نصلى الله عليه وسلم في بداية أمره فكان يطلب الستر عن ذلك ، لأنه
صلى الله عليه وسلم علم الحكمة في إيجاد هذا الوجود ، وإنه تعالى ما أوجده
في صورة المغيرة الاعتبارية إلا ليعرفه فيعبده ، لأنه تعالى لا يعبد نفسه من
حيث هو هو من غير مغيرة اعتبارية ، ولأنه تعالى أحب أن يرى ذاته في
صورة غير ، لأن رؤيته نفسه في نفسه ما هي مثل رؤيته نفسه في غير ،
ولا غيرا إلا بالاعتبار الذي هو عدم في نفسه ، وعرف صلى الله عليه وسلم
أن الدار دار محنة وتكاليف لا تصلح لهذه الأحوال ولا للظهور بأوصاف
الربوية لا قولاً ولا فعلاً ، لضيقها وللتحجير الواقع فيها ، ولما يقتضيه الجسم
الطبيعي من الحصر والتقييد ومقتضيات الطبيعة بخلاف الآخرة فلما
لستها ورفع التحجير فيها وعدم الحصر والتقييد الطبيعي لأنه نشء آخر
تسكون التظاهر فيها بأوصاف الربوية ودوام الرؤية له تعالى والمشاهدة
والحق ، فلكماله صلى الله عليه وسلم بالعلم الذي ما ناله مخلوق غيره أحب

أن يعطى كل موطن حقه ويتظاهر فيه بما يقتضيه الكمال والشرف في هذه الدار إنما هو الدؤب على القيام بوظائف العبودية ، وأداء ما يجب للربوبية ، فانه تعالى ما خلق الجن والانس إلا ليعبدوه ، بعد معرفتهم به تعالى لاسيما الرسل عليهم الصلاة والسلام فانهم زيادة على ما كانوا به في خاصتهم مكلفون بأداء الرسالة وتبليغ الأمانة إلى أممهم ومداومة ملاحظتهم بإرشادهم إلى صالح دينهم ودينهم ، فليس الكمال إلا بشهود ربوبية وعبودية في آن واحد ، حق وخلق ، من غير تخلل فتور غائب حاضر ، لا الجمع يحجب عن الفرق ولا الفرق يحجب عن الجمع ، شرب فازداد صحوا ، وغاب فازداد حضورا ، كائن بائن ، قال إمام العارفين شيخنا محي الدين

فليس الكمال سوى كونه فمن فاته ليس بالكمال
ويا قابلا بالفناء اتشد وحوصل من السنبيل الحاصل
ولا تتبع النفس أغراضها ولا تمزج الحق بالباطل

يريد ليس الكمال سوى شهود خلق قائم بحق لا فناء محرف ، فان الاستهلاك في الحق بالمشاهدة والفناء ، والحق عدم حرف لاشعور فيه بعبودية أصلا ، فهو تضيق للوقت الذي لو اشتغل فيه الفاني بالأعمال الصالحة والمجاهدة لزادت مشاهدته ورؤيته للحق تعالى في الدار الآخرة ، التي هي محل الرؤية وموطن المشاهدة والتظاهر بأوصاف الربوبية ، ورفع التكاليف والخدمة ، ولهذا أنف الأكابر من المتحققين بالوراثة المحمدية من هذه الأحوال التي تحول بينهم وبين شهود العبودية ، ومن التظاهر بصفات الربوبية ، وطلبوا الترقى عن ذلك بدوام شهود العبودية ، والافتقار والعجز الذي يرجع إليه كل ممكن عند نظره إلى أصله ومرتبته الإمكانية ،

وإذا أنف الكمال من الورثة التابعين من هذا فكيف بالأنبياء ، فكيف بسيد
الأنبياء وأكملهم صلى الله عليه وسلم وعلى أخوانه وآله ، فعلم مما قدمناه أن
زمان الفنا بالمشاهدة عن المخلوقات ، زمان ترك عبودية نفوت مقامات عظيمة
من مقامات الأدب بل مقامات الآخرة في الرؤية والمشاهدة الخالصة عن
كل شوب ، وإزال دنيا سجن المؤمن ، سجنه فيها الملك الحق تعالى ، ومن طلب
الملك يأتيه في السجن حتى يراه ويشهده فقد أساء الأدب ، بخلاف الآخرة
فإنها دار الملك لا سجنه ، والحاصل أن الكمال الذي هو مقام النبوة ، هو
الاعتدال وهو القسط المستقيم الذي أمر الحق تعالى عباده بالوزن به ، فتمت
غلب النور الذي هو الحق على الظلمة التي هي الخلق زال الاعتدال ، فزال
الكمال ، وذلك غير لائق بمنصب النبوة الأسمى ، فاستغفاره صلى الله عليه وسلم
إنما كان خوفا من غلبة النور على الظلمة فطلب البقاء على الاعتدال دائما
ليؤدي كل ذي حق حقه فإن الظلمة الطبيعية لها شرف عظيم لأداء العبودية
عند شهودها

(الموقف المائة السبعة والعشرون)

قال تعالى خطابا لعائشة وحفصه رضي الله عنهما ، وإن تظاهرا عليه فإن
الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير ، قال إمام
العارفين شيخنا محي الدين مامعناه ، لقيت بعض العارفين فقلت له إن الله تعالى
يقول ، ولله جنود السموات والأرض ، والجنود لا يحتاج إليها إلا لمقابلة
عدو عظيم ، ومن هو هذا العدو العظيم المضاد له تعالى ، حتى يحتاج
لمقابلته بجنود السموات والأرض ، قال فقال لي ، ألا أدلك علي أعجب من
هذا ثم تلا ، وإن تظاهرا عليه ، الآية ، قال فازددت إعجابا وما عرفت السر

الذي كانت به هذه القوة لعائشة وحفصة حتى خاطبهما الحق بهذا الخطاب المبين لعظيم قوتيهما ، فسألت الله تعالى كشفه فكشفه ، اه ، وما كشف الشيخ رضي الله عنه هذا السر ولما وقفت على كلام الشيخ هذا تعلقتم همتي بكشفه فكشفه الحق تعالى لي مناما ، فأخبرني أن هذه القوة الحاصلة للمرأة إنما كانت للمشابهة بحضرة الانفعال ، وهي الحضرة الامكانية وزادا على ذلك بكونهما مظهرين كاملين للحقيقة الفعلية الوجودية لهما الانساني فجمعنا بين حضرتي الفعل والانفعال ، فجنس المرأة لما كان محلا للتكوين كان أقرب الى المكون ، وان حضرة الانفعال لها شرف عظيم ، وفضل نظيم ، وقدر جسيم ، من حيث أن حضرة الفعل والوجوب والتأثير إنما ظهرت بها وتعينت بسببها ، فلو كانت هذه الحضرة غير قابلة للانفعال والتأثير ما حصل تأثير أصلا ، ولا كان لحضرة الفعل والوجوب ظهور ، ألا تري العدم المطلق وهو المستحيل ، حيث ما كان قابلا للانفعال والتأثير ما حصل فيه تأثير ولا كان لحضرة الفعل والوجوب به ظهور ، فهذه الحضرة الانفعالية التي هي مظهر للحضرة الفعلية الجامعة لجميع الأسماء والصفات على الاجمال والتفصيل ، لا تقابلها إلا الحضرة الجامعة للأسماء والصفات على الاجمال والتفصيل ، وهي الاسم الجامع الله . وحضرة التفصيل وهي جبريل وصالح المؤمنين ، والملائكة جميعهم ، ولا نكشف هذا السر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال حبّب اليّ من دنياكم ثلاث النساء ، يعني حببن الله اليّ بكشف هذا السر الذي فيهن وما قال أحببت ، فيكون حبه لهن كسائر الناس من أهل الحب الطبيعي والميل الشهواني ، وقال سيدنا محي الدين : كنت أبغض الناس للنساء مدة ثمانين سنة والآن انا أشد

الناس حبا لهن وما ذلك إلا لانكشاف هذا السر له رضي الله عنه
(الموقف المائة الثامن والعشرون)

قال تعالى ، فاذكروني أذكركم ، وقال تعالى فيما روي عنه رسول الله صلى
الله عليه وسلم في الصحيح ، أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا مع عبدي إذا ذكرني
فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ
خير منهم ، أعلم أن الحق تعالى له الأولية الحقيقية والآخزية الحقيقية ، وإن كنا
نسُميها إضافة لأنه تعالى لا يوصف بالحوادث فكل ما وصف به تعالى فهو
قديم بالنسبة إليه تعالى وإن كان حادثا بالنسبة إلينا ، وهذه المسئلة مسئلة خلاف
بين أهل السنة والمعتزلة ، والحق أن جميع أسماء الله تعالى لها وجهان ونسبتان
كما ذكرنا ، وأما أولية غيره تعالى وآخزيته فهي نسبته بمعنى ما وصف هذا
المخلوق بالأول إلا بالنسبة لما بعده ولا يوصف بالآخر إلا بالنسبة لما قبله فالحق
أول من حيث ما هو آخر ، وآخر من حيث ما هو أول ، فأخزيته عين أوليته
وأوليته عين أخزيته ، ومع هذا فقد يعطي الحق تعالى وصف الأول باعتبار تعين ،
ويعطي حكم الآخر باعتبار تعين آخر ، إذا كان أحد التعيينين شرطا أو سببا ،
والآخر مشروطا أو مسببا ، فلا بد حينئذ في وصف التعين إذا كان شرطا أو سببا
بالأولية ، ومن وصف التعين إذا كان مشروطا أو مسببا بالآخزية ضرورة تقدم
الشرط والسبب ، على المشروط والمسبب ، كما في هذه الآية والخبر ونحوهما فذكره
تعالى لهم من حيث التعين الكلي مسبب ومشروط بذكرهم له ، بالتعينات الجزئية
السببية والشرطية ، في ذكره لهم وأما ذكره لهم تعالى وذكرهم له في المرتبة
العلية فليس هنالك تقديم ولا تأخير ، ولا أولية ولا آخزية ، ولا سبب
ولا شرط ، لأن المعلومات في الحضرة العلمية عين الذات الأحدية

بالوحدة الحقيقية ، والأولية والآخرة ، إنما هي في هذه المراتبة التي يقال فيها وجود عيني ، فهو تعالى يذكر عبده بالثناء عليه ، أما باسم كلي أو نوعي أو جزئي ، على حسب العناية بالعبد الذاكر ، قلت مرة يارب إني أعلم أنك تذكرني بخبرك الصادق ، فهل تذكرني باسم وثناء عام أو خاص ففيني ، وألقي علي قوله ، وقرآنا فرقناه ، فلما رجعت إلي الحس حمدته تعالى وعلمت أنه يذكرني باسم عام جامع لأنواع من الثناء لأن القرآن الجمع فاذا تفصل صار فرقانا ، وكنت ليلة أذكر الله وبقربي كلب لا يزال ينبسح الليل كله فقلت له في نفسي يا كلب أنت أغلق صاحبك بابك دونك وأنا أغلقت حضرة مولاي دوني ، فالقي علي في الحال ، لا تقل هذا واحمد الله تعالى علي أن دعوناك لمجالستنا والخلوة بنا ، أما علمت أنني جليس من ذكرني ، علي أنه تعالى الذاكر والمذكور في مرتبة الجمع وأنه الشرط والمشروط ، والمسبب والسبب ، ولذا قال بعض سادات القوم رضي الله عنهم ، الذكر حجاب ، يعني مادام الذاكر يشهد نفسه ذاكرا والحق تعالى مذكورا له فهو محجوب ، فاذا أراد الله رحمته أزال الحجاب عنه فأشهره ان الحق تعالى هو الذاكر والمذكور والذكر ، ولذا قال تعالى ، وأنا مع عبدي إذا ذكرني ، أي مادام يشهد أنه ذاكر لي وأنا مذكور له فأنا معه ، أي غيره إذ المعية تقتضي الغيرية والمصاحبة على مقتضى اللسان العمومي لأعلى لسان القوم المخصوصي وإذا كان الحق تعالى مع عبده الذاكر بحسب شهوده فهو تعالى يفعل معه ما يفعله المصاحب مع صاحبه من الرفق واللاطف والرعاية فلو انتفت المعية في شهود الذاكر وثبتت في شهوده المعينة الثابتة في نفس الأمر علمت أو جهلت لفعل تعالى له مالا عين رأت ولا أذن سمعت ، ولا خطر علي قلب بشر ،

وأفاد مفهوم هذا الخبر ان من لم يذكر الله تعالى لا تكون معية الحق له ،
كمعية مع الذاكر من اللطف والرعاية ، ولا يتوهم متوهم في أخبار الحق
تعالى أنه يذكر عبده بذكر عبده له تعالى ، كما في الآية والخبر وانه يجب
كما ورد في خبر قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ، نصفها لي ونصفها
لعبدي ، فاذا قال العبد الحمد لله يقول الله تعالى حمدي عبدي ، الحديث
بطوله ، وهو في الصحيح أنه كان غير ذاكر لعبده أو غير محجب لعبده المصلي
ثم ذكر وأجاب فان الكلام الحقيقي هو الكلام النفسي الأذلي فذكر الله
تعالى لعبده اذا ذكره هو كنزول القرآن والقرآن كلام الله حقيقة وقال تعالى
في حقه ما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث أي حادث النزول لا حادث
الذات ، كما يقال حدث الليلة عندنا ضيف حدثت ضيفته لاذاته ، فذكر الله عبده
قديم بذاته ، وعنده تعالى حادث عندنا باظهاره فالكلام حقيقة واحدة والمتجلى
من كونه متكلماً واحداً ، والمتجلى له مختلف مقيد بالزمان والمكان فظاهر
كلامه هو باطن علمه ، فالأكونات كلها كلام الله تعالى في مرتبة الظهور وهي
معلوماته في مرتبة البطون ، ونسبة الكلام اليه تعالى مجهولة كسائر نسبه
تعالى ، ولا مشاركة بين كلامه تعالى وكلام غيره إلا في شيء واحد وهو إيصال
ما في نفس المتكلم الى المخاطب فقط ، وقوله تعالى ، ذكرته في مآخيز منهم ،
احتج به شيخنا محي الدين على تفضيل الملائكة على البشر ، وقال أخبره النبي
صلي الله عليه وسلم بهذا في الرؤيا والمعول عليه عندي إن كان لي عنده ما قاله
شيخنا في كتاب ما لا يعول عليه الكشف الذي يعطي تفضيل البشر مطلقاً
أو الملك مطلقاً ، لا يعول عليه ، يريد الملك فضل من وجهه واعتبار ، وللإنسان
فضل من وجهه واعتبار

(الموقف المائة التسعة والعشرون)

قال تعالى ، وأتاكم من كل ما سألتموه ، أي أعطاكم كل ما سألتموه فمن
البيان لا للتبويض ، والمراد سؤال الاستعداد سواء كان سؤال الاستعداد
قبل إيجادكم العيني ، كما هو في خلق السموات والأرض وما عطف عليها من
العطايا المتقدمة في الآيات ، فانها كلها مخلوقة لمصاحبه الانسان الذي سيوجد
لطلبه لها باستعداده قبل إيجادها ، أو كان سؤال الاستعداد بعد إيجادكم العيني
كسائر الأشياء التي تطلبها الاستعدادات الانسانية في الدنيا والبرزخ
والآخرة ، مع تبين الاستعدادات التباين الذي لا يدخل تحت الحصر ، فـ سؤال
الاستعداد أي استعداد كان مقبولا مجابا ولا بد ، سواء قارن سؤال اللسان
أم لا ، وسؤال اللسان إذا ما وفقه الاستعداد مردود ، ولا بد ، لكن إذا كان
قصد السائل التعبد بسؤاله وإظهار الفاقة كما هو الحكمة في مشروعية الدعاء ،
يجاب بالحسنات وتكفير السيئات ، لا بعين ما سأل والاستعداد المذكور هو
ما تقتضيه الحقائق أي حقيقة كانت اقتضاء ذاتيا ولزوما يدينا ، فان كل حقيقة
لها ذاتيات ولوازم ، وتلك اللوازم لها لوازم وهكذا كالسلسلة الي ما لا نهاية
له والاستعدادات كلية وجزئية ، فالكلية هي ذاتيات الحقائق وهي غير مجمولة ،
والاستعدادات الجزئية مجمولة ، ووصف الحق تعالى بانه خلاف علي الدوام
إنما هو في الاستعدادات الجزئية التي هي لوازم الحقائق بحيث لا يتصور
بعد الاطلاع على الحقائق انفكاك تلك الحقيقة عما هي مستعدة له ، كاستعداد
الجوهر وسؤاله للعرض ، لان يقوم به وسؤال العرض باستعداده للجوهر لان
يتقوم به ، فكل ما حصل في العالم أي شيء كان مما يطلق عليه اسم شيء ، فمن
اقتضاء استعدادات الحقائق له ولذا قال العارف حجة الاسلام الغزالي

رضى الله عنه في كتاب التوحيد ما معناه ، أن الله عز وجل لو خلق الخلق
كلهم على عقل أعقاهم ، ودلم أعلمهم ، وأفاض عليهم في الحكمة ما لا منتهي
لوضعه ، ثم كشف لهم عن عواقب الأمور وعرفهم دقائق اللطف ، وخفايا
العقوبات ، وأمرهم أن يدبروا الملك والملكوت بما أعطوا من العلوم والحكم لما
اقتضى تدبيرهم أن يزداد فيما دبر الله به الخلق في الدنيا والآخرة جناح بموضه
ولا أن ينقص منه جناح بموضه ، ولا أن يدفع مرض أو نقص ، أو فقر
أو شر ، عمن يلي به ، ولا أن يزال صحة أو كمال أو غنى أو نفع عمن أنعم
عليه ، فكل ما قسم الله بين عباده من رزق وأجل ، وسرور وحزن ، وعجز
وقدرة ، وإيمان وكفر ، وطاعة ومعصية ، فكله عدل محض لا جور فيه ،
وحق صرف لا ظلم فيه ، بل هو على ما ينبغي وكما ينبغي ، وبالقدر الذي
ينبغي ، إلى آخر ما قال في المسئلة ، يعنى أنه تعالى ما أعطى ولا منع إلا بالعلم
والحكمة ، وذلك أعطى كل مستعد ما استعد له ، ومنع ما ليس بمستعد من
غير استعداده وهو اقتضاء الحقائق لما اقتضته من كل ما حصل لها مما يلائم
صورها ، أو لا يلائم ، فانه إذا ما لائم صورها يلائم حقائقها ، وقد ورد في
الخبر ، إن من عبادي من لا يصلحه إلا الفقر ولو أغنيته لأفسدته ، وإن من
عبادي من لا يصلحه إلا الغنى ولو افقرته لأفسدته وبالأستعدادات الغير
المجمولة المقتضية لكل ما أعطها الحق تعالى ، كانت الحجة البالغة لله تعالى
على مخلوقاته ، فليس لمخلوق أن يقول بلسانه يارب لم جعلتني كذا ،
واستعداده الذى هو المقتضى الذاتى يطلبه ، وإذا أمطنا الحجاب ، ورفعنا
النقاب ، قلنا ليس المقتضى إلا الأسماء الالهية فان الحقائق الامكانية
صورها وإذا زدناه أماطة ورفعنا ، قلنا ليس المقتضى إلا الذات العلية فان

الأسماء صورها ومراتب ظهوراتها فافهم ، وإذا فهمت فاكتبتم ، فانه بحر سر
القدر ، والخوض فيه خطر ، ولهذا قال ، أنصح النصحاء ، وأفصح الفصحاء ،
إذا ذكر القدر فامسكوا ، الخطاب للضعفاء الذين لا يحسنون السباحة فلربما
ترندقوا وصاروا الى الاباحة ، أسأل الله تعالى العافية والسلامة لي ولأخواني
فانه لا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون

(الموقف المايه والثلاثون)

قال تعالى ، خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وأما ينزغناك
من الشيطان نزغ فاستعذ بالله ، ورد في الخبر أنه صلى الله عليه وسلم سئل ، عن
معنى الآية ، فقال ، حتى أسأل جبريل فسأل جبريل عليه السلام فقال ، حتى أسأل
رب العزة ، فرجع جبريل فقال ، يا محمد أن الله يأمرك أن تصل من قطعك
وتعطي من حرمك ، وتغفو عن ظلمك ، ولذا ورد أنه صلى الله عليه وسلم قال ،
أدبني ربي فأحسن تأديبي ، خرجه السمعاني يريد هذه الآية وأمثالها وأما
ماتشير اليه الآية بطريق الاعتبار فهو أنه تعالى أمر رسوله صلى الله عليه
وسلم وكل من قويني في متابعتي واقتفى أثره من كمال أمته فإن أمر الله تعالى
له أمر لا أمته ، فمن يناسبه ذلك الأمر إلا ما ثبت اختصاصه به دون أحد من
أمته فأمره تعالى في حق نفسه بالأخذ بالعفو أي بالزائد من العفو بمعنى
الزيادة والكثرة ، فيأخذ نفسه بالزائد على ما يحصل به الأجزاء وتسقط به
المطالبة وهو الأكمل والأحسن والأفضل ، فلا ينحط الى رتبة الحسن دون
الأحسن ، ولا الى الكامل دون الأكمل ، ولا الى الفاضل دون الأفضل ، بل
أمره صلى الله عليه وسلم بمعاني الأمور وعزائم الأحكام كما أمر أن يدفع
بالتى هي أحسن ، ويجادل بالتى هي أحسن ، وأمر هو صلى الله عليه وسلم ،

والكاملون من أمته باتباع أحسن ما أنزل إليهم من ربهم قال تعالى ، واتبعوا
أحسن ما أنزل إليكم من ربكم والأمر بالشئ نهى عن ضده فلا ينحطوا إلى
الرخص التي هي مراتب الضعفاء فيحصلون على الأجزاء دون الأفضلية
والأكملية ، والأمر بالمعروف تصريح بما يفهم من قوله خذ العفو فانه حيث
أمر في نفسه بالأكمل الأفضل ، يفهم منه أن الأمر لغيره لا يكون كذلك
بل أمره لغيره يكون بالعرف ، بمعنى ما هو حسن شرعا وعرفا يحصل به الأجزاء
وينتهي به الذم وتسقط المطالبة فلا يأمره بما يشق عليهم مما تمتنع منه نفوس
العامة ، وهذا للضعفاء ذوى الهمم الدنيئة ، الراضين بالأدون وقد ثبت في غير
ما خبر أنه صلى الله عليه وسلم كان يأمر عامة الناس بالأسهل والأهون ،
ويقول بعثت بالحنيفية السمحية السهلة يأخذ نفسه بالأفضل الأشق فقد
قام حتى تورمت قدماه ، وقال لغيره ، قم ونم ، وشدا الحجر علي بطنه من الجوع ،
وأذن لغيره في الادخار ، وكان يواصل وينهى غيره عن الوصال ، وأعرض عن
الجاهلين ، أمره صلى الله عليه وسلم ولمن اقتفى أثره في الأخذ بالعزائم وركوب
المشاق في طلب الأفضل والأكمل بالأعراض عن الجاهلين من الأناسي
الذين يعدلونهم في طريقهم فيقولون مثلا أرفق بنفسك ، قد شددت ، قد
افرطت ، والأعراض عنهم أن يولّوهم عرض وجوههم فلا يواجهوهم لا بفعل ،
ولا بقول ، ولا بجidal ، ولا غيره ، وهذا شائع مشاهد فكل من اتبع
سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واقتفى أثره في أحواله كالإسادة
الصوفية ، كثر عاذله ، وعدم عاذره بل تقام عليه القيامة بكل معيبة وملامة ،
ومن ذاق ثمرات تلك الطريق ، وانس بذلك الفريق ، لا يردده راد ولا يصرفه
صارف ، وأما ينزغك من الشيطان نزغ ، الخطاب له صلى الله عليه وسلم

والمراد من اقتفى أثره من كمل اتباعه لعصمته صلى الله عليه وسلم ، من نزغ الشيطان ، أي إذا أحسستم بوسوسة الشيطان وإفساده طريقكم بتزيينه لكم اتباع الرخص والنزول من الرتب العالية الى مادونها من الرتب الدنية ، ووجدتم في الهمة فتورا ، وفي العزم ترددا ، فاستعذ بالله ، تحصن بالله من نزغه وإفساده ، وصمتم على طريقته المثلى ، ولا تستبدل الذى هو أدنى بالذى هو خير وأعلى ، والله تعالى بفضله كافيك شره ، وحاميك ضره .

(الموقف المائة واحد والثلاثون)

قال تعالى ، فلا تخافوهم وخافوني ان كنتم مؤمنين ، الخوف نوعان خوف من الله تعالى وهو خوف الاجلال والتعظيم والهيبة كما قيل ، كأنما الطير منه فوق رؤوسهم لا خوف ظلم ، وإن كن خوف إجلال ، وهو خوف العارفين الموحدين بالتوحيد الحقيقي على مراتبهم فى رسول ونبي وملك وولي ، وهو المأمور به فى الآية فهو توحيد خاص لأن من عرفه تعالى عرف أنه لا يخاف إلا هو تعالى إذ كل شيء فى الدنيا والآخرة إنما هو تجل من تجلياته وظهور من ظهوراته ، فهم لا يخافون إلا الله ، ولا يتقون إلا الله ، واثقاؤهم الله إنما هو بالله تعالى لا بشيء آخر ، وهذه الوقاية هى النافعة لا غيرها ، إذ لا يتقى شيء إلا بنفسه كالسيف من الحديد والسنان ، والنصل والسكين ، لا تتقى إلا بالدروع من الحديد ، كما قال تعالى فى عدة آيات ، اتقوا الله أي لا غيره من سائر مخلوقاته ، وقال فى معرض المدح ، إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون ، أي الذين اتقوا الله بالله ولهذا التكتة حذف المتقى منه والمتقى به فى الآية ، بمعنى الذين كانوا بهذه الصفة إذا أحسوا بخاطر شيطاني مر بهم مرور الطيف والسارق

المختلس ، تذكروا إذ من المحال أن يوسوس لذاكر حاضر حالة حضوره ،
أي استحضروا الحق تعالى الذي هم متقون منه وبه ، كما قال صلى الله عليه
وسلم ، أعوذ بك منك ، وفي المحسوس كل من أحس بعد واستحضر
عدته وسلاحه الذي يتقي به ذلك العدو ، فاذا هم مبصرون ، مشاهدون للحق
الذي منه وبه إتقاؤهم ، فأنحاشوا إليه ، وتوكلوا عليه ، فغيبتهم تلك المشاهدة
عن الشيطان وكيدته فانقلب خاسئاً نادماً حيث قصد خسارتهم فربحوا بسببه
استحضارهم وأنحياشهم إليه تعالى ، والنوع الثاني ، خوف من مخلوقات الله
تعالى ، كالخوف من أعداء الأنس والجن ، ومن جهنم وما فيها من الحيات
والعقارب والأشياء المؤلمة ، ومن الذنوب والمعاصي ونحو ذلك من المخلوقات ،
وهذا الخوف ليس فيه هيبة ولا إجلال إذ ليس في الخوف من العقرب
والحية ونحو ذلك إجلال ، وهذا هو خوف عامة المؤمنين من العباد
والزهاد والصالحين الذين ما انقشع عن بصائرهم حجاب الغيرية ، فلا زالت
قلوبهم مشحونة بالأغبيار ، فهم يخافون غير الله من كل شيء ، جعله الحق
تعالى مظهراً للضر والشر صورة ، ويتقون ما يخافون بمخلوقات مثلها فيتقون
الأعداء بالحصون والسلاح ويتقون جهنم وحياتها وآلامها بالتوبة والطاعات
والأعمال الصالحة التي هي عندهم أفعالهم صادرة منهم فهم يصومون
ويصلون ويحجون ويتصدقون بأنفسهم لا بربهم ، وهذه الوقاية غير نافعة ،
والإتكال عليها غرر محض وخسران بين ، فلا تخافوهم وخافوني إن كنتم
مؤمنين ، أي إذا كنتم في مقام الفرق الأول ، وكشافة الحجاب مؤمنين بإيمان
العامة تشهدون حقاً وخلقاً مبيناً للحق تعالى قائماً بوجود حادث غير وجود
الحق تعالى القديم ، فيلزكم حينئذ لتصحيح إيمانكم العامي الخوف مني دون

الخلق ، فان الخلق لا يضر ولا ينفع ، فلا يخاف ولا يرجى ومفهومه إذا لم تكونوا مؤمنين ، بل كنتم معاندين مشاهدين ، وحينئذ لا يصح عليكم إطلاق المؤمنين فيما عايذتموه إلا بالحجاز من حيث أن الايمان تصديق الغير وأنتم جاوزتم هذه الرتبة الى المعاينة ومشاهدته سريان الوجود الحق في كل موجود يخاف أم لا من غير حلول ولا اتحاد ، نخافوهم ، أي خافون فيهم فانهم مظاهر أسمائي ، وتعينات تجلياتي ، إذا سلك مخلوق وجهه هو مؤثر بذلك الوجه الألهي لا بصورته المحسوسة ، فلذا يقول المحقق الذي هو فوق العارف ، المسببات تتكون عند الأسباب ، وبالأسباب ، فإذا رأيت عارفا بالله يخاف ملاكا ، أو ظالما ، أو سبعما ، أو حية ، فليس خوفه من صورته المخلوقة المقدرة العدمية ، وإنما خوفه مما هي مظهر وصورة له وهي أسماء الضر والانتقام والقهر ، فبين خوف العامة وخوف العارفين فرق ما بين الأعمى والبصير ،

(الموقف المائة اثنين وثلاثون)

قال تعالى ، وهو معكم أينما كنتم ، أعلم أن الهو في أصل الوضع اللساني كناية عن غائب يمكن أن يصير شهادة يوما ما في حال ما ، وأما هنا فهو كناية عن البطون الذاتي الذي يستحيل أن يصير شهادة لمخلوق ما ، وفي حال مادنيا وآخرة فهو الغيب المطلق الذي لا يشار اليه بإشارة إذ كل مشاراليه ذوجهة ، ولا يعبر عنه بعبارة تقيده أو تميزه ، أو تحصره ، ومع هذا فكل مشاراليه هو ، وكل معبر عنه هو ، فهو الغيب الشهادة والمعية في أصل الوضع اللساني ، تطلق على مصاحبة شيئين مستقلين بالوجودية كزيد مع عمرو ، ولا تطلق على الجوهر والعرض ، إذ العرض لا استقلال له بالوجودية ، لأن قيامه بالجوهر

صفة نفسية له ، فحده ما لو وجد المكان في موضوع فلا يقال زيد مع البياض ولا مع الحركة كذا ، لا يقال علم زيد معه والمعية هنا معية وجود مع عدم ، فالوجود ليس إلا تعالى ، أصدق كلمة قالها الشاعر ، إلا كل شيء ما خلا الله باطل ، والباطل عدم وإن كان ما سوى الحق يوصف بالوجود فهو مجاز فانه وجود خيالي فليس الوجود الحقيقي إلا له تعالى ، وكل ما سواه يصح نفي الوجود عنه كما هو حقيقة النسب المجازية ، فلولا معية الحق تعالى بذاته التي هي عين وجود ما صح نسبة مخلوق الى الوجود ولا وقع عليه إدراك حسي ولا خيالي ، ولا عقلي ، فمعيته تعالى هي الحافظة على الموجودات نسبة الوجود ، بل هي عين وجوداتها وهذه المعية عامة لكل موجود من جليل وحقيق ، وكبير وصغير ، فهي القومية التي قام بها كل شيء ، وهي محض الوجود الذي به كل شيء موجود ، فمعيته إذاً بذاته وهي المعبر عنها بالهوية السارية من غير سريان ولا حلول ، ولا اتحاد ، ولا امتزاج ، ولا انحلال ، لأن هذه المذكورات تقال على وجودين كما هو عند العموم وليس عندنا إلا وجود واحد قديم منزّه عن قيام الحوادث به وقيامه بالحوادث ، ومن قال معيته تعالى بعلمه كما هو الرأي المشهور عند الجمهور فإن أرادوا بذلك تنزيه الذات عن معية المخلوقات فمعلوم أن ما ثبت في النزاهة للذات ، هو ثابت للصفات ، وإن أرادوا أن الذات حقيقة أحدية لا تتجزأ ولا تتبعض ، والموجودات متعددة فكذلك العلم حقيقة واحدة لا تتجزأ ولا يتبعض ، والذي يزعم العلم مع جهله بما به يعلم فهو بالمعلوم أجهل ، وإذا سمعت من عارف أو رأيت في كلامه أن معيته تعالى بالعلم فلا يعنون العلم الذي يعنيه المتكلمون ، وإنما يعنون شيئاً آخر ، فيبهمون الأمر على المخالف المشغب ، قال شيخ العارفين

محي الدين ، القول بأن معيته تعالى مع كل شيء بالعلم أقرب إلى الأدب ،
والقول بأن معيته بالذات أقرب إلى التحقيق ، يريد بالأدب عند المحجوب
وعلى زعمه أو أعم من حيث أنه ليس كل حق يقال ، ولا كل ما يعلم ينقال ،
وهذه المعية هي مثل قوله ، وهو على كل شيء شهيد ، وقوله ، من ورائهم
محيط ، وقوله ، فأينما تولوا فثم وجه الله ، أي ذاته إذ الوجه عبارة عن الذات ،
ولفظ الآية يؤكد ما قلنا ويرفع احتمال غيره ، كما في قولك جاء زيد نفسه ،
وجهه ، عينه ، وله تعالى معية خاصة بخاصة العامة ، وهي معية الامداد بمكارم
الأوصاف وجميل الأخلاق ، كقوله تعالى ، إن الله مع الذين اتقوا والذين
هم محسنون ، وقوله ، إن الله مع الصابرين ، وقوله صلى الله عليه وسلم ، إن
الله مع القاضي ما لم يجر ، أو كما قال ، ونحو ذلك مما ورد في الأخبار
الالهيّة والنبويّة ، وما هي إلا ظهور بعض كمالات الوجود في البعض دون
البعض ، وله تعالى أيضا معية خاصة بخاصة الخاصة ، وهي للارسل والأنبياء
ومن كان من ورثتهم صلى الله عليهم أجمعين ، وليست الأغلبية أحكام الوجود
والوجوب والقدم ، على أحكام الامكان من حدوث وعدم ، كقوله تعالى
لموسى وهارون ، إنا معكما نسمع وأرى ، أي أسمع بكم وأرى بكم ، لأن معيتي
غلبت عليكما فأنا أنا لا أتما إلا من حيث الصورة فقط وهذا المقام معروف
عند القوم رضوان الله عليهم ، بتقرب القرائض فهو ظهور الرب وبطون الصبد ،
وصاحب هذا المقام إذا نودي بيا فلان ، يقول الحق نيابة عنه لييك وهو أعلى
من قرب النوافل فإن صاحب هذا المقام إذا نادى مناد وقال يا الله ، يقول هذا العبد
لييك ، نيابة عن الحق تعالى ومعية الحق تعالى مع كل شيء ثابتة وليس معه
تعالى شيء لأن معيته ثابتة بالنص ومعية كل شيء معه ضمنا إذ من كان

معك فأنت معه ومع هذا لا نقول أنا معه فإنه ماورد

(الموقف المايه ثلاثه والثلاثون)

ورد في الصحيح، أنه صلى الله عليه وسلم قال ، من رأي منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع، فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وهو أضعف الأيمان، أعلم أن التغيير باليد هو للسلطان والحكام الذين جعل لهم ذلك ، والتغيير باللسان هو للعلماء الذين عرفوا بالعلم والتظاهر به بين العوام ، والتغيير بالقلب هو لعامة المؤمنين العارفين بالمنكر ، وهو أن يكره بقلبه هذا الفعل أو القول المنكر في الدين ، فإن هذا من إيمانه بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ، وأما من لم يكن في هذه الطوائف الثلاثة وهو المشاهد للفاعل الحقيقي فإنه لا يلزمه ذلك إذ في تغيير الحكام باليد، والعلماء، باللسان فائدة تعود على العموم وعلى المتلبس بالمنكر، وأما التغيير بالقلب فلا فائدة فيه إلا للمؤمن العامي لتصحيح إيمانه ، باعتقاد حرمة المنكر حتى لا تميل إليه نفسه حيث ان عدم التغيير بالقلب ماهدم ركناً من الشريعة ، ولا أباح محرماً ، قال إمام العارفين محي الدين عند ما تكلم على سر العدد ، إن كان الإنسان يحارب هوى نفسه فليغلب الزوج على الفرد، يعني يغلب شهود رب وعبد على الفرد الذي هو شهود رب فقط ، وإن كان يحارب هوى غيره فليغلب حكم الفرد ، على حكم الزوج ، يعني شهود رب فقط لإظهار التوحيد وقال بعض العارفين ، من نظر للعصاة بنظر الشريعة مقتهم ، ومن نظر اليهم بعين الحقيقة عذرهم ، فإن من حصل على التوحيد الخاص وعلم قوله تعالى ، والله خالقكم وما تعملون ، وقوله ، لا يقدرُونَ على شيء مما كسبوا ، وقوله ، فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ، وقوله ، وما تشاءون إلا أن يشاء الله ، وقوله ، ألا له الخلق والأمر ، وقوله ، قل كل من عند الله ، وغير ذلك مما

يدل على انفراد الحق تعالى بالفعل، علم ذوق وشهود لا تخيل ولا تخمين، علم أن المخلوقات ظروف لما يخلقها الله تعالى فيها من الأفعال والأقوال والنيات ليس لها من الأمر شيء وإن كانت مخاطبة مكلفة مأمورة، وحينئذ لا يغار لله ولا لنفسه إلا أن يكون من ذوي السلطنة والحكم، أو من العلماء المتظاهرين بالعلم عند العوام، أو من عامة المؤمنين، فبغير اتباعا وامتنالا لأمر الشارع لما علمه المشرع من المصلحة في ذلك، فإن لم يكن واحدا من الثلاثة فتغييره إثبات للشركة في الفعل ونفي للتوحيد، فإن التوحيد يمنع من تغيير القلب فإنه إنكار الفعل على الفاعل ومما ثم من يغير عليه لا حدية العين الفاعلة لجميع الأفعال المنسوبة إلى العالم، فلو كان هناك فاعل غير الحق تعالى لم يكن توحيدا، إذ موجب التغيير بالقلب إنما هو الفعل ولا فاعل إلا الله تعالى، وهذه المسألة من أشكال المسائل عند القوم رضوان الله عليهم، ولكن العارف الأديب يعرف المراد من الأحوال وما يستحقه كل، فيوفي كل موطن ووقت ما يقتضيه

(الموقف المائة وأربعة والثلاثون)

قال تعالى، ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكننا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ثم قبضناه ينيق بضائيرا، والحق تعالى ثلاثة ظلال الظل الأول هو الوجود الإضافي المسمى بنفس الرحمن، والتعين الأول، والوحدة المطلقة، والحقيقة المحمدية وهو ظل مجمل غير منفصل، والظل الثاني هو المسمى بالتعين الثاني، ومرتبة الواحدية والإنسان الكامل، وهذا الظل مفصل تفصيلا معنويا علميا، والظل الثالث هو العالم كله ملكه وملكوته، المسمى بالصورة الخارجية والأعيان المفصلة وبالوجود الخارجي، فهي ثلاثة

ظلال في مقام الفرق، وظل واحد في مقام الجمع بل ولا ظل أصلاً بالنسبة إلى الوجود كما قيل

مراتب بالوجود صارت حقائق الغيب والعيان
وليس غير الوجود فيها بظاهر والجميع فان
فالظل الأول ظل الذات، والظل الثاني ظل الأسماء والصفات، باعتبار
الذات، والظل الثالث، ظل الصفات والأسماء لا باعتبار الذات، فافهم
أو سلم، وامتداد الظل هو تعيينه وتميزه تمييز المقيد عن المطاق وليس المقيد
حقيقة مغايرة لهطلق والامتياز، والتميز أمور عدمية في الخارج كسائر
النسب، ولو شاء لجمعه سا كنا باطنا في الذات غير متميز عنها التميز النسبي
لا الحقيقي، إذ ليس للظل وجود مغاير لوجود ما امتد عنه، والقضية
الشرطية لا تقتضي الوقوع ولا الأمكان، كما قال تعالى، ومن يقل منهم
إني آله من دونه فذلك نجزيه جهنم، ومحال أن يقول الملك إني آله، وقال،
لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء، أي لتبناه، وقال، لو
أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين، وكل هذا محال فلا
تتعلق به مشيئته تعالى، إذ لا يشاء إلا ما علم قبوله للإيجاد، وما علم تعالى
للهال قبول الإيجاد، فلا يشاءه فلا تتعلق به قدرته، لأن اسمه تعالى الحكيم
فيعطى كل مستعد استعداد، وليس للهال استعداد قبول الوجود لا عجزاً
فانه على كل شيء قدير، فلا يقال أنه عاجز عن المحال فالمراد من قوله، ولو
شاء لجمعه سا كنا نفى الإيجاب الذاتي. والعالية التي قالت بها طائفة من
العقلاء وإثبات الاختيار المعروف عند العموم فلا يمكن أن لا يعد الظل بان
مقيه باطنا سا كنا في العدم والعلم بل لا يكون إلا مده وإيجاده لا لكون

الذات العلية علة كما قالت الحكماء ، ولا يسبق العلم كما قالت الأشاعرة ، لأن العلم صفة انكشاف ما هو صفة اقتضاء ، ولكن لاقتضاء الأسماء والصفات الآلهية ظهورها بآثارها وهو المسمى بالكمال الأسماوي ، لأن للوجود الحق كمالين ، كمال ذاتي وهو في هذا الكمال غني عن العالمين وعن أسمائه وصفاته أيضا ، وكمال أسمائي وهو المقتضى لظهور الأسماء والصفات بآثارها ، فالمقتضى هي الأسماء والصفات المؤثرة لا غير ، ثم جعلنا الشمس عليه دليلا علامة منصوبة لمعرفة أحوال هذا الظل المذكور فإن الدليل قد يراد به العلامة المنصوبة لمعرفة المدلول ، ولهذا (١) يسمى الدخان دليلا على النار فكما أنه في الحس ، لولا نور الشمس ما ظهرت للشخص ظلال ، فكذلك هذا الظل لولا الذات من حيث اسمه تعالى النور ما ظهر لهذا الظل عين ، وكما أنه في الحس لولا الشاخص الذي يرسم الظل ما ظهر للظل عين ، فكذلك هنا لولا مرتبة الصفات والأسماء ما ظهر هذا الظل ، وكما أنه في الحس لا بد من محل يمتد عليه الظل كالأرض والماء ، فكذلك هذا الظل لولا الأعيان الثابتة في العلم والعدم ما ظهر هذا الظل ، وكما أنه في الحس قرب غروب الشمس تظهر للشخص ظلال ممتدة لا نهاية لها ، فكذلك هذا الظل لا نهاية لامتداده بحسب ما يمتد عنه من أحوال كل عين من الأعيان وقس على ما ذكرت ما لم أذكر ، ثم قبضناه اليينا قبضا يسيرا ، قبضه هو ما يلحق كل عين عند نهاية أمدها المقدّر لها من عدم صورتها ، فقبض الظل هو رجوعه الى ما امتد عنه فيصير الى العلم بعد العين أعني صورته ، وأما حقيقته وجوهره فلا يلحقها عدم أصلا بعد الوجود ، وهذا القبض هو معنى قوله ، اليه يرجع الأمر كله ،

(١) وفي نسخة : ولذا

وقوله، ليناتر جمعون، وقوله ألا إلى الله تصير الأمور، وقوله، وإليه تغلبون، ونحو ذلك، ويصح ثم قبضناه أي الظل بعد أن مددناه، قبضا دفعيا في نظر بعض المخلوقين كالأرواح ومن شاء الله أي جعلناه غير مشهود لهم، مستقلا من أول فطرتهم، وقبضناه قبضا تدريجيا لا بعد حال كما هو حال بني آدم فإن الظل إنما ينقبض في شهودهم بعد امتداده شيئا فشيئا، وهو الانسلاخ من التعينات الخالية العدمية، إلى أن لا يبقى من الظل شيء في شهودهم فيبقى السر الألهي وهو الذي يشهد الله من كل مشاهد، فما يشهد الله إلا الله، ولا يعرف الله إلا الله (الموقف المائة والخمسة والثلاثون)

قال تعالى، ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة، أعلم أن نعم الله تعالى على عباده عامة وخاصة، وخاصة بالخاصة، فهي أنواع ثلاثة دنيوية محضة، وأخرائية محضة، وممتزجة، فالدنيوية هي قوله، سخر لكم ما في السموات وما في الأرض من ملك وفلك وريح وسحاب ومعدن ونبات وحيوان، فالعرش وما حوى ساع فيما يتنعم به الإنسان في دنياه وهذه عامة لجميع بني آدم، مؤمنهم وكافرهم، برهم وفاجرهم، والأخرائية هي قوله، وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة، أي جعل نعمه عليكم سابعة، وأفرة ظاهرة، بارسال الرسل وإنزال الوحي الجبرائلي بالشرائع والأحكام، التي هي وظائف الأعضاء والقوي الظاهرة وحليتها الموجبة للسعادة الدائمة، والنعيم الأبدى بالتمتع بالجنان وبما فيها من القصور العالية، والخور الغالية، وكل ما تشتهي النفس وتلد الأعين، ظاهر لظاهر، وهذه النعمة خاصة باتباع الرسل عليهم الصلاة والسلام وهي آخرائيه محضة، وعليه فالآية صريحة في أنه تعالى

لا يجب عليه ارسال الرسل ولا الصلّاح ، والا صلح كما قالت المعتزلة ، بل هو متفضل بذلك ، إذ لو وجب عليه شيء من ذلك ما أمتنّ به ولا تمدّح به تعالى ، لأن أداء الواجب لا امتنان ولا تمدّح به ، وباطنه فهذه هي النعمة المتميزة بالدنيا والآخرة ، وهي بإرسال رسل الإلهام بالعلوم الدنية ، والمعارف الكشفية ، والحقائق الغيبية ، إلى قلوب ورثة الأنبياء ، وهم العلماء العارفون المتحققون بالاعتداء بالأنبياء ، صلوات الله وسلامه عليهم في أفعالهم وأحوالهم ، فتتجلى بها أرواحكم ، وقلوبكم ، ونفوسكم ، كما تزينت ظواهركم بالوظائف الشرعية الظاهرة ، وهذه العلوم والمعارف توجب السعادة الروحية والقلبية ، ودوام التلذذ بشهود الجمال الحقيقي والتمتع بشهود التجليات المتنوعة باطن اباطن ، وهذه النعمة في الدنيا والآخرة لمن أنعم الله عليهم بها ، فهي نعمة خاصة بخواص عباد الله ، وقد جعل الله تعالى بين ظاهر الإنسان وباطنه اتصالا معنويا غيبيا ، فإذا قامت الأعضاء الظاهرة بما كلفت به من الطاعات على وجهها المشروع ، وتحملت بالأعمال ، الصالحات ، انعكس من تلك الأعمال نور إلى القوي الباطنة ، فتقوت أنوار الباطن ، وإذا قامت القوي الباطنة بوظائفها من المراقبة والحضور والآداب المطلوبة منها ، انعكس من ذلك نور إلى الأعضاء الظاهرة فاستجلت ظواهر الطاعات ، واستلانت مشقة العبادات ، ودأبت على نوافل الخيرات ، فصار كل واحد منهما للآخر سندا ، وعضدا ممدا

(الموقف المائة والستة والثلاثون)

روى في صحيح البخاري ومسلم رضي الله عنهما في حديث جبريل المشهور ، أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن الإسلام والإيمان

والاحسان ، فقال ما الاحسان ؛ فأجابه عليه السلام ، الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، فاعلم أن الاحسان مقام جليل ولذا تكرر في القرآن ذكره والثناء علي المتصف به ، كقوله إن الله يحب المحسنين الذين أحسنوا الحسنی ، ونحو ذلك ، وهو مشتمل علي مقامات ، وخص صلى الله عليه وسلم هذين المقامين لأنهما أساس لما بعدهما من المقامات ، فقوله صلى الله عليه وسلم أن تعبد الله إلى آخره ، يريد وجوب إيقاع العبادة على النحو المذكور بعد ، كوجوب الاسلام والايمان ، فيجب السعي في تحصيل مقام الاحسان بتحصيل أسبابه ، وتحصيله غير بعيد لمن أراد الله تعالى به خيرا ، وذلك واجب باجماع العارفين بالله تعالى بل والفقهاء من حيث أنهم مجمعون على وجوب النية وهي القصد إلى العبادة ، ولا شك أن العابد لا يعبد من لا يعرفه ولو بوجه ، وإذا عرفه استحضره على حسب معرفته وذلك ضرب من الاحسان ومقام الاحسان أشرف وأعلى من مقام الايمان إلا من حيث التقدم ، فالايان أشرف ومقام الايمان أعلي وأشرف من مقام الاسلام على القول بتباينهما ، فالاحسان باطن الايمان ولبه ، والايمان باطن الاسلام ولبه ، فالاحسان لب اللب ، وكما أن الاسلام لا يغني عن الايمان ، ولا يوجب السعادة ، فكذلك الايمان من غير إحسان لا يوجب السعادة أعني السعادة الخالصة ، وقوله كأنك ، كأن هنا هي للتحقيق كما هو الأمر عليه في نفسه وكما ذاقه من ذاقه من أهل الكشف والعرفان فهي هنا كما هي في قول الشاعر يرثي هاشما جد النبي صلى الله عليه وسلم

فأصبح بطن مكة مقشعرا كأن الأرض ليس بها هشام
ويصح أن يكون جواب السائل ثم بقوله ، أن تعبد الله كأنك تراه ،

وقوله ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك زيادة منه صلى الله عليه وسلم لبيان أن بعد هذه المرتبة ثلاث مراتب ، أو قل إحدى مشاهدات الشهود ، الأول هو الذى وقع السؤال عنه ، والجواب الثانى أن يشهد العابد الحق تعالى جميع قواه التى يفعل بها ، ويقول الثالث أن يشهد العابد الحق تعالى فاعلا به فلا خروج لصاحب المقام الاحسان عن هذه الثلاث المشاهدات ، الأولى ، تعليم وتدريب ، والثانية والثالثة هما حقيقة الأمر ، فقوله ، تراه أصله ترى به حذف الجار فأنصل الضمير بالفعل ، كما فى قوله ، والقمر قدرناه منازل ، أي قدرنا له ، وقوله ، تبغونها عوجا ، أي عنها عوجا وهو أن يشهد العابد نفسه حال العبادة بل وفى غيرها من سائر الأفعال والادراكات ، أنه بالله بمعنى أنه يشهد الحق تعالى قدرته وسمعته وبصره ، وجميع قواه وأعضائه الظاهرة والباطنة ، فلا يرى فعلا له ولا لغيره ولا إدراك إلا بالله فيكون العبد ظاهرا ، والحق باطنا ، وهذا المقام هو المسمى عند القوم رضوان الله عليهم بقرب النوافل ، وهو ثابت ذوقا ووجدا ودليلا من السنة ، قوله صلى الله عليه وسلم ، فيما يرويه عن ربه وهو فى الصحاح ، ما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ من أداء ما افترضته عليه ، ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه ، فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ولسانه الذى ينطق به ، إلى آخر الحديث ، فذكر قوى العبد الباطنة ، وأعضائه الظاهرة ، وصاحب هذا المقام ما تخلص بعد فقيه بقية نفس هي الفاعلة بالحق تعالى والسميعة به ، والبصيرة به ، إلى آخر القوى والأعضاء ، إذ لولا شهود نفسه ما جاء الضمير فى قوله سمعه ، وبصره ، لسانه ، فإن الضمير لا يعود على لا شيء ، قوله فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، هو

تعريف المقام الثالث من مقامات الاحسان أي إن لم تكن لك نفس ولم تبق فيك بقية ولا لك مغيرة للوجود الحق ، ولم تكن لك حقيقة ترى به كما في المقام الأول ، فانه براك أي يرى بك حذف الجار واتصل الضمير كما تقدم ، وفي هذا المقام يشهد العابد نفسه وقواه الباطنة وأعضاءه الظاهرة ، آله والحق والحق تعالى المصرف لها ، المؤثر بها ، فيسمع بسمع العبد ، ويصير بصره ، ويتكلم بلسانه ، إلى آخر الادراكات ، فيكون الحق تعالى ظاهرا ، والعبد باطنا ، وهذا يسمى بقرب الفرائض ، ودليل هذا المقام بعد الذوق والوجدان ، قوله تعالى ، فاجره حتى يسمع كلام الله ، وما سمع هذا الأحد الكلام في ظاهر الأمر إلا من صورة محمد صلى الله عليه وسلم ، فالتكلم الله بلسان محمد ، وقوله ، قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ، فالمعذب الله بأيدي الصحابة رضي الله عنهم ، وفي الصحيح إن الله قال على لسان عبده ، سمع الله لمن حمده ، وقد أخبر الوارد أن هذا المعنى لهذا الحديث ما تقدم لأحد كتابته والله أعلم

(الموقف المايه السبعة والثلاثون)

قال تعالى ، وهو معكم أينما كنتم ، الخطاب عام لكل مخلوق ، ومعيته تعالى مع مخلوقاته ليست كمعية المخلوقات بعضها مع بعض ، تعالى الله عن ذلك ، وإنما هي معية وجوده الذي لا يتعدد ، ولا يتجزأ ولا يتبعض ، ولا ينفصل ، ولا يتصل ، المفاض على كل مخلوق من العرش الى الذرة ، فمثال هذه المعية والله المثل الأعلى كما ترى الصورة في المرآة ، فالذات المتوجهة على المرآة هي الحافظة الممدة بالبقاء ، والوجود للصورة في المرآة وليست الذات على الحقيقة غير الصورة في المرآة ، وإن كانت غيرا بحسب الوهم فله تعالى المعية كما قال ، ولنا

التبعية لا المعية ، إذ الصورة في المرأة تابعة للذات المتوجهة على المرأة ولهذا
تنعدم بمجرد الأعراض عن المرأة ، فهو معنا إذ لا يمكن أن نكون ولا هو ،
ولسنا معه إذ كان ولا نحن ، وما خاطبنا تعالى بأنه معنا إلا لكونه ثبت لنا
عندنا وجود مغاير للوجود الحق بحسب حسنا وعقلنا لا في نفس الأمر ، ولو
خاطبنا تعالى بما هو الأمر عليه في نفسه لخاطبنا بغير هذا الخطاب وأكثر
ما ترد الخطابات الإلهية في الكتب المنزلة على السنة الرسل عليهم الصلاة
والسلام بما تقرر في عقول العامة وغلب على أوهامهم ، إذ ليس في نفس الأمر
والحقيقة إلا الوجود الظاهر بأحوال الممكنات وهو المقوم لتلك الأحوال
بمعيته التي هي عين وجوده الذي هو عين ذاته ، وهي تابعة له تبعية العرض
للجوهر ، ولله المثل الأعلى ، فهو تعالى مع كل شيء لا أنه وجود كل شيء وحقيقته
وبه كان ذلك الشيء هو هو ، وليس معه شيء إذ ليس لشيء وجود غير وجوده
تعالى علي حسب ما هو الأمر عليه ، وأما بحسب الوضع اللساني وبحسب
اعتقاد من يعتقد أن لكل شيء وجودا حادثا به ثبوته وحصوله وتحققه ، غير
الوجود الحق القديم ، فمن كان معك فأنت معه لا محالة وليس الأمر هكذا
عندنا فمعيته هي رحمته تعالى بكل شيء حيث يقول ، ورحمتي وسعت كل شيء ،
وما وسع كل شيء إلا الوجود والعلم اللذان هما عين الذات ، ربنا وسعت كل
شيء رحمة وعلما ، وهي وجهه أينما تولى ، حيث يقول ، فأينما تولوا فثم وجه الله ،
ووجه كل شيء ذاته وهي قوميته على شيء حيث يقول أفمن هو قائم على
كل نفس وهي علمه بكل شيء حيث يقول ، إن الله بكل شيء عليم ، وهي حفظه
لكل شيء ، حيث يقول ، إن ربي علي كل شيء حفيظ ، وهي شهادته على كل
شيء ، حيث يقول ، والله على كل شيء شهيد ، وهي إحاطته بكل شيء ، حيث

يقول ، وكان الله بكل شيء محيطا ، وهي قدرته على كل شيء ، حيث يقول ،
وكان الله على كل شيء مقتدرا ، وهي خالقته لكل شيء حيث يقول ،
خالق كل شيء ، وهي وكالته على كل شيء ، حيث يقول ، وهو على كل
شيء وكيل ، وهي إقائته على كل شيء حيث يقول ، وكان على كل شيء
مقيما ، وهي حسابه على كل شيء حيث يقول ، ان الله كان على كل شيء
حسيبا ، فمعيته اذا بذاته الجامعة لصفاته لا بصفة العلم على المعنى الذى يعرفه
علماء الرسم ولو قالت به ألف فرقه ، ولما كانت معية الحق تعالى لنا بالمعنى
الذى ذكرناه وهو معنى وحدة الوجود وانه لا وجود إلا وجوده تعالى ،
ولا صفات إلا صفاته تعالى ، كان الوجود المنسوب الى المخلوق مجازا ، هو
وجوده تعالى كما قال ، وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ، وقال ، إن
الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم ، وكان العلم المنسوب
الى المخلوق علمه تعالى كما قال ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون ، وكانت الأفعال
والقدر المنسوبة الى المخلوق أفعاله تعالى كما قال ، والله خلقكم وما تعملون ،
أي خلقكم وخلق أعمالكم وقال ، لا يقدرُونَ على شيء مما كسبوا ، وكانت
المشيئة المنسوبة الى المخلوق مشيئته تعالى كما قال ، وما تشاءون إلا أن يشاء
الله ، وكان السميع المنسوب الى المخلوق والبصر سمعه تعالى وبصره كما قال ،
ليس كمثل شيء وهو السميع البصير ، إذ مفاد الآية يقتضى الحصر أى
كل سميع بصير هو وكان الحكم المنسوب الى الخلق حكمه تعالى كما قال ، إن
الحكم إلا لله ، فهو تعالى مع مخلوقاته بالوجود وتوابع الوجود وقد ورد فى
خبر ، كان الله ولا شيء معه ، أي كانت صفات الألوهية التي بها سمي آلهما
ثابتة له أزلا حيث لا شيء معه من المخلوقين المألوهين موصوف بالوجود

وإن كانوا موصوفين بانثبوت ولما كانت هذه العبارة يوهم ظاهرها أنه صار معه تعالى بعد إيجاد المخلوقات شيء أدرج الراوي وهو الآن على ما عليه كان دفعاً لهذا التوهم ، بمعنى أن معيته شيء له تعالى منتفية أزلاً وأبداً قبل نسبة الموجودية لشيء وبعدها ، والذي حمل الراوي على هذا هو فهمه أن كان ناقصة ، والأصوب أنها تامة ، وأنها للوجود كما هي عند سيديوه بمعنى الله وجود ولا شيء معه له وجود غير وجوده تعالى أزلاً وأبداً ، إذ المعية تقال على شيئين ، كل واحد منهما له وجود غير وجود الآخر ، وهذا الخبر تداوله أئمة القوم رضوان الله تعالى عليهم ، وقال الخفّاظ أنه غير ثابت في شيء من كتب الحديث ، والذي في صحيح البخاري ، كان الله ولم يكن شيء غيره ، وكان عرشه على الماء ، ولا يتوهم إن كان الأولى والثانية في هذا الخبر بمعنى واحد لأن كان يكون ، معناها بحسب مدخولها ، فكان الأولى بمعنى الوجود أزلاً لارائحة للزمان فيها ، فهي الوجود ، وكانت الثانية بمعنى الكون بعد العدم ، إذ العرش حادث مسبوق بالعدم ، فهي للزمان ، فن علم المعية على ما قلنا علماً ذوقياً حالياً ، كان السيد الكامل ، ومن علمها علماً خالياً ، كان العالم الفاضل ومن آمن وسلم كان المؤمن العاقل ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء

(الموقف المائة والثمانية وثلاثون)

قال تعالى ، يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ، امتثال النهي عن المنهي عنه يحصل بفعل الضد . إذ لا تكليف إلا بفعل يقال لها بالشيء ، أحبه ورضي به ، ولها عنه ، أعرض والمأمور في ضمن النهي صنفان من الناس موثمن محض ، وموثمن مجازاً ، أو بالنظر إلى الأصل أو

بالنظر الى بعض ما وجب الايمان به دون بعض ، أي لا تنظروا الى أموالكم وأولادكم نظرا يشغلكم عن ذكر الله ، فتلهوا وتمرضوا وتذسوا ، بل انظروا اليهم نظرا يكون ذكر الله تعالى ، فالمؤمن المحض منهي عن مقام إيمانه وهو أن من ينظر الى أمواله وأولاده وجميع ما أنعم الله به عليه بذكر الله بحمده وشكره وأنه تعالى متفضل منان فيما أعطى ، وإن أحدا لا يستحق على الله تعالى شيئا مما أنعم ، والمؤمن مجازا منهي عن مقام معرفته ومشاهدته ، وأمور بان يرى أمواله وأولاده وجميع ما أنعم الله به عليه ، تجليات من تجليات الحق تعالى عليه ، وظهورات من ظهوراته تعالى لديه ، فيشاهد المنعم في النعمة فهو لا يرى إلا الحق تعالى ، ولا يلتذ إلا بالحق ، فالأول يرى النعمة والثاني يرى المنعم أو قل الأول يرى الأثر ، والثاني يرى المؤثر ، أو قل الأول يرى الأسم ، والثاني يرى المسمى ، أو قل الأول يذكره ذكر القلب واللسان ، والثاني يذكر ذكر السر ، فالأول النعمة في حقه شهوة طبيعية ، والثاني النعمة في حقه لذة روحانية ، فلا يلتذ إلا بالله ولا يحب إلا الله في كل ما تجلّى له وظهر ، وصاحب هذا الشهود لا يزهد في شيء موجود ، وكيف يزهد في شيء يشهد فيه محبوبه ، وطهارة القلب إنما هي بالمراقبة والحضور ، فالنعم واللذات كلها إذا لم تحل بين القلب وبين مراقبته وحضوره مع الله تعالى لا تضر ، والقلب باق على أصل طهارته إذ المقصود من القلب حاضر ، وحينئذ لا يبالى بالشهوات كانت ما كانت ، بل ولو من حرام إذا كان معتقدا لحرمتها ، فانها لا تمجبه من حيث هي

(الموقف المائة التسعة والثلاثون)

قال تعالى ، إهدنا الصراط المستقيم ، أل في الصراط للعهد والمعهود هو

صراط الله الذي يهدي اليه محمد صلى الله عليه وسلم ، ويدعو اليه كما قال تعالى ،
 وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم صراط الله ، وقال وإن هذا صراطي مستقيماً
 فاتبعوه ، وقال ، وإنك لتدعوهم إلى صراط مستقيم وهو صراط رب هود
 عليه السلام ، حيث يقول ، إن ربي على صراط مستقيم ، وهو صراط رب جميع
 الأنبياء عليهم السلام ومن تبعهم من المنعم عليهم من الصالحين والصدّيقين
 والشهداء ، كما قال أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء
 والصالحين ، وهذا هو الصراط الذي أمرنا بطالب الهداية اليه في كل صلاة ،
 وأما ما عدا صراط النبيين ومن تبعهم فذلك سبيل وهي سبيل المغضوب عليهم
 والضالين ولا يقال فيها صراط ، ولذا قال تعالى : غير المغضوب عليهم ولا
 الضالين ، وما قال ، صراط المغضوب عليهم وهي من وجه صراط الله من حيث
 جمعية الاسم الله ، ولكنها غير مستقيمة إذ جميع المخلوقات إنما مشيها على سبيل
 الأسماء الآلهية وهي في قبضتها كما قال : ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها ،
 وصراط الله المستقيم هو الذي جاءت الكتب والرسول عليهم السلام ، آمرة
 باتباعه والمشي عليه ، وناهية عن اتباع السبل والمشي عليها ، قال ، وإن هذا
 صراطي مستقيم فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ثبت في
 صحيح البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال ، خط لنا رسول الله
 صلى الله عليه وسلم يوماً خطاً ثم خط خطأ صغاراً عن يمين الخط وشماله
 فقال هذا صراط الله وهذه سبل على كل واحد منها شيطان يدعو اليه غالباً ،
 في صراطي ضمير المتكلم وهو الله تعالى فالصراط المستقيم مظهر الاسم
 الجامع وهو الله ، والسبل مظاهر جزئيات الأسماء الآلهية فكل سبيل هو
 سبيل الله من حيث الحقيقة وإن تعددت وتكثرت كثرة لا يحيط بها إلا هو

تعالى ، لأنه ليس في نفس الأمر إلا أسماءه تعالى هي الداعية للخلق وهي سبيله
المضلة ، كما قال ، يضل من يشاء ، وقال حكاية عن رسول موسى صلى الله عليه
وسلم : إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء ، وهي مظاهر المضل وجزئياته ، كما
أن صراط الله الذي هو الصراط المستقيم هو مظهر أسمائه الجمالية ، اسمه
الهادي ، وجزئياته والكل راجع إلى الاسم الله ، وإنما خص صراط المنعم عليهم
بتسميته بصراط الله تشریفاً لهم بالنسبة إلى الاسم الجامع ، ولأن غايته الوصول
إلى الرحمة المحضة ، واسمه الرحمن مثل الاسم الله من حيث أن كلا منهما له
الأسماء الحسي ، وعلى هذا فكل كافر عاصي مخالف مامثل علي غير طريق
الله المستقيم ، من حيث الأمر الشرعي التكليفي الوصفي ، فهو مطيع موافق ،
ماش على صراط الله من حيث الأمر الإرادي فما في نفس الأمر إلا مطيع
غير أن من كان محتده وربّه المتوجه عليه أولاً من أسماء الجمال والهدى كان
خيراً سعيداً بالذات ، وإن عرضت له عوارض في طريقه ضد السعادة
والخير ، فإنها تزول ، والنهاية لا تكون إلا عين البداية ولا بد ، وما بالذات
لا يزول ، والعوارض أحوال تحول ، والعكس بالعكس ، ما يبدل القول
لديه وما هو بظلام للعبيد

(الموقف المايه والأربعون)

قال تعالى ، قال الملأ الذين استكبروا من قوميه لنخرجنك يا شعيب
والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن^٢ إلى ملتنا ، الخ الآية ، قيل لي في
الواقعة ليس المراد من حكاية هذا الكلام عن الذين كفروا بشعيب عليه
السلام ، وعن شعيب أنه عليه السلام ، كان معتقدا لعقيدتهم متبعاً لملتهم قبل
نبوته ، ثم خالفهم بعد النبوة ، حاشا وكلا ، فإن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

مهتدون الى الحق من أول نشأتهم ، منطورون علي محبة الحق وبغض الباطل ،
فني أول حصول التمييز لهم / وادراك الضروريات التي يدركها جميع بني آدم
تحصل لهم علوم التوحيد ، والمعرفة بالله ضرورة كسائر الضروريات ولا
ينكر حصول العلوم الضرورية إلا من فاتته علوم التجليات فما ذاقها ولا
سلك طريقها ، فليس علمهم عليهم السلام بالله تعالى من طريق نظر عقلي ، ولا
ببرهان خفي ولا جلي ، وما ورد عنهم مما يؤم الاستدلال العقلي كقول ابراهيم
عليه السلام : هذا ربي ، هذا أكبر ، ونحو ذلك فالمراد منه غير الاستدلال
المعروف والمقصود منه شيء آخر عرفه العارفون بأحوال الانبياء عليهم
السلام ، وإنما المراد من حكاية ما حكاه الله تعالى ، أن قومه عليه السلام لما
نشأ بين أظهرهم مدة طويلة غير مظهر لملة ولا داع الى عقيدة الى أن جاء
الأمر الإلهي بالظهور والدعوة ، فتوهموا أنه كان مثلهم مخاطبوا والذين
آمنوا معه بما خاطبهم ، وقوله ، إن عدنا في ملتكم الخ الآية ، هو جواب
منه عليه السلام عنه وعن أتباعه حيث كان خطاب الكفار متوجها اليه
والى أتباعه ، وتوهموا كأتباعه ، كان في ملتهم ثم خالفهم الى غيرها ،
فأجابهم حسب توهمهم وادخل نفسه مع أتباعه في الجواب ، وكذا قوله
تعالى في الآية الأخرى ، وقال الذين كفروا لرسولهم لنخرجكم من أرضنا
أو لنعودن في ملتنا ، أي قال الذين كفروا من كل ملة لرسولهم ولمن أتبعه
هذه المقالة ، متوهمين أن الرسول كان قبل الرسالة متبعا لملتهم كأتباعه الذين
آمنوا معه ، وأوحى الله تعالى إلى كل رسول انه لا يمكن الظالمين وانسكتكم
الأرض من بعدهم ، إذ لم يكن رسولان لأمة واحدة في وقت واحد غير
موسى وهارون ، فضلا عن جماعة ، وقوله ، وما يكون لنا أن نعود فيها

إلا أن يشاء الله ربنا ، أي يصح ولا يستقيم لنا وهذا من جملة إدخال شعيب عليه السلام نفسه مع أتباعه المؤمنين تغليبا لهم ، وأتباعه يجوز عليهم العود في الكفر بعد إظهار الأيمان إذ الردة ممكنة في غير المعصومين ، وأما المعصومون إذا صدر منهم شبه هذا الاستثناء فليس هو منهم كما هو من غيرهم ولكنهم عليهم الصلاة والسلام تارة يغلب عليهم شهود مرتبة التقييد ، وتارة يغلب عليهم شهود مرتبة الإطلاق ، فإذا غلب شهود الإطلاق خافوا وانقبضوا واططربوا ، وقالوا ، أدري ما يفعل بي ولا بكم ، وقالوا ، ولا أخاف ما نشر كون به إلا أن يشاء ربي شيئا ، وسع ربي كل شيء ، علماء ، وقالوا ، وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ، وقالوا ، نفسي نفسي لا أسئلك غيرها ، ونحو هذا وإذا غلب عليهم شهود التقييد انبسطوا واستبشروا وبشروا ، وقالوا فلان من أهل الجنة وفلان من أهل النار ، وتحكموا في العالم فما كان خوفهم عليهم السلام من مرتبة الرحمن ولا من مرتبة الرب ، بحيث تحكم عليه العقول بأحكامها وإنما كان خوفهم من الله أعني مرتبة الغيب المطلق المسماة بالله التي لا يدركها عقل ولا يصح عليها حكم ، ولذا قال شعيب وسع ربنا كل شيء علماء ، ولسعة علمه لا يمكن أن يضبط ويحصر ويقيد فيحكم عليه بنفي أو إثبات ، ومن غلبة شهود الإطلاق كان صلى الله عليه وسلم يثب في الدرع يوم بدر ويقول اللهم أن تهلك هذه العصاة لن تعبد بعد اليوم ، بعد ما وعده الله تعالى بأحدى الطائفتين كما قال تعالى وإذا يعدكم الله إحدى الطائفتين إنما لكم وأبو بكر رضي الله عنه يقول يا رسول الله بعض مناشدتك ربك ، فإن الله منجزك ما وعدك ، وكان الغالب على الصديق رضي الله عنه ذلك الوقت شهود مرتبة التقييد فكان بين شهوديهما ما بين مرتبتيهما أعني مرتبة النبوة والصدقية وروى أن الصديق بكى يوما

خوفا من الله تعالى فقبل له أنشك في بشارة رسول الله صلى الله عليه وسلم لك بالجنة ؟ فقال لا ولكن خشيت أن يكون ذلك موقوفا على شرط لم اعلمه وهذا الشهود سعة علمه تعالى

(الموقف المايه واحد والاربعون)

قال تعالى : لله ما في السموات وما في الأرض وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير ، أخبر تعالى أن كل ما في السموات وما في الأرض من عالم المعاني الى عالم الأجسام ، إذ السماء كل ما علا حسا أو معني وما بين ذلك من عالم الأرواح وعالم المثال وعالم الأجسام الطبيعية ظهورات وتعينات وهو تعالى الظاهر المتعين بجميع ذلك ، واللام الاختصاص الحقبقي فلا ظاهر ولا متعين بها سواه ، فهي شؤونه التي يتقلب بها وفيها ، كما قال تعالى ، كل يوم هو في شأن ، أي كل آن لا يتجزأ ولا ينقسم الى ماض ومستقبل هو تعالى ظاهر بشأن ومتعين بحال ، وان تبدوا ما في أنفسكم ، أي تظاهروا ما في أنفسكم من نسبة الربوبية والحقية إذ اسكل مخلوق نسبتا زخفية وخلقية ، فتعلقون بنسبة الربية المحضة والوحدة المطلقة فتصيرون الى الالحاد والزندقه وتمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية فتتركون الشرائع وما جاءت به الرسل من الأمر والنهي ، وتلغون حكمة الله تعالى في التكليف والأحكام الوضعية وتعلمون اسمه تعالى الحكيم ، بل واهام الاسماء العاليم ، أو تخفوه ، أي تخفوا ما في أنفسكم من نسبة الربوبية والحقية وتعلقون بما فيكم من نسبة العبدية والخلقية فتقيمون الأحكام الشرعية ، وتقفون عند الحدود الوضعية ، فتحلون ما أحلت الشرائع وتحرمون ما حرمت ، غير أن منكم مع هذا من يعتقد أنه يخلق أفعاله الاختيارية

أو أزاله قدرة وكسباً في الفعل ، أو أن له جزأ اختيارياً ، أو أن له قدرة تؤثر في صفة الفعل لا في الفعل نفسه أو أنه مجبور على الفعل أو نحو ذلك ، يحاسبكم به الله ، أي يحاسب الذين أبدوا ما في أنفسهم والذين أخفوه والحساب هنا أعم من قوله تعالى فسوف يحاسب حساباً يسيراً ، وينقلب إلى أهله مسروراً ، ومن قوله صلى الله عليه وسلم ، من حوسب عذب فيغفر لمن يشاء من الطوائف التي أخفت ما في أنفسها ويعذب من يشاء من الطوائف التي أبدت ما في أنفسها من الربوبية وهم الزنادقة ، وهم على فرق كثيرة وأما الطائفة الثالثة وهي مفهومة من تقسيم الآية إذ كل متقابلين لا بد أن يكون بينهما أمر ثالث جامع بينهما لا هو عينهما ولا غيرهما ومن قواه تعالى وكنتم أزواجا ثلاثة فهم السابقون المقربون ، والطائفة التي أخفت هم المصلون ، والطائفة التي أبدت هم السكيتون الذين لا قسمة لهم في الخير ، وهذه الطائفة جمعت بين الأمرين ونظرت بعينين ، وطارأت بمجناحين ، فأبدت وأخفت ، أبدت ما فيها من النسبة الربية الحقيقية في بواطنها فتبرأت من نسبة الوجود والأفعال إليها من حيث صورها ، ونسبة الوجود وتوابع الوجود إلى باريها ، فاعطت الفوس باريها ، ونادى منادي الفناء على صورها هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا ، فلم يبق وجود وفعل إلا لحقهم الفاعل الحق في بواطنهم وأخفوا ما فيهم من نسبة الربوبية والحقيقة فيما بينهم وبين الخلق ، فالتزموا أوصاف العبودية ، وقاموا بتكاليف الربوبية ، قاموا حتى تورمت أقدامهم ، وصاموا حتى لزقت بطونهم بظهورهم ، وشدوا عليها الحجارة من الجوع ، ، بكوا حتى خضبت دموعهم لحاهم ، عضوا على الشرائع بالنواجذ ، واعطوا كل ذي حق حقه من الشريعة ، والحقيقة ، فمن رأى ظواهرهم قال

قدريّة ، ومن رأي بواطنهم قال جبريّة ، ومن سمع كلامهم قال أشعريّة ،
ماتريديّة ، فهذه الطائفة لا توقف لحساب ، ولا تكلف لسؤال ولا جواب
(الموقف المايه اثنين والأربعون)

قال تعالى ، إن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير ، أخبر
تعالى مؤكدا خبره ووعدا الصادق ، ومن أصدق من الله قيلا ، ومبشرا
لعباده الذين يخشون ويخافون ربهم ، أي حضرة الربوبية الجامعة للأسماء
التي يُرب تعالى بها عباده ، لا أن كل واحد منهم يخش ربّه الخاص به فإن
أحدا لا يخشى ربّه الخاص به ، فإنه عند ربّه مرضى ، وهو راض عنه في
الدنيا ، ولذا كان كل حزب بما لديهم فرحون في الدنيا فقط ، وكذا قوله ،
كذلك زيننا لكل أمة عملهم ، وإنما كانت خشيتهم لأسماء الربوبية ، أي
الحضرة الجامعة ، شعروا أو لم يشعروا ، وقال بالغيب ، أي يخافون ربهم مع
اعتقادهم غيبته عنهم ، ومباينته لهم ، لا يدركونه بشيء من مدركاتهم الظاهرة
والباطنة ، وهذه مرتبة عامة المؤمنين ، أعني علماء الظاهر قاطبة والمتكلمين
في التوحيد العقلي ، فهم يؤمنون ويخشون ربّا غائبا عنهم ، بعيدا منهم ،
وليس حضوره مع عباده وقربه منهم ومعيتته إلّا بعلمه وقدرته دون ذاته
عندهم ، تعالى عما يصفون ، ولهذا كانت مرتبة هذه الفرقة من المؤمنين دون
غيرها ، فبشّرهم تعالى بأنه يغفر لهم ذنوبهم يوم القيامة ، أي يسترها عن
غيرهم من أهل المحشر ، ولكن لا يسترها عنهم بل لا بد لهم من العرض
والتقرير بذنوبهم ، كما ورد في الصحيح ، أنه لما قال صلى الله عليه وسلم ،
من حوسب ذنب ، قالت عائشة ، يارسول الله ، أو ليس يقول الله تعالى
فسوف يحاسب حسابا يسيرا وينقلب إلى أهله مسرورا ، فقال يا عائشة ، ذلك

العرض وإلا فمن نوقش الحساب يهلك ، وصفة العرض كما ورد : هو أنه تعالى يلقي كنفه أي ستره على عبده المؤمن حتى لا يراه ملك مقرب ، ولا نبي مرسل ، فيقرره بذنوبه فلا يسعه إلا الأقرار ، فيقول له الحق تعالى ، قد سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم ، الحديث ، وكما بشر تعالى هذه الفرقة من المؤمنين بأنه يغفر لهم ذنوبهم ، بشرهم بأنه يعطيهم أجرا كبيرا ، أي جزاء عظيما بالنسبة اليهم ، من حور وغلان ، وقصور ولذات ، ونعم متنوعة محسوسة ، وسمي ما أعطاهم أجرا أي جزاء لأعمالهم لأنهم كانوا يعملون لذلك ، والجزاء من جنس العمل ، وهذه الطائفة هي المعنية بقوله ، إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير ، وبقوله ، والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير ، وأما الذين يخشون ربهم لا بالغيب ولكن بحضورهم وهم الطائفة الثانية أهل مقام الاحراز الذي عرفه صلى الله عليه وسلم بقوله ، إن تعبد الله كأنك تراه فهم يخشون ربهم على حضوره معهم ، ويعبدونه على أنه مناج لهم ، وهم يناجونه ، وأنه في قبلتهم ، ويدينهم وبين القبلة ، ونحو هذا مما ورد في التعليم النبوي وهم مع هذا يرونه غيراً لهم ومنفصلاً عنهم ، وهذه الطائفة أعلام الأولي درجة ، وأقرب الى الله تعالى منزلة ، وهم المعنيون بقوله ، أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم ، وبقوله ، ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة ورزق كريم ، وبقوله ، فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم ، وبين مغفرة هذه الطائفة والطائفة الأولى بون وان اشتراكا في اللفظ ، أما مغفرة الطائفة الأولى فقد سبق بيانها ، وأما مغفرة الطائفة الثانية فهي أن يستر ذنوبهم

عن أهل المحشر وعندهم ، بحيث لا تبقى لذنوبهم صورة أصلا ، بل تبديل
سيئاتهم حسنات ، كما قال ، أو أئمتك الذين يبدل الله سيئاتهم حسنات ، كما
أن ما أمتن به على الطائفة الأولى غير ما أمتن به على الطائفة الثانية ،
فسمي ما تفضل به على الأولى أجرا ، أى جزاء لأعمالهم لأنهم كانوا
مستغرقين فى نسبة أفعالهم لنفوسهم ، وإن كانوا يعتقدون أن الله خالقها وسمى
متفضل به على الثانية رزقا كريما ، والرزق ما ينتفع به أعم من الرزق الحسي
والمعنوي بالمشاهدة والعلوم والمعارف وهذه الطائفة وإن كانت مثل الأولى
فى نسبة أفعالهم إليهم ، ورؤية نفوسهم موجودة فاعلة ، فهي من جهة حضورها
مع الحق تعالى وتخليه رقيبا ما جيا كأنها تراه أشرف من الذين يخشونه غائبا
عنهم وإلى الطائفة الأولى الإشارة بقوله ، ومن يعمل من الصالحات من ذكر
أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا وإلى الطائفة
الثانية الإشارة بقوله ، ومن أحسن ديناً فمن أسلم وجهه لله وهو محسن ، بدخوله
حضرة الاحسان وهي أن تعبد الله كأنك تراه ، وقوله ، واتبع ملة إبراهيم
حنيفاً ، إشارة إلى الطائفة الثالثة التي هي أعلا الدوائف ، أي بعد أن دخل حضرة
الاحسان إرتقى إلى حضرة الشهود والعيان ، وهي ملة إبراهيم أي طريقته
الشار إليها بقوله ، إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض ، أي
ظهر بهما وبكل ما فيهما ، وما أنا من المشركين ، فلا أرى غير وجهه تعالى فى كل
وجهة إذ رؤية الغير شرك ، وإلى الطائفتين الأولى والثانية الإشارة أيضا بقوله ،
وما تجزون إلا ما كنتم تعملون ، وإلى الطائفة الثالثة الإشارة بقوله ، إلا عباد
الله المخلصين ، فلا جزاء لهم غير مولاهم ومحبوبهم الذي تولاهم فعاينوا به
عنهم ، ولا مغفرة لهم إلا ستر نفوسهم عنهم ، بحيث لم يشهدوا لها أثرا فهم

لا موجودون ولا معدومون ، ولا ثابتون ولا منفيون ، ولا فاعلون ولا غير فاعلين ، فليسوا بطاعين ولا عاصين ، فلا مغفرة ولا أجر ، بل هم كإفعالهم درجات عند الله ، فيهم ترفع الدرجات ، وبهم تغفر الذنوب ، وتعطي الأجور ، وتدر الأرزاق دنيا وأخرى ، فعلم من هذا أن الطوائف الناجية ثلاث ، وإن تفاوتت في النجاة طائفة خشيت ربا غائبا ، وطائفة خشيت ربا حاضرا ، وطائفة لم تتقيد بغيبة ولا حضور ، ولا بطون ولا ظهور ، بل كانت برزخا جامعا

(الموقف المايه الثلاثة والأربعون)

قال تعالى ، فانظر الي آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها ان ذلك للحي الموتى وهو على كل شيء قدير ، المخاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن المرادون أمر تعالى ان لا يصدق كل مدع ولا يتبع كل ناعق ، ولكن ينظر الى الوجود أثر الرحمة وعدمه فتصدق الدعوى أو تكذب فمن ادعى أن الحق تعالى اختصه برحمة من عنده وجعله من أهل حضرته ينظر في دعواه فان ظهر عليه أثر الرحمة وهو ادرار العلوم الربانية الوهية والأسرار العرفانية الغيبية كما قال في الخضر عليه السلام ، آتيناه رحمة من عندنا وعلّمناه من لدنا علما ، وقال نوح عليه السلام ، وأتاني رحمة من عنده فعميت عليكم فذلك الصادق في دعواه فليلميه من ناداه فانه على يدنة من ربه وتلام شاهده منه ومن لم يظهر عليه أثر الرحمة الاختصاصية وكان بعد دعوى رحمة الحق تعالى اياه كما هو قبلها فهو مفتر كذاب كيف يحيي الأرض بعد موتها أي حالة كونه تعالى يحيي أرض أي نفس من رحمة الرحمة الاختصاصية بالعلم الإلهي من غير واسطة معلم مشهود ، وبعد أن كانت أرض نفسه ميتة بالجهل فحياة أرض

النفوس ليست إلا بالعلم الرباني ، قال استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحبيكم ولا يحيبهم إلا العلم ، وقال أو من كان ميتا بالجهل فأحييناه بالعلم وهو النور الذي يمشي به في الناس ، فحياته نفس جعل النور له كمن مثله في الظلمات وهي ظلمات الجهالات فما أحييناه ولا جعلنا له نورا ، وأفرد تعالى النور وجمع الظلمة لأن النور الذي هو العلم يهدي إلى صراط المستقيم ، وهو واحد صراط المنعم عليهم أهل السعادة والظلمة التي هي الجهل متعددة لأنها تهدي إلى سبل الغواية كما قال تعالى ، وإن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله إن ذلك لحي الموتى ، الإشارة إلى من ظهر عليه أثر رحمة الله الاختصاصية وأحياه الله تعالى بالعلم الرباني لحي بالعلم الموتى بالجهل بما حصل له من الرحمة التي ظهر عليه أثرها وهو على كل شيء قدير بقدرة الله تعالى لا تحاد ارادته بإرادة الحق تعالى فهو يفعل ما يريد ويريد ما يعلم فأما ما لا يعلمه فلا يريد وهو الإنسان الحقيقي الخليفة

(الموقف المايه الأربعة والأربعون)

قال تعالى ، وعلم آدم الأسماء كلها ، الآية ، أطلع الحق تعالى آدم عليه السلام على الأعيان الثابتة التي هي حقائق الأشياء الخارجية ، فالأعيان الخارجية بمثابة الظلال لهذه الأعيان الثابتة وإطلاعه عليها كان في الموطن الثاني من مواطن العالم المسمى بظاهر العلم والوجود فعرف من إطلاعه على الأعيان الثابتة الأسماء أي أسماء الحق تعالى المتوجهة على إيجاد الأعيان الخارجية إذ كل عين لها اسم يخصها والعارف يعرف الاسم الإلهي بأثره فيكون الاسم كالروح والأثر بمثابة الصورة وهذه المعرفة دون معرفة آدم عليه السلام كما أن معرفة آدم عليه السلام ، دون معرفة محمد صلى الله عليه وسلم ، فينهما

فرقان إذ محمد صلى الله عليه وسلم عرف الأسماء في موطنها الأول وهو المسمى بباطن العلم والوجود حيث تسمى شئونها ثم نزل إلى الموطن الثاني الذي تسمى فيه أعياننا ثابتة واستعدادات ثم عرفها في موطنها الثالث حيث تسمى أعياننا خارجية فمحمد صلى الله عليه وسلم عرف الأصل ثم تدلى إلى الفرع بخلاف آدم عليه السلام ، فانه عرف الفرع ثم ترقى إلى الأصل فبين المعرفتين من الشرف ما بين الأصل والفرع ، شتان بين من يستدل به وبين من يستدل عليه ، وتعليم الحق تعالى الأسماء لآدم عليه السلام ما كان بدراسة ولا إنزال وحي ولا إرسال ملك ، وإنما حصل له ذلك بأن كشف لآدم عليه السلام عن إنسانيته التي هي حقيقته ، فوجدتها مجموع الأسماء الإلهية والكونية في مقام الفرق وإلا فالجميع أسماء إلهية فما الكون جميعه إلا أسماءه تعالى وإنما كانت حقيقة آدم بهذه المنزلة لكونه برزخا جامعاً بين الوجوب والإمكان ، فهو البرزخ الجامع بين الطرفين المتقابلين ، فعند ما عرف آدم حقيقته قال للدلائكة إنكم أدعيتم السكّال وقتلتم نحن نسبكم بحمدك ونقدس لك فانبؤوني بأسماء هؤلاء أي خبروني بالأسماء الإلهية التي توجهت على إيجاد هؤلاء الأعيان الخارجية المشار إليها ، فالتفتوا إلى الحق تعالى التفات عجز وافتقار ، وأنبأه واضطرار ، وقالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا ، فأمر الحق تعالى آدم عليه السلام أن يعلمهم تلك الأسماء ، فقال ، أنبئهم بأسمائهم ، ليظهر فضل آدم عليه السلام عليهم ، عليهم السلام ، فضل الأستاذ على التلميذ فلما أعلمهم آدم عليه السلام بأسمائهم عرفوا حينئذ أن هناك أسماء كثيرة ما عرفوها ، ولا نزهاوا الحق تعالى ولا سجدوا بها ، ولما علمهم ما علمهم من أسماء الأعيان الخارجية والمعاني ما أخذوها كلها ذوقاً ، ولكن أخذوا بعضها علماً ذوقياً ،

وبعضها علما فقط، فإن الاسم الرزاق مثلا يعطي الأرزاق الحسية والمعنوية،
وهم مذاقوا الأرزاق المعنوي بالعلوم والأسرار، ومذاقوا الأرزاق الحسية،
فإنهم لا يأكلون ولا يشربون، وكلاهما التوابع والستار والغفار فإنهم إنما
علموها علما مجردا عن الذوق لأنهم مذاقوا المخالفة والمعصية، إذ لا يعصون
الله ما أمرهم فهم معصومون، فلم يذوقوا التوبة منها، والمغفرة لها، والستر عنها
وكذا الاسم الخافض والرافع، فإنهم مذاقوا الخفض عن مقاماتهم ولا الرفع
عليها، إذ لا ترقى للملك ولا نزول عن مقامه الذي خلق فيه أول خلقه، قال
تعالى حكاية عنهم ومصدقا لهم، وما منا إلا له مقام معلوم، وأما المرتبة فقد ينزل
الملك من مرتبة عليا إلى مرتبة أدنى، ومن هذا خوفهم في قوله، ويخافون ربهم
من فوقهم، ومثل هذا كثير، وأما آدم وبنوه فقد أخذوا الأسماء علما ذوقيا
حاليا ففازوا بالطريقين وظهرت فيهم الأسماء الجمالية والجلالية بالوجهين
الخلق باليدين، وليس من ذاق كمن علم علما مجردا، فإن بين من علم أن الطعام
يشبع الجائع، والماء يروي الظمان، وما جاع ولا أكل ولا ظمئ ولا روى،
وبين من جاع وشبع وعطش وروى فرقانا عظيما

(الموقف المائة الخمسة والأربعون)

قال تعالى، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون، أي لا يسأل أحد الحق تعالى
عما يفعله به، ويوجد له، عند النظر إلى الحقائق وبواطن الأمور، سواء العالم
بالحقائق والجاهل بها، أما العالم بالحقائق فإنه علم أن الحق تعالى ما فعل به
الأما اقتضاه استعدادا فما حكم الحق تعالى على أحد ولا فعل به إلا ما طلبه
استعداد ذلك المحكوم عليه، المفعول به، من الحق تعالى أن يحكم عليه، ويفعل
به، فما حكم الحق عليه، وإنما هو الذي حكم على نفسه، ولهذا لما قالت الأشقياء

عند معاناة العذاب، ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين، أ كذبهم الحق تعالى فقال، ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه، وإني لست بمؤمن في دعواهم لأنهم لا يكذبون بآيات الله وإنهم يؤمنون لأنه لا يمكنهم، ثانياً فعل غير ما فعلوا أولاً لأنه مقتضى استعداداتهم التي هي حقائقهم وقلب الحقائق محال، فالبرودة مثلاً لا تنقلب حرارة أبداً، وإنما البارد يقبل أن يصير حاراً، وكذا الجاهل بالحقائق فإن سؤاله غير متوجه إلى الحق تعالى في نفس الأمر، وإنما سؤاله متوجه إلى من فعل به ما لا يلائمه فظلمه في زعمه، وليس ذلك هو الحق تعالى عن الظلم وإنما السائل هو الذي ظلم نفسه إن كان ما فعل به ظلم كما قال تعالى، وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفُسهم يظلمون، وقال وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم قال الله، وما الله يريد ظلماً للعباد، وإرادة مجردة عن سؤال الاستعدادات لأنه لا غرض له في ضرر أحد، ولا في تعذيبه، ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم، وإنما حقائق العباد طلبت بلسان استعدادها إيجاد ما هو مقتضاها فأعطي الحق تعالى الوجود لذلك المطلوب لا غير، إذ الحق تعالى جواد لا يبخل فكل ما طلبته الاستعدادات أعطاهها أيها، وقوله ما يريد أبلغ في النفس من قوله، لا يظلم، فانه إذا انتفت الارادة انتفى الفعل بالأولى والأخري، وهم يسألون عما فعلوه من الكفر والعصيان والمخالفة للأوامر الشرعية، والأوضاع الحكيمية، حيث أنهم ما خالفوا إلا جهلاً وعناداً وكفراً، ولو علموا استعداداتهم وما هي مقتضية لها ما شقوا، فإنهم حينئذ عملوا ما عملوا بما ظاهره مخالفة وعصيان بالأمر الإرادي عن كشف، فإن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ومن شاء الله من كمل الورثة أن يطلعه على مقتضى استعداداته قبل أن يقع ما وقع منه. لا يسألهم الحق تعالى عما فعل بهم، وخلق

فيهم ، للكشف الحاصل ولهذا كان ما يكون منهم لا يعد مخالفة في نفس الامر ، ولا يعاقبون عليه في الآخرة ، وإن عد مخالفة في ظاهر الشرع الحكيم ، وكان لهم أن يعتذروا ويحتجوا بالقدر ، كما ورد في الصحيح قال موسى لا دم عليهما السلام أنت الذي أخرجتنا من الجنة بخطيئتك ، فقال آدم ، أنت موسى الذي اصطفاك الله برسائله وبكلامه تلومني على أمر قدره الله عليّ قبل أن يخلقني ، وإلى هذا يشير العارف الكبير عبد الكريم الجيلي بقوله

وما ذاك إلا أنه قبل وقوعه يخبر قاي بالذي هو واقع
فناثي الذي نأثيه والقلب ناظر مثبتة في اللوح والجفن داعم
فان كنت في حكم الشريعة عاصيا فاني في حكم الحقيقة طائع

وأما المحجبون فليس لهم أن يعتذروا ويحتجوا بالقدر فانه ما حصل لهم علم بما تقتضيه حقائقهم في الشر والكفر والعصيان ، وهذه المسألة في مبادئ سر القدر ، وقد نهى الشارع عن الخوض فيه مخافة علي الضعفاء ، فان الخوض فيه يصير بصاحبه الى الالحاد ورفض الشرائع ، نعوذ بالله من درك الشقاء ، وسوء القضاء ، آمين

(الموقف المائة الستة والأربعون)

قال تعالى ، إنا نحن نرث الأرض ومن عليها والينا يرجعون ، من اسمائه تعالى الوارث وهو الذي ترجع اليه الأملاك ، بعد فناء الملاك ، وميراثه تعالى الأرض ومن عليها هو برفع نسبته الملكية التي كانت للمخلوقات ، وهي الارتفاعات ، وأما الأعيان فهي ملك خالقها تعالى ، لا ملك المخلوق عليها فلا تملك إلا الارتفاعات ولا يباع ولا يشتري إلا هي لا الأعيان ولهذا منع

الشارع من بيع الأعيان إذا عدمت من الانتفاعات المقصودة منها ومنع من بيع جميع الأعيان التي لا ينفع بها في شيء من أنواع الانتفاعات المباحة، والينا يرجعون وذلك يوم قوله تعالى، لمن الملك اليوم وذكر ثلاثة أسماء الله وهو الاسم الجامع وهو الوارث في الحقيقة لا الواحد ولا القهار، إذ أسماء الألوهية والربوبية تختفي باختفاء آثارها وهم المألوهون والمربوبون لأن بزوال المألوه تختفي نسبة الألوهية، وبزوال المربوب تختفي نسبة الربوبية، فلا رب ولا مربوب ولا آله ولا مألوه، تقديراً كما هو الأمر قبل إيجاد العالم والواحد وهو من أسماء الذات وذلك يفيد غناء عن العالمين، إذ ذلك مقتضي الذات العلية، والقهار وهو من أسماء الصفات وذلك يفيد إعدام العالم وفناءه، فإن مأفناه ألا بتوجهه عليه بأسماء الجلال كالقهار ونحوه، ثم تتجلي أسماء الرحمة والجمال، وتطلب ظهور آثارها فيعيد العالم لا إله إلا هو العزيز الحكيم (الموقف المائة السبعة والأربعون)

قال تعالى، فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً، يرجو، يحب فانه لا يرجو إلا محب ولا يرجو إلا محبوب، لقاء ربه، رؤيته ومشاهدته ومكالمته ومسامرته في الدنيا قبل الآخرة، فليعمل عملاً صالحاً، من قولهم صليت التمرة إذا سلمت من العاهات والآفات، والعمل الصالح هو الذي لا شائبة فيه غير محض العبودية الذاتية، والمعبودية الذاتية الألوهية، فإن الألوهية من حيث هي هي أهل لأن تعبد، والمألوهية من حيث هي هي أهل لأن تعبد، فإذا كانت العبودية على مقتضى المرتبتين الألوهية، والعبودية، كانت مقبولة وإن كانت على مقتضى العوارض والأغراض كانت مردودة على صاحبها، ولا يشرك بعبادة ربه أحداً، من أعظم الآحاد النفس

فلا يجعل لها في العبادة نصيبا، كنيل ثواب، أو دفع عقاب، أو حصول درجة في الدنيا والآخرة، أو نيل ولاية، أو اكتساب حال من الأحوال السنية، فهذه كلها وما يشبهها تشريك في العبادة، مانعه من القبول عند المحققين وممانعة من لقاء الرب على الوجه المحبوب المراد، وأما اللقاء على كل حال فهو حاصل لكل أحد لمن يرجو ولمن لا يرجو، ولكن إذا لم يحصل الشعور به، والمعرفة له، فماذا عسي ينفع اللقاء كمن له مطالب مهم عند شخص وهو لا يعرف عينه، فبقى متمطشا يظلمه، وذلك الشخص بحيث يراو حه وينادي به كل يوم، فماذا ينفعه ذلك ومن الشرك الذي يشير إليه النهي في الآية إدخال النفس في العمل ورؤية أن لها دخلا فيه بوجه من الوجوه المؤثرة فعلي العامل أن يرى أنه مفعول به لا فاعل، وأنه محرك لا متحرك، وأنه يقام به ويقعد ويركع به ويسجد، فإن قلت فأين العبد وعمله قلت، ألا يكفيه وجود إسم العبد ونسبة الفعل العدمية التي أثبتها الشرع إليه، حسبه شرفا أن يكون مفعولا به وأنه ظرف لما يخلفه الله فيه، فالمفعول به والمفعول فيه وهو المسمى طرفا هو الانسان، وكل مخلوق نسب إليه فعل والمفعول المطلق هو الفعل المنسوب الى الانسان فإنه لا وجود له في الخارج أصلا، وإنما هو أمر عقلي لأنه مصدر وهكذا جميع المصادر، والمفعول له وهو المفعول لأجله هو الحقيقة الحمدية كما ورد لولاك ما خلقت الأفلاك، ويصح أيضا ولا يشرك بعبادة ربه وآله الطالب لعبادته المتولى لتربيته، الأحد الذي هو اسم الذات من حيث هو غني عن العالمين، فإن الأحد لا يربأ حدا، ولا يطلب منه عبادة وأن توجه إليه عابد بعبادته مجردا عن رتبة الربوبية والالوهية، رمي به وما قبله بل يسحقه ويعحقه فإنه مقتضى الاحدية

(الموقف المائة الثمانية والأربعون)

قال تعالى ، ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء ، الاحاطة هنا ليست على اصلها من اكتناف الشيء من جميع جهاته ووجوهه ، وإنما المراد بالاحاطة مطلق الإدراك ، وكل من أدرك معلوما وزعم أنه أدركه على وجه الاحاطة وما بقي له منه شيء غير ما أدرك فما أدركه ، فإن من المعلومات ما لا يحاط به تعالى لذاته التي هي حقيقة كل معلوم وأسمائه ، وهي لا تتناهي ، وقوله تعالى ، وعلم آدم الأسماء كلها ، المراد أسماء مرتبة الألوهية المتوجبة على العالم أعني كلياتها ، وأما جزئياتها فإنها أيضا لا يحاط بها ، وقد قال السيد الكامل ، أسألك بكل اسم هو لك ، أنزلته في كتابك ، أو علمته أحدا من خلقك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك ، وأما قول بعض العارفين وقد سأل أيحيط العارفون بالحق تعالى إذا حوّطهم به أحاطوا ، فعناه أنه إذا علمهم أنه لا يحاط به فقد حوّطهم إذ العلم إدراك الشيء على ما هو عليه فإذا كان ذلك مما لا يحاط به فقد أحاط به من بعض وجوهه ، وقال ، من علمه ، وما قال من معلوماته ، لأن معلومات الحق تعالى عين علمه ، وعينه ذاته ، علم ذاته تعالى ، فعلم العالم من علمه بذاته ، فليس علمه بالعالم شيئا آخر غير علمه بذاته ، فالعالم والعلم والمعلوم حقيقة واحدة تعدت بالاعتبار والعالم الذي يظهر لنا متعدد هو حقيقة واحدة ، وروحه واحد ، وهو المدبّر لجميعه كجسد الانسان الواحد ، تعدت أعضاؤه وجوارحه وقواه ، وروحه المدبّر له واحد فمن نظر إلى العالم رآه شيئا واحدا متصلا كجسد الانسان ، وإنما قال بشيء بالنسبة اليه فإنه قد يكشف لنا بعض تلك الحقيقة فتعلم ما كشف منها ، ويستتر البعض فيبقى مجهولا لنا ، وما أوتيت من العلم إلا قليلا ، وأما بالنسبة اليه تعالى فالشكل شيء

واحد وكل شيء تعلق به علمنا، أو إدراك من مداركنا إنما هو الحق تعالى لا غيره، وعلمنا هو علمه تعالى لما نسب إلينا تقيد ببعض الأشياء دون بعضها، كما أننا باقون في العلم ما خرجنا من علمه تعالى من حيث حقائقنا وأعياننا فيه، نعلم وما خرجنا من العلم، والناس يظنون أنهم في هذا الموطن الذي يسمونه وجوداً خارجياً خرجوا من حضرة العلم الإلهي إلى شيء آخر، وهو موطن غير العلم، وهم غالطون بل ما زالوا في حضرة العلم وما خرجوا منه ولا يخرجون أبداً وإنما الظاهر في هذا الموطن الذي توهموه وجوداً لهم خارج العلم، هو الوجود الحق تعالى متلبساً بأحكام استعداداتهم التي هي حقائقهم، ومن صفة نفسها أن لا تخرج من العلم ولا تصير إلى هذا الأمر الذي يقال فيه وجود خارجي أبداً، والأحكام إنما هي نسب وإضافات لا وجود لها إلا في العقل وهي إعدام في الخارج عند أولي الأبصار، فما سمي العالم الأمثل التجريد عند علماء البيان، جرد الحق تعالى من نفسه لنفسه في نفسه أشياء وقدرها في نفسه تقدير، وهي عين الحق تعالى في الحقيقة وغيره في الحكم والمعاملة، فالعالم هو ذلك التجريد والتقدير المجرد في النفس المقدر فيها فأين العالم، وما هو العالم، فانظر ماذا ترى فما ترى عين ذي عين سوى عدم، فصح أن الوجود المدرك الله هو الأول، والآخرة، والظاهر، والباطن، لأشياء غيره من كل ما يقال فيه أول، أو آخر، أو ظاهر، أو باطن، وقد محق تعالى بهذه الآية الأغيار كلها

ورفض سوى فرض علينا لأننا
ولسكنه كيف السبيل لرفضه
بملة محو الشرك والشك قد دنا
ورافضه المرفوض نحن وما كنا

(الموقف المايه التسعه والأربعون) ^{وحد}

قال تعالى، فول وجهك شطر المسجد الحرام، أي ^{وجهك} وجهك الخاص بك، وهو الذي قال تعالى فيه، ويبقى وجه ربك، وهو سرّك الذي قامت به روحك، كما قام جسدك بروحك، فإنه هو المراد من الإنسان المتصود بالأمر، فإن الله لا ينظر إلى صوركم وإنما ينظر إلى قلوبكم، وهي وجوه الحق تعالى التي لكم، ومنسوبة إليكم، وهي التي وسعت الحق منكم، وما وسعته الأرض ولا السموات، فما أمرنا الحق تعالى أن نستقبل إلاّ بهذا الوجوه ولا ننظر ولا نسمع إلاّ بها فمن توجه بجسمه الظاهر مجرداً من هذا الوجه، فما توجه، ومن نظر ببصره مجرداً عن هذا الوجه فما أبصر، كما قال، وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون، وما ذلك إلاّ أن نظرهم كان بأبصارهم لا بوجوههم الخاصة وأسرارهم، ومن تسمع بسمعه مجرداً عن هذا الوجه فما سمع كما قال ولهم آذان لا يسمعون بها، ومن توجه بقلبه للحمّة الصنوبرية فافقه ولا عقل، كما قال، لهم قلوب لا يفقهون بها، فمن نظر بعينه المقيدة لا يرى إلاّ الأشياء المقيدة وهي الأجسام والألوان والسطوح، ومن نظر بعين روحه الباطنة رأى الأشياء الباطنة من الأرواح وعالم المثال المطلق والجن، وكلها أكوان وحجب، ومن نظر بوجهه وهو سره رأى وجوه الحق تعالى التي له في كل شيء، فإنه لا يرى الله إلاّ الله ولا يعرف الله إلاّ الله وهذه الأعين الثلاثة هي عين واحدة اختلفت باختلاف مدرّكاتها، بالبحيرة وباللعجب لا يفرق الناظر بين نظره بجسمه وروحه وسره، وهو وجهه الخاص إلاّ بمدرّكاته ولهذا الوجه قال تعالى، يا ابن آدم مرضت فلم تعطني، وجعت فلم تطعمني، وظممت فلم تسقني، ولهذا الوجه قال تعالى، كنت سمعه وبصره، إلى آخر القوي ولهذا الوجه قال،

وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه، فإنه هو الذي عبد في كل مخلوق، عبد في نار، وشمس، ونجم، وحيوان، ورجل، وملك، فلاحظ هذا الوجه لازمة في كل عبادة وعادة، فإذا توجه إلى القبلة للصلاة يرى أن المتوجه حق والمتوجه إليه حق، وإذا تصدق يرى أن المعطي حق والمعطى حق، كما قال تعالى، ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات، وفي الصحيح أن الصدقة أول ما تقم في يد الرحمن، وإذا تلا القرآن رأى أن المتكلم حق، والمتكلم به حق، وإذا استمع القرآن رأى أن الكلام حق والسامع حق، وإذا نظر إلى شيء رأى أن الناظر حق والمنظور إليه حق، فإنه يرى الله بالله، واحذر أن تعتقد حلولاً أو اتحاداً أو سرياناً أو تولداً، تعالى الله عن ذلك كله وأنا بريء من ذلك كله وإنما هو كما قال الشيخ الأكبر رضي الله عنه

تركنا البحار الزاخرات وراءنا فمن أين تدري الناس أين توجهنا
وقوله، المسجد الحرام، هو وان ورد في المسجد المحسوس فيؤخذ منه
أن المسجد هو الحضرة الجامعة للأسماء حضرة الألوهية فهي محل السجود،
سجود القلوب لا سجود الأجسام، قيل لبعضهم أيسجد القلب؟ قال ولا يرفع
أبداً الحرام عن أن يدخله قلب لم يتجرد من محيط النفس ومحيط الأكوان،
وحينما كنتم فولوا وجوهكم أي حينما كنتم في عاداتكم وعباداتكم شاهدوه
في كل مأكل ومشروب ومنكوح، وعلى أنه الشاهد والمشهود كما قال، وشاهد
ومشهود، أقسم بالشاهد والمشهود وما أقسم إلا بنفسه لا بغيره

(الموقف المائة والخمسون)

قال تعالى، إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منزلين فيها يفرق كل أمر حكيم، الضمير في قوله أنزلناه عائد على الكتاب المبين وهو القرآن العظيم

مثل قوله، إنا أنزلناه في ليلة القدر، فالليلة المباركة هي ليلة القدر، ولبر كتبها نزل القرآن فيها وهي التي يفرق فيها كل أمر حكيم، محكوم مبين بجميع لوازمه، ولو احقه، محدود بمكانه، مؤقت بزمانه، كما قال تنزل الملائكة والروح فيها بأذن ربهم من كل أمر، أي من كل ما يقع في العالم العلوي والسفلي في تلك السنة يظهره الله تعالى للموكلين بانقاده وهذا من بركة تلك الليلة فإن الأمور التي تقع في السنة في العالم العلوي والسفلي لا يحصيها إلا خالقها، وهي كلها تترتب وتتبين في تلك الليلة وهذه الليلة ممتزجة لا ضوء محض، ولا ظلمة خالصة، كنت أنظر إلى ظل شخص فأراه متميزا وليس هناك نور زائد كما يتوهمه أكثر الناس، وذلك في الخامس والعشرين من شعبان فلا تختص برمضان، كما قال بعض العلماء، وبعض الناس تنكشف لهم أنوار في وسط السماء، أو في جوانبها، أو أنوار تشبه السرج، فيظنون أن ذلك علامة ليلة القدر وليس الأمر كذلك وإنما علامة ليلة القدر ما رواه مسلم في الصحيح أن الشمس تطامع صبيحتها ولا نور لها وقد شاهدت ذلك فكانت الشمس كالترس النحاسي لا شعاع لها ولو كانت فيها كتابة لا مكنتني قراءتها من غير كلمة وقائم هذه الليلة يحصل له ما وعد الله به ولو لم تنكشف له، والناس يرغبون في معرفتها ويطلبونها لأجل إجابة الدعاء فيها وكان الأولى أن يطلبوها لما وعد الله تعالى به قائمها على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ففي الصباح، من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه، وأما الدعاء فلا يمكن الداعي أن يدعو تلك الليلة إلا بما سبقت القسمة الأزلية بحصوله وكان يطلبه بلسان استعداده، فهو مجبور على هذا، وقالت عائشة رضي الله عنها، يارسول الله إذا رأيت ليلة القدر ما أقول، فقال قولي، اللهم إنك عفوتحب العفو فاعف

عنى ، وظاهر أمر النبي صلى الله عليه وسلم بمراقبتها وطلبها إنما هو لاقامتها طلبا لما وعد الله من مغفرة الذنوب فى حق عامة أهل الإيمان والعباد لافى حق الخواص الذين لا يريدون إلا وجهه فلا يطلبون غيره .
(الموقف المائة الواحد والخمسون)

قال تعالى حاكيا قول موسى لخضر عليهما السلام ، هل أتبعك على أن تعلمنى مما علمت رشدا ، إعلم أن المريد لا ينتفع بعلم الشيخ وأحواله إلا إذا انقصاد له الانقياد التام ووقف عند أمره ونهييه مع اعتقاد الأفضلية والأكمالية ، ولا يفنى أحدهما عن الآخر ، كحال بعض الناس يعتقد فى الشيخ غاية الكمال ويفان أن ذلك يكفيه فى نيل غرضه وحصول مطلبه ، وهو غير ممثّل ولا فاعل لما يأمره الشيخ به أو ينهيه عنه ، فهذا موسى عليه السلام مع جلالة قدره ، وفخامة أمره ، طلب لقاء خضر عليه السلام وسئل السبيل الى لقيه ، وتجشم مشاق ومتاعب فى سفره ، كما قال ، لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا ومع هذا كله لما لم يمثل نهيا واحدا وهو قوله : فلا تسألنى عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا . ما انتفع بعلم خضر عليه السلام مع يقين موسى عليه السلام الجازم ، أن الخضر أعلم منه بشهادة الله تعالى لقوله تعالى عند ما قال موسى عليه السلام ، لا أعلم أحدا أعلم منى بلى عبدنا خضر ، وما خص علمادون علم بل عظم ، وكان موسى عليه السلام أولا ما علم أن استعدادده لا يقبل شيئا من علوم خضر عليه ، السلام وأما خضر عليه السلام فانه علم ذلك أول وهلة فقال ، إنك لن تستطيع معى صبرا ، وهذا من شواهد علمية الخضر عليه السلام ، فلينظر العاقل الى أدب هذين السيدين ، قال موسى عليه السلام ، هل أتبعك على أن تعلمنى مما علمت رشدا ، أي هل تأذن فى اتباعك لا تعلم منك ،

ففي هذه الكلمات من حلاوة الأدب ما يذوقها كل سليم الذوق ، وقال
خضر عليه السلام ، إن اتبعني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه
ذكرا ، وما قال ، فلا تسألني ، وسكت ، فيبقى موسى عليه السلام حيران
متعطشا بل وعده أنه يحدث له ذكرا ، أي علما بالحكمة فيما فعل ، أو
ذكرا بمعنى تذكرا ، فانه قيل ، أن خضر أعيد لموسى عليهما السلام ألف
مسئلة مما كان وقع مثله لموسى عليه السلام ، فلم يصبر ، حتى قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ، وددنا أن موسى صبر حتى يقص الله علينا من أمرهما أو كما
قال ، فان خرق السفينة يشبه إلقاء أم موسى موسى في البحر ، إذ كل من
التمعين ظاهره الهلاك ، وقتل الغلام كقتل القبطي ، وإقامة الجدار بغير
أجر كالسقي لبنات شعيب من غير أجر ، ثم بعد الفعلة الثالثة من خضر
تبين لموسى عليهما السلام ، أنه ليس فيه قابلية لحل شيء من علوم خضر
عليه السلام ، فطلب الفراق بسؤاله ، ثانيا كما ورد في الصحيح ، كانت
الأولى من موسى نسيان ، والثانية شرطا ، والثالثة عجزا ، وعند ما أزمع
الفراق ، ووقفنا للوداع ، قال خضر لموسى عليه السلام ، أنت علي علم أعلمك
الله لا ينبغي لي أن أعلمه ، وأنا علي علم أعلمني الله لا ينبغي لك أن تعلمه ،
يريد أنت علي علم الرسالة وملاحظة الأسباب في الأفعال والتروك والحكم
بالشاهد واليمين ، والاقرار والانكار ، ونحو ذلك من الوقوف مع ظواهر
الأشياء مأمور بسياسة بني إسرائيل ، والتنزل لعقولهم ، فلا ينبغي لي أن
أعلمه ، بمعنى لا فائدة لي في العلم به ، إذ العلم المتعلق بالأشياء إنما يراد بالعمل
به ، وأنا مأمور بالحكم بخلافه ، وهو الحكم بالكشف وملاحظة الأمور
والأسباب الغائبة ، وبما يرد على القلب من الخواطر الربانية التي لا تخطئ ، فلا

ينبغي لك أن تعلمه لأنك مأمور بالحكم بخلافه ، وهذا الاختلاف بينهما إنما هو في العلوم المتعلقة بالأشياء كوان ، وأما العلم بالذات العلية ، والصفات الإلهية ، فكل منهما على غاية السكينة ، كما يليق بمقام النبوة . وبمقام الولاية العظمى مقام القربة وهو الأفراد ، والخضر عليه السلام منهم ، فإن الخضر غير نبى بلا شك عندي ، وكما هو عند المحققين من علماء الباطن والظاهر ، وعلى ما قدمنا ، فاكملية الشيخ في العلم المطلوب منه ، المقصود لأجله ، لا تغنى عن المرید شيئاً ، إذا لم يكن ممثلاً لأوامر الشيخ ، مجتنباً لنواهيها

وما ينفع الأصل من هاشم إذا كانت النفس من باهاه

وإنما تنفع اكملية الشيخ من حيث الدلالة الموصلة الى المقصود والآلة فالشيخ لا يعطي المرید إلا ما أعطاه له استعداداً ، واستعداداً منطوقاً فيه وفي أعماله ، كالطبيب الماهر إذا حضر المريض وأمره بادوية ، فلم يستعملها المريض . فما عسى أن تغني عنه مهارة الطبيب ، وعدم امتثال المريض ، دليل على أن الله تعالى ما أراد شفائه من علته ، فإن الله إذا أراد أمراً هيباً له أسبابه وإنما وجب على المرید طلب الأكمل الأفضل من المشايخ ، خشية أن يلقى قيادته بيد جاهل بالطريق الموصل الى المقصود ، فيكون ذلك عوناً على هلاكه

(الموقف المايه الاثنين والخمسون)

قال تعالى ، ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل ، كل من طلب منه العدل بين أمرين متضادين ، بحيث يكون إرضاء أحدهما إغضاباً للآخر ، وإدخال السرور على أحدهما تحزيناً للآخر ، إذا كانا على طرفي النقيض فلا يرضى أحدهما ، إلا إغضاب الآخر ولا يسر أحدهما ،

الآن تخزين الآخر ، ولا تحصل عمارة أحدهما ، إلا بتخريب الآخر وبقدر
القرب من أحدهما ، يبعد من الآخر ، طلبا لا محيص عنه ، ولا مهرب
منه ، فذاتك الامران نساء في حقه ، بمعنى زوجين متقابلين ، كالنفس ،
والروح ، والدنيا ، والآخرة ، فانك إذا أعطيت النفس أغراضها ، واتبعت
شهواتها ، ومكنتها من مراداتها الطبيعية ، أرضيتها وأغضبت الروح ، فإن
الأشياء الطبيعية ، والشهوات النفسانية ، تضر بالروح وتسود وجهها ،
وتكسف شمسها ، وتمنع عنها وصول المعارف ، وتمحجب عنها الأنوار
والأسرار ، فإذا أرضيت الروح باستعمال الأمور الروحانية والفروق عن
أحوال الطبيعة الجسمية ، أغضبت النفس ، كيف وهي مركب الروح عليها
يدرك مطالبه ، وينال رغائبه ، وإن كل ما يقوى الروح يضعف النفس ،
وبالعكس ، وكذلك الدنيا والآخرة ، كلما التفت إلى أحدهما أعرضت عن
الأخرى ، وكما سميت في عمارة أحدهما أخرجت الأخرى ، وإن تستطيع
إرضاء الجميع أبدا ، كما أخبر الله تعالى ولو بذلت جهدك ، وانفدت ما عندك ، فإن
جمع النقيضين محال ، فعلمنا الحكيم تعالى الخلاص من هذا المشكل ، والدواء لهذا
الداء المعضل ، وهو أن لا نميل كل الميل ، بأننا وإن ملنا بقلوبنا إلى أحدهما فلا نميل
في ظواهرنا بترك حقوق ما ملنا عنه رأسا ، ونعرض عن مطالبه ونترك هملا ،
إذ نحن مأمورون بالابقاء على كل واحد منهما ، والرفق بهما ، فلا غنى لنا عن
أحدهما ، وقد كان صلى الله عليه وسلم يعدل في القسمة بين نسائه ، ويقول اللهم
هذا قسمي فيما أملك ، فلا تؤاخذني بما تملك ولا أملك ، يعني القلب ومراد
الحق تعالى منا ، وأمره لنا ، بإرضاء الروح والنفس وعمارة الدنيا والآخرة على
الحكمة التي جاءت بها الرسل عليهم السلام ، والحد الذي حدوه لنا كل واحد

بحسبه وما يقتضيه حاله ، ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما
فالميل المضرب بالدنيا والآخرة ، أو بالنفس أو بالروح كله من اتباع الشهوات ،
واستغواء الشيطان ، وتزيينه ليس من الدين في شيء ، وإذا سمعت أو رأيت في
كتاب حكايات القوم رضوان الله عليهم ، وما فعلوه بأنفسهم من الاضرار ،
وما صنعوه بدنياتهم من التخريب فأنما ذلك كله ليحصلوا على عدم الميل المضرب
بأرواحهم وأجسادهم ، ويكونوا على الحكم المشروع ، والقسطاس الموضوع ، فإن
كل شيء تميل اليه النفس الميل السكلي ، وتطلب التمتع به على السكامل والتمام ،
جاء الشرع بدمه وتقييده والتفكير عنه ، مع أن النفس لا تتركه كله فذلك محال
لأنه لا بقاء لها بدونه رأسا ، فيحصل الصالح على ترك طاب النفس السكل ،
وابقاء البعض لها ، ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون ، فالقوم متبعون
حكمة الشارع فيما فعلوا ، وانظر أحوالهم في نهاياتهم عندما زموا أنفسهم بزمام
الشرع والعقل ، كيف تجدهم يأكلون أطيب الطعام ، ويلبسون الأثواب ،
ويركبون فاره الدواب ، ويقولون ابدأ بنفسك ثم بمن تعول ، والأقربون أولى
بالمعروف ، ونحو هذا ، ويعمرون في الدنيا كل واحد على ما اقتضاه حاله ، وهذه
سنة الأنبياء عليهم السلام والكامل من الورثة ، وقال صلى الله عليه وسلم ،
أما أنا فأصوم وأفطر وأقوم وأنام وآتي النساء ، ومن رغب عن سنتي فليس
مني ، خرجه أصحاب الصحيح

(الموقف المايه الثلاث والخمسون)

قال تعالى ، إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ، اليوم هو يوم القيامة وأوله
يوم الموت ، فإن من مات فقد قامت قيامته كما ورد في الخبر ، إذ من يوم الموت
يكون في نعيم أو عذاب برزخي خيالي ، الى يوم البعث يصير العذاب والنعيم

حسباً كحال الدنيا ، وربهم الذي حجبوا عنه هو ربهم الخاص الذي تولاهم في
الخمسة الجامعة لأسماء الربوبية ، وهو الذي زين لهم أعمالهم الكفرية ، كما
قال ، إن الذين لا يؤمنون بآياتنا زيننا لهم أعمالهم فهم يعمهون ، زين لهم من
حيث الاسم الخاص بهم كما أنه قبّح وكرّم ذلك لآخرين ، من حيث الاسم
الخاص بهم ، قال ، ولكن الله حبّب اليك الإيمان وزينه في قلوبكم ، وكرّم اليك
الكفر والفسوق والعصيان ، وقال وكذلك زيننا لكل أمة عملهم ، وقال وكذلك
زيننا للكافرين ما كانوا يعملون ، وهو الذي جعلهم فرحين بما لديهم ، كما قال
كل حزب بما لديهم فرحون ، وهو الذي زين لهم حب الشهوات كما قال ، زين
للناس حب الشهوات من النساء والبنين ، الآية ، وهو مشهود لهم في الدنيا ، غير
متحجب عنهم ، وإن لم يشعروا وهم راضون عنه وهو راض عنهم ، وما قالوا
في الآخرة عند ذوق العذاب ، ربّنا أخرجنا منها ، فإن عدنا فانا ظالمون ، ولا
قالوا ، ياليتنا ردونا نكذب بآيات ربنا ، ولا نادوا يامالك ليقتض علينا ربك ،
ولا تأوّهوا ولا تضجروا إلا من انحجب ربهم عنهم ، فإن العذاب وإن
تنوّعت مظاهره فرجعه إلى الحجاب ، والنعيم وإن تنوّعت مظاهره فرجعه
إلى الشهود والرؤية ، ولو لم ينحجب عنهم في الآخرة وبقي مشهوداً لهم
ما أحسوا بعذاب ، ولا تألموا بنار ، ولكانوا كما كانوا في الدنيا فرحين ،
مستبشرين ، فكهين ، يضحكون من أهل السعادة ، يسخرون منهم ،
يتغامزون ، كما قال ، إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون ،
وإذا مروا بهم يتغامزون ، الآية ، وقال ، ويسخرون من الذين آمنوا ،
وهذا كله منهم ، رضى بكفرهم ومخالفتهم في الدنيا التي تصورت لهم في
الآخرة ، بصور نار وحيات ومقامع من حديد ، وغير ذلك من أنواع

العذاب ، فانها ليست إلا أعمالهم ، فكما تخيلوا فعلا من أفعالهم الكفرية تصور لهم ذلك الفعل بصورة جعلها الله لهم من أنواع العذاب ، فأحسوا بالعذاب ، هذا في البرزخ فان الحكمة الالهية جعلت التخيل فيه مقدما على الاحساس ، فلا يحس بالشيء إلا بعد تخيله وفي الآخرة التخيل والاحساس مثلا زمان لا ينفك أحدهما عن الآخر ، فما تعذبوا إلا بتخيلات أعمالهم الكفرية التي عملوها في الدنيا ، فأصابتهم سيئات ما عملوا وحق بهم ما كانوا به يستهزئون ، فيتصور الزنا بتقوُّر من نار ، وآكل الربا بنهر من دم ، والكذب بكلوب ، ونحو هذا ، والكفر والمخالفة عند أهل السعادة في الدنيا بمثابة النار والحيات والمقامع التي للاشقياء في الآخرة ، وذلك لأن ربهم الهادي ونحوه من أسماء الجلال والسعادة ، كره اليهم الكفر والفسوق والعصيان ، فهو شهودهم وإن لم يشعروا به ، وليس ربهم المضل ونحوه من أسماء الجلال ، ولذلك ترى المؤمن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه ، كما يكره أن يقذف في النار ، كما ورد في الصحيح ، بخلاف الكافر فانه مستلذ بكفره مستحليه ، وإن المؤمن يرى ذنوبه كجبل يخاف أن يقع عليه ، فهو دائما متعذب بخوف وقوعه ، وانتظار العذاب عذاب ، ومن أهل السعادة من يستهين الموت في جنب معصية ربه ، وقلم عينه وقطع يده ، كل هذا لأن ربهم ما زين لهم الكفر والمخالفات ، كما زين رب الأشقياء أعمالهم الكفرية لهم ، فاذا نفذ الوعيد وأخذ الغضب الالهى حده وتمت كلمة ربك ، لا لأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ، تجلي لهم ربهم الذي كان منججبا عنهم ، فزالت الآلام بشهوده وحصلت اللذات ، وتوالت الأفراح ، كما كانوا في الدنيا ، فرحين بشهوده ، متلذذين بما يدعوهم اليه ، متعجبين به

مع بقاء جهنم على حالها ، ودوام أهوالها ، وأنكلها ، ولو دعوا الى الجنة
ونعيمها لهربوا وتأذوا ، وقالوا النعيم ما نحن فيه لا غيره ، كما كانوا يقولون ،
إن هؤلاء لضالون ، وكما كانوا في الدنيا يهربون من أحوال أهل السعادة
وأعمالهم ، وحينئذ يصدق عليهم ، ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه من الكفر
وأعماله ، لما وجدوا من اللذة والراحة والفرح على أحد محتملات ، الآية ،
والتلذذ بالآلام مشهود عيانا ، فقد رأينا بعض أهل الله تعالى ممن أخذوا
عن عقولهم بمشاهدة مولاتهم في بلايا ومحن ، تئن لها الحجارة وهم في غاية
السرور والبسط والمزح وعدم الاكتراث بما حل بهم ، ولا يطلبون زوال
ذلك ، بل لا يحبون زواله ، راودناهم على التطيب فامتنعوا : وما ذلك إلا
لغيتهم من الآلام بمشاهدة ربهم ومحبتهم ، وقد ورد في الأخبار ، أن
أهل الجنة إذا رأوا ربهم تعالى غابوا عن الجنة ونعيمها جميعه من حور
وقصور وغلمان ومستلذات ، فليس للنعيم صورة مخصوصة وإنما هو
بحسب المستنعمين واختلاف طبائعهم وأمزجتهم ، فقد يكون النعيم عند قوم
عذابا عند آخرين وبالعكس وهذا أمر موجود في الدنيا وهذه الآية في أهل
النار الذين هم أهالها لا الذين دخلوها بذنوب أصابوها ، فإن هؤلاء يخرجون
منها بالشفاعات التي آخرها حشيات الرحمن ، وقد ورد في الخبر أنهم يموتون
في النار إمامة مدة بقائهم فيها حتى لا يحسوا بالآلام ، ثم أنهم لصالوا الجحيم ،
ثم تفيد الترتيب فما أحسوا بالجحيم وما فيها من الآلام إلا بعد الحجاب
(الموقف المائة وأربعة والخمسون)

قال تعالى ، له غيب السموات والأرض أبصر به وأسمع ، لا غيب في حق
الحق تعالى بل الكل شهادة في حقه ، وإنما انقسمت الأشياء الى غيب

وشهادة بالنسبة إلينا، فالخبر في الآية محذوف تقديره غيب السموات والأرض،
شهادة أبصر به وأسمع، أي ما أبصر الحق تعالى وما أسمع، إذ كل بصر بصره
وكل سمع سمعه فما أبصر مبصره، ولا سمع سمع، ولا سمع سمع، وهو
السميع بسمع والبصير ببصره، فلا سمع ولا سمع إلا هو، ولا بصر ولا
بصير إلا هو، فكيف يتصور في حقه غيب، تعالى عن ذلك، ويصح أن
يكون الأمر على لابه، والخطاب له صلى الله عليه وسلم، والمراد نحن أمرنا
الحق تعالى أن نعمل على الحصول والوصول إلى مرتبة النبي يسع ولي يبصر،
إلى آخر القوى، وليس المراد أمره صلى الله عليه وسلم أن يبصر بالحق تعالى
ويسمع به فإنه قد حصل له ذلك لا محالة بل الحق يبصر به صلى الله عليه
وسلم ويسمع به، كما هي المرتبة العليا فإن صاحب المرتبة الأولى فيه بقية،
وذلك نقص بالنسبة لمقام النبوة الأسمى

(الموقف المائة خمسة والخمسون)

قال تعالى، يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق
منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء، تنظف الناس بعم الجن والانس،
والمؤمن والكافر، والتقوى هنا على نوعين تقوى له وتقوى به، أمر الحق
تعالى الناس أن يجعلوا تقوى الله وقاية لهم في موطن وحال، وأن يجعلوا
تعالى وقاية لهم في موطن وحال، وذلك أن حضرة الربوبية مشتملة على
أسماء جمال وخير وملائمة لمن توجهت إليه، وعلى أسماء جلال وشر وعدم
ملائمة بالنسبة إلى من توجهت عليه فأمرنا أن ينسبوا إليهم كل طاعة وإيمان
وخير، وبذلك يكون هو وقايتهم وهم متقون به، كما قال، ما أصابك من حسنة
فمن الله، وكما قال أحد الأدباء، فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما،

نسب إرادة فعل الخير الى الرب ، وأن ينسبوا لأنفسهم كل كفر ومعصية وفعل شر ، فيكونون وقاية له كما قال ، وما أصابك من سيئة فمن نفسك ، وقال أحد الأدباء ، فاردت أن أعيبها ، إذا كان ظاهر الفعل شرا ، ولو كان باطنه خيرا ، وبذلك يكونون عبيدا أدبا ، وإن كان في نفس الأمر كما قال ، قل كل من عند الله والله خلقكم وما تعملون ، خلقكم من نفس واحدة حقيقة واحدة هي الحقيقة الحمديدية المسماة بالعقل الأول وبالقلم الأعلى ، فال مخلوقات كلها منها الى غير نهاية ، فهي الأصل والمنبع ، فهي ذرات العالم ، والعالم جميعه الحروف المستخرجة منها ، سواء المخلوقات الروحانية والجسمانية ، الطبيعية والعنصرية ، وخلق منها زوجها ، الواو لا تفيد ترتيبا فان خالق الزوجة مقدم وهي النفس السكلية المسماة باللوح المحفوظ خلقها منه كما خلق حواء من آدم عليه السلام ، يقول الشيخ محي الدين رضي الله عنه ، النفس خطرة من خطرات العقل الأول وهي محل تفصيل ما أجمل في العقل الأول من العلوم ، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ، فرّق ونشر في العالم العلوي والسفلي منهما من النفس الواحدة وزوجها رجالا كثيرا ، أرواحا كثيرة فاعلة ، ونساء نفوسا جسمانية طبيعية منفعة ، لما كانت الأرواح فاعلة ستمها رجالا ، فهي آباؤنا العلويات ، ولما كانت النفوس الجسمانية منفعة ، ستمها نساء ، فهي أمهاتنا السفليات ، فكل روح أب ، وكل جسم أم ، ولما كان الروح الذي هو الأب لا يتعين من الروح السكلي الذي هو النفس الواحدة إلا بعد تسوية الجسم الذي هو الأم وتعديله كما قال ، فاذا سويته ، نفخت فيه من روحي ، صح أن يقال الجسم والد الروح واليه يشير العلاج رضي الله عنه بقوله

ولدت أمي أباهما إن ذا من أعجبات
وأني طفل صغير في حجبور المروضات
(الموقف المائة ستة والخمسون)

قال تعالى ، أفرأيت من اتخذ آلهه هواه وأضله الله على علم ، الهوى ميل
النفس الي ما يضرها أو يهلكها رأسا في الاصطلاح وأما بحسب الوضع
فهو أعم قال تعالى ، ومن أضل ممن إتبع هواه بغير هدى من الله ، وهو وصف
للنفس وهي موصوفة به ، وحيث كان الهوى صفة قاهرة ، أمرها نافذ ،
وحكمها مطاع ، تنوسيت النفس الموصوفة به وصار الذكر والحكم له ،
إتخذ آلهه هواه ، أي جعل ما يجب علي الانسان ويلزمه في حق آلهه
وخالفه من الطاعة وكل الانقياد ، وامثال الأوامر لهواه وجعل ما يجب
أن يقابل به الهوى من العصيان وعدم الانقياد والنفور عن سماع الأمر
لآلهه فمكس القضية ، فعظمت الرزية ، فعلى نظم الآية يكون المفعولان
من باب كسا ، وعلى ما قيل من القلب يكون المفعولان من باب ظن إذ
يقال الهوى آلهه من حيث أنه مطاع نافذ الأمر في الانسان ، ولذا قيل
ما عبد شيء من دون الله تعالى أعظم من الهوى ، وهو الثائر على الروح في
مملكته الانسانية ، فيفسدها عليه دائما ، فالهوى كالهواء فراغ من إتبع
الهوى حصل على الهواء وأضله الله على علم والضالين العالم عند العقلاء شيء
بعيد ، وأما من غير العالم فغير بعيد ، بل هو كثير كما قال ، وإن كثيرا
ليضلون بأهوائهم بغير علم ، وهذا السياق إنما يؤتي به في الأمور المستبعدة
أي أخبرني عن عصي مولا وأطاع هواه فاتخذ آلهه هواه وأضله الله على علم
اليس هذا بشيء غريب ، وأمر عجيب ، وذلك لأن العلم الذي هو وصف

للعالم كما هو عند الجمهور غير موجب للسعادة ، ولا منقذ من الغواية ، وإنما العلم الموجب للسعادة قطعاً هو العلم الذاتي الذي يجده العالم به لذاته لاصفته ، فافهم وهو العلم الذي جمع الأشياء كلها فاتحدت به ، وتميزت بتعبئات عدمية ، فبحسب ما ينصل من الاتحاد بزوال الأمور الخارجية عن الحقيقة بين الشئئين ، يكثر العلم قوة وضعفاً ، قلة وكثرة ، فإدام العالم يعلم بعلم هو صفة له عنده فعلمه غير موجب لسعادته ، فاذا عرف أن علمه عين ذاته العالمة ذوقاً حينئذ يكون علمه موجباً لسعادته ، والناس كلهم إنما يعانون بهذا العلم لانه حقيقة واحدة غير متعددة ، وحيث جهلوه ما نفعهم ذلك والله يعلم وانتم لا تعلمون ، فافهم أو سلم ، فلا يفتك حفظ رأس المال إن لم تربح وتغرم

(الموقف المايه السابع والخمسون)

قال تعالى ، وقال اركبوا فيها ، الآيات ، قال نوح العقل الذي هو وزير الروح ومدبر مملكته الانسانية ، لما خاف هلاك مملكة الخليفة عند ما غارت نور الهوى بالافساد ، وإيقاع الاختلاف في المملكة ، من أطاعه واتبعه ، اركبوا فيها ، في سفينة الروح الجامعة بين الشريعة والحقيقة ، فانها المنجية من كل هلاك فاستمسكوا بها ، وليس ركبها إلا طاعتها واتباعها فيما تدعو اليه ، بسم الله مجريها ومرساها ، فبدأيتها من الله ونهايتها الى الله ، وهي فيما بين ذلك مع الله ، إن ربي اغفور كثير الاستتار ، يظهر في ملابس الأكوان ، فيسمى بأسمائها ، ويحكم عليه بأحكامها ، كظهوره بصورة السفينة ، فقيل انها منجية وهو المنجي لا السفينة ، كما أنه المفرق المهلك بصورة الماء لا الماء ، فركبوها وسارت تجرى بهم في موج كالجبال ، هي أمواج الأكوان ،

تجري من كون الى كون ، من عالم الى عالم ، ومن موطن الى موطن ، وشبهه
الأمواج بالجبال ، لأن خروج النفس والجوارح عن الأكوان والمألوفات
أثقل عليها من حمل الجبال ، ونادى نوح العقل ابنه الهوى ، سماء ابننا شفقة
عليه ورحمة ، وكان الهوى في معزل عن الروح والعقل ، فانه ضد الروح
المنزع له التأثير لطلب أخذ المماكة من يده ، المفسد تليه صلاح زوجته ،
إرأب معنا ، ولا تكن مع الكافرين ، أطع الروح وانقذ له ، وكن معه ،
ولا تكن مع السائرين الجاحدين ، فضل الروح وشرفه وسعادته ، وسعادة
من كان معه ، قال الهوى ساوى الى جبل يعصمني من الماء ، سأتعلق
بكون من الأكوان العظيمة ينجيني من الهلاك ، واحصل على النجاة ، كما
يقول الفيلسوف اسلك من عالم العناصر الى عالم العقول والطبيعة ، فذلك
عنده النجاة وبه يحصل السعادة ، فيرحل من كون الى كون ، كحمار
الرحى ، يدور والذي رحل اليه هو الذى رحل عنه ، فقال نوح العقل
اكمل معرفته ونفوذ بصيرته ، لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم ،
لا ينجى من غرق الأكوان ، وطوفان الأغيار ، كون من الأكوان ،
وإن علا وعظم ، فإن الكون كله ممكن ، فقير عاجز ، فلا يعصم كون
من كون

ووصف المعجز عم الكون طرا ففتقر بفتقر ينادي

خدق أعين الايمان وانظر ترى الأكوان توزن بالنفاد

فلا نجاة لمن تعلق بالغير والسوى ، وإنما تحصل النجاة والسعادة لمن تعلق
بالله تعالى ، وانحاش اليه ، وأفرد التوجه اليه ، والتوكل عليه ، فرحل من
الأكوان الى مكوتها ، وحال بينهما الموج ، فعرج الروح بمن أطاعه وتعلق

به الى حضرة الصفات ، وبحبوحة الذات ، فنجوا وسعدوا سعادة الأبد ،
وبقي الهوى ومن أطاعة في شرك العناصر وإسر الأغيار ، فكان من
المفرقين المالكين

(الموقف المايه الثامن والخمسون)

قال تعالى ، ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما ، الآيات
هذه الآيات تأديب وتعريف وإرشاد للمرشدين ، إعلم أن السفية عند
العامية من يبذر الأموال ويضيعها ، ولا يحسن التصرف بها ، فلا يضع
الأموال مواضعها المستحقة لها ، وعند الخاصة السفية من يبذر الأسرار
الالهية ، والمعارف الربانية ، فيضيعها في غير مواضعها ، ولا يستودعها أهلها
فيضيعها ، فاز من العلوم التوحيدية ما لا يجوز إفشاؤه مطلقا ، بل هو سر
بين الله وبين عبده الى الموت ، والمال مالان ، مال تميل اليه النفوس ويميلها ،
وهو المال المحسوس ، مال العامية وبه قوام النفوس ، فلا بقاء لها بدونه ،
ومال تميل اليه الأرواح ويميلها اليه ، وهو المال المعنوي ، مال الخاصة التي
جعل الله لكم قياما ، أي قواما ، وحياة لأرواحكم ، إذ لا بقاء للروح ،
ولا حياة إلا بالعلم الرباني ، أما السالك المبتدي ، فلا أضر عليه ولا أسرع
بالهلاك اليه من إفشاء ما منحه الله تعالى ، من أسرار التوحيد مطلقا لأهله
وغير أهله إلا لشيخه ، وما زال المشايخ يحذرون من هذا كل الحذر ،
وذلك لأن السالك إذا فتح الله تعالى عليه بشيء من أسرار التوحيد ، يرى
الناس في عماية تائهين عن طريق الحق ، فيشفق عليهم ، ويرحمهم ويريد لهم
الخير ، فيحمله ذلك علي كشف بعض أسرار الألوهية ، وفي ذلك هلاكه
وحرقه ، فإذا كان السالك ممن حنكته التجارب ، وهذبته العلوم ، قال كما

قال الأول

قد كان ما كان مما لست اذكره : فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر
قال بعض الكاملين في قوله تعالى ، إن أنكر الأصوات لصوت
الحمير ، هو المريد يتكلم بالحقائق قبل إدراكه ، أو أن الكلام والنهي
الوارد في الآية هو للمشايخ الذين لهم أتباع ومريدون ، ربما وضعوا
الأسرار غير مواضعها ، واذاعوها لغير أهلها ، مع الاذن في إذاعتها
لأهلها ، إذ في إذاعة أسرار الربوبية لغير أهلها ضرران ، ضرر راجع الى
المديع ، وضرر راجع الى المذاع له ، فالمديع ربما رمي بالكفر والزندقه ،
وربما أفضى الامر الى قتله ، وربما وصل الشر الى أصحابه ، ومن ينتسب
اليه والمذاع اليه ربما افتن أو حار أو فهم الأمر على غير وجهه ، فضل ،
وكتب القوم مشحونة بدم هذا ، والنهي عنه ، وقد شاهدنا في زماننا من
المريدين من سمع بعض أسرار الألوهيه وبعض الحقائق من مشايخهم ، فصاروا
يتكلمون بها في المجالس العامة ، وظهرت منهم أمور فظيعة من الجساره والقباحه
والتهجم على الجنب الاعلى الآلهي ، والتكلم بكلمات ما عرفوا لها أصلا ، ولا
ذاقوا لها طعما ، بل نظن والعلم عند الله أن مشايخهم إنما تلقفوها من الكتب
أو من غيرهم ، وما ذاقوا لها طعما ، ولا عرفوا لها حقيقة ، إذ لو عرفوا
حقيقتها لصانوها ، وشحّوا بها كما شحّوا بالذهب ، وأمور الدنيا التي
عرفوا حقيقتها ، ورضي الله عن سيدنا العارف الكبير احمد الرفاعي ،
حيث يقول

ومستخبر عن سر ليلي رددته بعمياء من ايلي بغير يقين
يقولون حدثنا فانت أمينها وما أنا أن حدثتهم بأمين

نعوذ بالله من الخيانة ، فان المنافق إذا إؤتمن خان ، والمؤمن إذا إؤتمن أدى ،
والقوم رضوان الله تعالى عليهم ما ألفوا في الحقائق ، وأذاعوا أسرار التوحيد ،
وكشفوا بعض أستار الربوبية إلا لأصحابهم ومن سلك طريقهم ممن عرفوا
فيه الأهلية والثبات على الكتاب والسنة ، وما ألفوها للعامة المميج الرعاع ،
ولا تكلموا بها في المجالس العامة كما هو الآن يتكلم المشايخ الجهال بالكلمة
من الحقيقة ، يتبجح بها فيتنفقها منه من هم أجهل منه ، ويطيرونها كل مطار
بغير علم ، فضلوا وأضلوا فقصد المؤلفون في الحقائق نفع أهل طريقهم لا من
يتضرر بها ويمرق من الدين مروق السهم من الرمية ، قد سبق الفرث والدم
فانهم أهل نصيحة لعباد الله ، يحبون الخير لهم قد علموا أن الاستعدادات
متفاوتة وأن الافهام مختلفة ، فكان مقصودهم النفع فعرض الضرر من غير
قصد منهم ، ورزقوهم منها أي ذوقوهم من حلاوتها ، وأسقوهم من رحيقها ،
والكسوة من حللها المعنوية وأثوابها العلية ، ولباس التقوى ذلك خير ، ليشتاقوا
إلى الخروج من الحجر والتصرف والاتقاع بتلك الأموال من غير واسطة
فيها ، أي في المدة التي هم فيها تحت نظركم ، وفي حجوركم ، وقولوا لهم قولاً
معروفاً ، خاطبوهم بما هو قريب لأفهامهم ، لا يحير عقولهم ، ولا يدخل
عليهم شبهاً في عقائدهم ، وكونوا ربانيين ، علّموا الناس بصغار العلم قبل
كباره ، وذلك بالإشارات والتلويحات ، وضرب الأمثال حتى تأنس عقولهم ،
ولا تكافحهم بصريح الحقيقة فيهلكوا ، وابتلوا اليتامى ، اليتيم هو من عرف
من استأذه بالفراسة النورانية ، الاستعداد والقابلية ، وأنه يكون منه رجل
فيما يأتي ، من قولهم درة يتيمة ، أي ثمينة لها بال وقيمة ، وكل من ادخر له
أبوه العقل الكلي كنزاً في استعدادة ، مخبأ تحت جدار جسمه ، فهو يتيم ،

أعني فاضل بالنسبة إلى من دونه ، ولهذا أطلق الحق تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم اليقيم ، لأنه أعظم مدخر له ، وكنزه أشرف كنز مدخر ، أي اختبروهم مرة بعد مرة بالإشارات وقرائن الأحوال لتعرفوا ما زادادوه من الأحوال الشريفة ، حتى إذا بلغوا النكاح أي أوان أن يحصل من نكاحهم نتيجة وتوجد ثمرة ، بمعنى خرج ما كان فيهم بالقوة والاستعداد ، إلى الفعل والظهور ، واصلحوا لأن ينكحوا وصاروا قابلين للبذر فيهم ، فالشيخ له رتبة الفاعلية ، والمريد له رتبة القابلية والمفعولية ، فالشيخ رجل ، والمريد زوجة ، فإن آنستم منهم رشداً ، أبصرتهم بفراستكم النورانية رشدهم وبلغوهم أشدهم ، وأهم قدروا على استخراج كنزهم ، بأن صاروا يقبلون الأسرار التوحيدية ويتلقونها بنفوس زكية طاهرة ، وقلوب مطمئنة ثابتة على الأمر والنهي الشرعي ، واتباع الكتاب والسنة ، لا بقلوب زائفة ، ونفوس ضالة ، فتتبع ما يشابه منه أو تؤوله على غير المراد فتحرفه من بعد مواضعه ، فادفعوا إليهم أموالهم ، الأسرار التوحيدية ، والمعارف الآلهية ، ولا يجوز لكم حينئذ أن تمسكوا عنهم شيئاً ينفعهم ، ويكون زيادة في أحوالهم إلا ما لا إذن فيه مطلقاً

(الموقف المائة التاسع والخمسون)

ورد في الحديث ، أهل القرآن أهل الله ، رواء الحاكم في المستدرك والنسائي ، وابن ماجه ، وفي بعض الروايات ، حملة القرآن أهل الله ، المراد بأهل القرآن أهل التوحيد الخاص ، أصحاب تجريد التوحيد ، ومقام التفريد ، والأهل في اللغة ، الأقارب ، وأهل الله هنا القريبون منه القرب المعنوي ، المقربون عنده وهم أنصار الله الملبّون دعوته ، المستجيبون

الى طاعته ، وهو مقام النبوة والولاية السكّانية ، والقائمون به هم الداعون الى معرفة الله تعالى وتوحيده على طريق الصوفية أهل الحقيقة والسلوك الى الأحوال من الفناء والبقاء ، والسكر والصحو ونحوها ، وقطع عقبات النفوس وطى المقامات الى الذروة العليا ، والوصول الى الوحدة الذاتية ، وهو القرآن العظيم وهؤلاء الحملة حاملون أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومقابلهم أهل الفرقان فهم أهل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الداعون الى إقامة الشرائع الظاهرة ، والسلوك على سبيل السنة المطهرة ، التي هي أقوال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأفعاله ظاهرا ، والمشى على طريق أصحاب المعاملات ، وهذه مرتبة الرسالة والقائمون بها هم المجتهدون مطلقا أصحاب المذاهب ، والمرجعون من أتباعهم فاذا دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم حضرة الذات ، دخل حملة القرآن أهل الله من ورائه ، ودخل حملة السنة أهل رسول الله صلى الله عليه وسلم من ورائهم ، بالتبعية له صلى الله عليه وسلم ، حيث أنهم ما دخلوها بأنفسهم وإذا دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم حضرة الصفات ، دخل أهل الله من ورائه ، ودخل أهل رسول الله صلى الله عليه وسلم من ورائهم ، لا بالتبعية لأنهم دخلوها بأنفسهم وذاقوها ، فالفرق بينهما الذوق وعدمه ، فأهل الله كانت لهم حضرة الذات والصفات ذوقا ، وأهل رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت لهم حضرة الذات علما لا ذوقا وحضرة الصفات ذوقا ، ولا شك أن الذوق أشرف من العلم بغير ذوق ، ولا يفهم من هذا أن من كان من حملة القرآن أهل الله ، لا يكون من حملة الفرقان أهل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبالعكس ، كلا وحاشا فان كلامهما من عند الله قال ، نزل الفرقان ، كما قال ، أنزلناه قرآنا ،

فإن حامل القرآن إذا لم يكن من حملة الفرقان كان زنديقا ملحدا مارقا من الدين فكيف يكون أهل الله ، وكذا حامل الفرقان إذا لم يكن من حملة القرآن كان فاسقا فاجرا عاصيا ، فلا فرق بينهما إلا ما ذكرنا ، وكان الأمر هكذا في الصدر الأول ، فلما طان الأمد ، وبعد زمن نبوة والخلافة ، وانتشرت الأهواء ، صار الأمر أمرين ، والحزب الواحد حزبين ، وضرب بينهما بسور ، فتسمى أهل القرآن بأهل الحقيقة والصوفية والفقراء ، وتسمى أهل الفرقان بأهل الشريعة والعلماء والفقهاء ، فتباينوا ، إلا من رحم ربك (الموقف المائة والستون)

قال تعالى حاكيا قول إبراهيم لابنه عليهما السلام ، إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى ، هذا تعليم من إبراهيم لابنه عليهما السلام ، وتسليية له لما أراد به من الذبح ، وإرشاد له أن لا ييأس من الفرج بأن هذا الموطن الدنيوي ليس هو موطن الانتباه الحقيقي ولا هو موطن رؤية الحقائق على الوجه الأكمل وعلى ماهي عليه ، وإنما موطن الانتباه ورؤية الحقائق على ماهي عليه ، الدار الآخرة ، وإن ما تراه من صور هذا العالم خيال لأنك في مقام ، الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا ، فكما أن الذي رأيته أنا في الرؤيا خيال له تعبير أي عبور من ظاهره إلى باطنه ، فكذلك ما تراه أنت خيال له تعبير عبور من ظاهره إلى باطنه ، فكذلك رأي خيالا في نيام ، غير أنني أنا رأيت ما رأيت في الخيال المتصل ، وأنت ترى ما ترى في الخيال المنفصل ، وحقيقة الخيال واحدة ، كل هذا من إبراهيم إله هدايته عليهما السلام في حب الحياة ، وكان الخليل عليه السلام عالما بأن الرؤيا لها تعبير غالبا ولكن لما كانت رؤياه فيها الأمر بذبح الوالد ، تأذّب وفوض تعبير رؤياه إلى مولاه وقال إن كان لرؤياي

تعبير فالله أولى به ، وإن لم يكن لها تعبير فانا منفذ أمر ربي فجمع أسباب إنفاذ الأمر وما بقى إلا الفعل فعبّر له ربه رؤيا بذبح عظيم وبذلك مدحه الله بقوله ، وإبراهيم الذي وفى ، أي عمد الى ذبح ولده وقطعة كبده لرؤيا رآها قرأت عين أم إبراهيم ، كما قال الأعرابي المسمع ، واتخذ الله إبراهيم خديلا ، فانظر ما ترى فانك لا ترى إلا حقا ظاهرا بشهادة قوله ، هو الظاهر ، أي لا غيره فان رأيت غيره فهو خيال زائل ، وهم باطل ، فاتهم نفسك ، وحسبك بصرك ، فان الممكنات أما حقائق ، وهي الأعيان الثابتة في العلم لا توجد إلا خارجا ، وأما أعراض لا تبقى زمانين فهي تمر كمر السحاب ، فما ترى إلا حقا ظاهرا متلبسا بخيال سائر ، وذلك لأن الأسماء الإلهية تظهر متلبسة بأحكام الاستعدادات ، أعني حقائق الممكنات وهي لا تظهر أبدا ، وإنما تظهر الأسماء بظهور الذات متحجبة بالأسماء ، والأسماء متحجبة بأحكام الممكنات ، فالمحجوب لا يرى إلا أحكام الممكنات ، والذي أعلي منه يخرق حجاب الممكنات ، ويصل الى الصفات والأعلى المحقق يخرق حجاب الممكنات والصفات ، ويصل الى الذات فيسمى الحق تعالى نفسه الظاهر الباطن ، بهذا فهو الظاهر لأن الأسماء نسب فهي إعدام وإنما المقوم لها الذات ، فالظاهر الذات ، والباطن الاسماء ، وهو الباطن ، لان الأسمية الذاتية لا تجتمع الكثرة الاسمائية ، فالباطن الذات والظاهر الأسماء

(الموقف المايه واحد والستون)

قال تعالى ، فاذا أفضتم من عرفات فاذا كروا الله ، الآية هي إرشاد وتعريف ، وأمر وتكليف ، لمن حج الذات العلية من السالكين المردودين ووقف بعرفات الوحدة الذاتية ، حضرة القرآن العظيم إذا أفاض ورجع منها

الى حضرة الصفات ووطن الفرقان والتكليف ، أن يذكر الله تعالى بأمره ونهييه الذي هو أفضل من ذكر اللسان قائما عند ما حده وشرعه المشعر الحرام محمد صلى الله عليه وسلم ، إذ كل مأمور بتعظيمه من قبل الحق تعالى فهو مشعر ، كما قال ومن يعظم شعائر الله الآية ، ولأنه صلى الله عليه وسلم من حيث حقيقته محل الشعور والعرفة ، فليس لولي ولا لنبي يأتي بعده صلى الله عليه وسلم كعيسى عليه السلام أن يتعدى شرع محمد صلى الله عليه وسلم ، أو يبدل أو يغير شيئا منه ، فغاية الولي الكامل العظيم المنزلة في منازل القرب والولاية ، أن يعرفه الحق تعالى ما جهل الناس من شرع محمد صلى الله عليه وسلم ، فيخبره بأن هذا الحكم من شرع محمد ، وغلط فيه النقلة ، فلم يعملوا به وهذا الحكم ليس من شرع محمد ، وغلط فيه النقلة فأدخلوه فيه ، ليس غير هذا فسلالة الشرع المحمدي لا تنفك عن رقبة سالك ، ولا واصل ، ولا عالم بالله ، ولا جاهل ، فليحذر المؤمن المشفق على دينه من الزنادقة الملحدة الذين يقولون أنهم وصلوا إلى عين الحقيقة ، واستغنوا عن محمد صلى الله عليه وسلم ، أو عن العمل بشرعه الحرام ، عن كل مخلوق الوصول إلى معرفة حقيقته كما هي فلم تعلم وإن تعلم أبدا واذكروه كما هداكم أي اذكروا محمد بتعظيم وتوقير ، واعرفوا له قدر وساطته لأجل هدايتكم إلى الله تعالى ، وإلى معرفته ، وإرشادكم إلى الصراط المستقيم ، كما قال ، وانك لتهدى إلى صراط مستقيم ، صراط الله ، فهو صلى الله عليه وسلم المعدل لكل نبي وولي من لدن خلق العالم إلى غير نهاية ، عرف ذلك من عرفه وجهله من جهله ، فإذا قال الولي ، قال لي الحق تعالى كذا وكذا ، فليس ذلك إلا بواسطة روحانيته صلى الله عليه وسلم ، والأكابر لا يجهلون ذلك ، وإن كنتم من قبله قبل التفاته اليكم

التفات عناية بالامداد والارشاد لمن الضالين الحائرين الجائرين عن صوب الصواب ومعرفة المدخل والباب ، ولا يصح عود الضمير المتصل بقبل إلى الله تعالى ، ولا إلى غيره إلا بتكلف ، ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس ، هو تأكيد وتفصيل للأمر السابق ، أي إذا وقفتم عند ما شرعه محمد صلى الله عليه وسلم ، ظاهرًا وباطنًا ، فقفوا حيث وقف الناس ، وأفيضوا من حيث أفاضوا ، فأقيموا معهم واجبات الشرع العينية ، وواظبوا معهم على سنن الجماعات ، ولا تخالفوهم في إقامة شعيرة من شعائر الدين ، ولا تقولوا نحن الحس أهل الحرم ، وأصحاب الشرف ، لا يلزمنا ما يلزم الناس ، فإن هذا القول هو الضلال البعيد ، والخسران المبين ، واستغفروا الله ، أطلبوا منه الستر على أحوالكم التي تفضل عليكم بها ، وخصم بجزيتها ، فإن الظهور يقطع الظهور ، إلا لسكامل متمكن واحد الوقت ، وفي الخبر لا يستويان مؤمن يشار إليه ومؤمن لا يشار إليه ، فكما أن الرسول مأمور باظهار حاله ونشر دعوته والتحدي بالمعجزة ، فالولي بضده مأمور بستر حاله ، وإخفاء مواهب الله له ، إلا لأخوانه أهل طريقته ، فإن أظهره الله تعالى رغبما عليه فذلك إلى الله تعالى لا اختيار له فيه ، ولو خيّر لاختار الاخفاء

(الموقف المايه إثنين والستون)

قال تعالى ، وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر ، أمره تعالى هو أول صادر بلا واسطة ، فهو قديم وهو عبارة عن التوجه والارادة السكلية ، فهو كلمته السكلية ، وهو الحقيقية المحمدية المسماة بالروح السكلي وبغيره من الأسماء ولا تعرف المخلوقات جميعها من هذا الأمر سوى وجوده لاغير ، فلا يعرف ما هو عليه إلا الله تعالى ، كما هو أنه لا يعرف من الحق تعالى سوى

وجوده ومن رآه رأى الحق تعالى ، ومن عرفه عرف الحق تعالى ، وهو الحجاب الأعظم الذي لا يرتفع عن وجه الحق تعالى لادنيا ولا آخرة ، وهو الأزار ، وهو الرداء ، كما ورد في الصحيح وليس بين القوم وبين إذ ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن ، أخبر تعالى أن أمره الذي هو صورة علمه بالمعلومات إنما كان بكلمة واحدة ، وهي ، كن من غير حرف ولا صوت ، وإنما هو كلام نفسي ، فكان عبارة عن التوجه الإرادي كما يتوجه أحدنا ، والله المثل الأعلى ، على المرأة فتنتطبع صورته في المرأة بمجرد التوجه ، فقام هذا التوجه مقام قوله بصورته ، كوني مطيعة ، وذلك كلام من غير حرف ولا صوت ، ولا يستحيل شرعا أن يكون بكلام لا تقي نجلاته ونزاهته ، كليم بالبصر ، تشبيه في السرعة وعدم المعالجة والمزاولة ، فإذا كان أمره الذي هو صورة علمه وهو محتو على جميع المعلومات إجمالا وتفصيلا ، من عالم الأرواح ، وعالم المثل ، وعالم الأجسام ، دنيا ، وبرزخا ، وآخرة ، جواهر وأعراضا صدر عنه كليم بالبصر ، فكيف بغيره من المخلوقات الجزئية وما هي إلا كما قال ، إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون بل أمر الله يقول للشيء كن فيكون كما قال ، إنما أمره ، أي أمر الحق تعالى المتكلم عنه إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون به تعالى

(الموقف المايه الثالث والستون)

قال تعالى ، واذكر ربك في نفسك ، أي استشعر وتذكر معرفة ربك في شعورك بنفسك ، وتذكر لها بمعنى اعرف ربك في ضمن معرفتك نفسك فان معرفة الرب والنفس كاللازم والمأزوم وأقل ، كالقل والشاخص ، أو قل

كالصورة في المرأة والمتوجه علي المرأة ، وإلي هذا يشير خبر ، من عرف نفسه
عرف ربه ، وهذا الخبر وإن أنكره الحفّاظ وقالوا إنه من كلام أبي بكر الرازي
فقد تداوله القوم رضوان الله عليهم في كتبهم وبنوا عليه كثيراً من الحقائق
فعله صح عندهم كشفاً ، بل قد صح عندنا شهودا ووقوعا ، وأما رواية وورودا
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا ، ومعرفة الرب بمعرفة النفس أعلى وأشرف
من معرفته بالعقل والعلم ، وأعلى منهما معرفته بالنفس مع الشرع ومعرفته
تعالى بالنفس هي التي قطع الصوفية رقابهم في طلبها ، وضربوا اليها أكباد الابل ،
تضرعا وخفّة إذا حصلت لك معرفة ربك بمعرفة نفسك ، فعرفت من أنت
وما نسبتك ، وإنك الكنز الخبأ تحت جدار الجسم فلتكن حالتك دائماً مع هذه
المعرفة التضرع والخوف ولا تقل عرفت ووصلت فحسب ، فإن المعرفة الحقيقية
من لوازمها الخوف والتضرع والاشفاق والانزعاج فمن زادت معرفته زاد
خوفه كما قال السيد الكامل صلى الله عليه وسلم ، أنا أعلمكم بالله وأشدكم له خشية ،
وورد في الخبر ، إن الخليل عليه السلام كان يسمع لصدره أزيزاً كأزيز المرجل
عند شدة الغليان من الخوف ، والملائكة المكرام يخافون ربهم من فوقهم وهم
من خشيته مشفقون ، فهذه حالة الرسل والأنبياء ، وكلّ الأولياء عليهم الصلاة
والسلام ، كلما أمنهم ازداد خوفهم فلا يأمن إلا جاهل أو صاحب معرفة وهمية
خيالية ، أو صاحب حال ناقص ، كيف وهو تعالى يقول ، فلا يأمن مكر الله إلا
القوم الخاسرون ، فعم وما خص ، ودون الجهر من القول ، أي وفوق الاسرار
فليكن تضرعك وخوفك وسطاً من غير إفراط ولا تفريط فانه كلا طرفي
قصد الأمور ذميم ، فالأفضل الاعتدال في كل الأمور كما قالوا الخوف والرجا
كجناحي طائر فهما مال أحدهما سقط الطائر بالغدو والآصال ، فليكن تضرعك

وخوفك دائمين مادمت متقلبا بين الغدو والآصال ، بمعنى مادمت حيا مكنثفا
بالصباح والمساء ، فإنه لا خلاص من التكليف بما يجب للربوبية على العبودية ،
إلا بالخروج من الغدو والآصال ، وليس ذلك إلا بالموت الاضطراري الطبيعي
(الموقف المايه الأربعة والستون)

قال تعالى : ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا
إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا واحسنوا
والله يحب المحسنين ، إعلم أن للايمان بحسب هذه الآية ثلاث مراتب ، كما أن
للتقوى هنا ثلاث مراتب ، فالمرتبة الأولى للايمان بالأشياء الغائبة عنا زمانا
ومكانا ، مثل الايمان بيوم القيامة والجنة والنار والدجل ويأجوج ومأجوج ،
ونحو هذا فهذه المرتبة في الايمان لا تنكرها العقول الانكار الكلي وتهرب
من التصديق بها ، فلربما جعلتها في حيز الامكان ، فقبلتها النفوس ، المرتبة الثانية
الايمان بالأشياء الحاضرة معنا زمانا ومكانا ، كالايمان مثلا بنزول جبريل عليه
السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونحن جالسون معه الى جنبه ، وهما
يتكلمان ويتحاوران ونحن لا نسمع ولا نرى ، وكالايمان بالملائكة الذين
يتعاقبون فينا بالليل والنهار ، وكالملائكة الحفظة الذين هم ملازمون لنا دائما
ونحو ذلك ، فهذه المرتبة تنكرها العقول وتشتمز منها النفوس ، كيف تكون
أجسام متكامة سمعة بصيرة حاضرة معنا بين أيدينا ولا حائل بيننا وبينها
ولا نبصرها ولا ندركها ولا نحس بها ، فهذه المرتبة الايمان بها أعلى مما قبلها ،
لكون العقول تنكرها وتستبعدها ، ومن هنا أنكرت الحكماء الملائكة والجن ،
وانكرت المعتزلة الجن ، وقالوا اذا اجتمعت شرائط الابصار الثمانية لا بد من
الابصار ، المرتبة الثالثة الايمان بما يجمع الضدين من جهة واحدة لا من

جهتين مختلفتين، فيكون عنيهما كالحق تعالى فإنه الأول، الآخر، الظاهر، الباطن، الغيب الشهادة، الشاهد الشهود، ونحو ذلك : ككونه معنا أينما كنا. وأينما تولينا، فثم وجهه، فهذه المرتبة الايمان بها أعلى وأشرف من المرتبتين قبلها، فالإيمان بها صعب جدا على العقول حتى على المؤمنين بالمرتبتين الأولى، فكيف بغيرهم، ولهذا ترى علماءنا علماء الظاهر من المتكلمين وغيرهم، لا تطمئن قلوبهم إلى الايمان بهذه المرتبة حتى يؤولوها فتقبلها عقولهم، وأما مراتب التقوي فالأولي أن يجعل نفسه وقاية للحق تعالى، فينسب كل صادر منه من خير وشر إلى نفسه فيفرح بطاعته ويحزن لمعصيته، وهو المعنى بقوله صلى الله عليه وسلم، المؤمن من سرته طاعته وسأته معصيته، وهذه مرتبة العباد والزهاد الذين خرجوا من الدنيا وقلوبهم مشحونة بالأغيار فما برحوا من الشرك الخفي فانهم يرضون عن نفوسهم ويثيبونها إذا صدرت منهم الطاعة، ويغضبون عليها ويعاقبونها إذا صدرت منهم المعصية، وما ذلك إلا لشهودهم صدور أفعالهم من نفوسهم، المرتبة الثانية أن يجعل الحق تعالى وقاية لنفسه في الخير والشر، فينسب السك إلى الله تعالى. يقول، قل كل من عند الله فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا، يقولون ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك، والله خلقكم وما تعملون وهذه مرتبة علماء الظاهر أصحاب التوحيد العقلي، المرتبة الثالثة أن يجعل نفسه وقاية للحق تعالى في الشر فينسب له نفسه أدبا وتفتيا لا فعلا، قال السيد الكامل معلم الأدب صلى الله عليه وسلم، والخير بيدك، والشر ليس اليك، وقال تعالى، بيدك الخير، ولم يقل والشر تأديبا لنا وتعلما، ويجعل الحق تعالى وقايته في الخير فينسب الخير إليه تعالى حقيقة وإيجادا، ولذا قال الخليل عليه السلام، وإذا

مرضت فهو يشغيني ، فجمع بين النسبتين ، نسبة المرض لنفسه ، ونسبة الشفاء الى الله تعالى ، وقد برقت لمعتزلة بارقة من هذا الأدب ، وما عاودتهم فضلوا ، قالوا بنسبة الخير الى الله تعالى فاحسنوا ، وقالوا بنسبة الشر الى العبد خلقا وإيجادا ، فأساءوا هكذا نقله المتكلمون عنهم والله أعلم بحقيقة الحال ، فان الظن بهم أنهم لا يصلون الى هذا الحد فينسبون الخلق للعبيد المخلوقين ، وهذه المرتبة الثالثة مرتبة السادة العارفين ، الذين خصهم الله تعالى باكتساب الآداب ، وهم الذين اتقوا واحسنوا بدخول مرتبة الاحسان ، فحصلوا على محبته تعالى المحسنين ، فان الله يحب المحسنين ، وهي المرتبة الثانية من مراتب محبة الله تعالى لعباده ، وجاوزوها الى المرتبة الثالثة من مراتب المحبة ، وهي مرتبة فاذا أحببته كنت سمعه وبصره .

(الموقف المائة الخامس والستون)

قال تعالى ، وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين ، أكثر الناس الكلام في التوكل وأسدها أنه ثقة القلب ، وحصول الطمأنينة بوصول القسمة الأزلية للعبد ، بحركة أو سكون ، من خير وشر ونفع وضر ، دنيا ودنيا وآخره ، قليلا أو كثيرا مؤقتا محدودا بزمانه ومكانه وليس هذا إلا من مقام الايمان بانه تعالى لا يخلف وعده في قوله ، وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ونحو ذلك ، وأما العقل مجردا عن الايمان فانه لا يعطي التوكل ، بل يجوز أن الله يرزق عبده وأن لا يرزقه من حيث أنه تعالى لا يجب عليه شيء لا أحد فليس التوكل إلا الثقة والطمأنينة لا ترك الأسباب ، مع الشك والاضطراب ، فليس هذا من التوكل المطلوب في شيء ، ولو كان ترك السبب والحركة توكلا

للزّم اذا وضع الخبز بين يدي هذا المتوكل أن لا يتناوله ويرفعه الى فيه ، فان هذا سبب وحركة لوصول الخبز الي بطنه ، واذا وضع الخبز في فيه يلزمه أن لا يمضغه ولا يحرك لسانا ولا غيره ، فانها كلها أسباب لوصول الرزق الي البطن ، وما اعتني القوم رضى الله عنهم بمقام التوكل وعدّوه من رؤس المقامات وتكفّوا ترك الأسباب ، الا ليحصلوا على الثقة وعدم الاضطراب عند فقد الأسباب وهذه هي الثمرة والنتيجة لما تكفّروه ، اذ المقامات لا فائدة في أعيانها ، وإنما الفائدة في ثمراتها فاذا حصلوا على الثمرة رجعوا الي استعمال الأسباب العادية والحركات المعمّودة لحصول ما يطلبون ، كسائر الناس فطلبوا وأجملوا في الطلب ، فاذا لم يحصل المطلوب قالوا ، لو شاء الله لكان ، فلا يقول بترك الأسباب الا صاحب حال أو جاهل بالطريق وبالسنة ، فتارك السبب مع التمكن منه مأزور بترك الحكمة وتعطيل صفة من صفاته تعالى ، فمن نظر الى باطن العارف وجدّه جبلا لا يتحرك ، ثابتا لا يتبدّدك ، ليس له نظر الى الأسباب ولا عبرة له بها ، ومن نظر الى ظاهره رآه كالطائر من غصن الى غصن ومن شجرة الى شجرة ، فهذا سيد العارفين وأمام المتوكلين صلى الله عليه وسلم ، جذد الاجناد وظاهرين درعين ، وحفر الخندق ، وأدخر قوت سنة ، وتداوى واحتجم ، واكتوى ، وما ترك سببا الا فعله ، قال تعالى ، وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا أنهم ليأكلون الطعام ، ويمشون في الأسواق ليبيعوا ويشترّوا ، وقال ، ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية الا من أقامه الحق تعالى في مقام التجريد وعسر عليه الأسباب ، بحيث أنه لا يجد اليها سبيلا ، ولو سعى فهذا كامل ، ولو ترك الأسباب وكذلك الزهد يتصوره عوام أهل الطريق علي غير وجهه ، وإنما هو صرف القلب عن الرغبة

فيما - واه تعالى وفيما سوى ما يقرب اليه لا غير ، فان ما يزهد فيه ، أما أن يكون من نصيب الزاهد وقسمته أولاً ، فاذا كان من قسمته تناوله أحب أم كره ، ولا يندفع عنه ولو استعان بأهل الأرض والسماء ، وأما أن لا يكون مقسوماً له فزهد فيما ذا أيزهد في قسمه غيره ، فما قدر انكسارك أن يمضغاد لا بد أن يمضغاه ، وعند ما ورد الوارد بهذا الموقف ، ترددت في تقييده وقلت في نفسي لا كبير فائدة فيه لاخواني وبعد زمان يسير حضرت لي أكله في غير زمانها ومكانها ، كنت عزمت وجزمت قبل ذلك إني لا آكلها ، وحين حضرت حصل لي يقين بأنها من رزقي بقرائن أحوال دلت علي ذلك فقلت صدق الله وكذبت ، وقيدت هذا الموقف وعلمت أن هذا تأديب ، فليعرف العبد العاجز الجاهل منزلته ويفوض أمره إلى من يخلق ما يشاء ويختار ، ويترك التدبير معه والاختيار (الموقف المائة السادس والستون)

قال تعالى ، وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ، وجوه ناضرة ناعمة مسرورة منبسطة تلوح عليها شواهد الفرح ، فانه لما كان الوجه هو العضو الذي يقابل به الإنسان الأشياء ، جعله الحق تعالى بيديع حكمته ، ووسيم رحمته ، مثل المرأة تظهر فيه الأحوال القلبية والأمور الوجدانية المعنوية ، التي لا يمكن لصاحبها أن يعبر عنها بعبارة تصورها لغيره بل هو لا يتصورها فان الفرح والحزن ، والقبض والبسط ، والحياء والوقاحة ، والحب والبغض ، ونحوها من الأمور التي لا تصورها العقول ، جعلها الحق تعالى تظهر في امرأة الوجه فيحكميها الوجه ويخبر عنها ، من غير سوءال ولا حرف ، ولا صوت ، والنعيم واللذة والفرح ، وأن تعددت مظاهرها فرجعها إلى

زوال الحجاب ، ورفع النقاب ، ولذلك عقب تعالى بقوله : الى ربها ناظرة ، أي أنها كانت ناضرة ناعمة مسرورة بنظرها الى ربها . برفع الحجاب بينه وبينها فتمتعت برؤياه ، وشميم رياه ، ونظرها الى ربها لا يكون إلا من وراء مظهر صوري ، أو معنوي ، دنيا وأخرى ، فإن الرؤية بغير مظهر محال

كالشمس يمنعك اجتلاؤك نورها فاذا اكتست برقيق غيم أمكننا يعني لا بد في الرؤية من حجاب والحجاب أمر معنوي لا عين له قائمة ، وإنما هو معنى قائم بالصور الجسمية أو الجسمية أو المعنوية ، فليس المراد من رفع الحجاب رفع أعيان الصور ، بل رفع المعنى القائم بها فانه الحجاب فاذا ارتفعت الحجابية من الأعيان ، صارت كلها مرآيا لرؤية وجه الحق تعالى فيها وهي على حالها ، ما تغير منها شيء في الظاهر فكما كانت الحجابية قائمة بها ، نصير المرآية قائمة بها ، فيرى الحق في كل ما يرى كما أنه كان يحجبه عن الحق كل ما يرى ، فسبحان الحكيم القهار ، فليعرف الطالب من الله تعالى رفع الحجاب ما يطلب فانه إنما يطلب رفع المعنى الحجاب ، لا رفع الأعيان حتى لا يكون جاهلا بما يطلب ، فان الأعيان لا ترتفع ولو ارتفعت ما كانت رؤية لأنهم مرآيا رؤية الوجه ، والانسان لا يرى وجهه بغير مرآة ونحوها أبدا ، وإن عينك ونفسك من أعظم الحجب ولا تعرف ربك إلا بها حين تزول حجابيتها وتصير مرآة ، فلو ارتفعت من ذلك الذي يرى ، فاذا كنت في حجاب فليس الحجاب ماري ، وإنما الحجاب ما لا ترى ، فاذا زال الحجاب فليست المرأة ما ترى وإنما المرأة ما لا ترى ومع هذا لا بد من الصورة في حالة الحجاب وحالة الرؤية ، فان قلت سمي الحجاب قائم بالمحجوب ، صح لك ذلك ، وإن قلت الحجاب

لا قائم بالمحجوب ولا بالمحجوب عنه ، صح لك ذلك ، وقال الى ربها ناظرة ،
أي ربها المضاف اليها إضافة إختصاصية ، لا رب غيرها فان أحدا لا ينظر
إلاّ ربه ، دنيا وآخرة ، ولا يعرف إلاّ ربه ، فان دائرة مرآة الربوبية
واسعة ، فلا يأخذ أحد منها إلاّ ما يخص صورته ، فلا يري إلاّ استعداد
أي حقيقة ، وهو ربه ، ولذلك يعبر بعضهم عن هذا المعنى بأن أحدا لا يري
إلاّ نفسه فافهم واعرف ، والرؤية البصرية في الآخرة تابعة للعلم فكل
من كان علمه في الدنيا أتم ، كانت رؤيته في الآخرة أوسع ، وأوسع المراتب
مرآة السيد الكامل صلى الله عليه وسلم ، كما أن المشاهدة في الدنيا تابعة للعلم ،
فلا يشاهد المشاهد في الحق تعالى إلاّ صورة علمه ، سواء كانت المشاهدة في
مرآة نفسه أو في مرآة غيره ، وأكثر من هذا البيان ما أظنه يوجد في
كتاب ، والقوم رضي الله عنهم ما فرقوا بين الرؤية والمشاهدة ، كما هو
مقتضى الوضع اللغوي إلى أن جاء الشيخ محي الدين رضي الله عنه ، ففرّق
بينهما تفرقة اصطلاحية له ، فقال المشاهدة لا بد أن يتقدمها علم بالمشهود ،
بخلاف الرؤية فلا يشترط أن يتقدمها علم بالمرئي ، فكل مشاهدة رؤية
ولا ينعكس ، يريد أن المظور اليه إذا لم يتقدم الناظر علم به ، فان هذا
يسمى رؤية لا مشاهدة ، ولا يقع في هذا إقرار ولا إنكار ، وأما إذا تقدم
لناظر علم بالمظور فانه يسمى مشاهدة ورؤية . ويقع فيها الإقرار والانكار ،
ولذا وقع الإنكار من أهل المحشر ، لأنه تقدم لهم علم بربهم ، وهي العقائد
التي كانت لهم في الدنيا فلو لم يتقدم لهم علم به ما أنكروه ، فكانت رؤية مثلا
إذا حضر عندك إنسان ما كنت تعرفه ولا بلغك شيء من أوصافه وأحواله ،
وقيل لك هذا فلان ، فلا يتصور منك إنكار له ولا إقرار به ، فتكون

هذه رؤية لامشاهدة وإذا كان إنسان آخر كنت تسمع باسمه وتبلغك أخباره وأوصافه وأحواله ، حين تصورت في خيالك صورة له من سماع أوصافه وأحواله ، ثم حضر عندك وقيل لك هذا فلان الذي كنت تسمع بأوصافه وتبلغك أخباره ومناقبه ، فانك إذا وجدت على الصورة التي تصورتها أقررت به ، وإن وجدت على خلافها أنكرته ، فهذه رؤية ومشاهدة ، وانظر فان رسول الله صلى الله عليه وسلم سمى مايقع من التجلي في الآخرة رؤية ، وهو أيضا مشاهدة كما علم مما مر ، ومحصل هذه التفرقة إنما يكون بالنسبة إلى المتجلي له فان كان ممن علم الحق تعالى في معتقده ، وصوره بصورة ، واعتقد أنه لا يتجلي تعالى بغير تلك الصورة التي اعتقدها ، فهذا إذا تجلى له الحق تعالى بغير تلك الصورة أنكروه ، وإذا تجلى له بتلك الصورة أقرّ به ، فهذه الحالة تسمى عند الشيخ رضي الله عنه مشاهدة ، ويقع فيها الإقرار والانكار ، ويشترط فيها تقدم علم بالمشهود وأما إذا كان المتجلي له ممن عرف الحق تعالى بالاطلاق ، فهو لا يحكم عليه بصورة خاصة ، فهو لهذا لا ينكر الحق تعالى في أي صورة تجلى له ، فهذه الحالة تسمى رؤية ولا يكون فيها إقرار ولا إنكار ، ولا يشترط فيها تقدم علم خاص بالمتجلي ، فكل مشاهدة رؤية ، إذ ليس المتجلي إلا الحق تعالى في حال الإقرار به والانكار له ، وما كل رؤية مشاهدة ، إذ المشاهدة يقع فيها إقرار وإنكار ، لشرط تقدم علم بالمشهور ، قال بعض العارفين ، الحق يشهد كل أحد ، ولا يراه إلا القليل

(الموقف المايه السابع والستون)

قال تعالى ، وإذا قرأ القرآن أنقشكم أو قرأه غيركم لكم ، وهذه هي

النسكته في بنائه العجول ، فاستمعوا له وأنصتوا ، على أنكم تستمعونه من الله ، قال كلام كلام الله ، والمتكلم به الله ، وعلى أن سامعه هو الله ، فانه المتكلم والسامع من كل أحد ، عرف أو جهل ، فاذا كان المستمع هو القاريء ، يكون كمن تحدثه نفسه وهو يستمع حديثها . فسامع القرآن بهذه الطريقة يأتمر لأوامره ، وينزجر لرواجره ، ويتعظ بمواعظه ، ويتيقظ لآثاره ، وحينئذ تكون رحمة هذا المستمع محقة واجبة الحصول ، لأن العمل من الله واجبة ، كما قال العلماء ، وأما إذا سمعه بغير هذه الطريقة فلا يكون داخلا تحت هذا الوعد الكريم فلا تكون رحمة محقة ، وإذا كان القاريء غير المستمع فربما كان لا يسمع منه إلا نغماته وتمطيطة ، وحسن صوته فلا يدرك المعاني فضلا عما وراءها ، وإذا كان هو القاريء ، فربما كان ممن قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رب قاريء والقرآن يلعبه ، يقول لعنة الله على الظالمين ، على الفاسقين ، على الكاذبين ، وهو منهم فمن أراد الحصول على الكنوز فليكسر الأقفال يظفر بها وراءها

(الموقف المائة الثامن والستون)

قال تعالى ، ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما ، ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم بارتكاب المنهيات الشرعية ، وترك المأموريات الآلهية ، جاءوك أي جاءوا إلى طريقك وسدنتك حيا كنت أوميتا ، عازمين على ترك ما كانوا عليه من المخالفات تائبين ، مجيئ انقياد واتباع لك ، في الأقوال والأفعال والأحوال ، فأنمر لهم ذلك كشفا عن بصائرهم فنظروا الأشياء كما هي ، وعرفوا الحقائق على ما هي عليه ، فاستغفروا الله إذ حصلوا على هذا الكشف ، فقد استتروا بالله أي صار غفرا لهم ، والغفر

الستر ، وتبدلت نسبتها اليهم بنسبتها اليه تعالى ، كما هو الأمر في الواقع لأنهم عرفوا أن ما كان منهم إنما هو مقتضى استعداداتهم ، واستعداداتهم إنما هي صور الأسماء الإلهية ، والأسماء الإلهية إنما هي صور الذات العلية ، فاستتروا واستغفروا بالذات فدخلوا كما تدخل تحت الشخصيات الضلالات ، حيث رجع الاقتضاء والفعل للذات ، فليس القضاء والحكم إلا ما اقتضته لذاتها الذات ، وحكمت به واستغفر لهم الرسول حيا وميتا ، طلب الستر لهم بالوصول الى هذه الدرجة العليا ، وذلك بامداد وارشاده صلى الله عليه وسلم حيا وميتا ، لوجدهم الله توابا كثير الرجوع من الغضب الى الرضى ، ومن النعمة الى الرحمة ، فينسخ ما شاء بما شاء ، ويمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء ، فيسمى ما كان سماة معصية شرعية ، طاعة إرادية أمرية ، ويبدل السيئة بالحسنة ، أولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات ، وسبب هذا هو الحصول على ما ذكرنا ، فإن الواصل الى تلك المرتبة لا يشقى ، والتبديل إنما يقع على الصورة والحكم ، فالسيئة الكبيرة تبدل حسنة كبيرة ، والسيئة الصغيرة تبدل حسنة صغيرة ، وقد ورد في الخبر أن صاحب هذا المقام يقول يارب إن لي سيئات مالى لا أراها ها هنا ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم

(الموقف المائة التسعة والستون)

قال تعالى ، ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك ، التي هي الله حقيقة فالكل من الله ، قل كل من عند الله فلا غيرية ، ولا سوائية ، وإنما غاير بينهما ليعلمنا الأدب القولي الذي يدركه العام والخاص ، والجاهل والعالم ، لا الأدب الاعتقادي ، فإنه لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا ،

لا دليلاً ، إذ كل ما كتبه في اللوح إنما هو ماعلمه منا ، وذلك مقتضى استعداداتنا التي هي نفوسنا فلذلك كان لنا لا علينا ، هو مولانا المنفرد بالخلق ، والايجاد للخير وشر ، والنفع والضر ، فهو الله في مرتبته العلية الآلهية ، الظاهر بالنفس ، في مرتبته النفسية ، وهو هو فالنفس ما هي شريرة ولا خبيثة ، بل نزيفة طاهرة وإنما هي منفذة الحبث بحسب القضاء الأزلي والحكم الآلهي بالجسم ، فلا يعد الإنسان بالخير والشر إلا نفسه التي ليست مغيرة للحق تعالى إلا بالاسم والحكم لا بالحقيقة فلا يعد شيء شيئاً غيره ، وإنما المدد صادر من باطن الشيء إلى ظاهره ، خيراً وشرّاً ، وظاهر الشيء صورته الخارجية ، وباطنه هو صورته الاسمية ، فلا يلوم من أحد إلا نفسه ، ما دام جاهلاً بحقيقة الحال ، فإذا علم وجد ما ظنه غير ملائم لنفسه ، ملائماً ومطلوباً لها ، بل لا تقبل غير ما حصل لها

(الموقف المائة والسبعون)

قال تعالى ، إن الله يعلم ما تدعون من دونه من شيء ، الحق تعالى تارة يكلم عباده من مرتبة الفرق والفرقان ، وتارة يكلمهم من مرتبة الجمع والقرآن ، فمن الأول قوله ، أفمن يخلق كمن لا يخلق ، هل من شركائكم من يفعل من ذلکم من شيء ، فنعم القادرون أحسن الخالقين ، اعملوا فسيرى الله عملكم وبعاءكم فاعملون تفعلون تكسبون اقيموا الصلاة ، آتوا الزكاة ، لا تقربوا الفواحش ، لا تقتلوا النفس ، ونحو ذلك فإن الأمر الناهي لا يأمر نفسه ولا ينهها ، وفي الثاني قوله فلم تقتلوهم واسكن الله قتلهم يعذبهم الله بأيديكم ، إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم ، إن الله يعلم ما تدعون من دونه من شيء ، هو غير الله إذ لا غير له تعالى فما تدعون من دونه من

شيء ، أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض ، له وجودا وهو الغير والسوا ، فما تدعون من الأصنام ، والشركاء ، والأرباب والوسائط والأسباب ، كل ذلك هو الله فما دعوتكم أيها الآلهة سبحانه وتعالى عما يشركون ، في اعتقاد غيرية شيء له تعالى في الأرض أو في السماء

(الموقف المائة واحد والسبعون)

قال تعالى ، إن المتقين في جنات ونهر ، الآية التقوي جنس تحته أنواع وأصناف ، والمقنون هنا هم الذين اتقوا حقيقة التقوي ، فأل في المتقين المكالم ، جعلوا وجوده تعالى سترالهم ، مزقوا حجب الأكوان والأسماء والمراتب ، الى أن وصلوا الى عين حقيقتهم ، فكانوا متقين بها ، وكانت لهم مجنا من دون كل متقى في جنات ، ستور غابوا من وراءها فكانت دونهم وهي أستار الأكوان والأسماء ، فهم انعراش المخدرات ضنائن الله من خلقه لا يراهم إلا محرم من حيث ظواهرهم ، وأما من حيث بواطنهم فلا يراهم إلا الله ، فانهم لا يبدون من زينتهم التي هي الخصوصيات الالهية ، والكرامات العلمية العرفانية ، إلا ما ظهر منها ، وهم الذين دعاهم ربهم الى دخول جنته ، وهي ذاته لسابق عنايته بقوله القديم ، يا أيها النفس المطمئنة ادخلي جنتي ، ونهر سعة وإطلاق وقضاء لأحد ولا قيد ولا حصر ، ما حددتهم حدود الأكوان ، ولا قيدتهم قيود الأسماء والصفات ، ولا حصرتهم المراتب ، جاوزوا القضاء والقدر ، فلم يكونوا تحت حكمه بل القضاء والقدر تحت حكمهم ، في مقعد صدق ، الاضافة بيانية في المقعد الذي هو الصدق ، بمعنى الحق الثابت وهي كناية عن القرب الذي لا يتصور قرب بعده ،

كقوله زيد مني مقعد المقاتلة وكل قرب قبله فليس بمقعد صدق ، أي ليس بمحل الحق الثابت إذ يجوز الانتقال عنه إلا هذا فإنه محل قعود وثبوت لأحركة منه . فإنه الغاية القصوى للطالين ، وهو الموطن الأعلى محل الحقائق حيث لا موطن ولا محل ، بل شيء واحد لا مغايرة ولا مميزات ، فمن وصل إلى هذا فقد وصل مقعد الصدق عند ملك مقتدر ، والعندية في حق هؤلاء المتقدمين مجاز ، بل لهم العينية لا العندية ، آه آه ، ولولا لجام الشرع قلت ما لم يقل

ولكن لجام الشرع أحكم حكمة لذلك تراني حائما ومموها
بأية لفظة تناسب حكمتي ، ومن لم يصل إلى هذا الذي نقول عنه
بنفسه ، فمن المحال أن يوصله إليه غيره ، فإن الخبر ولو بالغ في الإيضاح والبيان
غاية ما يمكن لا يزيد السامع الجاهل رأساً إلا حيرة وإبهاما ، لأن الالتقاط
وضعت للمعاني المتواضع عليها بين المتكلم والمخاطب فيتكلم المتكلم بما في
نفسه فيعرفه مخاطبه ، والمعاني ليست بمحصورة بخلاف الألفاظ فإنها محصورة
متناهية في كل لغة ، فإذا كان المعنى مما لم يوضع له لفظ يدل عليه فيحتاج
المتكلم في إيهام مخاطبه ما في نفسه إلى أن ينظر في الألفاظ المعروفة للمخاطب ،
ما يقارب أو يناسب بالمجاز أو الاستعارة أو الكناية أو نحو ذلك ، فيعبر له
به عن مراده وربما يكون المخاطب لا يلتفت ذهنه إلى ذلك المعنى المراد
المعبر عنه بالمجاز ونحوه ، أو يكون لذلك المعنى لفظ عند المتكلم يدل عليه
ولكن المخاطب لا علم له بذلك فيكون مثل العربي مع المعجمي فيبقى ذلك
المعنى كنزا مطمئنا أو كنزا ضاع مفتاحه ، والباب مردوم ولكن في
الأخبار فوائد علي كل حال فربما يكون السالك قارب الوصول إليه

فيشمر رائيحته بسبب ما وصله من الخير فيجد في الطلب وربما وصله فيتيمن أنه هو الذي كان سمع خبره وربما أفاد الأخبار السامع تشوقا فانبعث همته فان النفوس مجبولة على حب التشبه باهل السكك فيما كان كمالا عندها

(الموقف المايه الثاني والسبعون)

قال تعالى ، يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها ، وورد في الأخبار الصحيحة أن ذلك اليوم هو يوم طلوع الشمس من مغربها ، فاعلم أن هناك شمساً حقيقة ، وشمساً مجازاً ، وكلاهما بطلوعه من مغربه يعلق باب التوبة ولا ينفع نفساً إيمانها ، فاما الشمس مجازاً فهو الكوكب النهاري الذي هو معدن الأنوار الحسية وطلوعه من مغربه وما يتبع ذلك مشهور عند الجمهور ، وأما الشمس حقيقة وهي أصل الأنوار الحسية والمعنوية ، كما قال ، الله نور السموات والأرض ، فطلوعه من مغربه هو انكشافه ، وإشراقه من محل غروبه وانحجابه واستتاره ، وهي النفس فانها حجاب شمس الحقيقة ومغربها ، وطلوعها من مغربها الذي هو النفس معرفتها منها ، من عرف نفسه عرف ربه ، فصار المغرب مطالعاً ومشرقاً ، وهذه الآية أعظم من كل آية ، ولا مغيب لشمس الحقيقة بعد طلوعها من مغربها ، فان مغربها هو الذي كان يحجبها ويستترها ، وقد صار هو مشرقها ومطلعها فلا مغيب لها أبداً ، كما قيل ان شمس النهار تغرب بالليل ، وشمس القلوب ليست تغيب ، وحينئذ يعلق باب التوبة المعروفة عن هذا الذي طلعت عليه الشمس من مغربها ، لأن التوبة رجوع ، والذي طلعت عليه شمس الحقيقة من مغربها إلى من يرجع ، فانه انكشفت له المعية الآلهية ، والاحاطة الربانية ، فلم يكن له من

يرجع إليه ، فقد انمحقت الأغيار ، واتحدت الأنوار ، فلم يبق إلا الله الواحد القهار ، له الحكم واليه ترجعون ، فهذا قد رجع في الدنيا قبل الآخرة ، وقامت قيامته ، بل تلزمه التوبة من التوبة المرووفة عند العموم ، فلها قد صارت بالنسبة لصاحب هذا المقام خطأ وذنبا وجهلا ، إذ حسنات الأبرار سيئات المقربين ، ولا ينفعه إيمانه حينئذ ، فإن نفع الإيمان حالة الحجاب قبل الشهود والعيان ، وطلوع الشمس التي لا يحتاج معها برهان ، فإذا صار الغيب شهادة ، والخبر معاينة ، لا ينفع نفسا إيمانها ، وإنما ينفعها شهودها وعيانها . فتتبدل أحوالها ونياتها ومقاصدها ، التي كانت لها حالة إيمانها ، إلى أحوال ونيات ، ومقاصد غيرها أعني تتغير أحوالها الباطنة ، وأما الظاهرة فلا تتغير منه ولا قلامه ظفر ، بل يبقى على أحواله الظاهرة المرضية شرعا ، وعلى طريقته المدوحة عرفا وطبعيا ، وعلى حرفته المباحة المناسبة لحاله ومقامه ، عند أمثاله ، هذه حالة العارفين بعد فتح باب المعرفة لهم ، وطلوع الشمس لهم من مغربها ، وغير هذا تصنع ولأن يلقى العبد ربه بجميع الذنوب سوى الشرك ، أهون من أن يلقاه بذرة من التصنع للخلق

(الموقف المائة الثالث والسبعون)

قال تعالى ، فاعلم أنه لا إله إلا الله ، أمر تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بالعلم في معرفة ألوهيته ونحن مأمورون بأمره اتباعا له ، والاعلم على أصح الحدود ، كما قال المتكلمون صفة ينكشف بها المعلوم على ماهو عليه انكشافا لا يحتمل النقيض أو حصول صورة الشيء في النفس ، على ما قالت الحكماء وعلى كل فالحاصل من النظر الفكري في حق الآله تعالى ماهو علم فإن من المعلوم تواتر إن أكابر المتكلمين في التوحيد بالنظر العقلي يعتقد أحدهم

المسئلة في جانب الآله عشر سنين مثلاً أو عشرين ثم يبدو له بطلانها ، بل يعيش أحدهم . مدة عمره علي عقد في جانب الألوهية وقبل موته يسير يبدو له خلافه فيرجع عنه ، وما يدريه أن جميع ما عقده في جانب الآله كذلك . فلو كان الحاصل لهم علماً ، ما كان احتمال هذا وحيث كانت إدراكاتهم في الجانب الإلهي تحتل النقض والتشكيك اختلفت مقالاتهم ولعن بعضهم بعضاً وكفر وخطأ بعضهم ، فالآله الذي عرفه الأشعري غير الآله الذي عرفه المعتزلي ، غير الآله الذي عرفه الظاهري ، غير الآله الذي عرفه الحكيم الفيلسوفي ، وعليه فإزعموه علماً بالله ليس بعلم ، بل هو تخيل وتوهم ، فالخاصل لهم إدراك ومن أفراده التوهم والتخيل ، فالعلم بالله إذاً فيما جاءت به الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام لهذا ما اختلفوا في آلههم ولا لعن بعضهم بعضاً ولا خطأ بل علمهم بالله واحد وأمرهم جميع كما قال شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً ، والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ، فالدين هو توحيد الآله وإقامته هو الاخبار عنه بما أخبرهم به تعالى عن نفسه مما تحتمله البشرية من نعوته وأسمائه فالآله الذي عرفته الأنبياء والرسل واتباعهم غير الآله الذي عرفته جميع الطوائف الناظرة بعقولها ، وموازن أفكارها إسلامية وغيرها ، فإن آله الرسل والأنبياء عليهم السلام مع أنه ليس كمثله شيء يجيء وينزل ، ويهزل ويسعى ، ويضحك ويشبش ، وله قدم ووجه ، وجنب وعين ، وأعين ويدان وأيدي ، ويجوع ويمرض ، وهذا الآله لا تعرفه جميع الطوائف ، ولا تصدق بوجوده بل تفكر ما جاءت به الرسل من نعوته إن كانت كافرة ، وتؤوله إن كانت مسلمة ، حتى ترتضيه وتقبله عقولها ، فاذا جاء رب الأشعري إلى المعتزلي أو الظاهري ،

أو الحكيم وقال لهم ، أنا ربكم قالوا نعوذ بالله منك لست أنت ربنا ، وهذا مكاننا حتى يأتينا ربنا ، فإذا جاءنا ربنا عرفناه ، وهكذا كل طائفة إذا جاءها رب الأخرى تعودت منه وأنكرته ، وذلك لأن أرباب أصحاب العقول مقيدة محدودة محصورة تحت أحكام العقول ، فلا تعطىها العقول السراح ولا تطلقها من قيودها ، حتى تضحك أو تهزل ، أو تجوع أو تتحول من صورة إلى صورة ، ونحو ذلك بخلاف رب الرسل والأنبياء ومن تبعهم فإنه مطابق لا قيد ، ولا حصر ، ولا حيد ، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ، إن الحكم إلا لله ، فيتجلى كيف شاء بما شاء لمن شاء ، وله أن يفعل جميع ما نعتته منه العقول مما نعتته به أنبياءه ورسله ، مع أنه ليس كمثله شيء فانهم ما نعتوه إلا بعلم وأذن منه ، ورب الأنبياء والرسل ومن تبعهم لا ينكره أحد منهم ، إذا قال لهم أنا ربكم ، بل لا ينكرون أرباب الطوائف كلها فانهم عرفوا الرب المطابق الذي يحكم ولا يحكم عليه ، فمن نظر بعين الانصاف ورمى التقليد أو التعصب والاعتساف ، عرف الحق فعرف أهله ، أرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ، فمن أراد معرفة آله الرسل والأنبياء ومن تبعهم عليهم الصلاة والسلام ، فليتبع سنتهم ، ويوقف عند حدودهم التي حدوها ، ويقتد بهم ظاهرا وباطنا ، ويستعمل الأسباب التي وضعها كمال العارفين الداعين عباد الله تعالى إلى معرفته على طريقة الأنبياء ، فليواظب عليها فإنه لا سبيل إلى معرفة الله المعرفة المطلوبة منا إلا بهذه الطريق لا غيرها من الطرق العقلية أو الرياضية ، على غير طريق الرسل وسنتهم اللهم أني قد بلغت النصيحة فأنا إليكم ناصح أمين . وما أسألكم عليه من أجر ، أنا التنذير العريان ، ولا خبر بعد عيان

(الموقف المايه الأربعة والسبعون)

قال تعالى ، أفعير الله تتقون وما بكم من نعمة فمن الله ، الآية ، نفي وإنكار على من يتقى ويخاف غير الله ، ويرى نعمة الله من غيره تعالى فيرجو ، وإذا مسه الضر ، جئ إلى الله كما يجار للبعيد من الغائب عنه ، فإذا كشف الضر عنه أشرك به ، ونسب الكشف إلى غيره تعالى ، وفي الآية حذف من الأوائل لدلالة الأواخر ، وحذف من الأواخر لدلالة الأوائل ، فهي في التقدير أفعير الله تتقون ، وما بكم من ضر^(١) وشرف من الله ، أفعير الله ترونه منكم فترجونه ، وما بكم من نعمة فمن الله ، أنكر عليهم تعالى جهالتهم وكشف لهم ضلالتهم ، أن يتقوا ويخافوا مخلوقا ، مع اعتقادهم أنه غير الله ، فإن غير الله لا يملك ضرا فلا يتقى ، مع أنهم في نفس الأمر ما اتقوا إلا الله ولكن التبس عليهم الأمر اذ لا غير أصلا لوحدة الحقيقة ، والغيران أمران وجوديان لا اشتراك بينهما في صفة النفس ، وهذا شيء لا وجود له في مشرب التحقيق ، فالأغيار أوهام وتخيلات ، لأن الوهم من حقيقته أن ينزل النسب والاعتبارات والاضافات التي لا وجود لها ، منزلة الحقائق المعقولة والمحسوسة ، فجعلوها جهالتين ، جهالتهم بالله وعدم معرفته ، وجهالة اتقاء الغير مع اعتقادهم أنه غير ، ولو عرفوا لا تقوا الله في مظاهر أسمائه الانتقامية ، وهي : قدراته ، ومصوراته ، ومكوناته ، التي جعلها محال لأن يخلق الضر عندها وبها ، وما بكم من نعمة فمن الله ، كما اتقتم غيره تعالى مخافة ضره بأوهامكم العاطلة ، كذلك رأيتم نعمه عليكم من غيره فرجوتوه طمعا في نعمه ، وتوهمتم أن النعمة الواصلة إليكم بواسطة مظاهره تعالى هي

من غيره كلا وحشا، ما بكم من نعمة فمن الله لا من غيره ، إذ غيره تعالى لا يعطي ولا يمنع ، ولا يضر ولا ينفع ، ثم إذا مسكم الضر ، حيث ما تقعكم اتقاء من اتقيتموه فأوصل اليكم ضره وشره ، على اعتقادكم . أو خاب رجاؤكم فيمن رجوتوه فما وصلتكم منه نعمة ، جأرتكم الى الله بالتضرع والدعاء جوار الجهلاء ودعوتهم . برفع أصواتكم دعوة الجفلاء لأنكم توهمتم بعده منكم ، وانفصاله عنكم وهو أقرب اليكم من جلسائكم : ومن حبل ويريدكم بل أقرب اليكم من أنفسكم ، فإذا أجاب دعاءكم وكشف الضر عنكم . مع هذه الجهالات والآداب السيئة والأوهام الباطلة . إذا فريق منكم برهبهم يشركون ، فينسبون ما حصل من كشف ضر ، ورفع شر . وجلب نعمة . وافضال ورحمة . الى الأسباب الممودة ، والوسائط المشهودة ، ونسبتم الله تعالى مسبب الأسباب ، وخالق الوسائط ، فحجب الأسباب أعظم بلية ، وأكبر رزية ، على أهل الحجاب ، ولا تتوهم إذا رأيت عارفا خاف . أو رجا مخلوقا ، أو اعتبر الأسباب في ظاهره أنه مثل الحبوب في هذا ، هيئات فالعارف إنما يخاف الله في مظاهره ، ويرجو الله منها ، إذ هو تعالى وضع الوسائط والأسباب وأمر بمراعاتها حكمة وعدلا ، فشرك العارف حكم لا حقيقة . إذ هو متحقق بالوحدة الحقيقية فهو موحد ، خالص التوحيد لا غير بالذات عنده فمراعاته للأسباب ، علامة كماله ، ورسوخ قدمه في المعرفة بربه ، والأدب معه تعالى (الموقف المايه الخامس والسبعون)

قال تعالى ، قل أعوذ برب الناس ، السورة ، الرب إسم المرتبة الجامعة للأسماء المتعلقة بالحق والخلق والمختصة بالخلق ، فالمتعلقة بالحق والخلق كالعاليم والسميع والبصير ، فإن علمه يتعلق بذاته وبمخلوقاته وكذا سمعه وبصره ونحو

ذلك . والاسماء المختصة بالخلق هي أسماء الأفعال كالخالق والمصور وأمثالها فانها لا تعلق لها بالحق تعالى ، والرب والمربوب أمران متلازمان ، تلازم المتضايقين والمنتسبين ، فلا ينفك أحدهما عن الآخر ، رب بلا مربوب لا يكون . ومربوب بلا رب لا يوجد ، والناس يعم الجن والانس ، والنافع والكامل والمراد هنا الناس الكاملون ، فهو لفظ عام أريد به خاص ، كما في قوله ، الذين قال لهم الناس ، والقائل واحد فالناس هنا كلمات الله التامات ، التي يحق الله بها الحق ، ويبطل الباطل ، كما قال ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ليحق الحق ، ويبطل الباطل ، وكثيرا ما كان صلى الله عليه وسلم يتعوذ بهم ، كقوله أعوذ بكلمات الله التامة ، من كل شيطان وهامة . وقوله أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ، وإنما خصهم بهذه الاضافة وإن كان تعالى ربهم ورب غيرهم ، زيادة تشريف واعظام لهم ، ملك الناس ، الملك اسم المرتبة التي تحتها أسماء الأفعال فقط ، وهذا هو الفرق بين مرتبة الربوبية والملكية ، فان الربوبية كما قدمنا جامعة للاسماء المشتركة بين الحق والخلق ، والمختصة بالخلق . والملكية مختصة بالاسماء المختصة بالخلق كالقادر والمريد والمعطي والمانع والضار والوهاب ونحوها ، فهو قادر على الممكنات لا على نفسه ، ومريد لها ، وقس على هذا جميع أسماء الأفعال فالملك لا يكون بغير مملكة يتصرف فيها ، فالملكية تحت الربوبية ، كما أن الربوبية تحت الرحمانية ، كما أن الرحمانية تحت الواحدية ، كما أن الواحدية تحت الأحديّة ، والناس هنا المراد بهم بعض ما شمله لفظ الناس وهم الجن ، فهو عام أريد به خاص أيضا ، وإنما خصهم بالاضافة هنا لأن الجن لهم قدرة التطور في الصور والتشكّل بالاشكال المختلفة ، والاعتدال على الأفعال العظيمة ، والنفوذ في الأجسام ومنهم شياطين ومردة ،

فربما يتوهم أن الحكم الرباني والاقتدار الإلهي غير نافذ فيهم فاخبر تعالى أنهم مع هذه الصفات المتقدمة من جملة المملكة التي يتصرف فيها الملك الحق ، وأنهم في قبضته وتحت قهر تصرفه ، آله الناس . الآله إسم المرتبة الجامعة لجميع الأسماء ذاتية وصفاتية ، وفعلية جلالية ، وجمالية وكالية ، وهذه المرتبة فوق المراتب كلها من حيث أنها مرتبة اعطاء كل ذي حق حقه ، من الحق والخلق ، فلها الحيط والشمول على كل مظهر حقي وخلقي ، فهي الجامعة للضدين يظهر فيها القديم بصورة الحادث ، كما في قوله صلى الله عليه وسلم رأيت ربي في صورة شاب أمرد له وفرة ، على وجهه فراش من ذهب . وفي رجله نعلان ، الحديث . ويظهر الحادث فيها بصورة القديم . كما في قوله صلى الله عليه وسلم : إن الله خلق آدم على صورته أو صورة الرحمن ، روايتان ، والناس هنا المراد بهم ما يعمه لفظة الناس من الجن والانس ، فهو تعميم بعد تخصيص ، فانظر كيف ذكر مرتبتين من المراتب الخاصة ، وذكر لكل واحدة ما يناسبها في لفظة الناس ، ثم ذكر المرتبة العامة وذكر ما يناسبها وهو عموم الناس ، وإن القرآن يحل عن تكرار لفظة لغير زيادة معنى ، من شر الوسواس ، أل في الوسواس للجنس . فان للشيطان وسوسة ، وللنفس وللشك وللظن وللوهم وسوسة ، وللأوى وسوسة ، كما قال . وإن كثيرا يضلون بأهوائهم . وقال إن النفس لأمرارة بالسوء ، وقال أن يتبعون الآ الظن ، الى غير ذلك فهذه كلها أمرنا تعالى بالاستعاذة منها فاذا حضر النور الحق ، وجاء العلم الصدق ، خنست وبطل أثرها وتأخرت ، فانظر الى الوهم كيف يخنس عند النتيجة بعد المساعدة على المقدمات وما أمرنا تعالى بالاستعاذة من شر الوسواس : على أننا نجعل الوسواس مقابلا له مقابلة

الضد ، فيكون بمثابة الشريك في المملكة وانما أمرنا أن نستعيز به منه ، فانه المنفرد بالضر والنفع تعالى ، نستعيز باسمائه الجمالية ، من أسمائه الجلالية ، كما قال السيد الكامل معلم الخير ، أعوذ بك منك ، فليس الوسواس الا مظهر المضل ونحوه ، وانه تعالى نهانا أن نخاف غيره ، من غير ما آية وحديث ، وحيث كانت هذه الأشياء المعبر عنها بالوسواس من الأسباب التي جعلها الحكيم العليم وسائط لوصول الشر والضلال ، والشرائع جاءت باعتبار الوسائط ومراعاتها ظاهرا ، مع اعتقاد أنه لا مؤثر الا هو تعالى ، حذرنا من الاغترار بها ، والركون اليها ، قال بعض الأكابر في قوله تعالى ، إن الشيطان لكم عدو ، وان طائفة لما سمعوا هذه الآية فهموا منها عداوة الشيطان فقط ، فاستعدوا لعداوته بالحذر منه ، والاشتغال بمراقبته ، وسد أبواب هجومه ، واليقظ لمكائده ، فقاتلهم بذلك خير عظيم ، وطائفة فهموا منها الشيطان لكم عدو وأنا لكم صديق ، فتعلقوا به تعالى ، وانحاشوا اليه واشتغلوا بمراقبته ، فكفاهم شر العدو وحصلوا على خير عظيم ، فالطائفة الأولى العباد والزهاد ، والثانية العارفون بالله ، الذي يوسوس في صدور الناس صفة لجنس الوسواس من الجنة والناس ، بيان للناس الموسوس في صدورهم وهم الجن والانس ، وإن للجن وهماً ونقشاً وظناً وشكاً ، كما لابن آدم ، وما أضل أول ضال الخارث الا نفسه ووهمه ، ولو كان له شيطان يوسوسه لدار أو تسلسل ، وذلك محال

(الموقف المايه السادس والسبعون)

قال تعالى ، وهو الخلاق العليم ، الخلاق الكثير الخلق والخلق قد يكون تقديرا مجردا في النفس ، وقد يكون مع إيجاد في المدارك الحسية

فيكون خلقا بعد خلق ، كما قال الشاعر

ولأنت تعزى ما خلقت وبعض القوم يخلق ثم لا يعزى

يريد أنت توجد ما خلقت وقدرت خارجا للحس ، وبعض القوم يهم
ويخلق ويقدر في نفسه ولا يوجد خارجا ما خلق وقدّر فالحق تعالى خلاق
على الدوام ، يوجد الأعراض التي هي صور فأنها كلها أعراض سياله ، كما يقول ،
الحكام في الزمان ، وكما تقول الأشاعرة ، العرض لا يبقى زمانين فأنها لو بقيت
لاستغنت عن الحق تعالى وتعطلت أسماء الأفعال ، وتعطيل الأسماء محال ،
وليس للحق تعالى في هذا الخلق إلا إعطاء الوجود لما تقتضيه حقائق الأشياء
من الأحوال والأحكام ، وإلا فهي ثابتة في العلم كأعيانها ، فما يكون من
الحق لها إلا الإيجاد ، وهذا معنى قول سيدنا محي الدين ، الأشياء ما
استفادت إلا الوجود وانقسام الخلق إلى تقدير في النفس من غير إيجاد ،
وإلى تقدير مع إيجاد ، إنما هو بحسب الدارك والشاعر الإنسانية ، وأما
بحسب ما هو الأمر عليه ، فليس إلا الوجود الحق ، يظهر بتقديره
وتصاويره ، التي يقدّرها ويصورها لنفسه في نفسه ، ويظهر متعيناتها
كالتجريد عند علماء البديع ، قيل لي في الواقع ان محمد بن قايده الاواني ،
كان لا يقول بالخلق الجديد ، وكتب في ذلك رسالة سماها ، الرشفة في بقاء
النسخة ، هكذا قيل لي ومعني هذا أن ابن قايده فهم أو سمع أن من الناس
من يقول بالخلق الجديد ، في كل ما يقال فيه صورة ممكنة ، وليس الأمر
كذلك ، وإنما الخلق الجديد خاص بالصور المحسوسة ، وأما الصور العقلية
والخيالية والروحانية فهي باقية أبدية لا يلحقها زوال ، فليس فيها خلق جديد ،
وهذه الصور هي النسخة الحقيقية ، المنتسخة من الصورة الرحمانية ، المرادة

يقوله إن الله خالق آدم علي صورته فهي باقية ببقاء النسخة المنتسخ منها ،
دون الصورة المحسوسة ، وهذا هو مراد القائلين بالخلق الجديد ، وحينئذ
ولا خلاف بين ابن قايذ وغيره من العارفين ، وبعد هذه الواقعة وقفت
على كلام اللقطب علي وفارضي الله عنه ، في المعني فقرحت به ، قال ، إذا
كان وصف النقيض بالنقيض ، بديهي الاستحالة ، والوجود ذات الوجود ،
فعدم الوجود محال ، وكذلك لو جعلت الوجود زائدا على ذات الوجود ،
لأنه ليس موجودا إلا بالوجود ، فلو انعدم لقام به العدم ، وإنما الحدوث
والزوال نسب عدمية ، الأول ظهور في الإدراك المقيّد بعد بطون عنه ،
والثاني عكسه والباطن الظاهر ثابت في الحالتين ، وهكذا ببعض صورة
دون بعض ، وبطونه بصورة منها ، وظهوره بأخرى ، كالماء يصير هواء
وعكسه ، والغذاء بخارا وعكسه ، تحلّلا وكونا ، فاللوازم والأُمور الوجودية
لاتبدّل لها بخلاف الحادثة اهـ ، العليم الكامل العلم ، بما يخلق ويوجد فإن العلم
تابع للمعلوم في مرتبة التعيين الأول ، لأن المعلومات في هذه المرتبة غير متميزة
عن الذات ، ولا شك أن العلم متأخر عن الذات بالمرتبة ، ضرورة تقدم الذات
على صفتها وإن كان علمه تعالى عين ذاته ، ولكن تسميته علما يقتضي تبعيته ،
ويطلق عليه في هذه المرتبة علم فعلي ، من حيث أنه مبدأ تحقيق المعلوم ، وأما
في مرتبة التعيين الثاني ، فالمعلوم تابع للعلم ، لأن المعلوم متميز عن الذات لنفسه
في هذه المرتبة ، ويطلق عليه علم انفعالي من حيث أنه مبدأ انكشاف المعلوم
عيناً قائماً متميزاً والانكشاف فرع التحقق إذ لا ينكشف إلا متحققاً في
نفسه ، والعلم واحد في المرتبتين ، والتعدد نسبي

(الموقف المايه السابع والسبعون)

قال تعالى ، فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى ، الآية ، أعطى نفسه
وسلمها لمشتريها بعقد ، إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم فاستعملها فيما أمره
به مشتريها وحاد بها عما نهاه عنه مالكها ، واتقى بنفسه كل مكروه ، وليس
ذلك إلا بتصرفها فيما أراد مالكها ويرضاه ، لا فيما يريد البائع ويهواه ،
وصدق بالحسنى ، هي الطريقة المثلى طريقة الأنبياء وورثتهم عليهم الصلاة
والسلام ، والمراد تصديقهم فيما وهبهم الحق تعالى بفضلهم ومنته من النبوة
والولاية ، وما يتبع ذلك ويلزمه من المعارف والعلوم التي جاءوا بها وأخبروا
عنها خارجة عن أطوار العقول والأفكار ، لاتصل اليها الأقيسة والأنظار ،
فسايسره لليسرى ، ونستعمله في الأسباب الموصلة إلى النجاة ، والمعرفة
بالله تعالى ، على طريق الأنبياء والأولياء التي توصل إلى المشاهدة
والمكاملة ، لا على طريق العقلاء التي تقتضي البعد منه تعالى ، وتزويه عما
اثبتته تعالى لنفسه على السنة رساله عليهم الصلاة والسلام ، وإنما سماها
يسرى ، لأنها تؤول بمالكها إلى الأصل ، ورجوع الأشياء إلى أصولها
أسهل وأقرب ، ولذلك قبل الرجوع إلى الأصل يكون بأدنى سبب وقيل
الرجوع إلى الأصل أصل ، وهي فطرة الله التي فطر الناس عليها ، وهذه
النفوس التي يعطيها المؤمن ويتقرب بها هي وهم ، وما يعطيه الحق له على
ذلك حق ، فانظر إلى هذا الفضل العظيم ، وأما من بخل بنفسه فلم يسلمها
لمشتريها ولم يستعملها فيما أمر به المشتري ولا نهاها عما عنه نهى ، واستغنى
عن الثمن ، ورضي بالثمن ، ورجع في بيعه بعد عقده وكذب بالحسنى طريقة
الأنبياء وورثتهم عليهم الصلاة والسلام ، مما أخبروا به عن الله تعالى

ومما وهبهم وعلمهم من لدنه ، من العلوم وقال ما قال المكذبون ، ما هذا الا بشر مثلكم ، يريد أن يتفضل عليكم ، ماسمعنا بهذا في آباؤنا الأولين إن هو الا رجل به جنة إن أنتم الا بشر مثلنا ، تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا هذا الذي بعث الله رسولا إن كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها ، ونحو هذا وإنما كانت هذه الطريقة عسرى لأنها ضد الفطرة وتقيض الأصل ، إذ كل مولود يولد على الفطرة ، وهي طريقة النبوة والولاية ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ، وأبواه الهوى والشيطان وإنما سماها أبوان لطاعته إياها وقبول إشارتهما كالأبوين اللذين هما أنصح من كل ناصح أولدهما ، فالتيسير عام في الخير والشر ، وليس هو الا إعطاء الوجود لما تقتضيه الأعيان الثابتة ، والحقائق الامكانية ، باستعداداتها في الخير والشر ، قيل لي في الواقعة من استراح تعب ، فقلت ، ومن تعب استراح ، وذلك أن الحق تعالى خاق الانسار وجعله ينتقل في المنازل والأطوار ، ولا يستقر به قرار ، الا في دار القرار ، إما في جنة أو نار ، وأعظم مواطنه موطنان ، موطن الدنيا وموطن الآخرة ، فموطن الدنيا موطن تسكليف وتعب ، وضيق وعمل ، وحجاب وحجر ، وموطن الآخرة ، موطن تشریف وراحة ، وإطلاق ومشاهدة وجزاء ، فمن استراح في الدنيا باعطائه نفسه منها ، واتباع مرادها وهواها ، فلم يعط المواطن حقه ، ولم يراقب حكمة الحكيم تعالى ، ولا بذل له من نفسه ما يستحقه تعب في الآخرة ، لأنها موطن جزاء واجتناء ثمرات ما غرس في الدنيا من الأعمال ومن تعب في الدنيا وأعطى المواطن حقه بالقيام بوظائف التكليف والعمل بما رسم المشرع استراح في الآخرة ، فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ،

وليس الخير في الدنيا إلا ما أمر به الشارع، ولا الشر فيها إلا ما نهى عنه
(الموقف المائة الثامن والسبعون)

قال تعالى، إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن
يحملنها، الآية، الأمانة هي الخلافة، كما قال، إني جاعل في الأرض خليفة،
وهو آدم عليه الصلاة والسلام، أو معناها التحقق بجميع الأسماء الإلهية،
فهو الآله في صورة آدمية من غير حلول ولا اتحاد، ولا امتزاج، فأنا
بريء من ذلك كله، وعرضها على السموات والأرض والجبال، ليس
لحملها بالفعل لأنها لا استعداد لها لحمل الخلافة، والحمل بغير استعداد محال،
ويتعالى الحكيم العليم عن ذلك، ولكن ليظهر فضل الإنسان وشرفه،
حيث أبت السموات والأرض والجبال من حملها، وأشفقن منها، مع
عظم السموات والأرض والجبال، ومع كونها أكبر من خلق الناس، كما
قال، خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس، فأبين أن يحملنها
وأشفقن منها، لعلمها أن حملها لا بد أن يظهر بالاضداد، ويوصف
بالانعدام، ويشارك الحق تعالى في المملكة، إذ الخليفة ملك صغير، فيكون
حامل الأمانة بمعنى الخلافة ربا صغيرا، نخافت من قبول هذا الأمر،
والأمر أن تكون على خطر، فاختارت السلامة، وأعرضت عن الربح
حذر الملامة، وأنشد لسان حالها

وقائلة مالي أراك مجانباً أمورا وفيها للتجارة مربح
فقلت لها مالي بربحك حاجة ونحن اناس بالسلامة نفرح
وحملها الإنسان الكامل بالفعل لا مطلق المسمى انسانا اذ مسمى
الانسان منه ما هو إنسان بالفعل والحقيقة، ومنه ما هو إنسان حيوان،

إنسان بالقوة والصورة فقط ، إنه كان ظلوما ، كثير الظلم لنفسه وهذا مدح له لأنه من المصطفين المختارين ، كما قل نم أورثنا الكتاب كتاب الوجود ، الكتاب المسطور الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ، لا ظالم نفسه فيين الظالم لنفسه والظالم نفسه فرق ، الأول ممدوح ، والثاني مذموم ، وهو المعني بقوله كانوا أنفسهم يظلمون ، ظلموا أنفسهم ونحوه جهولا كثير الجهل بنفسه وبربه لمعرفته بالأسماء الآلهية التي تتوارد عليه وتتعاقب على الدوام ، فكأما كانت الدولة لاسم كانت الغلبة والحكم له ، واستتر باقي الأسماء تحت استتار النجوم عند طلوع الشمس مع وجودها في السماء ، فتختلف عليه صورته باختلاف الأسماء الآلهية ، فانها التي تتشكل فيعرف في حال جهله ويجهل في حال معرفته ، وإن كان يعرف أنه هو هو كما يقول الانسان أني أنكرت نفسي ، وكذا جهله بربه لكثرة التجليات الآلهية ، اذ لا يتكرر تجل أبدا الآبدن ولا يشبهه تجل تجليا أبدا ، فجهل العارفين هو حيرتهم ، بحيث لا يصح لهم ولا يمكنهم الحكم على المتجلي بحكم ، وهذا الجهل بمعنى الخيرة وعدم الضبط هو الذي سأل السيد الكامل صلى الله عليه وسلم الزيادة منه ، فقال اللهم زدني فيك تحيرا لا حيرة الحجاب فكأما زاد العلم بالله تعالى زادت الخيرة والجهل بالمعني الذي ذكرناه ، وقد قال امام العارفين محي الدين الخاتمي رضى الله عنه إن من أولياء الله من أزال الله عنه الخيرة فيه وأنا عبد الله ، ما فهمت هذا ولا عرفته كيف يكون والذي عليه أهل الله بحسب ما وصل إلينا ، أن من ادعى المعرفة بالله ولم يحتر فذلك دليل جهله ، قال سيدنا محي الدين في الفتوحات

الله يعلم أني لست أعلمه وكيف يعلم من بالعلم بجهله

اني علمت وجودي لا يقيدني نعت بحق ولا خلق يفصله
علمي به حيرتي فيه فليس لنا دليل حق على علم نحصاه
(الموقف المائة التاسع والسبعون)

قال تعالى ، إياك نعبد وإياك نستعين ، خبر بمعنى الأمر ، فهو تعاليم أنا
وأمر لنا ، أن ندعوه بهذا الدعاء فليس المراد الاخبار بذلك فحسب ، فلا نمر
بالآية مرور الحاكلي لكلام الله تعالى عن غير قصد الدعاء بالحصول على
ذلك ، بل نقصد الانشاء والطلب كما أن جملة الحمد ، أول السورة خبرية لفظاً ،
إنشائية معنى ، والآ فلا يسمى القائل الحمد لله حامداً ، والعبادة لغة الخضوع
والانقياد والوقوف عند الأمر والنهي قال فرعون وملاؤه ، أنؤمن لبشرين
مثلنا وقومهما لنا عابدون ، فأمر العبد المؤمن بسؤال ربه أن يجعله مشاهداً
له في كل مظهر يحصل منه له تذلل وخضوع وانقياد ، بحيث تكون عبادته
بمعنى تذله وخضوعه وانقياده للظاهر ، تعالى بذلك المظهر الخلقى أي مظهر
كان ولهذا النكتة جيء بالمعمول مقدماً لإفادة الحصر ، فأننا أمرنا أن نشهد
الحق تعالى في كل مظهر ، ونعامله بحسب ذلك الظهور ، كما أمر تعالى وليس
ذلك برباء فإن الرياء لا يكون إلا مع رؤية الغير ، وأما رؤية الحق تعالى
وشهوده في ظهوراته وتعييناته فلا رياء ولا سمعة ، والحاصل أننا أمرنا بطلب
الخلاص من الشرك ، وإفراد الخضوع والانقياد لله تعالى ، ولا يكون ذلك
إلا برؤية وجه الحق في كل شيء ووجهه ذاته المتعينة ببعض الأسماء ، فالتذلل
والخضوع والانقياد لشيء ليس هو الحق في شهود الخاضع المتذلل شرك ،
فالعارف خضوعه وتذله وانقياده لا يكون إلا لذلك الوجه الظاهر المتعين ،
كما قال ، وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين بمعنى توحيد الطاعة

وتخليص الانقياد ، ولا يكون إلا بهذا الشهود فانه لا بد لكل مخلوق من الخضوع والانقياد للمخلوق آخر ، فعلمنا تعالى الخلاص من الشرك ، وبمثل ما تقدم أمرنا في الاستعانة فنشهد الحق تعالى في كل شيء ، نستعين به في الاسباب والوسائط ، وسواء في ذلك ما أمرنا بالاستعانة به أو أيسر لنا كقوله ، واستعينوا بالصبر والصلاة أو غيرها من إنس وجن ، ومملك وحيوان وجماد ، إذ لا بد لكل إنسان من الخضوع لمن تكون حاجته عنده من المخلوقات ، ومن الاستعانة بالمخلوقات ، فاذا رحمه الله تعالى بمعرفته وشهود وجهه ، في كل شيء تخليص من الشرك فكان لا يعبد إلا الله ، ولا يستعين إلا به ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده ، والله ذو الفضل العظيم والسلام

(الموقف المائة والثمانون)

قال تعالى ، يا أيها النفس المطمئنة أرجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي ، أعلم أن النفس لا يناديها ربها بهذا النداء ، ويصفها بكونها مطمئنة راضية مرضية ويأمرها أمر إباحة وإذن وتشريف بالدخول في جملة عباده المضافين له ، المخصوصين به ، وهم الذين عرفوا نسبهم من العبودية والربوبية ، فعلموا أن مسح العبد إنما هو عبارة عن ظهور الرب ، متعينا بأحوال العبد ، فالحقيقة رب والصورة عبد ، فكان العبد ربا في صورة عبد يعبد نفسه في صورة العبيد ، وبالدخول في جنته بمعنى ستره من الأجتنان ، وهي ذاته التي يستجن بها من وصل اليها بقطع حجب الأسكوان والأسماء الآلهية ، وذلك عبارة عن الحصول والوصول إلى فناء التعينات الخلقية الخيالية التي لا عين لها إلا في المدارك الحسية ، ولولا هذه المدارك ما كان إلا الوجود المجرد

المحض وح تفتنى هوية الخلق حكما لا عيننا حيث لبست الحق بخلاف هوية الحق إذا لبست الخلق فانها ثابتة على نزاهتها لا يلحقها تغيير على كل حال إلا بعد مجاوزة العلم اليقين إلى حق اليقين بالذوق الصحيح ، والكشف الصريح ، بشيئين أحدهما أن الحق تعالى فاعل مختار يفعل بعلم وحكمة ما ينبغي كما ينبغي بالقدر الذي ينبغي ، في الوقت الذي ينبغي ، بحيث أن لا يكون في الامكان أبدع وأحكم من ذلك الفعل من جميع الوجود والاعتبارات ، وبحيث لو اطلع العبد على تلك الحكم والمصالح لما اختار سوى ذلك الفعل وحينئذ يحصل على مقام الرضى عن الله فيكون مطمئنا ثابتا ساكنا تحت مجاري الأقدار ، ثانيهما أن يذوق كشفا أن الحق تعالى هو الفاعل المنفرد بفعل كل ما يصدر من كل مخلوق إلى آخر مخلوق كان ، ذلك المخلوق المنسوب إليه ذلك الفعل سببا أو شرطا أو مانعا ، وإنما الحق تعالى يتنزل من مرتبة اطلاقه مع اطلاقه حينئذ إلى صورة الشرط أو السبب أو المانع ، فيفعل ما يفعل بتلك الصورة مع غناه عن تلك الصورة لو أراد الفعل بدونها ، ولكن الاختيار والحكمة هكذا ، فينسب الفعل في بادىء الرأي إلى الصورة وليس الفعل الآله تعالى وحده لا شريك له ، وحينئذ يكون عنده ربه مرضيا ، لأنه لا فعل له حتى يخرج عن كونه عنده ربه مرضيا ، إذ الرضى والمحبة من الحق تعالى للمخلوقات هي الأصل وبها أوجدتم ، فهي السبب الأول في الوجود ، فمن علم أن لا وجود له ولا فعل فهو على الأصل من الرضى والمحبة ، جعلنا الله وإخواننا ممن شمله خطاب هذه الآية ، بمنه وكرمه أمين

(الموقف المايه الواحد والثمانون)

قال تعالى ، إن فرعون لعال في الأرض وإنه لمن المسرفين ، أخبر تعالى مؤكدا إخباره بأن واللام ، حيث كان الاخبار متوجها الى الشاكين في دعواه ، والقاطعين بصحتها ، فليس الاخبار متوجها الى المؤمنين إلا في ضمن غيرهم فان المؤمن متحقق بكذب هذه الدعوة بل علوه ، ودعواه الربوبية والألوهية إنما كان في أرض النفوس ، عالم الطبيعة ، وكل نفس لها هذه الدعوة ، غير أن فرعون تجرأ على إظهارها ، وغيره ماتجراً وليس في المراتب الحاكمة أعلى من الألوهية إذ الآله هو الغني عن كل ما سواه ، المفتقر اليه كل ماعداه فله الضر والنفع ، والعطاء والمنع ، والخفض والرفع ، فليست دعوى فرعون وعلوه في سماء الأرواح حيث يكون الناطق القائل حقا ، فان الأرواح لا تنطق إلا بالحق ، فالحق هو القائل إذ آ ، كابي يزيد وأمثاله رضى الله عنهم ، فان القائل منهم أنا الله هو الحق تعالى الظاهر بصورهم ، الناطق بألسنتهم ، كما ورد في الصحيح ، إن الله قال على لسان عبده ، سمع الله لمن حمده ، فتكون صورة المحقق القائل أنا الله ، كصورة شجرة موسى عليه السلام حيث يقول تعالى ، فلما آتاه نودي من شاطئ الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة ، إن يا موسى إني أنا الله رب العالمين ، وقد ذم تعالى من يتكبر في الأرض بغير الحق إلا من يتكبر بالحق ، فان المتكبر حينئذ الحق تعالى ، والكبرياء له تعالى ، وهؤلاء لا عقوبة عليهم في الدنيا فانهم يعمون أنفسهم بحالهم الصادق من تصرف الخلق فيهم ، ولا في الآخرة ، وأما من قال إنه الله بنفسه وحضور عقله كفرعون والدجال وأمثالهما ، فليس الناطق منهم الحق ، ولذا نفذت فيهم العقوبة فعوقب فرعون بالفرق ، وسيعاقب الدجال بالقتل ، وكذا كل من قالها من غير أن يكون الناطق

حقه ، وإن برقت لهم بارقة فهي برق خلب ، إذ الأحوال تحول ، والعوارض تزول ، فتطلب الصفة موصوفها ، ويبقى المدعي عاريا منها ، فينفذ فيه حكم الله تعالى ، وتتناوله سيوف الشريعة ، كما نالت الحسين بن منصور الحلاج رضي الله عنه ، فإنه قتل بفتوى أهل الشريعة ، وأهل الحقيقة حتى مشايخه لأنه التبس عليهم حاله ، وما تحققت عندهم غلبة سكره ، وهو من أولياء الله تعالى بلا شك ، وإنه من المسرفين المتجاوزين الحدود التي جاءت بها الشرائع ، فما كل حق يقال ، إلا ما أذن فيه الشارع في دعوى الربوبية ، حيث يقول ، ما علمت لكم من آله غيري ، ثم نقض علمه بالظن وقال ، وإني لأظنه ، يعني موسى ، من الكاذبين ، وكل عبده نسبة إلى العبودية ونسبة إلى الربوبية ، وهي أحق نسبتيه ، ولكن مأمور بسترها في هذه الدار التي هي دار الحصر والحجر ، فلا يدعيها عاقل يتصرف بعقله وينطق بنفسه ، كيف وهو يرى نفسه ذوقاً تحت القمر الآلهي ، والتصريف الرباني ، لا يقدر أن يمتنع عن قرصة برغوث ، وإبرة بعوض ، وأن يسلمهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ، ضعف الطائب والمطلوب ، وهذا الغوث الجامع الخليفة الذي جعل الله له التصرف في العوالم كلها أرضية وسماوية ، يرى نفسه مثل الشيء الملقا في الحقارة والذلة والمعجز

(الموقف المائة الثاني والثمانون)

قال تعالى ، وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ، الإحصاء بمعنى العدد والحساب ، وبمعنى العلم ، فعلي الأول لا تطيقوا عددها فأنها لا غاية لها ، لأن نعمة الإمداد لا بقاء الإيجاد أبدية لكل موجود ، وكل موجود منعم عليه بابقاء وجوده ، وأول نعمة علي المخلوق إعطاء الوجود وهذا في العموم ، وأما في

الخصوص فهذه نعمة الايمان لها لوازم ، ولوازم لوازم ، وتوابع ومقتضيات ، لانهاية لها ، بل هي نعم متوالية أبداً لا بد من ، ودهر الداهرين ، وعلى الثاني تعلمونها فان الحق تعالى لطيف ومن لطفه يظهر النعمة في صورة النعمة ، وبالعكس ، فتنبتس النعمة بالنقمة ، ولا يفرق بينهما الا صاحب بصيرة نافذة وكشف صحيح ، فكم لله من نعمة ورحمة في طي المكروهات النفسية الطبيعية علي السعيد ، فانه يشقى الشقاء الصوري في الدنيا بالبلايا والأتعاب بالتكاليف ، والأمر والنهي ، والضيق والحصر ، كما يكون للشقي في السعادة الصورية في الدنيا ، من الفرح والبسط ، والسعة والراحة ، لأن الدنيا دار مزج لا دار تخلص ، حتى أنه يلتبس فيها السعيد في الآخرة بالشقي فيها ، فاذا حصلوا في الدار الآخرة حصل التمييز وزال المزج ، فقي الصحيح ، أن الرجل يعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار ، الحديث بطوله ، وهو مشهور وذلك لكون الدنيا خيالا ، وإن كنا نقول أن الكائن فيها محسوس غلظ حجابنا من حيث أن الحقائق تظهر فيها بغير ما هي عليه في نفس الأمر غالبا ، وبما هي عليه نادرا فلذا يحتاج ما يظهر فيها الي تعبير كالذي يظهر في الرؤيا ، أي عبور من الظاهر الى الباطن ، فلا يكتفي بما ظهر في الصورة عن باطن الحقيقة

(الموقف المائة الثالث والثمانون)

قال تعالى ، قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم ، النار نار الطبيعة ومقتضيات النفس الحيوانية ، وهي مأمورة بأن تكون بردا وسلاما على إبراهيم ، وإبراهيم ما هو شخص جزئي حقيقة ، بل هو شخص كلي ، فان لكل حقيقة كلية شخصا كليا كآدم للحقيقة الكلية الانسانية ونحوه ، ولذا قال تعالى ، إن

إبراهيم كان أمة ، فأبراهيم مجموع من اتبع ملته فهو أصل وأب لكل من اتبع
ملته ، وهو تجريد التوحيد وافراد الوجهة لرب العالمين ، كما أن آدم أصل وأب
لكل إنسان وهو من كان حيوانا ناطقا ، ومحمد صلي الله عليه وسلم أب وأصل
لأبراهيم ولآدم ، فيما كانا فيه أبوين فكل من اتبع ملة إبراهيم فهو إبراهيم ،
والنار مأمورة بأن تكون بردا وسلاما علي إبراهيم ، وملة إبراهيم ، هي قوله
يا قوم إني بريء مما تشركون ، إني وجهت وجهي للذي فطر السموات
والأرض حنيفا وما أنا من المشركين ، وقوله ، واعتزلكم وما تدعون من
دون الله وقد أمر الحق تعالى باتباع ملة إبراهيم ، قال ، فاتبعوا ملة إبراهيم
حنيفا وما كان من المشركين ، وقال ، ومن أحسن ديننا فمن أسلم وجهه لله
وهو محسن واتباع ملة إبراهيم حنيفا ، فلم يجعل للحق تعالى شريكا في
الوجود ، وتوابع الوجود ، وكل من أثبت لغيره تعالى وجودا حادثا أو
قدما ، مغايرا للوجود الحق ، فما هو ممن اتبع ملة إبراهيم فما هو إبراهيم ،
فليست النار مأمورة بأن تكون بردا وسلاما عليه ، بل هو ممن رغب عن
ملة إبراهيم وخسر نفسه ، كما قال تعالى ، ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا
من سفه نفسه وخسرها

(الموقف المائة الرابع والثمانون)

قال تعالى ، ولو علم الله فيهم خيرا لأسمهم ولو أسمهم لتولوا وهم
معرضون ، يعني لو تميز للعلم الذاتي الذي هو العلم الفعلي وهو علم حضرة الله
أول التعينات ، خير من حقائقهم التي هم عليها واستعداداتهم التي لا يجرون
إلا إليها ، وهي الحاصلة بالفيض الأقدس لأسمهم خالق فيهم ولهم سماع
الهداية وهو ما يحصل بالفيض المقدس ولو على سبيل فرض المحال ، وهو غير

واقع وإنما هذا إخبار بان شرهم إنما جاءهم من استعدادهم وإنه لا يقبل إلا ما أعطاه تعالى مما طلبه بلسان استعداده ، فلا يسمعهم ولا يخلق فيهم هداية ورشادا ، لأنه خلاف المعلوم ، ولو أسمعهم ما قبلوا من حيث أن استعدادهم بالضد من ذلك ، وإنما كان الأمر هكذا لأن العلم تابع للمعلوم ، وهو وإن كان تابعا للمعلوم يقال فيه علم فعلي ، إذ المعلوم ما تحقق الآ به ، فلا يخلق إلا ما أراد ، ولا يريد إلا ما علم ، والمعلوم لا يتغير ، وبهذا كانت الحجة له تعالى على مخلوقاته فمن وجد خيرا فليحمد الله فانه الخالق لذلك ، وهو أهل لأن يحمد على كل حال ، ومن وجد شرا فلا يلوم من الآ نفسه كما ورد في الصحيح يعني نفسه التي هي حقيقته واستعداده ، فاستعداد كل أحد هو الذي يكون عليه ، وهو الذي ييسره الله تعالى إليه ، وإليه أشار صلى الله عليه وسلم كما ورد في الصحيح كل ميسر لما خلق له ، فلا يعطي تعالى أحدا شيئا إلا ما أعطاه استعداده ، ولا يمنعه إلا ما امتنع منه استعداده إن خيرا نخير ، وإن شرا فشر ، فلو أسمعهم وأطاعهم خلاف استعدادهم فرضا وتقديرا لتولوا وهم معرضون عنه ، هاربون منه ، لأنه ضد حقيقتهم وقلب لها ، وانقلاب الحقائق محال ، فانظر ما أجلى هذه الآية لمن علمه الله تعالى الحقائق ، وانظر ماذا صار فيهما من الخبط عند علماء الظاهر ، لأنحجابهم بعقولهم ودمعقولهم منهم ، من قال إنها أعنى لولا للدلة على انتفاء الأول لا انتفاء الثاني ، ومنهم من قال أنها لدلالة العدم على العدم ، كما في قوله ، لو لم يخف الله لم يعصه لا للدلالة على انتفاء الثاني ، بسبب انتفاء الأول ، ومنهم من قال ، إنها تفيد الاستلزام ، فاما انتفاء الشيء لا انتفاء غيره فلا يفيد مساق الآية ، إذ لو أفاد ذلك لازم التناقض فان قوله ، لو علم الله فيهم خيرا لا أسمعهم ، يقتضي نفي الخير أي

ما علم منهم خيرا ولا أسمعهم ، وقوله ، ولو أسمعهم ، يقتضى حصول الخير أي ما أسمعهم ، وانهم ما تولوا ، وعدم التولى خير من الخيرات الي غير ذلك من الأقوال

(الموقف المائة الخامس والثمانون)

قال تعالى ، ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله ، الهجرة الى الله قلبية وهي الأساس الأول ، والأمر الذي عليه المعول ، وهي بحصول الزاجر الآلهي ، والعزوف عما كان عليه من المخالفات للأوامر والآلهية ، والهجرة الى رسوله هي المقصد الثاني للدلالة وتعريف سلوك طريق المطلوب ، وهي هجرة جسمانية ، وكما كانت الهجرة لرسول الله صلى الله عليه وآله واجبة قبل الفتح ، ففتح مكة ، فهي اليوم باقية لورثة أحواله وأسراره ، الدالين على الله تعالى ، الداعين الى معرفته ، ثم يدركه الموت قبل اجتماعه بالرسول أو وارثه أو قبل حصوله على المطلوب الذي هاجر لأجله ، فقد وقع ، ثبت أجره ، جزاؤه على الله أو جبهه تعالى على نفسه تفضلا وامتنانا ، وإن الله لذنو فضل على العالمين ، فيبعث المهاجر لمعرفة الله تعالى والقرب منه في عداد العارفين بالله وفي مقاماتهم العلية ، فكم ترى في الآخرة ممن لم يحصل على معرفة الله في الدنيا وقد حشر في زمرة العارفين بالله تعالى ، ونال منزلتهم ، وكذلك طالب حفظ كتاب الله ، وطالب العلم لوجه الله ، يبعثان في عداد الحفاظ والعلماء ، وفي مقاماتهم بل هؤلاء أكمل نعيمافانهم لا يسألون عما حصل لهم في الآخرة من الانعام ، بخلاف من حصل لهم في الدنيا فانهم يسألون عن ذلك النعيم ، والهجرة الى الرسول أو وارثه واجبة على الأعيان ، إلا اذا سبقت للعبد عناية أزلية وكان من المرادين ورحمه الله

تعالى بجذبة رحمانية ، وخطافة ربانية ، فعرف نفسه فعرف ربه فتسقط عنه
الهجرة ، كما ورد في الصحيح ، لا هجرة بعد الفتح ، لأن العبد إذا رقاها الحق
صار حقا ، فليس عليه هجرة لطلب الدليل ، ولذا قال القوم رضوان الله عليهم ،
ليس للشيخ على المريد بعد الفتح إلا مرتبة الصحبة والأخوة والمشاورة ،
لا غير وأما الهجره الي الله فالفتح بدونها مستحيل

(الموقف المايه السادس والثمانون)

قال تعالى ، ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند
ربهم يرزقون ، الخطاب له صلى الله عليه وسلم والمقصود كل من بلغه الكلام
القديم ، والقرآن الكريم ، فإنه صلى الله عليه وسلم لم يكن بالذي يظن موت الشهداء في
سبيل الله ، نهى تعالى بهذه الآية عن ظن المقتولين في سبيل الله والمقتولون في سبيل
الله أهم من المقتولين بسيوف الكفار ، أعداء الدين ، القتل الطبيعي الاضطراري ،
ومن المقتولين بصواعق المجاهدات والرياضات القتل الاختياري من حيث أن
كلية التحلل تركيبه وفسد نظامه الطبيعي عينا حسا في الأول ، حكما كشفا في
الثاني ، وفي الآية دليل على التكليف بالمحال العقلي والعادي ، والجمع بين الضدين وقد
جوز الأشعري التكليف بالمحال ومنعه المعتزلي ، فإن الحس والعقل لا يصح
عندهما حياة المقتول في سبيل الله ، ولا يدرك ذلك وسماه تعالى مقتولا نصديقا
لأدراك الحس مع النهي عن حساب موته إيمانا ، فأنت منهي عن ظن موت المقتول
في سبيل الله ، وفي ضمن ذلك الأمر بالعلم بحياته إيمانا وكشفا ، كما أنك أمور
بالحكم بموته حسا وشرعا ، بأجراء أحكام الأموات عليه كالميراث وتزويج
الزوجة ونحو ذلك ، ولذا قال في الآية الاخرى ، ولكن لا تشعرون ، أي
لا يخطر لكم شعور بحياتهم من جهة الحس والعقل ، والشعور أول مراتب

وصول الادراك للنفس ، واسكن يحصل لكم العلم بحياتهم من جهة الايمان والكشف ، وليس حياة المقتولين في سبيل الله حياة مجازية كما قال بعض المفسرين ، ولا إن المراد بحياتهم حياة أرواحهم ، كما قال آخرون ، إذ لا خصوصية لأرواحهم ، فإن الأرواح كلها حية بالذات ، فإن الذي نسميه في الواجب القديم حياة ، هو الذي نسميه في الممكن الحادث روحا ، فالروح لا تموت ، كما أن الذي نسميه في الحادث الممكن نطقا ، هو الذي نسميه في القديم الواجب كلاما ، وإنما حياتهم الخاصة بهم ، أنهم عند ربهم ، أى حياتهم حياة ربهم لا حياة أخرى كما هو الأمر عند غيرهم ، يرزقون فرزقهم ، عندي ربهم كما قال ، لهم ، وابتغوا عند الله الرزق ، وقال لغيرهم ، وفي السماء رزقكم ، فأعرف قدر من رزقه عند الله ، ومن رزقه عند السماء ، فلا تظن العندية هنا كالعنسية المعروفة ، بل هي كما في قوله ، إنما العلم عند الله ، وعلمه عينه ، فهي كناية عن رفع التعمينات الوهمية ، والحجب الخلقية ، ونفي الغيرية ، والحصول على العينية ، وقد ورد في الخبر الصحيح ، يغفر للشهيد عند أول قطرة من دمه ، بمعنى يستتر عنه الوجود المجازى والحياة الفانية ، ويحصل على الوجود الحقيقي والحياة الباقية ، وشهيد المعتك وشهيد المحبة في ذلك سواء ، بخلاف غيرهم من الأموات فانهم وإن كانت أرواحهم حية ، فليسوا عند ربهم ، لأنهم ما رفع عنهم حجاب الغيرية بعد ، وإن رفعت عنهم بعض الحجب ، كوشفوا ببعض المغيبات كالجنة والنار وما أشبه ذلك

(الموقف المايه السابع والثمانون)

ورد في الخبر الرباني قال الله تعالى ، ما وسعني أرضي ولا سمائي ، ووسعني

قلب عبدي المؤمن الهين الوداع ، هذا الخبر طعن فيه حفاظ الحديث وقالوا
لأصل له ومع هذا فسادات القوم ومحققوهم رضوان الله عليهم ، ذكرود في
كتبهم ، وجعلوه أصلاً لكثير من مسائل مواجيدهم ، فاقول ، ياء المتكلم في قوله
ما وسعني كناية عن الذات المطلق وهو الشيء الذي تستند إليه الأسماء والصفات ،
نفى تعالى عن الأرض والسما وسعهما إياه ، أي إطاقتهما فهما لا يطيقان التجلي
بجميع الأسماء الإلهية ، وأخبر أن عبده المؤمن وسعه وأطاق تجايبه بجميع
الأسماء بل أطاق ، تجليه المطلق والمراد بالمؤمن المؤمن الكامل ، فأل فيه للكل
وليس إلا الإنسان الحقيقي ، فهو الذي وسع الحق لحصوله على رتبة الاطلاق
عن الصفات والذوات ، وأعنى بالاطلاق هو أن لا يكون مغلوباً لاسم ولا
مقهوراً تحت حكم ، صفة ، بل له الظهور بجميع الأسماء في الآن الواحد كما هو
ثابت لمن هو مظهره لأنه عين الكل ، والكل هو ، قيل لأبي يزيد كيف
أصبحت ؟ فقال كيف سؤال عن الصفة وأنا لا صفة لي ، فلامساء لي ولا صباح ،
وهذا الذي ذكرناه في معنى هذا الحديث الرباني هو أن القلب الذي وسع
الحق هو قلب مخصوص ، لا مطلق القلب المؤمن ، هو الذي ورد به الوارد
علينا وأعطانا ، كشفنا ، وإن قال الامامان الكبيران قدوة العارفين محي الدين
الحاملي ، وعبد الكريم الجيلي ، رضي الله عنهما ، بخلافه بادية الرأي ، ولندكر
كلامهما ، قال سيد المحققين محي الدين ، في آخر الفص الحمدي من الفصوص ،
آله المعتقدات تأخذه الحدود وهو الآله الذي وسعه قلب عبده ، فإن الآله
المطلق لا يسمه شيء لأنه عين الأشياء وعين نفسه والشيء لا يقال فيه يسم
نفسه اه ، يريد أن من ربط قلبه واعتقد في آلهه أنه كذا ولا يكون كذا
فآله محدود محصور ، لأن الاعتقاد مأخوذ من العقد والربط ، فكما أن المعتقد

مربوط باعتقاده . فكذلك المعتقد فيه مربوط بحسب اعتقاد المعتقد ، وهذا حال عامة المخلوقات لأنهم ما عرفوا من الإله إلا ما تجلى لهم به من الأسماء ، وما تجلى بجميع الأسماء إلا للخليفة من بني آدم ، وهو الذي حمل الأمانة التي ما حملتها السموات والأرض ، وهو الذي وسع الحق تعالى قلبه قوله ، وهو الذي وسعه قلب عبده ، يعني آله المعتقدات هو الذي ورد في الخبر ، ما وسعني أرضي ولا سمائي الخ ، وهذا مشكل ، فإنه لو كان الإله المذكور في الخبر هو آله المعتقدات المحصور المحدود لو سعت الأرض والسماء ، فأنهما لهما عقيدة بحسب التجلي الحاصل لهما كسائر المخلوقات ، ولكن يقال في قلب المنزه فقط ، أو المشبه فقط ، وفي كل من لم يحصل له التجلي بجميع الأسماء الإلهية ولم يصل إلى الإطلاق الذاتي إنه وسع الحق ، وقوله مع أن من لم يصل إلى مرتبة السكينة لم يسمع إلا بعض أسماء الإله الحق ، وقوله فإن الإله المطلق لا يسمعه شيء ، لأنه عين الأشياء وعين نفسه ، والشيء لا يقال فيه أنه يسمع نفسه جوابه أنه لما كان قلب العارف الكامل المحقق الواصل يصير عين ما عرفه وعين ما حققه مع بقاء التمييز آله والوحدانية وعبد ، جاء في الخبر التعبير بالوسع مع هذا ، فقد قال رضي الله عنه في الباب الثالث والستين وثلاثمائة عند الكلام على القطب السابع ، حال هذا القطب العظمة ، بحيث أنه يرى أن العالم لا يسمعه ، لأن ذوقه كونه وسع الحق قلبه ، وقد ورد في الخبر أن الحق يقول ، ما وسعني أرضي ولا سمائي ، ووسعني قلب عبدي المؤمن ، وما كل قلب يسمع الحق اه ، فهذا تصریح منه بأنه إنما يسمع الحق بعض القلوب وهي قلوب الكمال الذين ألهمهم مطابق من الاعتقاد والربط . فلا يحكمون عليه بحكم ، ولا ينكرونه في أي شيء تجلي وهو الذي قدمناه عن واردنا ، وقال الشيخ عبد الكريم الجيلي ، في لوامع البرق

الموهن ، في معنى ماوسعني أرضي ولا سمانني ووسعني قلب عبدي المؤمن ، الباب الثامن في ذكر مجلي الكمال المطلق للوجود الحق في القلب ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حاكيا عن ربه ماوسعني الخ ، اختلفت العلماء في هذا الوسع فالجمهور أنه وسع بالايان والعلم ، والمحققون ذهبوا إلى أنه وسع حقيقي من غير حلول ولا تكييف ، فقد علمت أيذك الله بالفهم أن العبد المؤمن بالله لا بد له من العلم بأن آلهه موجود ، واجب الوجود لذاته ، غير مستند إلى غيره ، وله من الكمال ما تقتضيه الصفات الالهية ، كما أخبر عن نفسه وأخبر عنه الصادق المصدق ، واقتضاه العقل بالدليل للواجب بالذات ، ولا شك ان هذا العلم موجود لك في قلبك إذ لا خلاف أن معلوم هذا العلم متصور في علمك ، ثم انه ليس له ثاب ، فيكون الموجود في علمك مغايرا للواجب ، هذا محال فتعين أن الموجود في علمك هو عين الواجب بالذات بأسمائه وصفاته ، وهو بعينه الموجود في علم غيرك ولا يطعن ذلك في أحديثه اه ، ومع هذا فان قوله الكمال المطلق الموجود الحق من القلب ، يميل إلى قولنا فان أكثر القلوب ليس عندها الكمال المطلق الذي هو للحق في نفس الأمر ، وإنما عندها الكمال المقيد بـ اعتقده كمالا لا غير ، وكذا قوله أول الكتاب فهذا كتاب أذكر فيه بعض الحضرات القدسية التي اتسمت لها القلوب الحمديّة ، حيث التحقت به في المسكنة الصديقية بعروجها في أثره مستمسكة بما علمته من خبرة وخبرة ، فهذا التصريح بأنه ماوسع الحق إلا القلوب الحمديّة ، لا جميع القلوب وعند كتابة هذا المحل ، ورد الوارد بالتعريف الالهي مبينا لمراد هذين الامامين في قولهما بعموم الوسع لجميع قلوب المؤمنين ، والحمد لله رب العالمين

(الموقف المايه الثامن والثمانون)

قال تعالى ، وجعلنا الليل والنهار آيتين ، لنليل كناية عن النفس العنصرية
الظلمانية ، والنهار كناية عن الروح العلوية النورانية ، آيتين علامتين على الموجد
تعالى وكمال اقتداره ، وإطلاقه عن ظهوراته وتعييناته ولو تقيد بمظهر وتعين
مناظهر وتعين بالضدين ، كالليل والنهار ، والنفس والروح ، مع تباينهما ،
والتغاير الذي بينهما وصفا ، إذ العالم كله ظهوره وتعيينه وما عرف الحق إلا
بظهوره علي الضدين ، وتعيينه بالنقيضين ، والنفس والروح ثابتان لكل
إنسان ، فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة ، هاتان آيتان أيضا
دالتان على أنه تعالى يفعل بالارادة والاختيار فليس هو علة يكون منه
الفعل دون الترك بل له الایجاد والاعدام بتبديل الأوصاف ، فانه يرحم
بعض عباده ، فيمحو آية ليلهم وهي أنفسهم الظلمانية الشهوانية السفلية ،
ومحوها بزوال حكمها فلا يبقى لها حكم عليهم بظلمانيتهما لتبديل أوصافها
بغلبة النور الروحي على ظلمتهما ، وإشراقه على عالمها ، وإن بقيت عينها ،
لأن الضرر ليس في عينها ، وإنما هو في صفاتها ، ويجعل آية نهارهم مبصرة ،
وهي روحهم العلوية القدسية ، وجعلها مبصرة ، هو بزوال قذى النفس
الظلمانية الذي كان يمنع ما في قوتها من الأبصار ، فخرج إلى الفعل بعدما
كان بالقوة ، لأن الابصار وجميع الكمالات ذاتي للأرواح ، وليكن
الموانع النفسية الظلمانية تمنع من ظهور كمالات الأرواح ، مادام الحكم
والغلبة للنفس على البدن ، لتبتغوا فضلا من ربكم ، اللام لام العاقبة ، إذ
عاقبة من محبت آية ليله ، وجعلت آية نهاره مبصرة ، أنه لا يتبغي فضلا
من الله إلا بفضل لا بشيء منه ، لأنه عرف كيف هو الأمر باطنا فهو يتبغي

فضل الله بفضل الله ، فانه علم انه ليس له من الأمر شيء

(الموقف المايه التاسع والثمانون)

قال تعالى ، واصبر وما صبرك إلا بالله ، الآية ، أمر أولاً ، تعريف وتعليم
ثانياً ، والخطاب له صلى الله عليه وسلم والمراد نحن ، أمره تعالى بالصبر ثم أخبره
بصيغة الحصر وأعلمه أن الصبر المحمود المرضي المطلوب من العبد هو الذي
يكون بالله فتعمل في تحصيله ، وتقرب إلى بالنوافل حتى أحبك فاني إذا
أحببتك صرت بي تسمع ، وبني تبصر ، وبني تصبر ، وبني تفعل وهكذا في جميع قواك
وأفعالك لا بنفسك وبين الصبر بالله والصبر بالنفس فرقان ، فمن كان صبره بالله
فهو وإن تالم ظاهره واشتكت أعضاؤه وجوارحه ودمعت عيناه فحمل ذلك منه
النفس الحيوانية ، وهو في باطنه ناعم البال قرير العين ، مستنير الباطن لأنه
واثق بحسن تدبير الله تعالى له ، متحقق بأن ماورد عليه وأصابه لم يكن ليخطئه
وأنه لا بد من نزوله به ، لأنه من مقتضى استعدادده ، وإن استعدادده هو الطالب
له بلسان حاله ، موثق بأنه تعالى حكيم لا يفعل إلا ما ينبغي ، كما ينبغي وبالقدر
الذي ينبغي ، في الوقت الذي ينبغي ، بل يكون الحق تعالى هو الحامل لما أنزله
عمن يكون صبره به تعالى ، وأما من كان صبره بنفسه فانه وإن تجلّد وحبس
نفسه ظاهر الما نزل به وأصابه فهو كسيف البال ، مظلّم الأرجاء ، متألم الباطن ،
متهم لربه فيما أنزله به ، مجوز لما ورد عليه ونزل به ، أنه يمكن أن لا يكون وهذا
ليس هو الصبر المرضي المحمود المطلوب من العبد بل هذا مقاومة للأمر
الآلهي ، وتشجع على الله كما روى أن علياً عليه السلام أن في مرضه ، فقيل له
اتن وأنت علي ، فقال ، أما على الله فلا أشجع ، والآلام الطبيعية المحسوسة ليس
في وسع الانسان رفعها بخلاف الآلام النفسية فان في وسعه رفعها والصبر

من المقامات، التي لا يفارقها العبد إلى الممات وهو عام على الخير والشر إذا الكل ابتلاء وفتنة وتمحيص ، قال تعالى ، ونبلوكم بالشر والخير فتنة ، وقال ، لنبلوهم أيهم أحسن عملا ، فالصبر على الخير هو الثبات فيه على الحسد المشروع وإشارة العقول ومن هذا الصبر على المعارف الآلهية ، والأسرار الربانية ، بعدم إذاعتها لغير أهلها ، وقليل فاعله ، وأما الصبر على الشر فهو المعروف عند الجمهور ولا يتبادر إلى الأفهام عند ذكر الصبر مطلقا غيره ، وقد عده الإمام محيي الدين القول بدخول الصبر في النعم جهلا ، ومن نظر في حد الصبر وأنه حبس النفس على ما تكره وذاق ما تكابده النفس من الشدة في كتم ما يهبه الله تعالى للعبد من العاوم والأسرار ، وكشف الحقائق حتى قال بعض العارفين ، تسعة أعشار السر تقول لصاحبه بخ بخ ، وفي بوحه هلاكه وحتفه ، قال بدخول الصبر في النعم ولا بد . وهذه أمور ذوقية فكل واحد إنما يعبر عن ذوقه ويحكمي حاله ، وهذه عادة القوم جميعهم رضوان الله عليهم ، فلم هذا لا يخطيء بعضهم بعضا إلا في النادر ، والكلام على الصبر طويل الذيل

(الموقف المائة والتسمون)

قال تعالى ، إن الأبرار لفي نعيم على الأرائك ، إلى قوله ، يشرب بها المقربون ، موضوع الآية بحسب ما يعطيه ظاهر اللفظ بحاله ، وفيها إشارة إلى شيء آخر ، فأقول أخبر الله تعالى مبشرا ومؤكد لاخباره الصادق ، ووعد الحق ، بأن واللام ، حيث كان الأبرار بين الخوف والرجاء ، إن الأبرار وهم أصحاب تجلي الأفعال والصفات الذين ما فارقوا الكثرة بعد . ولا فازوا باستهلاك الكثرة في الوحدة ، ولا تجلت لهم الوحدة في الكثرة لهم في

الآخرة كيت وكيت من الأكرام والآنعام ، وانهم يسقون من رحيق ، من
للبيان ، لأن المشروبات أربعة ، اللبن والعسل والماء والخمر ، وهى علوم الوهب
لمن شربها ، تتصور العلوم بصور هذه المشروبات الأربعة ، كما ورد فى الصحيح
أنه صلى الله عليه وسلم رأى أنه شرب لبنا وناول فضله عمر رضى الله عنه ،
فقالوا ما أولته يا رسول الله قال العلم ، وشرب الخمر علم مخصوص بالأنبياء
عليهم الصلاة والسلام فى الدار الدنيا ، فلا يسقى غيرهم منه وذلك لما خصهم
الله تعالى به من القوة على حمله وإطاعتهم له ، فلا يخلون بشيء من الأوامر
والنواهي الشرعية الظاهرة ، ولو سقى غيرهم من هذا العالم ما أطاق حمله ،
ولا خص بالأحكام الظاهرة ، وفى الدار الآخرة يكون للأولياء السقى منهم ،
كما أخبر تعالى ، وإن القوم رضوان الله عليهم يشبهون ما يحصل لهم من
التجليات الثمرة للعلوم والأسرار بالخمر ، وذلك لمناسبات بينهما فى بعض
الأشياء ، والآل حقيقة مبينة للحقيقة كل المبينة ، منها أن العلم الحاصل بالتجلي
له سلطان وغلبة على علوم العقل والوهم ، فلا يبقى لهما حكم مع العلم الحاصل
بالتجلي فانه بمثابة الضروريات ، وغيره بمثابة النظريات وغلبة الخمر المحسوس
على العقل والوهم محسوسة ، ومنها ما يحصل لصاحب التجلى من اللذة والابتهاج
والطرب ، وهذا محسوس فى الخمر المحسوس ومنها أن لذة التجلى تكون للقلوب
والأوصال والعروق ، وهكذا الخمر المحسوس الى غير ذلك من المناسبات وهى
كثيرة ، والابرار إنما يسقون الرحيق من كوؤس الأسماء والصفات ، بخلاف
المقرين من عباد الله فانهم يشربون بلا كأس ، بمعنى أن لهم عين الذات فلم
تقيدهم الأسماء والصفات ، ولذا وصف تعالى سقى الابرار بانه مختوم بمعنى
محدود ، لتقيدهم وانحجابهم بالصفات والأسماء ، ختامه مسك مدح لهذا

الشراب وإن ثقله مسك وهو أطيب الطيب كناية عن سمو هذا الشراب وعظمة شأنه ، مع أن آخر الشراب عادة بخلاف هذا ، ثم أخبر تعالى عن المقرين وهم السابقون السابقون ، أهل تجلي الذات الجامع المطلق فقال عينا يشرب بها المقربون ، عينا منصوب على المدح ، ولذا فصل عما قبله ، وتنوينه وتذكيره للتفخيم والتعظيم ، بمعنى أن المقرين يشربون العين الذات الجامع ، أخبر أولا عن الأبرار أنهم يسقون من بعض أسمائها ، ولذا قال يشرب بها ، ولم يقل يشرب منها ، لأن العين بمعنى الذات هي الشاربة من وجه محو آثار الغيرية حكما ، وهي المشروبة من وجه بقاء التميز عينا ولهذه النكتة جاءت الباء صلة ، وهذه الآية مثل قوله في سورة الانسان إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا ، عينا يشرب بها عباد الله ، أخبر أيضا أن شراب الأبرار من كأس ، فشرابهم محصور محدود بالكأس ، وهو أما صورة حسية أو معنوية أو علمية ، وأخبر أن المقرين وهم المعنيون بعباد الله أي الذات المسماة بالله الغني عن العالمين ، وعن الأسماء والصفات ، فالله في هذه الآية ومثلها علم على الذات ، لا على المرتبة ، فهم يشربون عينا مطلقا ، لا باعتبار صورة أسمائية أو صفاتية ، وذلك لإطلاقهم ، فهم غير مقيدین باسم أو صفة بل لهم جميع الأسماء والصفات (الموقف المائة واحد والتسعون)

قال تعالى ، ليس كمثله شيء ، إن كان الكاف بمعنى مثل فقد تقدم الكلام على ذلك في هذه المواقف ، وإن كانت الكاف صلة فالآية لنفي المثلية له تعالى من حيث الوهيته فالضمير المضاف الى مثل ، يعود على الاسم الله المتقدم الذكر ، وهو هنا اسم للرتبة التي هي الألوهية التي هي صفة الذات

العلية ، الغيب البحث فنفي المماثلة إنما هو عن المرتبة فهي التي لا مثل لها
فلا إله إلا الله والله في الكلمة المشرفة كلمة التوحيد علم على الذات العلية
لا صفة إذ لو كان صفة ما أفادت الكلمة المشرفة توحيداً وهي تفيد التوحيد
إجماعاً فالألوهية لا مثل لها ، ولها ضد وهو المألوه العابد ، والمنفي في الآية هو
المثل بسكون المثلثة لأن المشارك في الحقيقة كزيد وعمرو ، فهما مثلاً
لاشتراكهما في الحقيقة الانسانية وإن كانا غيرين إذ زيد غير عمرو ضرورة ،
وأما المثل بفتح الميم وإنشاء فلم تنفسه الآية ولا هو منفي لأنه لا يشارك في
الحقيقة ، وإنما هو مظهر يظهر به وتعين يتعين به ولذا ورد في الخبر ، إن الله
خلق آدم على صورته وفي رواية صححها ابن النجار على صورة الرحمن فآدم
تعين الرحمن والرحمن تعين الله ، والله تعين المظهر فالتعين مثل بفتح التاء لا مثل ،
قال الله ، والله المثل الأعلى في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم ، فعلمة
المثل العزة والحكمة ، وأما الذات فلا مثل لها ولا ضد ، إذ لا غير لها فلا مثل
ولا خلاف ، فإنها عين المثليين والضدين والتقيضين والخلافين ، فلو لاها ما تصور
شيء من هذه الأشياء ولا وقعت عليه عبارة معبر ، ولا إدراك مدرك ، ومع
هذا فلا يحكم على الذات بحكم ، لأن كل حكم إنما يتقوم بها ولائها لا تصور
والحكم فرع التصور ، وقولي ، لا يحكم عليها منفي أيضاً فإنه حكم ولكن
لضرورة التفهيم وكما أنها لا تعلم لأنها لا تصور وأول مراتب العلم التصور ،
فهي لا تجهل لأن الجهل لا يرد إلا على ما يرد عليه العلم كما هو شأن الضدين
ولكنها تتوهم وتتخيل

(الموقف المائة الثاني والتسعون)

قال تعالي ، فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ، الخ الآية ،

أي إذا قرأت القرآن ثم نزلت الي قراءة الفرقان فاستعذ، لأن حضرة القرآن
حضرة الجمع، والوجود حضرة الذات، الجامعة الأحدية، وهو حال شهود حق
بلا خاق، وهو المعروف عند ساداتنا رضوان الله عليهم بوحدة الشهود وهذه
الحضرة لا شيطان فيها، ثم بعد قراءة القرآن رجعت إلى قراءة الفرقان، مقام
شهود خلق قائم بحق، وهو المعروف عند السادة بوحدة الوجود، حضرة
الصفات والكثرة الاعتبارية، حينئذ يلزمك بعد قراءة القرآن والرجوع إلى
الفرقان، ملاحظة الحكم الإلهية ومراعاة الأسباب والنسائط، حسب أمر
الشارع بذلك فتتقي ما أمرك باتقائه، وتسلك حيثما سلك بك. فانه جعل للخير
أسباباً وللشر أسباباً، ومن جملته الشيطان الرجيم، فانه مظهر الاضلال والاغواء،
فاستعذ بالله وتحصن منه به تعالى، ثم أخبر تعالى أن الشيطان ليس له سلطان
وغلبة بقوته الذاتية على الذين آمنوا وصدّقوا بأن لا ضار ولا نافع ولا هادي
ولا مضل إلاّ هو تعالى، وأنه الخالق للشر والخير، المنفرد بايجاد كل شيء
وحده لا شريك له، فالآية مشيرة إلى أن المستعاذ به هو المستعاذ منه ولذا
قال السيد الكامل صلى الله عليه وسلم في الخبر الذي أخرجه أصحاب السنن
الأربعة، بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء، أي
استعيز بسم الله، فذكر المستعاذ به وما ذكر المستعاذ منه إشارة إلى أنه هو
هو فيستعاذ بأسماء الرحمة والجمال من أسماء القهر والجلال، فذكر الله إسم
الجامع لا يستعاذ به ويستعاذ منه، ثم زاد الإشارة أيضاً بقوله، الذي لا يضر
مع اسمه، الضار شيء مما ينسب اليه الضرر من شيطان ومن كل ماذراً وبرا
في الأرض وفي السماء، فلا تأثير لخلق في ضرر مخلوق أصلاً، وعلى ربهم
يتوكلون، جعلوه وكيلهم حسب أمرهم لهم بقوله وعلى الله فتوكلوا فجعلوه

القائم منهم بجميع مهماتهم واستكفوا به فكفاهم ، ثم أخبر تعالى على طريق الحصر أن الشيطان إنما قوته وسلطانه بتسليط الله وأقداره على الذين يتولونه توليتهم إياه بمعنى اشتغالهم به اشتغال الولي بوليّه ، والصاحب بصاحبه ، أما محبة ورضى بما ياقيه كالـ كافر الصريح ، أو خوفا من شره كحال المجوئين من العباد والزهاد الذين هم دائما يترصدونه خوفا منه ، والذين هم به مشركون أي جعلوا الشيطان شريكاً له تعالى في إيصال الضر والشر ، ولولا هذا لما خافوه كل الخوف فإنه تعالى يقول ، فلا تخافوهم وخافوني إن كنتم مؤمنين فلم هذا أسلمهم الله الى الشيطان وجعل له سلطاناً وغلبة عليهم ، ولذا ورد في الخبر من خاف من شيء ساط عليه ، أي جعل الله تعالى له سلطة وغلبة عليه لأن من خاف مخلوقاً فقد أدخل نفسه تحت حكمه وجعله ماحوظاً له فيعاقبه الله تعالى على ذلك بتسليط ذلك المخوف عليه

(الموقف المائة والثلاث والتسعون)

قال تعالى ، وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضاً ، الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكرى وكانوا لا يستطيعون سمعاً ، الآية تهديد ووعيد وجهنم كل أحد بحسب حاله ومقامه إذ هي مأخوذة من البعد فمنهم من جهنمه الحجاب ، ومنهم من جهنمه العذاب مع الحجاب ، والكفر جلي وخفي ، وقد ورد في صحيح البخاري كفر دون كفر ، وهو مطلق الستر ولذا سمي الزراع كافراً ، فالكفر الجلي هو ستر ما جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام ، وجعده وهو المعروف والكفر الخفي الذي هو أخفى من ديب النمل ستر الوجود الحق الواجب القديم الذي قامت به السموات والأرض وما بينهما ، ونسبته للحوادث بمعنى أن لها وجوداً مغايراً للوجود الحق ، الذين كانت أعينهم في

غطاء عن ذكرى ، أي كانت أعينهم محجوبة مغطاة عن رؤيتي فلا يروني ولا يتذكرون وجودي مع ما يرونه من صور المخلوقات وأشكالها وألوانها ، ولا قبلها ولا بعدها ، وكذا كانوا لا يستطيعون سماع أي لا يقدر أن يسمعوا مني ما يسمعون في ظاهر المخلوقات ، مع أنني المتكلم من خلف جدار كل صورة ، انظر الى موسى عليه السلام سمع النداء من الشجرة وعرف أنه كلام الله ، مع أن الشجرة في جهة له والحق تعالى ليس في جهة ، والذي جعلهم لا يرون الحق في مظاهره وتعييناته ، وكانت أعينهم في غطاء عن ذكره ، أي عن تذكره عند شهود المظاهر ، وكذا جعلهم لا يستطيعون أن يسمعوا كلامه تعالى هو وقوفهم مع التنزيه العقلي المحض الغير الممزوج بالتشبيه الشرعي وماعلموا أنه تعالى منزله مقدس عن الحلول والاتحاد والامتزاج ، عند ظهوره بالمظاهر من اسمه تعالى ، الظاهر ، يحس بكل حس ، ويشعر به كل مشعر ، من القوى المدركة الظاهرة والباطنة ، فيرى بحاسة الرؤية ، ويسمع بحاسته السمع ، ويلس بحاسته اللمس ، من حيث أن الظاهر عين المظاهر ، قال إمام العارفين محي الدين

إن قلت أن الحق عنك منزله فطريق شرعك أنه مأموس
ومنزله أيضا بشرعك فاعتبر في الحالتين فعقلك المبخوس
فيوصف تعالى بأوصاف المحدثات ، ويحكم عليها بأحكامها ، ومن ذلك ماورد في الحديث الرباني في صحيح مسلم ، مرضت فلم تعطني واستطعمتك فلم تطعمني ، الحديث بطوله ، وقال تعالى ، يد الله فوق أيديهم ، بمد قوله ، ان الذين يبايعونك إنما يبايعون الله ، ويسمى بجميع أسماء المحدثات ، كما قال تعالى . وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ، وقال أبو سعيد الخزاز ،

ما عرف الحق تعالى إلا بجمعه بين الضدين ، ثم تلا ، هو الأول والآخِر
والظاهر والباطن ، وهو المسمى أبو سعيد الخراز ، فكل ماورد في الكتاب
والسنة من المتشابهات ، فحله مرتبة الظهور والتعين بالمظاهر ، من إسمه
تعالى الظاهر وكل ماورد في الكتاب والسنة من التنزيه فحله مرتبة التجرد
عن المظاهر من إسمه تعالى ، الباطن ما عرف هذا مع اعتقاد التنزيه في
التشبيه ، فان الحق الذي لا يمتري فيه إلا محجوب بعقله

(الموقف المايه الرابع والتسعون)

قال تعالى : اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادي الشكور ، أمر تعالى
آل داود بأن تكون أعمالهم كلها شكرا وآل داود المأمورون هنا المقصود
منهم الانبياء خاصة ، فهو عام أريد به الخصوص كما قال زكريا عليه السلام ،
يرثني ويرث في آل يعقوب ، المراد بآل يعقوب الانبياء خاصة لأن المطالب
لزكريا ميراث النبوة لا المال ، وقليل من عبادي الشكور ، يعنى والكثير غير
شكور ، هذا في عباد الذات لافي عباد الأسماء ، فانهم غير مرادين هنا لأن
الضمير في قوله عبادي ضمير الذات الجامع لجميع المراتب ، فالعباد المضافون
بين كامل وأكمل ، فالأكملون هم القليل الشكور ، ولا يكون العبد شكورا
بصيغة المباغة ، حتى تكون أعماله كلها شكرا ، ويصرف جميع ماأنعم الله عليه
لما خلق لأجله ، وأما من كان تارة وتارة فلا وهذا القليل هم الانبياء والرسل
وورثتهم السكمل عليهم الصلاة والسلام ، والكاملون هم الكثير القليلو الشكر ،
وهم العارفون الذين ماوصلوا رتبة الأكملية ، فالأكمل لا يقع منه شيء من
الأعمال نافلة ، بل جميع أعماله فرائض لأنه إنما يعمل مايعمل شكرا ، وشكر
المنعم واجب شرعا ، عند السني وعقلا عند المعتزلي ، ولا يخلو إنسان أي إنسان

في وقت من الأوقات ، ليلاً ونهاراً ، من نعمة أقرها دوام الامداد ، لبقاء الابدان ، فان الوجود الذي للانسان بمثابة الجوهر ، والامداد بمثابة العرض ولا بقاء للجوهر بدون تجديد العرض عليه ، فان خلو الجوهر عن العرض محال ، ولهذا لما قام صلى الله عليه وسلم حتى تورمت قدماه ، وقيل له ، أتفعل هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، فقال ، أفلا أكون عبداً شكوراً ، فنوافل الأكاملين صورة وحكماء شرعياً نوافل ، وأما بحسب ما عندهم فهي فرائض هذا حال الأنبياء والورثة الأكاملين ، لأنهم لا يعملون إلا الأفضل الحسن ، وقد سمعوا قوله تعالى في الحديث القدسي ، ما تقرب اليّ عبدي بشيء أحب اليّ من أداء ما افترضته عليه وقد افترض تعالى على عباده الشكر ، فهم وإن كان الحق تعالى هو الذي يتصرف بهم في مشاهداتهم التي لا تحصى ، فلا يغيبهم عن عبوديتهم التي بها شرفهم ، وأما غيرهم من الأكاملين ، فقد يكون لهم هذا الحضور والشهود وقد لا يكون بل يكون غيره فافهم

(الموقف المائة الخامس والتسعون)

قال تعالى ، وإذا قال موسى افتأه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين ، الآيات ، في هذه القصة عدة مسائل تتعاقب بالشيخ والتلميذ ، منها أن الشيخ ولو بلغ ما بلغ من العلم عند نفسه وعند أتباعه ، وسمع بمن هو أعلم منه ، فيذني له أن يرحل اليه ليزداد علماً ، ويستفيد حكمة ، فهذا موسى صلى الله عليه وسلم الحائز لأكملات النبوة والرسالة لما أخبره الحق تعالى بأن خضر عليه السلام أعلم منه ، سئل السبيل الى اقيه فجعل الله له الحوت آية ، وقال له ، إذا فقدت الحوت فارجع فانك ستلقاه ، والقصة في صحيح البخاري ومنها أن الشيخ لا يرد من

جاءه بطالب علم ولو عرف عدم استعداده لما طلب ، فان الخضر عليه السلام عرف عدم صبر موسى عليه السلام أول ما لقيه ، فقال ، إنك لن تستطيع معي صبرا ، ومع هذا ما رده ومنها أن للشيخ أن يشترط على الطالب شروطا ويأخذ عليه عهدا بحسب ما يراه من المصلحة ، ولهذا قال خضر لموسى عليهما السلام ، لا تسألني عن شيء ، يعني فعلا ظهر لك منه مخالفتي الحق ، ومنها أن للشيخ أن يأخذ العهد على من علم أنه ينقض العهد ، فان الخضر قال لموسى إنك لن تستطيع معي صبرا ، وبعده أخذ عليه العهد ، وقال تعالى ، وإذا أخذ ربك الآية ، وقال ، وما وجدنا لأكثرهم من عهد الآية ، ومنها أن للشيخ إذا رأى الطالب أخل بشيء مما اشترطه عليه ، أن يذكره الشرط والعهد ، فإذا اعتذر التلميذ قبل عذره أولا وثانيا ، فان خضرا قبل عذر موسى عليهما السلام لما اعتذر بالنسيان وقبل عذره ثانيا ، ومنها أن للشيخ أن لا يطرده الطالب إذا عاد الى الإخلال بالشرط ثانيا ، وإن لم يذكر عذرا إذا رأى منه انكسارا فان موسى عليه السلام اعتذر أولا بالنسيان وثانيا لم يذكر عذرا ولكنه اشترط على نفسه فقبله خضر عليه السلام ، ومنها أن للشيخ أن يفارق الطالب إذا أخل بالشرط ثالثا فلذا قال خضر في الثالثة ، هذا فراق بيني وبينك ، ومنها أنه يلزم التلميذ الصبر والثبات وعدم تزلزل العقد في الشيخ إذا رأى من الشيخ قولاً أو فعلاً خالف فيه الحق والأمر الشرعي ، فان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال كما في صحيح البخاري ، وددنا أن يكون موسى صبر حتى يقص الله علينا من أمرهما ، ومنها أن التلميذ إذا ساء ظنه بالشيخ فالأولى له أن يفارقه ، وبقاؤه معه بعد تزلزل عقيدته فيه نفاق وضرر محض فلهذا قال صلى الله عليه وسلم كانت الثالثة عهداً ، يعني المسألة الثالثة من موسى ، ومنها أن للشيخ

إذا عزم علي فراق التلميذ لانكار التلميذ على الشيخ أن يبين للتلميذ وجه ما أنكره، من الشيخ في قول أو فعل ، ولهذا قال خضر لموسى عليهما الصلاة والسلام، سأنبؤك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا، وأما إذا صبر المريد حين ما يرى من الشيخ ما يجهل وجه صوابه وما تغير عقده في الشيخ، فإن الله تعالى سير حجه بكشف حجاب جهله ، فيعلم وجهه ما كان صدر من الشيخ من قول أو فعل، ويظهر له صوابه ويمجده الحق الذي لا محيد عنه، ومنها أن يجب علي التلميذ أن لا يقول للشيخ لم ولا كيف، في كل ما يصدر من الشيخ من أمر أو فعل أو ترك ، ولهذا قال خضر لموسى عليه السلام ، فلا تسألني عن شيء فعلته لم فعلته، ولا عن شيء تركته لم تركته، ولكن قل له وجه أنا جاهل به، ومنها أن لمن أخذ علما من غير طريقه المعتادة بين الناس، أن يبين مأخذه بشرط الاضطرار الى البيان، ولذا قال خضر عليه السلام، وما فعلته عن أمري بل عن أمر ربائي ورد علي كياني، وأما إذا لم يضطر للبيان فليس له أن يبين طريق أخذه، وكيفية تلقيه، وإنما عليه بيان العلم الذي ورد عليه فقط اذا أمر بالبيان، ومنها أن الطالب مادام لا يجد في طلبه نصبا، ولا يحس في سفره تعباً، فهو مطلوب محمول مراد فاذا أحس بشيء من ذلك بعد، فقد تبدلت حالته فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو في الصحيح لم يجد موسى النصب حتى جاوز المسكان الذي أمر به، ومنها أن العالم الرباني اذا أنكر عليه متشرع ليس من أهل طريقه لا يشغل نفسه به ولا بردوده بل يستقل بواجب وقته في ظاهره، وباطنه، ولا يلتفت اليه وان كان ولا بد فليقل كما قال الخضر لموسى عليهما السلام أنت على علم علمك الله، وأنا على علم علمني الله، ومنها ان المتشرع الصادق الخالص المحتسب أن ينكر على الصوفي ما ينكره

ظاهر الشرع ولكن في الأشياء المجمع عليها لا في الخلافات مع إعتقاد كمال الصوفي في الباطن فان موسى أنكر على خضر عليهما الصلاة والسلام ما خالف ظاهر الشرع ولا شك أنه كان يعتقد أن كماليته وأعلميته ضرورة لأن الله تعالى أخبره أن خضر أعلم منه، اذ المتشرع طريقه أخص فله أن ينكر على الصوفي والصوفي طريقه أعم فليس له أن ينكر على المتشرع الي غير هذا من العلوم التي تشير اليها هذه القصة

(الموقف المائة السادس والتسعون)

قال الله تعالى، إن الله على كل شيء قدير . شيء بمعنى مشيوء، مراد فعل بمعنى مفعول، فهو تعالى يقدر على كل ما يريد فعله كما قال تعالى، فقال لما يريد وقال إن الله يفعل ما يريد ولا يريد إلا ما يعلم قبوله وانفعاله ويعلم المعلوم على ما هو عليه في حقيقته من القبول وعدمه، والمحال غير قابل للانفعال وعليه فقول القائل هل يقدر الله تعالى على المحال ، سؤال فاسد وان كان ولا بد فليقل هل يريد الحق تعالى فعل المحال أولا ، فينبذ فالعقلاء مجموعون على أن الحق تعالى حكيم وإرادة فعل ما لا يقبل الفعل فلا يفعل عبث تعالى الحق الحكيم عن ذلك فان تعلق القدرة بالمقدور متأخر بالذات عن تعلق الارادة به، كما أن تعلق الارادة بالمراد المشيوء متأخر بالذات عن تعلق العلم به، كما أن تعلق العلم به متأخر بالذات عنه ، إذ العلم تابع للمعلوم فهذه التعلقات مترتبة ترتبا ذاتيا عقليا لا زمانيا، لأن صفات الحق تعالى لا تدخل تحت الزمان فلو أراد فعل ما لا يدخل تحت قدرته كان جاهلا عابثا ظاهر العجز، تعالى العليم الحكيم القادر عن ذلك، ولو فعل ما لا يريد كان مجبورا مقهورا، تعالى الفاعل المختار عن ذلك، لسان آخر ان الله على كل شيء قدير ، الشيء ما يصح أن يعلم

ويخبر عنه فهو أعم العام وأنكر النكرات، كما هو عند أرباب اللسان فلا يستحيل عليه تعالى فعل شيء من المستحيلات العقلية والمادية، قال القطب علي وفا رضي الله عنه. استقرأ أهل الاستقراء الكتابي فلم يجدوا في الكتاب المحمدي أنه قال، لو مقرونة بالارادة أو الاشاعة الربانية أو الالهية أو البرهانية الآ وجوابها واقع لا محالة. كقوله لو أراد الله أن يتخذ ولدا لأصطفى مما يخلق ما يشاء، فهذه ولادة معنوية حكيمية واقعة وكقوله لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا أي على وجه حكيم وهو واقع كالضحك والبشاشة وكقوله، لو شاء الله ما أشركوا وذلك واقع في الحقيقة ولو شاء ربك ما فعلوه، وهو كذلك في الحقيقة وكقوله لو نشاء لجمعنا منكم ملائكة في الأرض وهو واقع لا محالة عند عود الأمر الي بدايته اهـ

(الموقف المائة السابع والتسعون)

قال تعالى، يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون، في الآية إشارة لبيان سلوك طريق المعرفة أمر تعالى المؤمنين بالتقوي، وهو المعبر عنه عند القوم بمقام النبوة الذي هو الأساس لسلوك الطريق والمفتاح للوصول لمقام التحقيق، فمن أعطيه أعطي الوصول، ومن حرمه حرم الوصول، كما قال بعض السادة، ما حرموا الوصول الا بتضييع الأصول، ثم قال، وابتغوا اليه الوسيلة أي بعد أحكام مقام التوبة بشرائعه، اطلبوا الوسيلة، وهو الشيخ الكامل بالنسبة، العارف بالطريق، وبالعمال العائقة، والأمراض المانعة، في الوصول الى العلم بالله تعالى الخاذق الخبير بالمعالجة والأمرجة والأدوية، وما يوافق منها، وقد انعقد اجماع أهل الله تعالى انه لا بد من الوسيلة، وهو الشيخ

في طريق العلم بالله تعالى ، ولا تغنى عنه الكتب ، وذلك عند ورود
الواردات ، وبوارق التجليات والواقعات ، لبيان المرید المقبول من المردود ،
والصحيح من السقيم ، وأما بداية السلوك فيكتفي بالكتب المصنفة في
المعاملة والمجاهدة المطلقة ، وجاهدوا في سبيله ، أمر بالجهاد بعد الظفر
بالشيخ ، وهو جهاد خاص يكون بحسب أمر الشيخ وما يرسمه للريد ،
فإن المجاهدة بنير شيخ لا يعول عليها ، إلا في النادر فليس هو جهادا واحدا
على طريق واحد ، لأن الاستعدادات مختلفة والأمزجة متباينة ، فلربما
يكون الأمر النافع لزيد مضرا بعمره وبالعكس
(الموقف المائة الثامن والتسعون)

ورد في صحيح البخاري وغيره ، من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ
له في أثره أي عمره فليصل رحمه ، ووردت أحاديث كثيرة في الباب كلها ترجع
الى أن فعل البر يزيد في الرزق والعمر ، هذا مع قوله تعالى ، فإذا جاء أجلهم
لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ، ومع قوله صلى الله عليه وسلم كما هو في
الصحيحين في أثناء الحديث الطويل ، ويؤمر الملك بأربع كلمات فيكتب رزقه
وأجله وعمله وشقي أم سعيد ، يعني فلا يزداد ولا ينقص من ذلك ، وقد سألتني
بعض اخواني كشف هذا الأشكال حيث ما أقنعه ما قال شراح الحديث
فتوجهت الى الله تعالى في كشفه ، فغيبني تعالى عن العالم وعن نفسي وألقى
عليّ قوله ، ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين
إلا خسارا ، وألقي عليّ ما نسمع ، فهذا التعارض الباطل المدفوع وارد في القرآن ،
قال تعالى ما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الآية ، وقال فإذا جاء أجلهم
لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ، والقرآن لا اختلاف فيه ولا تعارض

لأنه من عند الله ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا، فمن كان القرآن شفاء له يبين له تعالى الوجه المراد فانعدم الاختلاف عنده، ومن جعل الله له القرآن خسارا، أعمى الله عنه الوجه المراد فزاده القرآن خسارا، في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا، لظن الاختلاف في القرآن وكذلك هذه الأحاديث، فان من الأمور ماله سبب واحد لا يكون غيره، ومنها ماله أسباب كثيرة متعددة، كما قال الفائل، تعددت الأسباب والموت واحد، فمن سبق القضاء الأزلي، ولا يكون القضاء إلا تابعا للمقضى لطلبه ذلك القضاء باستعداده، ونفذ الحكم الإلهي بشفائه من أمراض القلوب ودواء العقول، وهي المذاهب الباطلة والآراء الفاسدة، فلا سبب لشفائه إلا القرآن قل إن الهدى هدى الله، أي لا هداية إلا هداية الله، ولا هداية لغيره إلا بالحجاز، ومن لم يسبق القضاء الأزلي والحكم الإلهي بشفائه زاده القرآن خسارا، وكذا أعمال البر التي ورد في الأحاديث إنها تزيد في العمر والرزق، المراد إذا سبق القضاء والحكم بزيادة عمر إنسان على أعمار أمثاله في الصفات والزمان والمكان، وبزيادة رزقه على أشباهه في التكسب ومعاطاة أسباب الرزق فلا سبب لذلك إلا ما ذكر في الأحاديث، ورجعها كلها إلى معنى واحد، وهو عمل البر، وأما إذا لم يسبق القضاء والحكم الإلهي بزيادة في عمر إنسان ولا في رزقه، فانه وإن فعل أعمال البر التي كانت سببا في زيادة عمر غيره ورزقه فلا تكون سببا له هو في ذلك إذ الشيء قد يكون سببا وقد لا، لأن ذلك راجع للاستعداد، والاستعدادات متباينة متخالفة، فلا استعداد هو السبب الأول، والقضاء مترتب عليه، وهما غيب، والاسباب المشهودة لواحق مترتبة عليه، والأشياء في عالم الغيب الذي هو العلم الذاتي

ليس فيها سبب ومسبب عنه ، ولا تقدم ولا تأخر ، ولا ترتيب ، وذلك
لوسع هذا العلم ، وإنما كانت الأسباب والمسببات ، والتقدم والتأخر ،
والترتيب كتقدم العلة على المعلول ، والشرط على المشروط ، والسبب على
المسبب في هذا العالم لضيقه ، وهو عالم الشهادة المسمى بعالم الحكمة ،
وعالم الأسباب ، فلا يوجد فيه موجود إلا عن سبب غالباً ولا يبقى
ويثبت إلا بسبب ، ولا يزول ويمحى إلا بسبب ، وهذا هو لوح المحو
والاثبات ، كما قال تعالى ، يحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب ، الذي
لا محوفيه ولا إثبات ، فيمحوما يشاء ويرزله بسبب كازالة الأمراض بالأدوية
النافعة ، ويثبت ما يشاء بسبب وهي الأسباب المثبتة للأشياء بعد إيجادها ،
وهي لا تنحصر كثرة ، وأما اللوح المحفوظ من المحو والاثبات الذي هو مظهر
العلم الذاتي ، فهو العلم الغيبي ليس فيه شيء مما ذكر في لوح المحو والاثبات ،
وإنما لم يفصل صلى الله عليه وسلم هذا التفصيل لأن هذا الكلام خرج
منه صلى الله عليه وسلم مخرج الترغيب والتنويه بعمل البر والتعريف بعلو
مكانته ، أي هو بحيث أنه يكون سبباً لزيادة الرزق والأجل ، إذا سبق
القضاء بزيادة ذلك على أمثاله لا مطلقاً ، وإذا لم يسبق القضاء بزيادة في
ذلك ، فلا جرم أن له أجراً جزئياً وثواباً جليلاً ، وعبر عنه صلى الله عليه
وسلم بقوله ، من أحب اعتباراً لما جعله الشارع للإنسان من الكسب
والاختيار ، إذ هو فاعل مختار في ظاهر الأمر وبإدعاء الرأي ، والأمر
فالأمر كما ذكرنا ، وربك العليم الحكيم

(الموقف المائة التاسع والتسعون)

حصل لي أيام التوجه قبض واستبعاد للطريق الجهلي بنفسي واعتقادي

البعد من ربي ففيعني الحق تعالى من نفسي وألقي عليّ قوله، والملائكة يسبحون بحمد ربهم، وقوله، له الأسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والأرض، وقوله، والله الأسماء الحسنى فادعوه بها، وذروا الذين يلحدون في أسمائه، وقوله، هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرًا، أخبرني تعالى في الآيتين الأوليين، إن الملائكة مع كثرتهم التي لا يحصيها إلا خالقهم يسبحونه ويدكرونه، فلا تتوهم أنك تذكره وحدك فتتدلل بعبادتك وذكرك، فتريد أن يفعل بك ما تريد، لا ما يريد، وفي الوقت الذي يريد، لا في الوقت الذي تريد، فأعرف قدرك وتأدّب، فإن العبد يفعل ما يليق بالعبودية، والرب يفعل ما يليق بالربوبية، وأخبرني في الآية الثالثة، إن لله أسماء كثيرة لا يحصيها إلا هو، أسماء تنزيه وتشبيه، وأسماء ذات، وأسماء صفات، وأسماء أفعال، وكلها حسنى فادعوه بها، أي أعرفوه في كل اسم تجلي لكم به، وادعوه لأنه المتجلي بأسمائه، وهي مراتب ظهوراته وتجلياته، ومن جملتها اسمه القابض، فهو تعالى يريد أن يتعرف لعباده في أسمائه فيعرفون، في كل اسم تجلي به على أي عبد شاء من عباده، فمن عرف الحق تعالى في بعض تجلياته في أسمائه دون بعض فما عرفه في مرتبة إطلاقه، وإثما عرفه مقيدًا تعالى عن التقيد، وذروا الذين يلحدون في أسمائه، أتركوا وباعدوا الذين يميلون إلى بعض أسمائه دون بعض كالنزهة، فإن ميلهم إلى التنزيه فقط، وكالمشبهة فإن ميلهم إلى التشبيه فقط، فكل واحد منهما إنما يعرف الحق فيما مال إليه من أسماء تنزيه أو أسماء تشبيه، ويجهله إذا تجلى في غير ما مال إليه وكلاهما جاهل به تعالى، معطّل لغير ما مال إليه من الأسماء وممن خلقنا أمة وهم الرسل عليهم الصلاة والسلام، فكل رسول أمة، لأن حقيقة كل رسول مجموع أمته التابعين

له يهدون بالحق هم وورثتهم ، بمعنى يدعون الناس ويهدونهم الى شهود الحق تعالى في جميع أسمائه ، فانها مظاهر ذاته ، سواء كانت أسماء تنزيه أو أسماء تشبيه ، فلا يجهلونه في شيء من ظهوراته مع اعتقاد ايس كمثله شيء وهو تعالى قد عرفهم أنه الظاهر في كل شيء من الاسماء وآثارها ، فلا يجهلونه في شيء أبدا ، وأخبر تعالى في الآية الرابعة ، أن القبض والبسط بمثابة الليل والنهار ، فالقبض شبيه بالليل لما فيه من الانكماش والالتقباض وسكون النفس بالقهر ، الذي نزل عليها وتحققها بمعجزها عن دفع ما نزل بها فهي لا تفرح ولا تدعى ولا تسترسل في الأماني والطلب ، فلا حظ للنفس في القبض أصلا ، فلهذا كان الانسان وقت القبض أقرب الى السلامة وتوفية الربوبية حقها ، والأدب معها منه في وقت البسط ، وأما البسط فهو شبيه بالنهار لما فيه من نشاط النفس وتسريحها بعدم حصول قاهر لها ، واسترسالها في الأماني والدعوى الباطلة ، ولهذا كان وقت البسط أقرب الى العطب من وقت القبض ، قال بعض السادة ، لا يقوم بحق الأدب في البسط الا القليل

(الموقف المائتان)

روى مسلم في صحيحه وغيره ، إن الحق تعالى يتجلى لأهل المحشر في أدنى صورة من التي رأوه فيها ، فيقول لهم أنا ربكم ، فيقولون نعمو بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فاذا جاء ربنا عرفناه ، ثم يتحول لهم في صورة أدنى من الصورة التي كانوا راؤوه فيها ، فيقول لهم أنا ربكم ، فيقولون نعم أنت ربنا الحديث بطوله ، إعلم أن الناس في تحول الحق تعالى في الصور ثلاث فرق ، فرقة تنكره في الدنيا والآخرة ، وتؤول الأحاديث الواردة في التحول في

الصور الى أمور تليق بمقولهم وهم علماء الظاهر ، وفرقة تنكره في الدنيا وتقره في الآخرة تفويضا على مراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلى ما يليق بجلاله تعالى من غير تأويل وهم عامة السلف الصالح ، وفرقة تقره في الدنيا والآخرة من غير حلول ولا اتحاد ولا امتزاج ، ولا تولد مع اعتقاد ليس كمثله شيء ، وهم العارفون بالله تعالى أهل التجلي والشهود في الدنيا ، فإن كنت سالك طريقهم فأني صورة اشهدك الله تعالى نفسه بها أو عندها أو فيها فهي صورة تحول لك الحق تعالى فيها من غير حلول ولا اتحاد ، رأى صورة لم يشهدك الحق تعالى نفسه بها أو عندها أو فيها فهي صورة احتجب الحق تعالى عنك بها ، ولقد رأيت سائلا في الجامع كلما وقف على انسان يسأله يقول ، لا تقصد إلا الله ، فقلت هذا السائل إما أن يكون من أهل هذا الشأن ، وإما ان يكون الحق تعالى أجرى على لسانه هذه الحكمة العظيمة ، فيلزم السائل سوا سائل الدنيا أو سائل العلم أن لا يسأل إلا الله من كل صورة مسؤولة ، فانه لا يعطي السائل مطلوبه إلا هو تعالى ، فلا يسأل إلا الله تعالى ولا يأخذ إلا منه تعالى ، يروى أن عارفا كان يسأل فأعطاه عارف شيئا وقال خذه لالك ، فقال السائل آخذه لأمتك ، والنحول الوارد في الحديث هو لأهل الحشر الخاص والعام منهم فينكره العوام أولا ، لأن كل واحد منهم ما عرف آلهه إلا مقيدا بالصورة التي اعتقده عليها حسية أو معنوية ، ويعرفه الخواص العارفون به في الدنيا لأنهم عرفوا آلهام مطلقا مجردا عن جميع القيود والحدود ، فلا يحجبونه في شيء من تجلياته عرفهم ذلك ذوقا اختصاصهم به ، فاقتطعهم عن الخلق بسببه

لا يعرف الشوق إلا من يكابده ولا الصبابة إلا من يعانيتها

من ذاق طعم شراب القوم يدريه ومن دراه غدا بالنفس يشريه
والتحول في الصور في الدنيا والآخرة إنما هو في نظر الناظر والآ
جل الحق تعالى أن يتحول أو يتغير أو يتبدل أو تحدث له صفة لم يكن عليها
(الموقف المائتان وواحد)

قال تعالى ، أننكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى ، الآية ، الاستفهام
إنكارى معناه النهي أي لا تشهدوا صورة عبادت أنها عبادت مع الله أي
صورة كانت حسية أو معنوية ، إذ المعية في اللسان المتواضع عليه تقتضى
وجودين ، وليس الوجود إلا واحدا ، وقد قضي أن لا نعبد إلا إياه ، فلا يمكن
أن يعبد معه سواه ولا يلزم من تعدد الصور تعدد الحقيقة ، فإن الحقيقة
الإنسانية واحدة باجماع العقلاء وصورها لا تحصى كثرة ، فإن السم
والبصر والشم واليد والرجل ، كلها صورها ، قل لأشهد ما شهدتوه من
تعدد الآلهة وإنما أشهد آلهما واحدا تعددت مظاهره ، والعين واحدة
كالأسماء المتعددة المسمى الواحد ، فهل ذلك قادح في وحدة المسمى ولهذا
قال إنما هو آله واحد ، أي المعبود في كل صورة هو آله واحد عينا ،
وحقيقة ووجودا ، بليس هنالك آلهة مع الله كما قال تعالى في آية التمل ، إله مع
الله ، أي لا إله مع الله فهو آله واحد تعددت تعيناته ومظاهره ، بل هم
قوم يعدلون عن شهود الوحدة الحقيقية ، إلى الكثرة المجازية الاعتبارية ،
فالعارف يرى جميع الصور المعبودة وغير المعبودة ليس لها وجود مع الله ،
وإنما وجودها هو وجود الله الواحد العين ، والحقيقة والصور ظهوراته
وتعيناته ، والظهور والتعين والتعدد اعتبارات عقلية لا وجودية خارجية ،
ولكن الحجاب صيرها كما يراها المحجوب ، وهذا التوحيد الذى قدمناه

هو الذي أمر الله تعالى به عباده، وجاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام، فانه تعالى أمر بتوحيد حقيقة ألوهيته، فانها واحدة وجد الموحد أو عدم، وما أمر بتوحيد الصورة والتعينات، فانها إعدام اعتبارية، وإنما أمر بشهود وحدته في ألوهته، وسريان هويته في مظاهره المتعددة، وتعيناته المتكثرة، وحينئذ يكون هو الذي وحد نفسه بنفسه، فيصح قوله لا إله إلا الله، بمعنى نفى تعدد الآله في ألوهته، وان تعددت مظاهره ولا وجود إلا وجود الله

(الموقف المائتان واثنين)

قال تعالى في تعدد صفات السيد الكامل صلى الله عليه وسلم، وسراجا منيرا، إعلم أن الانارة لازمة للسراج. وكما يصح أن يكون منيرا صفة كاشفة، يصح أن يكون بمعنى جعل الغير منيرا، فانه ورد متعددا ولازما، فهو صلى الله عليه وسلم السراج المنير لكل سراج، أي يجعله سراجا منيرا، وكما أن السراج المحسوس إذا أخرجت منه، سرج كثيرة فلا شك أن ذلك السراج الواحد كان متضمنا لتلك السرج الكثيرة كلها، فسكانت فيه بالقوة ثم خرجت الى الحس وانفصلت عنه في الوهم، فهي في الحقيقة والعلم، وهي غيره في الوهم والحكم. فكذا الحقيقة الحمدية هي المنيرة لكل سراج منير حسا ومعنى، من نبي وولي، ومملك وشمس، وقر ونجم، فانها المظهر الأول والحقيقة الكلية الجامعة، والسرج المنيرة كلها فيها بالقوة وتظهر بالفعل أنا بعد الآن، أعني تظهر هي متعينة بتعين خاص، متميزة بتميز، فالسرج المنيرة غيرها بحسب التعين والتميز الاعتياديين، وهي عينها بحسب الحقيقة والعين، كالرجل الواحد برز في الملابس المتعددة المختلفة،

فهو هو من حيث الحقيقة في كل لبسة، وهو غيره بحسب اختلاف الملابس
وتعددتها

(الموقف المائتان وثلاثة)

قال تعالى ، الحمد لله رب العالمين ، الخ الفاتحة ، أنظر إلى هذا الجود
العظيم والعناية الكبرى بهذا العبد الكريم على ربه ، فإنه تعالى أولاً أمره
بمحمده وآله كيفية الحمد ، فقال قل الحمد لله رب العالمين ، بالجملة الاسمية
المفيدة الدوام والاستمرار ، وبأل العبدية التي معبودها حمد الحق تعالى
نفسه بنفسه في أزه ، وقال لله باللام المفيدة أن الحمد صادر منه تعالى راجع
إليه ، فهو الحامد وهو المحمود ، وهو معني ماورد في الخبر الصحيح ، وإليه
يرجع عواقب الثناء ، وما قال بالله لأن الباء لا تفيد هذا ، ولهذا قال
بعضهم ، اللاميون أفضل من البائيين ، وبعد ما خلق تعالى هذا القول في
العبد ، قال تعالى ، حمدني عبدي أمر وعلم وخلق ، ونسب ذلك للعبد فهذا
هو الفضل المبين إذا أراد أن يظهر فضله عليك خلق ونسب إليك ، ثم
آله تعالى كيف يشئ عليه ، فقال ، قل الرحمن الرحيم ، وبعد ما خلق ذلك
في العبد قال ، انني على عبدي ، ثم آله كيف يعجده ، فقال ، قل مالك يوم
الدين ، وبعد أن خلق هذا القول في العبد قال تعالى ، مجدني عبدي ، ثم لما
حصل الحمد والثناء والتمجيد من العبد حصل علي كمال الأدب فاطلق تعالى
لسانه بعد بالسؤال والطلب ، فعلمه تعالى كيف يسأل وماذا يسأل ، فقال
له ، قل إياك نعبد ، أي اجعلني لا أعبد ولا أخضع وأتذل إلا لك ، لأن
العبادة لمة الخضوع مطلقاً ، والإنسان ولو ارتفعت منزلته ، وعظمت
مكانته ، فلا بد أن يتذل ويتعبد لبعض المخلوقات التي يراها أعلى منه ،

والتعبد والتذلل لغير الله تعالى شرك ، فأمر الحق تعالى عبده أن يسأله شهوده في كل مظهر ، عبده بمعنى تذلل وخضع له ، فيكون تعبد ح للظاهر تعالى لا للمظهر فيتخلص من الشرك ، بل يحصل على غاية الكمال في الأدب ، فانه أعطى الظاهر تعالى حقه ، والمظهر مستحقه ، وقام بحق الشريعة والحقيقة ووفى المراتب ، أتطلبه ، ثم قل له ، قل وإياك نستعين ، أى اجعاني لأستعين إلا بك ، لأن المخلوق ولو بلغ من الاقتدار والعظمة فلا بد أن يستعين بغيره من انس أو جن أو ملك أو اسم آلهي ، فإذا لم يشهد وجه الحق تعالى فيما استعان به كان مشركا ، فأمر الحق عبده أن يسأله شهوده في كل شيء استعان به حسيا أو معنويا ، وحينئذ يتخلص من الشرك فإذا خلق تعالى هذا القول بالسؤال في العبد ، قال تعالى هذا بيني وبين عبدي ، وعبدي ماسأل ، يعني ما تقدم وما يأتي ثم بعد التفصيل أمره بأجمال السؤال الجامع لأسباب السعادة ، فقال ، قل إهدنا الصراط المستقيم ، صراط الله الرب الموصل إلى رضوانه تعالى ودار سعادته ، ثم زاده بيانا فقال ، صراط الذين أنعمت عليهم ، وهم محمد و اخوانه من المسلمين والنبيين صلوات الله عليه وسلامه وعليهم أجمعين وأتباعهم من الصديقين والشهداء والصالحين ، أترى بعد أن أمره بسؤاله وعلمه كيفية السؤال وأداب المناجاة ووعدده بالجابة سؤاله يرده صفر اليدين ؟ كلا فانه تعالى أكرم من أن يرده خائبا ولو لم يأمره بالسؤال ولا وعده بالاجابة ، كيف وقد أمر وعلم ووعد ، والحمد لله رب العالمين

(الموقف المائتان وأربعة)

قال تعالى ، كتبنا على بنى إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس ، الآية ،

إعلم أن السكل انسان نفسين ، نفس مدبرة ، وهي النفس الروحانية الربانية
العلوية ، ونفس مدبرة اسم مفعول ، وهي النفس الطبيعية العنصرية السفلية
الحيوانية ، وحقيقتها كيفية تعرض بين النفس الروحانية السكلية وبين الجسم
فهي مثالا كالصورة في المرآة عند المقابلة ، بواسطة يصل تدير النفس الروحانية
للجسم ، وباختلاف القوابل التجلي النفس المقبول تعددت النفوس وتميزت
وصحح الاطلاق على المقبول الواحد بالتعدد ، فمن قال زوال الصورة الخاصة
في المرآة مثالا هو الموت ، قال الموت أمر وجودي ، ومن قال عدم التجلي هو
الموت قال الموت أمر عدمي ، أي عدم الحياة فتقابل الموت والحياة إما تقابل
عدم وملكه ، وإما تقابل تضاد عند بعض سادات القوم ولما كانت النفس
واحدة للعالم جميعه ، والقوابل تقبل بحسب استعداداتها من ذلك التجلي كان
من قتل نفسا . أي من كان سببا في ابطال تصرف النفس السكلية في الجسم
بغير نفس أي بغير إذن شرعي وإنما وقع النص على النفس والفساد في الأرض ،
لأنه الغالب فكانما قتل الناس جميعا ، ودخل في الناس جميعا نفس القاتل فكان
قاتل نفسه بمعنى كان عليه وزر من قتل جميع الناس وقتل نفسه ، وذلك
لوحدة النفس السكلية وهذا معنى قوله في سورة البقرة ، وإذا أخذنا ميثاقكم
لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ، إلى أن قال ، نعم أنتم
هؤلاء تقتلون أنفسكم وما قتلوا أنفسهم في الحس ، وإنما قتلوا أعداءهم بالظلم
والحمية الجاهلية ، ولشرف الانسان خصه الحق تعالى بهذا ، والأ فالقياس أن
يكون هذا الحكم عاما في كل من كان سببا في منع تجلي النفس على جسم
من الأجسام بغير إذن شرعي من جماد ونبات وحيوان وانسان ، إذ السكل
منها نفس تليق به تظهر آثار النفس المدبرة فيه بحسب استعداده ، ومن أحيائها

أي كان سببا في إبقاء وصول تجلي النفس على الجسم الانساني بمعنى دفع الهلاك المتوجه على انسان بحيث أنه لولا هو في بادىء الرأي لهلك ذلك الانسان كاطعامه في مسغبة وسقيه عند عدم الماء ، وتخليصه من حيوان مفترس أو دفع ظالم يريد قتله ، فكأنما أحيى الناس جميعا فيكون له أجر من أحيى جميع الناس لما تقدم من وحدة النفس

(الموقف المائتان والخامس)

قال تعالى ، إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما ، هذا الفتح فتح الولاية لا فتح الرسالة ، فإن فتح الرسالة متعلق بالأمور والنواهي الوضعية المتعلقة بمصالح الخلق ، والنظر الى ما ينفعهم في معادهم ومعاشهم بحسب أزمانهم وأحوالهم وارتباط الأسباب بعضها ببعض وترتيب الأشياء على شرائطها فهو خدمة التجلي بضده ومعارضته نقيضه ، والنظر الى الأمر الشرعى دون الإرادى ، وفتح الولاية ليس كذلك فهو فتح مطلق لا تعلق له إلا بحقائق الأشياء ومبادئها ونهاياتها ولا تعلق له فيما بين ذلك ، وليس فيه أسباب ولا شروط موانع ولا أوضاع شرعية ولا حكمية بل هو سكون تحت الأمر الإرادى ومساعدة التجليات الى أن تنقضي دولها لامعارضة ولا منازعة ولا مناقضة وهذا دون النبوة والرسالة والوراثة الكاملة التى هى مقام الدعوة الى الله تعالى ، ليغفر لك ليستر عنك ، ولك ومن أجلك الله ما تقدم قبل هذا الفتح وما تأخر عنه من ذنبك ، أي ذنب أمتك وإنما نسبت ذنوب أمته اليه صلى الله عليه وسلم لأن حقيقة كل رسول هي مجموع حقائق أمته ، فهو الكل وهم أشخاص ذلك الكل ، فكيف به صلى الله عليه وسلم الذي هو كل هذا الكل

وعنصر العناصر ، والجنس الأعلى ، وجوهر الجواهر ، وحقيقة الحقائق ،
وروح العالم كله ومحركه ، وقد ورد إذا دخلت الشوكة في رجل أحدكم أجد الماء ،
ويتم نعمته عليك بهذا الفتح المبين والكشف اليقين فتقر عينك وتطمئن نفسك
إذ كان صلى الله عليه وسلم كثير الاهتمام بأمة الدعوة فضلا عن أمة
الاجابة ، ولذا أشفق تعالى منه وقال له ، اعلمك باخع نفسك إلا يكونوا مؤمنين ،
وقال ، فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ، وهذا في حق أمة الدعوة ، وقال في
حق أمة الاجابة ، عزز عليه ما عنتم حريص عليكم ، فأراحه الله بهذا الفتح
المبين ، واعلم أن مآل من أذنب منهم المغفرة والوصول الى السعادة المطلوبة ،
والغاية المرغوبة ، وإن حصل لبعضهم تخليص وتهذيب ، فهو غير قادح في المغفرة
لهم بالنسبة لما يحصل لغيرهم بتلك المعاضى نفسها ، ويصح أن يكون هذا الفتح
أعم وأوسع بأن يكون المراد إطلاع الحق تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم
والرسل كلهم نوابه وخلفاؤه من أول رسول الى آخر رسول ، ولهذا قال
صلى الله عليه وسلم فيم خرجته الحاكم واليهيق ، إنما بعثت لأتمم مكارم
الاخلاق ، يعني الشرائع ، فهو الآتى بها أولا بمظاهر روحانية ، وهم الرسل وهو
المتتم لها آخرا بظهوره بصورته العنصرية صلى الله عليه وسلم ، فانه كما روى
أبو نعيم في الحلية ، كان نبيا وآدم بين الماء والطين ، ومن هذا الفتح المبين
الذى امتن الحق تعالى به على رسوله صلى الله عليه وسلم حصل لورثته الكمال
نصيب ، فتكلموا بشمول الرحمة وعموم السعادة لكل من دخل النار كظاهر
الصفة العلمية محي الدين الحاتمي ، وعبد الكريم الجيلي ، والقطب على وفا ،
وأضرابهم ، رضي الله عنهم ، ولا يظن أن القول بعموم الرحمة يختص به أهل
الكشف فيكون قولهم خرقا للاجماع بل لا إجماع في هذه المسئلة كما ستراه ،

قال شرف الدين المناوي ، قال الحافظ شيخ الاسلام ابن تيمية إنه قد جاء في بعض الآثار ما يدل على خلاص السلك آخره وإن النار تفتى ويزول عذابها ، نقل ذلك عن ابن عمر ، وابن مسعود ، وأبي هريرة ، وأبي سعيد وغيرهم ، وأخرج عبد بن حميد بإسنادين رجالهما ثقة نوابث أهل النار في النار كعدد رمل عالج لكان لهم علي ذلك يوم يخرجون فيه ، وتداوله أئمة غير مقابلين له بالانكار ، قال أعني ابن تيمية ، وإنما أرادوا جنس أهل النار الذين هم أهلها ، أما قوم أصيبوا بذنوبهم فقد علموهم أنهم لا يلبثون قسدر رمل عالج ولا قريبا منه ، ولفظ أهل يختص بمن عدا المؤمنين كما يشير إليه عدة أحاديث ولا يناقضه ، خالدين فيها وما هم منها بمخرجين ، بل ما أخبر به الحق هو الحق الذي لا يقع خلافه ، ولكن إذا انقضى أجلها وفنيت كما تفتي الدنيا لم تبق نار فلم يبق عذاب ، وورد في عدة طرق عن ابن عمر رضي الله عنهما ، ليأتين على جرم يوم تصفق فيه أبوابها ليس فيها أحد وذلك بعد ما يلبثون فيها أحقابا ، وجاء نحوه عن ابن مسعود رضي الله عنه ، وأخرج عبد بن حميد عن الثقة ، جهنم أسرع الدار بن عمرانا وأسرعهما خرابا ، وأخرج ابن مردويه عن جابر رفعه في قوله تعالى ، فأما الذين شقوا ففتى النار ، الآية ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إن شاء الله أن يخرج إناسا من الذين شقوا من النار فيدخلهم الجنة . فعل أه ، فأين الاجماع فما ظن الاجماع ، الأمن جهل الخلاف والنزاع ، وقد ذكر ابن القيم هذه الأحاديث ، وصحح طرقها ، ورد طعن الطاعن فيها وهو من أئمة الحنابلة مشهور بالعلم والدين ويهديك صراطا مستقيما ، يوصلك ، فهي هداية توصيل وكشف وفتح مبين ، حتى تعلم نهاية أمتك ، وتشاهد ما لهم فتجده صراطا مستقيما ، واستقامة هذا الصراط هو

كونه ترجع نهايته إلى بدايته ، فإن استقامة كل شيء بحسب المقصود المراد منه ، فاستقامة الدائرة المرادة هي كونها يتصل آخرها بأولها على أول نقطة ، فلو مشت خطا من غير استدارة ما كانت مستقيمة ، فلو كان هذا الصراط خطأ لوصل إلى العدم ، لأنه خرج من الوجود ، فاستقامته عوده إلى ما منه ابتداء عود آخر الدائرة إلى بدايتها وبذلك استقامتها

(الموقف المائتان والستة)

قال الله تعالى ، وما الله يريد ظلما للعباد ، وقال وما ربك بظلام للعبيد ، وقال ، ولا يظلم ربك أحدا ، وقال ، وما ظلمناهم ولكن ظلّموا أنفسهم ، وقال ، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ، ونحو هذا ، إعلم أن الظلم ورد بمعنى النقص ، يقال ظلمت التمرة إذا نقصت ، ومنه قوله تعالى ، كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئا ، وورد بمعنى وضع الأشياء غير مواضعها التي تستحقها بالحكمة والعلم ومجاوزة الحد ، وكلا المعنيين منفي عنه تعالى ، مستحيل عليه فإنه إنما يتصرف عطاء ومنعا ، ضرا ونقما ، بالعلم والحكمة والعدل ، لأنه العليم الحكيم المقسط بيده الميزان يخفض ويرفع ، فلا يمنع من يستحق ، الكل بعض ما يستحق ، ولا يعطي من يستحق البعض أكثر مما يستحق ، دنيا وأخرى حسا ومعنا ، تعالى عن ذلك فمعطاؤه ومنعه ، وضره ونقمه ، تبع الاستحقاق والاستعداد ، والاستعدادات السكائية ، هي حقائق الأشياء ، فلو ظلم أحدا ونقصه مما يستحقه باستعداداته لكان نقصه من حقيقته التي هو بها هو ، وذلك محال غير معقول . ولو زاد أحدا فوق ما يستحقه باستعداداته لكان زاد له على حقيقته التي بها هو هو ، وهو محال أيضا ، هذا حكم الاستعداد السكلي ، وأما الاستعداد الجزئي فليس له هذا ،

ولأهو موجب لحصول ما يطلب ، مثلاً ترى في خدمة الملك رجلاً عاقلاً عالماً سائساً مستجماً للكلمات عندك . ويكون عند الملك في مرتبة ترى أنت أنه مستعد لأعلى منها ، ومستحق لأكبر منها وتقول أن الملك قصر به عن استعداده واستحقاقه ، وليس الأمر كما ظننت فإن هذا الاستعداد جزئي لا أثر له فالاستعداد الكلي غير معلول ولا مجعول ، بخلاف الاستعداد الجزئي فإنه معلول مجعول ، فلا تظن أن الحق تعالى العالم الحكيم يمنع أحداً مما يطلبه باستعداده الكلي لذاتي ، وليس هذا إلا من اقتضاء الأسماء الإلهية التي هذه الأعيان الثابتة صور لها ، فما يقتضيه الاسم الذي هو حقيقة هذا المخلوق هو استعداد ، وكيف يتوهم متوهم أنه تعالى ينقص أحداً من استحقاق استعداده ، أو يزيد فوق استحقاق استعداده ، وهو تعالى له ثلاث نسخ غيبية والرابعة شهادته ، النسخة الأولى هي موطن كون العالم شؤوناً ذاتية له تعالى وهو التعيين الأول ، والنسخة الثانية هي موطن كون العالم أعياناً ثابتة وهو التعيين الثاني ، والنسخة الثالثة موطن كون العالم مكتوباً مسطوراً في اللوح المحفوظ ، والنسخة الرابعة موطن كون العالم أعياناً خارجية شهادية فما كان في النسخة الأولى وهو العلم الذاتي المحيط المتعلق بما لا يتناهى فلا يصل إليه علم أحد إلا أن يكون محمداً صلى الله عليه وسلم وعلى آله فإنه صاحب أو أدنى ، أعني باطن الوجود والعلم ، وأما ما كان في النسخة الثانية فإنه يصل إليه الرسل عليهم الصلاة والسلام وبعض الكمال من الورثة المحمديين كالأقطاب والأفراد ، فإن التعيين الثاني الذي هو قاب قوسين منتهى عروجهم ومسراهم ، وأما ما كان في النسخة الثالثة وهي اللوح المحفوظ فيصل الله كثيراً من الأولياء . وهو مقصور على ما قيل يوم القيامة وبعد يوم القيامة ليس فيه علم ذلك ،

ومع كون علوم اللوح محصورة فقد قال مظهر الصفه العامية الآلهية محي الدين الحاتمي رضى الله عنه ، لم يحط أحد من الأُولياء بعلوم اللوح المحفوظ ، وأما النسخة الرابعة فهي هذه المشهودة المحسوسة فمحال أن يكون شيء في النسخ الثلاث النغيبية ولا يظهر في النسخة الرابعة ، ومحال أن لا يكون هناك شيء في النسخ الثلاث ويكون ويظهر هنا في النسخة الرابعة ، قال بعض الأَكابر : خوف العامة من سوء الخاتمة ، وخوف الخاصة من سوء السابقة ، ونظر العارفين الى السابقة مختلف ، فمنهم من نظره الى ما خطه القلم في اللوح المحفوظ ، ومنهم من نظره الى عينه الثابتة ، ومنهم من نظره الى مقتضى استعدادده ، وهو إعلالهم ، فاحفظ هذا الموقف فانه يريحك من أتعاب كثيرة تفضى بك الى الجهل وسوء الأدب ، وتهية الحق تعالى ، ويحط عنك أثقالا عظيمة ، يحكى عن الامام ابن الحسن الشاذلى رضى الله عنه أنه قال ، صحبتى إنسان وكان كلاًّ دليّ فبأسطته يوماً فانبسط ، فقلت له ما تريد مني ؟ وما حاجتك عندي ؟ فقال لى ياسيدى سمعت أنك تعلم علم الكيمياء فجئتك لتعلمنى ، فقلت له صدقت وصدق من أخبرك ، ولكن أرى ذاتك لا تحتمل هذا العلم ، فقال بلى أحتمله ، فقلت له ، إني نظرت الى الخلق فوجدتهم قسمين ، أعداء وأصدقاء ، فتعلقت بأصدقائي لينفعوني فوجدتهم لا يقدرّون أن ينفعوني بشيء لم يقدره الله لى ، فصرفت نظري عنهم ، ثم تعلقت بأعدائي حذرا من شرهم فوجدتهم لا يقدرّون على ضرى بشيء لم يقدره الله تعالى ، فصرفت نظري عنهم وتعلقت بالله تعالى ، فقال لى ، إنك لا تصل الى حقيقة هذا الأمر حتى تياس منا ، إنا لا نعطيك إلا ما قدرناه لك فى الازل كما يؤت من أصدقائك وأعدائك فهذه هي

الكيميا التي أدر فيها ، خذها أودعها

(الموقف المائتان والسابع)

قال تعالى ، يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله والا لله هو الغني الحميد ،
خاطب تعالى الناس ويدخل معهم سائر العالم بالأحرى أخبرهم تعالى أنهم
الفقراء الى الله أي الطالبون منه ما أنتم محتاجون اليه ، راغبون فيه ، في كل
نفس وحال ، حال إمكانكم وعدمكم ، وفي حل اتصافكم بالوجود فتطلبون منه
حالة الامكان والعدم اعطاء الوجود لكم ويعاد طلبكم استمرار الوجود
وما به بقاء لوجود عليكم فلا سم الله في صدر الآية إسم مرتبة التي له تعالى
كمرتبة الخلافة للخليفة والقضاء للقاضي ، فهو صفة مشتق لا إسم الذات لأن
الذي تفتقر اليه الممكنات وتطالب حوائجها منه ، إنما هو المرتبة المسماة
بالألوهية مرتبة الصفات والأسماء التي تنسب وتسند اليها جميع الآثار ، فهي
مرتبة بالممكنات ، والممكنات مرتبطة بها ارتباط فاعل يقابل ومؤثر فالطالب
من الجهتين والارتباط في الحيتين ، ففي الآية حذف الواو مع معطوفها للعلم
با عند العلماء بالله تعالى ، والنكتة في هذا الحذف أنه تعالى عبر بالفقر في حق
الناس فعلمنا الأدب القولي كما هو واقع في آيات كثيرة ، ولذلك فسرنا نحن
الفقر بالطلب حتى لا ينفر السامع لذلك في حقه تعالى ، وإن كان من هو أعلم
وأفضل ، أكثر أدبا عبر بالافتقار في الجهتين حيث يقول في القصص ، فالكل
مفتقره الكل مستغن ، هذا هو الحق قد قلناه فلا تكني ، فالكل بالكل مربوط
وليس له عنه انفصال ، خذوا ما قلته عني ، غير أن بين الطالبين والافتقارين
بونا بعيدا ، فلذا أوردت الآية بصيغة الحصر أي أنتم الفقراء المنقر الحقيقي
لا الأسماء التي تطلبكم لتفعل وتؤثر فيكم ، لأن معنى الطلب مرتبة الألوهية

للناس وغيرهم إنما هو لتظهر آثار الأسماء بظهور مؤثراتها، فإن ظهور الأثر مستلزم ظهور المؤثر ضرورة، وإنما كانت المرتبة طالبة للعالم، لأن للحق تعالى كمالين، كمال ذاتي وكمال أسمائي، فالكمال الأسمائي موقوف ظهوره على ظهور الأسماء بظهور آثارها، فإن محي ومميت، وقادر ومميلي، وخالق ومصور، من غير ظهور آثارها قوة وصلاحية لأفعلا، فهي تطلب الخروج من القوة والصلاحية إلى الفعل، وليس الارتباط بين الأسماء والعالم والطلب المذكور موقوفاً على وجود العالم، كما قد يتوهم بل الناس والعالم جميعه مفقور إلى الله، أعني مرتبة أسماء الألوهية وجوداً وتقديراً، حال العدم وبعده أزلاً وأبداً، ولهذا كانت أسماؤه تعالى قديمة أزلية، والله هو الغني الحميد، لفظة هو تأكيد، لأن الله هنا إسم الذات لا باعتبار مرتبة، فهو إسم جامد غير مشتق، أي الذات الذي هو الغيب المطلق، غني عن الناس وعن جميع العوالم، وعن الأسماء وعن الوصف، بالغنى والحمد، ولكن ضرورة التفهيم وصف لا بالأصالة وهذا هو الكمال الذاتي والغنى المطلق، وهو تعالى في هذا الكمال الذاتي بشاهد جميع كمالاته الأسمائية شهوداً علمياً غيبياً جمعياً، فهي كمالات مستهلكة في الذات غير متميزة عنها، يشهد بها شهود مفصل في مجمل، كشهود النخيل الكثير والتمار والأغصان في النواة الواحدة، والله المثل الأعلى، فلفظة الله في صدر الآية مثل لفظة الآله في الكلمة المشرفة، كلمة الشهادة، ولفظة الله في عجز الآية مثل لفظة الله الواقعة بعد أداة الاستثناء، فأين ما ذكرناه من التباين بين لفظي الله في الآية، فما ذكره المتكلمون في كلمة الشهادة في السكينة والجزئية وغير ذلك، فما أبرد الحقائق على أكباد القلوب المنورة وما أذلها

(الموقف المائتان والثمانية)

قال تعالى ، وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم ، كل من حمل أمرا ليوصله الي غيره فهو رسول لغة ، فالرسول في الآية من باب الاشارة أم من الرسول الذي يوحى اليه بشرع مستقل وأحكام جديدة ، كنوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام ، ومن الرسول الذي يوحى اليه باتباع شريعة من قبله ويبين له بالوحي ما هو من تلك الشريعة وخاتمه الناس وتركوه وما ليس منها وأدخله الناس فيها ويؤمر بدعاء الناس الى تلك الشريعة والعمل بها ، وإن كان يوحى اليه بامور تخصه في نفسه لا يؤمر بالدعاء اليها ، وهو في العرف النبي كجميع أنبياء بني إسرائيل الذين بين موسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام ، فأنهم كلهم متعبدون بأحكام التوراة وأمورون باتباعها والعمل بها والدعاء اليها ، وليس واحد منهم بمستقل ، ومن ادعى أن واحدا منهم بدّل شيئا من أحكام التوراة إلي عيسى عليه السلام فعليه البينة ، ويسمون رسلا لغة ، كما قال تعالى ، واضرب لهم مثلا أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون ، أجمع المفسرون على أنهم رسل عيسى عليه السلام ، وقال ، وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم ، ونوح عليه الصلاة والسلام هو أول الرسل إلى أهل الأرض ، كما في صحيح البخاري في حديث الشفاعة ، فالمكذّبون رسل نوح ، ومن الرسول الذي يلهم وسميناه إلهاما تأدبا مع مقام النبوة ، وإلا فما يحصل للأولياء كذلك هو وحي ، لكن من غير واسطة ملك مشهود ، وبواسطة ملك غير مشهود ، وهو الوارث الحمدي الذي يؤمر بدعوة الناس الى معرفة الله تعالى وتوحيده التوحيد الذي جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام لا التوحيد العقلي ، وإلى اتباع محمد صلى الله

عليه وسلم في أقواله وأفعاله وأحواله ، وهو المعنى بقوله ، هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني ، أي التابع لي على طريق مخصوص يدعو إلى الله على بصيرة كدعائه صلى الله عليه وسلم ، لا يدعو الناس على عمياء وجهل ، فما أرسل الله تعالى رسولا مستقلا أو نبيا أو وليا إلا بلسان قومه ، ولسان قومه هو استعدادهم الذي يفهمون عنه ما يكلمهم به ، إذ المقصود من الكلام والخطاب إفهام المخاطب ، ولا يكون الفهم إلا بالاستعداد ، ولو خاطب أحدا منهم بغير لسانه الذي هو استعداده ما فهم عنه ما يقول ، وبطلت فائدة الخطاب ، وأما اللسان الذي يكون سماعه بالأذن فقط فغير كاف في المقصود من الخطاب وهو الفهم ، وإذا قال تعالى ، أن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ، وقال تعالى ، وتعيها أذن واعية ، وقال تعالى ، إنما يستجيب الذين يسمعون ، وقال تعالى ، لهم أذن لا يسمعون بها ، وقال ، إنك لا تسمع الصم الدعاء ، وما كان صممهم من جهة آذانهم وإنما كان صممهم من جهة استعدادهم وعدم قبولهم وفهمهم لما يدعوههم إليه ، وقوم كل رسول أنواع ثلاثة ، عامة وخاصة ، وخاصة الخاصة ، فلو خاطب الرسول العامة بلسان الخاصة الذي هو غير لسانهم لأفسدهم ونفّرهم ، ولو خاطب الخاصة بلسان خاصة الخاصة الذي هو غير لسانهم لأفسدهم وأدخل عليهم ضررا عظيما وشرا كثيرا ، إذ كل نوع لا يفهم إلا الخطاب الذي يكون بلسانه ، وهو استعدادهم ، ولا يفهم إلا منه الفهم المقصود من الخطاب ، وهذا على سبيل القرض ، وإلا فلا يكلم رسول أي رسول أحدا من قومه بغير لسانه أبدا ، وإنما يكلم كل واحد بلسانه الذي هو مستعد لفهمه وقبوله ، إذ لا يرسل الله تعالى رسولا إلا بالعلم والحكمة فاذا رأيت من يدعي الأمر الآلهي بدعوة الناس إلى الله

وهو على غير ما ذكرناه ، فاعلم أنه كاذب أو ملبس عليه ، فإن الحكيم العليم
يزرع كل بذر في الأرض القابلة لانياته فما كل أرض تقبل كل بذر
وهل ينبت الخطل إلا وشيجه وتغرس إلا في منابتها النخل
ولذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إنا معشر الأنبياء أمرنا أن
نكلم الناس على قدر عقولهم ، أي استعدادهم ، وفي حديث آخر ، ما كلم أحد
قوماً بحديث لم تبلغه عقولهم إلا كان فتنة عليهم ، وفي صحيح البخاري عن
علي عليه السلام ، حدثوا الناس بما يفهمون أتحبون أن يكذب الله ورسوله ،
فلسان العامة الذي يرسل به الرسول إليهم فيكلمهم به فيفهمون عنه هو الأمر
بالواجبات والنهي عن المحرمات ، وما هو من هذا القبيل مما يظهر الحكمة
فيه لا كقول العامية ، ولسان الخاصة الذي يرسل به الرسول إليهم فيكلمهم
به فيفهمون عنه ، هو ما تقدم مع الأمر بتصفية الأعمال من الشوائب كالعجب
والرياء والسمعة ، واجتناب المهلكات كالحد والبخل والجبن ، وطول الأمل
وحب الدنيا ، وتحمية القلب بالمنهيات كالصبر والرضى ، وتقصير الأمل والسخاء
ونحو ذلك ، ولسان خاصة الخاصة الذي يرسل به الرسول إليهم فيكلمهم به ، هو
ما تقدم مع كشف الحقائق الوجدانية لهم على حسب مراتبهم في الاستعداد ، فيبدي
لهم من العلوم التي يجدها أهل الله تعالى بالوحي الإلهامي من فوق طور العقل ،
أعني أنه لا يصل إليها العقل بفطرته وآلاته التي من عادته اقتناص العلوم بها ،
وإنما يدركها بالوهب المجرد عن الآلات ، لأنه لا يدركها بوجه ولا حال ، فإن
المدرك لكل ما يطبقه القوة البشرية هو العقل ، يمكن أما بالآلات في مرتبة ،
وذلك للعقلاء حكماء ومتكلمون وفقهاء ، وأما بالفيض والوهب في مرتبة وذلك
لرسل والأنبياء والأولياء ، فإنهم لا يأخذون علومهم من المحسوسات ولا من

الظن والقياسات ، وإنما هو منزل روحاني على قلب كياني ، ليبين لهم ، أي ليظهر لهم ما هو مستجن في صورهم وكامن فيهم من الاستعداد ، وانه لا يرقى أحد فوق استعداده ، فمن كان استعداده في مرتبة العامة فقط ، فلا يمكن أن يرقى الي مرتبة الخاصة ، ومن كان استعداده في مرتبة الخاصة فقط ، فلا يمكن أن يرقى الي مرتبة خاصة الخاصة ، ولو استعان بأهل السموات والأرضين ، وإن كان الانسان يظن أنه مستعد لكل مرتبة من مراتب الكمال ، فاذا جاءهم الرسول تبينت لهم مراتبهم ، وإن كان كل رسول يعلم مراتب الناس في الاستعداد كشفاً أو فراسة أو بما شاء الله ، فيجب عليه مع هذا أن لا يكافح الناس بذلك صراحة ، ولكن إن كان فبالإشارة واسان الحال ، ومن الورثة المحمدين المتحققين بوراثة قوله صلى الله عليه وسلم أعطيت جوامع الكلم ، من يكلم الانواع الثلاثة من قومه بالكلمة الواحدة في المجلس الواحد ، فيأخذ كل نوع استعداد من تلك الكلمة الواحدة فيفضل الله من يشاء ، أي بعد إرسال الرسول بلسان قومه وتبينه لهم اختلافهم في الاستعداد يفضل الله من يشاء ، أي يحير من يشاء وليست الخيرة هنا بهذا المعنى إلا للنوعين الأولين فلم لا يهتدون ولا يعرفون ما أقدمهم عن مراتب الكمال ، وما سبب نقصهم ويهدى من يشاء لذلك ولا يشاء إلا ما علم ، وما علم إلا ما هو المعلوم عليه في مرتبة استعدادهم ومقتضي حقيقته وهو العزيز المنيع أن تدرك وجوهه الخاصة في مخلوقاته التي هي منذاً التفاوت والاختلاف في الاستعداد ، الحكيم فيما يعطي ويمنع ، فانه يضع كل شيء موضعه الذي يستحقه باستعداد

(الموقف المائتان والتاسع)

قال تعالى ، وكلم الله موسى تكليماً ، وقال ، تلك الرسل فضلنا بعضهم على

بعض منهم من كلام الله ، وقال ، وناديناه ان يا ابراهيم ، وإذ قلنا للملائكة
ونحو ذلك مما يثبت الكلام له تعالى ، فاعلم أنه مضي عصر الصحابة والتابعين
رضوان الله عليهم وهم مجمعون على أنه تعالى متكلم وأن القرآن وهو ما بين
دفتي المصحف كلام الله تعالى كسائر الكتب المنزلة من غير خوض في شيء
وراء ذلك ، فما قالوا متكلم بذاته ولا بصفة وجودية زائدة على ذاته ، ولا ان معنى
متكلم خالق الكلام فيمن يتكلم من المخلوقات ولا أن كلامه نسبة من النسب
ولا فرقوا بين التلاوة والتملؤ ، والقراءة والمقروء ، والكتابة والمكتوب ،
ثم لما كان أوائل القرن الثالث نبغت المعتزلة فقالت ، هو تعالى متكلم بمعنى خالق
الكلام فيمن يريد به التكلم بما يريد من الكلام ، فموسى عندهم سمع كلام الشجرة
بما خلقه الله فيها من الكلام ولم يسمع كلام الله تعالى ولم يشبوا الله تعالى كلاما ،
ولا غيره مما أثبتته الصفاتيون من الأشارة وغيرهم إلا أبا هاشم ، فإنه أثبت
لله تعالى أحوالا خمسة ، وقالوا ما ينشأ عن الصفات من الآثار عندهم هو
للذات من غير زائد عليها ، وقالوا القرآن وهو ما بين دفتي المصحف الذي
نتلوه بالسنتنا ، ونحفظه في صدورنا ، مخلوق حادث كسائر المحدثات ، ثم جاء
الأشعري إمام السنة والجماعة فقال ، كلامه تعالى هو المعنى النفسي القائم بذاته
تعالى ، والقرآن وهو ما بين دفتي المصحف كلام الله غير مخلوق ، فابدى قولا
ثالثا فإن السلف الصالح كانوا على إثبات القدم والأزلية لما بين دفتي
المصحف من القرآن دون التعرض لصفة أخرى وراء ذلك مع عدم التعرض
لكنه ذلك ، وكانت المعتزلة على إثبات الخلقية للقرآن ، وهو ما بين دفتي
المصحف دون التعرض لأمر آخر ، ثم كثرت اللفظ وارتفعت الأصوات
بالخلاف بين فرق الأمة الحمديدية ، إلى أن فسق بعضها بعضا ، ولعن بعضها

بعضاً ، الى هلم جرا ، فاذا سمعت هذا فأقول غير مقلد ولا متقيّد وإنما أقول ما فهمني الله تعالى في كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم بالفهم الرباني

خذ ما تراه ودع شيئاً سمعت به في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل
إن سلفنا الصالح رضوان الله تعالى عليهم ، كالامام أحمد وأمثاله ما تحملوا
أنواع الأذى وضروب المحن ، وصبروا على السجن والتغريب والهوان ، ولم
يتفوهوا بالقول بخلق القرآن إلا لما ثبت عندهم من نصوص الكتاب والسنة
 وإجماع الصحابة والتابعين ان القرآن وهو ما بين دفتي المصحف محكوم له
بجميع أحكام من أضيف ونسب اليه وهو الله تعالى من القدم والأزلية ،
والتقديس والتنزيه عن أوصاف المحدثات ، كما هو ذلك المعنى النفسي القائم
بالذات العلية حكماً آلهياً شرعياً لا لمناسبة بين المعنى النفسي القائم بالذات وبين
ما نقرؤه ونحفظه ونكتبه ، ولا مشابهة بينهما ولا مماثلة ، ولا لحول ولا لدلالة
من الدلالات ، كما قيل ، فكما أنه تعالى لا يسأل عما يفعل لا يسأل عما يحكم ، إن
الحكم إلا لله لا معقب لحكمه ، وسلفنا الصالح رضوان الله عليهم ، هم أهل الآراء
الصائبة والعقول المنورة بالطاعات واجتناب المنهيات ، وبالزهد في الدنيا ،
لا يمكن أن يخفى عنهم ما ورد في حق القرآن وهو ما بين دفتي المصحف من
الأنزال والتنزيل والايلاء ونحو ذلك ، وأنه أنزال مخلوق إلى مخلوق ، وإيلاء
محدث الى محدث ، ولكن الحكم الشرعي والأمر الإلهي شرك بين ما بين
دفتي المصحف وبين المعنى النفسي في الحكم بالتنزيه والتقديس ألا ترى الاحاديث
القدسية الربانية فانها كلام الله تعالى بلا ريب ، إذ هي رواية رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن ربه ، بلا واسطة ملك بل من الوجه الخاص ، وحيث لم

يحكم لها الشارع بحكم الكلام النفسي لم يكن لها هذا الحكم ، كيف وهو تعالى يقول ، ما يأتيتهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون ، وقال ، ما يأتيتهم من ذكر من الرحمن محدث إلا كانوا عنه معرضين ، كما أنه لا يعزب عن قلوبهم المنورة رضوان الله عليهم ، إذ الكلام المنسوب إليه تعالى معنى من المعاني كالعلم ونحوه ، وانتقال المعاني عن محالها محال في الحادث ، فكيف بالقديم تعالى ، فلا ينتقل كلام أحد إلى أحد ، ولا علم أحد إلى أحد ، بعينه وذاته وإنما يخلق الله تعالى عند السامع والمتعلم معنى آخر يكون مثلاً كالظل لما عند المتكلم والعالم ، فهذه الظلال التي الكلام القديم هي مدلولاته وكما أن المعلم صفة العالم والصفة لا تفارق موصوفها ، كذلك الكلام صفة المتكلم لا يفارقه ، وكما أن الخارج إلى العقل والخيال والحس هي ظلال المعلومات ، كذلك الخارج هي مدلولات الكلام لا عينه ، فلا قديم إلا الكلام النفسي وما حكم الشارع بقدمه كالقرآن الكريم وسائر الكتب المنزلة ، فلا أثر استأثر به الشارع ، وكما أن حقائق المعلومات في العلم ، أزلا وأبداً ، كذلك حقائق الكلمات المدلولات في الكلام أزلا وأبداً فإذا أراد تعالى إظهار معلوم أظهره بالكلام القديم ، فالعلم قديم ، والمعلومات منها قديم وحادث . والكلام قديم ، والمدلولات منها قديم وحادث ، وكما أن المعلومات في العلم ليس لها تقديم ولا تأخير ولا ترتيب ، فإذا ظهرت إلى الوجود العيني أو العقلي أو اللفظي أو الرسمي ، حصل فيها تقديم وتأخير وترتيب ، فكذلك مدلولات الكلام القديم ليس لها في الكلام النفسي تقديم ولا تأخير ولا ترتيب ، كلامه النفسي يدل على مدلولاته التي لانهاية لها في آن واحد ، فإذا ظهرت بالكلام القديم إلى الوجود حصل لها ذلك ، فالكلام القديم تخصيص مراد بمراد تخصيصاً بيانياً كشفياً ، كما أن الإرادة تخصيص معلوم

بمعلوم تخصيصاً تمييزياً ، فليس الكلام إلا ترجمة عن الإرادة والعلم ، أعني عند إظهار المعلوم المراد ، وإلا فالكلام حقيقة قديمة كسائر الحقائق الإلهية ، فليس كلامه عن سكوت بل لم يزل متكلماً ولا يزال فلا يشغله شيء عن شيء فكما أن علمه تعالى يتعلق بمعلوماته في الآن الواحد كذلك كلامه يدل على مدلولاته التي هي معلوماته في الآن الواحد وما ورد من كون بعض الأمور الحادثة سبباً في كلامه كقوله ، أذكروني أذكركم ، وقوله ، من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير من ملأه ، وقوله ، إذا قال العبد الحمد لله رب العالمين يقول الله حمدي عبدي ، الحديث ، فإنما هذا إخبار بأنه يظهر ذكره لعبده عند ذكر العبد إظهار إيجاد فإن إيجاد كل شيء من أعيان ومعان إنما هو بالكلام كما قال إنما قولنا لشيء إذا أردناه الآية ، وإلا فالكلام النفسي كما قدمنا ليس فيه ترتيب وتقديم وتأخير وسبب وشرط ، وإنما جاء الشرط والمشروط والسبب والمسبب في الإيجاد العيني الخارجي ، وصل ، زعمت الأشاعرة أن موسى عليه الصلاة والسلام سمع الكلام النفسي القائم بالذات العلية فما أدري كيف تصوروا هذا والكلام النفسي عندهم حقيقة واحدة لا تعدد ولا تتجزأ فلو سمع موسى المعنى النفسي للزم أنه سمع ما لا بداية له ولا نهاية وقد روى النسائي في سننه أنه تعالى قال لموسى إنما كلمتك بقوة عشرة آلاف لسان كما زعمت أن الكلام النفسي يتنوع إلى أمر ونهي ، ووعد ووعيد ، وخبر واستخبار ، إلى غير ذلك من أنواع الكلام الحادث وما تفتنت أن التنوع إنما هو للكلمة الصادرة عن المصدر الواحد ، وهو الكلام الأزلي الأبدي ، فانه واحد مطلق قديم ، والكلمات مقيدة بالزمان والمكان متعددة متكررة متنوعة إلى معان من

أمر ونهي ونحو ذلك ، وإلى أعيان وأعراض ونحو ذلك ، ولا يقدح تعدد هذه الأنواع وحدوثها في وحدة المبدأ والمصدر لها وقدمه الذي هو الكلام النفسي كما لا يقدح تعدد متعلقات الصفات كلها وحدوثها في وحدة الصفات وقدمها فكلامه تعالى واحد و كلماته كثيرة كما قال ، قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر الآية ، و كلماته منها التامة والناقصة بالنسبة اليها ، وكلامه تعالى لا ينقص فيه كسائر ما ينسب اليه تعالى ، فليس الكلام النفسي إلا مبدء الايصال مراد المتكلم الى المخاطب فكيفما وصل سمي كلاما كما هو لغة ، ولهذا كان من ضروب الوحي أن يخلق الله تعالى في قلب الموحى اليه علما ضروريا بادرآك ما شاء الله تعالى ادراكه في الكلام النفسي من غير اختصاص بجهة ولا إذن وهذه الحالة هي حالة الوحي بغير واسطة الملك ، وهي التي أشار اليها صلى الله عليه وسلم بقوله ، لما سئل كيف يأتيك الوحي ، كما في صحيح البخاري ، فقال ، أحيانا يأتيني ، مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي فيفصم عني وقد وعيت ما قال ، والمراد من صلصلة الجرس الأزمة وهو الشدة والدهش والهول والصعق والغيبة عن كل شيء حتى عن نفسه ، وهذا الضرب هو المشار اليه أيضا بقوله ، وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا ، ومن أولياء الامة الحمديه من يذوق تنزيل القرآن العظيم الى اليوم فاذا أراء الله تعالى انزال شيء من القرآن علي الولي يمجده ما أنزل عليه عنده منظوما ، كما هو من غير أن يسمع صوتا أو يرى واسطة ولا شيئا من الكيفيات ، ولا يكون لهم هذا الا حال صمقهم وغيبتهم عن العالم وعن أنفسهم ، وقد رأينا من أصحاب هذا الحال والحمد لله ويتكرر عليهم إنزال الآيه بحسب ما يريد الله منهم ، وهم حالة هذا التنزيل

معصومون ، إذ كلام الله تعالى ما تنزلات به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون ، روى عن أبي يزيد رضي الله عنه أنه قال متمدحا ما مت حتي استظهرت القرآن ، يريد بهذا التنزيل تدقيق ليس الكلام إلا اظهار المعلوم ، وليس المعلوم إلا عين العلم ، وليس العلم إلا عين الذات العاملة ، فليس الكلام إلا ظهور الذات ، فهي الظاهرة بكلامها ، فكلاهما وجودها ، وكلماتها موجوداتها ، لأن الأسماء مرآئي الذات بها تظهر وفيها تنظر ، فالمتجلي قديم ، والمتجلي به له وجهان ، وجهه الى المتجلي فهو قديم أزلي ، ووجهه الى المتجلي له ، فهو حادث كالتجلي به ، ولا حلول في هذا وإنما هو كمتجلي المعاني في الحروف والألفاظ ، قال تعالى ، فاعلموا إنما أنزل بعلم الله ، أي القرآن المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ، نزل ملتبسا بعلم الله ، وعلم الله دين ذاته ، وقال ، أنزله بعلمه والملائكة يشهدون ، وقال ، ويرى الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك ، والذين أوتوا العلم بأن القرآن كلامه تعالى وهو تجليه وظهوره بذاته ، كلماته هم الملائكة ، فانه قال ، والملائكة يشهدون ، أي يشهدون هذا التجلي ، وكذا الانبياء والرسل والأولياء المحمديون عليهم الصلاة والسلام ، قال في العلم في قوله ، أوتوا العلم للعهد ، وهو العلم النائي عن التجليات وهو علم الذوق لا مطاق العلم ، فانه ليس كل علم ولا كل عالم يحصل له هذا ، ليس هذا بعشك فادرجي ، تدقيق الكلام نسبة ولا تحقق لنسبة إلا بالمتسبين ، فهي عينهما فكن عين القائل ، كن وعين المقول له ليكون فافهم ، نقض وصل ، كل كلام هو كلام الله فلا كلام لغيره تعالى ، إذ الكلام من توابع الوجود ، فما لا وجود له إلا بالمجاز ، فلا كلام له إلا بالمجاز ، ولا وجود إلا له تعالى ، فلا كلام

الآ كلامه تعالى ، كما أنه لا سميع إلا هو تعالى ، فهو المتكلم السميع كلامه ،
(تنبيه) الكتب والصحف المنزلة على الرسل ما عدا القرآن الكريم إنما
أنزلت عليهم معاني مجردة ، وهم عبروا عنها بلغاتهم كالعبرانية والسريانية
وغيرها فلذا قبلت الكتب الآلهية التحريف ما عدا القرآن العظيم ، حيث
أن ترجمتها كانت من الرسل عليهم الصلاة والسلام ، والترجمة تقبل التحريف
بمخلاف المعنى فإنه لا يمكن تحريفه ، وأما القرآن الكريم فإن الله تعالى أوجده في
قلب جبريل وسمعه منظوما عربيا معجزا كما هو عندنا ، قال تعالى ، نزل به
الروح الأمين ، الى قوله بلسان عربي مبين ، فالباء المملوكة ، وقال ، وهذا
كتاب مصدق لسانا عربيا ، وقال ، وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا ، وحيث كان
ناظمه الله تعالى ولم يترجمه عن الحق مخلوق كان محفوظا من التحريف ، ذكر
الأسيوطي رضي الله عنه في الخصائص أنه حضر مجلس المأمون بن الرشيد
في خلافته يهودي فتكلم فأعرب عن بلاغة وبيان ، وذلاقة لسان ، وقوة جنان ،
فأعجب به المأمون فعرض عليه الاسلام فامتنع ، وبعد برهة من الزمان حضر
اليهودي مجلس المأمون لمصلحة ، فرآه المأمون مسالفا سأله عن سبب اسلامه ،
فقال له ، إنك لما عرضت علي الاسلام حصل عندي اضطراب فعمدت الى
التوراه فكتبت منه عدة نسخ فبدلت وغيّرت ، وقدمت وأخرت ،
وذهبت بها الى مدارس اليهود فتساقطوا عليها واشتروها . ثم عمدت الى
الانجيل فكتبت منه عدة نسخ وفعلت بها ما فعلت بالتوراه وذهبت بها الى
البيعة ، فتساقط النصارى عليها واشتروها ، ثم عمدت الى القرآن فكتبت منه
عدة نسخ وفعلت بها ما فعلت بالتوراه والانجيل وذهبت بها الى الكتبيين
فكل من رأى نسخة منها ضربني بها وقال ما هذا بقرآن ، فعرفت الدين الحق

فأسلمت ، (فائدة) ما من رسول ولا نبي ولا ولي إلا ويكلمه الحق تعالى بما شاء كيفما شاء : تارة بغير واسطة وتارة بواسطة مشهودة وغير مشهودة ، فإذا كلمهم بغير واسطة أو بواسطة غير مشهودة سمعوه بقلوبهم ، وإذا كلمهم بواسطة مشهودة سمعوه بأذانهم وقلوبهم ، لأن الكلام النفسي محل سماعه القلوب والأذهان ، واللفظي محل سماعه الآذان ، ويعلمون كلام الحق علما ضروريا كسائر الضروريات التي لا يطرأ فيها ريب ولا تردد بعلامات ، جعلها لهم في معرفة تجلياته وسماع كلامه ، يقول الشاذلي رضي الله عنه ، وهب لنا مشاهدة تصحبها مكاملة ، ويقول محي الدين الحاتمي رضي الله عنه ، إذا كالمك لم يشهدك ، وإذا أشهدك لم يكالمك ، فالشاذلي طلب دوام المشاهدة في الصور بحيث لا يرى إلا الله ، ولا يكلم إلا الله ، ولا يكون إلا مع الله ، في جميع ما يكون منه كما روي عن الجنيد رضي الله عنه أنه قال ، لي ثلاثون سنة أتكلم مع الله والناس يظنون أنني أتكلم معهم ، والحاتمي يكلمه في المشاهدة التي هي غيبة محض وبناء صرف ، فلا تكون فيهما مكاملة لأن المقصود من الكلام الافادة ، والفتاى الغائب لا يسمع ولا يحس ولا يفهم فكالمته عبث ، ويتعالى الحكيم عن العبث ، فالمشاهدة بهذا المعنى لا مكاملة فيها ، وإنما حضر موسى من بين الرسل والأنبياء على جميعهم الصلاة والسلام ، بالكلام لذوق اختصاص به كما قال إمام العارفين محي الدين رضي الله عنه ، وأهل فقيها قضا يتف على هذه الكلمات فيقول هذه كفر وردة وزندقة ومروق من الدين ، فإنفقها أهل الفتاوى أجمعوا على أن من أدعى رؤية الله أو سماع كلامه فهو مرتد مباح الدم ، فأنه يغفر لي ولهذا الفقيه وللفقهاء أصحاب الفتاوى (عائدة) كل كلام ينسب لموجود فذلك الكلام بحسب مرتبة ذلك الموجود ، فإذا كان الموجود

مطلقا كان كلامه مطلقا ، لا يتقيد بقيد ولا يحكم عليه بحكم ، كوجوده وليس
الأحق تعالى ، وإذا كان الموجود مقيدا ببعض القيود دون بعض ، أو مقيدا
بجميع ما يدرك من القيود فكلامه كذلك ، فالكلام المذوب الى الحيوانات التي
لها صوت وليس لها مخارج الحروف ، والتي لا صوت لها كالثملة ، وإلى الجمادات
كالشجرة والحجارة ليس هو ككلام آدمي إصالة كما لا يسمعه السامع بحروف
وأصوات فانها ليست لها آلات ذلك ، ولهذا لما سرت الروح في عجل السامري
خار وما تكلم كالإنسان ولا كغيره من سائر الحيوان ، لأن المراتب
حكمة فلا يظهر الروح فيها إلا بحسبها ، وإن الله قادر على إخراج الثمر من
الحجر ، ولكن بعد جعل الحجر شجرا ، وإنما تكلم النبي أو الولي بكلامها الذي
هو لمرتبتها الحيوانية أو الجمادية فيخلق الله تعالى في قلب النبي أو أذنه أو
أذن من شاء من عباده مرادها بكلامها ، فيسمعه بحرف وصوت أو بغير صوت
ولا حرف ، وإن تخصيص السماع بالأذن أمر عادي والآ فكل قوة يمكن أن
يكون لها ما لغيرها من سائر القوى ، والأشياء كلها متكاملة وكلامها بحسب
مراتبها ، وإلا خرق العادة في المكاشفة للنبي والولي بسماع كلامها بالقلب أو
الأذن الذي ليس هو من جنس كلامنا ، تنمة مما غلط فيه المتكلمون قولهم بعد
إثبات الصفات الثبوتية والسلبية التي أثبتوها لله تعالى ، ويستحيل عليه تعالى
أضدادها مع أن الأمر ليس كذلك ، فإن صفات الله تعالى لا ضد لها ، لأن
الضدين إنما يتواردان حيث لا يخل المحل عن أحدهما ، وإنما ذلك في الحادث
القابل للكمال والنقص ، وأما الحق تعالى فإن ذاته لا تقبل النقص ، فصفات
الكمال الثابتة له لا ضد لها ، فعلمه تعالى لا ضده ، وكذا قدرته وإرادته
وكلامه وسمعه وبصره ، ونحوها تكميل الصوفية الذين هم سادات طوائف
(٥٣ - ل)

المسلمين ، لا ينفون الصفات التي أثبتتها الأشاعرة كما نفاهم المعتزلة والحكماء ، ولا يثبتونها كما أثبتتها الأشاعرة ، فان قول الأشاعرة في صفات المعاني أنها موجودة في نفسها زائدة قائمة بالذات ، بحيث لو كشف لنا رأينا قيامها بالذات يلزم منه استكمال الذات بالزائد ، ولولا ذلك الزائد لكانت ناقصة وهو تعالى كامل الذات ، فمحال استكماله بالزائد ، فان فيه نقص الذات ، والنقص محال ، فلا يستكمل بالزائد محال ، وقولهم ، أعني الأشاعرة في الصفات ، لا عين ولا ذير ، وتفسيرهم الغيرين بما يصح الانفكاك بينهما كلام لا روح له ، خال عن التحقيق ، ولا تسمى الصوفية ما ينسب اليه تعالى من الكلام وغيره بالصفات الا على سبيل المجازاة والتنزل في مقام التفهيم والتعليم ، وإنما تسمى ذلك بالأسماء ، فانه تعالى ما أطلق في كتبه ولا على السنة رساله عليهم الصلاة والسلام ، لفظ الصفة ولا النعت ، وإنما ورد الاسم ، قال تعالى ، سبح اسم ربك ، وقال ، له الأسماء الحسنى ، بل نزه نفسه عن الصفة فقال ، سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وتسميتها أيضا بالنسب لأن النسب أمور معقولة ، لا موجودة ولا معدومة ، فكل ما ينسب اليه تعالى يقولون فيه نسبه كالعلم وغيره ، فهي عندهم لا موجودة خارجا ، ولا معدومة عقلا

(الموقف الثانيان والعاشر)

قال تعالى ، فاعلم أنه لا إله الا الله ، متعلق الأمر بالعلم إنما هو المرتبة الألوهية فانها كالخلافة للخليفة فهي التي تعلم ولا تشهد من كل وجه والعلم المأمور به ، العلم الزائد على ما في الفطرة لأن الامر بتحصيل الحاصل محال إذا ما جهلها أحد من كل وجه ، وقال تعالى ، ويحذركم الله نفسه ، متعلق

الذهي والتحذير ، إنما هو الذات فانها التي لا تعلم ولكن تشهد ، فاذا علمت فلا تقل إنك شهدت فما كل معلوم يشهد ، وإذا شهدت فلا تقل إنك علمت ، إذ العلم يقتضي الاحاطة والاحاطة محال ، فالعلم محال ، وكل حقيقة العلم بها غير الجهل بها ، إلا هذه فان الجهل بها عين العلم بها ، فهي النكرة التي لا تتعرف ، والمعرفة التي لا تتخلف ، إنما تنكر لو كان هناك شيء سواها ولا يكون وإنما تعرف ، ولو عرف مبدأها ومنتهاها ، ولا يكون بالبحيرة العمياء ، والداهية الدهياء ، والمهلكة الفيحاء ، الصفات هي المدركة لأنها الظاهرة بآثارها ، فليس المدرك المشهود إلا الصفات لا الذات ، بل الذات هي المدركة المشهودة لا الصفات ، إذ الذات هو المقومة للصفات عند ما أراد العقل أن يطير في هذا الفضاء الواسع المظلم ، قيل له الزم مكانك واعرف مقامك ، فانه لا رسم ثمة ولا أثر ، ولا حديث ولا خبر ، فعصى وطار فما وجد أثرا ولا عين ، ولا من ولا الى ولا أين ، فرجع مكسور الجناحين ، مكفوف العينين ، بخفى حنين ، فقيل له قد قيل لك من قبل ، ويحذركم الله نفسه والله رؤف بالعباد ، فما حذرنا إلا رافة ورحمة بك ، فعصيت وأبيت ، وزعمت وتمنيت ، فارجع الى طريق غير طريقك ، وأصحب فريقا غير فريقك ، فما كل بيضاء شحمه ، ولا كل سوداء ثمره

(الموقف المائتان والحادي عشر)

قال تعالى ، فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون ، الأمن من مكر الله كبيرة كاليأس من رحمته ، وكلما اتسع نطاق معرفة المعارف اشتد خوفه ، فالخوف من الله تعالى من لازم المعرفة وبقدرها ، كما ورد ، أنا أعرفكم إلى

لأعرفكم بالله وأشدكم له خشية ، خرج الشيخان وخرج عبد الرزاق إني
لأرجو أن أكون أتقاكم بالله وأعلمكم به ، وقال تعالى ، إنما يخشى الله من
عباده العلماء ، أي العلماء بالله لا مطلق العلماء ، إذ ما كل عالم يخشى ، ولا كل
علم يورث الخشية ، وهو من المقامات الملازمة المستصحبة الي جواز
الصراط وان اختلفت عليه الأسماء فسمي عند أهل البدايات خوفاً ،
والمتوسطين قبضاً ، وأهل النهايات هيبه واجلالاً ، فان النبي أو الولي وان
أطلع الله على حاله ونهايته في اللوح المحفوظ ، أو على عينه الثابتة ، فانه لا
يطلع على ما وراء ذلك وفوقه ، ولا على ما استأثر الله به ، كما قال السيد
الكامل ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك ، وفي الصحيح ، في حديث
الشفاعة تقول الرسل يومئذ في الموقف ، نفسي نفسي ، وكل شيء يمنحه الله
تعالى أوليائه يجوز أن يكون باطنه شراً واستدراجاً ومكراً ، كالأحوال
والمقامات ، والمكاشفات وخوارق العادات ، إلا العلم فانه أفضل ما منح
الله به أوليائه ، إذ لا يمكن أن يكون حباله للمكر والاستدراج ، أعني علم
العلماء بالله تعالى ، لأنه يشهدك امكانك وافتقارك في كل نفس الى الله
تعالى ، وذلتك وعبوديتك ، ولو غفلت أو نسيت أو نمت رجعت في ذلك
الى أصل صحيح لا يمكن أن يتبدل أو يتغير أو يتقلب ، فان انقلاب العلم
جهلاً محال ، دخلت مرة خلوة فعند ما دخلتها انكسرت نفسي وضاعت على
الأرجاء وفقدت قلبي ، واذا المعرفة تكره ، والأنس وحشة ، والمطالبة
مشاغبة ، والمسامرة مناكرة ، فكان نهاري ليلاً ، وليلي ويليحا وويلاً ، وممكن
الشیطان بالتمريج والتخليط وأي قرينة اردتها أبعدت بها ، فلم يبق معي من
أنواع الصلاة إلا الصلاة ، وفي أثناء هذا الابتلاء رأيت رسول الله صلى الله

عليه وسلم في المنام ، دخلت عليه بيتا كان صلى الله عليه وسلم جالسا فيه مع جماعة ، فبنفس ما رأيته أخذ بطرفي مسبحة كانت في يده ورفعها الى وقال والدعاء ، فعرفت أنه يريد أني مشغول بالذكر والدعاء فانشدته

أتضحك بالديماء وتزدرية وما يدريك ما فعل الدعاء

سهام الليل لا تخطى ولكن لها أمد وللأمد انقضاء

فسر صلى الله عليه وسلم بانشاد البيتين والتفت الى الحاضرين معه يمدحني لهم فقهمت من اشارته صلى الله عليه وسلم بالدعاء ان الخطب جسيم ، والأمر عظيم ، فكان بعد ذلك شغلي الدعاء والتضرع وكشف الرأس ، فكنت أدعو بقوله صلى الله عليه وسلم ، اللهم أني أعوذ برضاك من سخطك ، وبمعافاتك من عقوبتك ، وأعوذ بك منك ، لا أحصى ثناء عليك ؛ أنت كما أثنيت على نفسك ، وبقوله صلى الله عليه وسلم ، اللهم أنت ربي لا إله الا أنت خلقتني وأنا عبدك ، وأنا على عهدك ووعدك ما أستطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك عليّ ، وأبوء بذنبي فاغفر لي ، فإنه لا يغفر الذنوب الا أنت ، وبقوله صلى الله عليه وسلم ، يا حي يا قيوم برحمتك استغيث ، اصلح لي شأني كله ؛ ولا تكلني الى نفسي طرفة عين ، وكانت ترد عليّ الواردات في الوقائع مشيرة وآمرة بالصبر ، ورأيت في المنام جارية بارعة الجمال ، فلما أفقت تخبرت أني سألتها عن اسمها ولمن هي ، فلما عاودت النوم رجعت اليّ فسألتها لمن هي ، فقالت لك ، وعن اسمها ، فقالت ، الناجية ، فتفاءلت بالنجاة من هذه المحنة ، وطالت هذه الأيام فكانت كأنها أعوام

أرى ساعة الهجران يوما ويومه يخيل لي شهرا وشهرا عاما

بعد ما كنت أقول

أرضى طوال الليالي ان خلوت بهم وقد أدبرت أباريق وأقداح
الى أن تنفس صبح الفرج فانجباب الضيق والخرج فقلت
فما أحلى الأمان بعيد خوف وما أحلى الوصال بعيد هجر
وما أحلى التداني^(١) بعيد بعد وما أحلى اليسار بعيد فقر
الح الآيات ، وفي آخر أيام هذه الحسوة بشرت ، فورد علي أولا
في الواقعة قوله تعالى ، قد نرى تقاب وجهك في السماء فلنولينك قبلة
ترضاها ، ثم بعده قوله تعالى ، وإذ قال ربك للملائكة أني جاعل في
الأرض خليفة ، ثم بعده قوله ، واستعينوا بالصبر والصلاة ، والحمد لله رب
العالمين .

(الموقف المائتان واثني عشر)

قال تعالى ، وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة ، قالوا
أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ،
الآية بطولها ، كل كلام وقفنا عليه لمتكلم على هذه الآية ، إنما يجعل
قول الملائكة هذا قدحا في آدم وبنيه ، والذي ورد به علينا الوارد الآلهي
غير هذا وهو أنهم عليهم الصلاة والسلام علموا أن نوع الخليفة لا الخليفة
يقع من بعضهم ما ذكروه من الفساد وسفك الدماء ، وأما الخليفة آدم ومن
ورث الخلافة من بنيه فمحال أن يقولوا فيه ذلك بعد أن أعلمهم الحق تعالى
بقوله ، إني جاعل في الأرض خليفة ، فانه لا يخفى عن عاقل أن الملك لا
يجعل خليفة الآ من علم أنه على غاية من السكل والطاعة ، وعلم الحق تعالى

(١) خ : التلاقي

لا يتخلف ، فقولهم ، أتجعل فيها ، استفهام واستعلام لما جهلوه من الحكمة في جعل الخلافة في جنس بنى آدم ، وبعضهم علي ما ذكروه دون جنس الملك وهم علي ما ذكروه ، فقالوا مستفهمين عن الحكمة في كون الخليفة من الجنس الذي منه مؤمن وكافر ، ومطيع وعاص ، وعالم وجاهل ، دون الجنس الذي هو خير محض كله ، ونور صرف وطاعة لا تشوبها معصية ، وكان اختلج في عقولهم الميل الى أن الحكمة تقتضي أن يكون الخليفة من الجنس الملكي ، غيرة على الجنب الآلهي في قصدهم ، فاعلمهم الحق تعالى بجهلهم فيما مالت اليه عقولهم قبل ظهور وجه الحكمة ، بقوله ، وما كنتم تكتمون ، وأزال جهلهم فيما استعلوه ، وبيّن لهم أن الحكمة تقتضي كون الخليفة من جنس الآدمي لا الملك ، فانه سيكون الجامع للحقائق الآلهية والكونية المختص بالصورة الرحمانية ، وأقام لهم البرهان بتعليمه الاسماء التي جهلتها الملائكة فاستبحوا الحق تعالى بها ، ولا نزهوة ، ولا كون نشأة الملك لا تقتضيها لا غير ، وأما آدم وبنوه الخلقاء فذواتهم تقتضي تعلق الاسماء كلها بها لخلقها باليدين وجمعها للصورتين ، الصورة الآلهية من حيث الباطن ، والصورة الكونية من حيث الظاهر ، وليست هذه الجمعية لجنس الملك ، فلماذا كان الخليفة الأول آدم ومن ورث الخلافة من بعده يظهر بجميع الأسماء الكونية والآلهية ، فليس قولهم أتجعل فيها الخ ، استفهاما إنكاريا فانه لو كان كذلك لكان هنا بمعنى النهي ، وهو إنما يكون ممن يجوز له أن ينهى من يجوز نهيه ، وهذا محال أن يتصور من الملائكة للحق تعالى ، وهم الأُدباء الأُمّناء ، الأتقياء الأبرياء ، كيف والحق تعالى يقول في حقهم ، ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون ، يسبحون الليل

والنهار لا يفترون ، ويقول ، ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته
ويسبحونه وله يسجدون ، فانظر الي هذه العنديه وشرفها وما يقتضيه نظم
هاتين الآيتين من التشريف والتعظيم ، إن كنت من أهل الذوق العربي
الظاهري فاحري إذا كنت من أهل الظاهري والباطني ، ويقول وهم لا
يستكبرون ، يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون ، ويقول ، وقالوا
إنخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره
يعملون ، ويقول ، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون . ويقول ،
بأيدي سفرة كرام بررة ، الي غير ذلك فيعدّ تزكية الله تعالى لهم ، وتبرئتهم
من كل عيب ونقص ، ووصفهم بكل كمال يسوغ أن تحمل الآية على ضد
ذلك ، الا أن يكون المراد بالملائكة علي ما نقله الشعراني عن الخوّاص
رضى الله عنهما ، ملائكة الأرض وهم غير معصومين حينئذ يسهل
الخطب ، ولكن الجمهور من أهل الظاهر والباطن على خلاف هذا ،
والله أعلم

(الموقف المائتان والثالث عشر)

قال تعالى ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون ، ذكر تعالى ذلك في مواضع من
القرآن أثبت تعالى العلم له وتقواه عن غيره ، أعنى من أثبت نفسه غيرا ، ومن
أصدق من الله قيلا ، فهو تعالى العالم لا غيره يعلم علما مطلقا عام التعلق بكل
ما يصح أن يعلم في مرتبة تجرده عنكم وهي مرتبة الله ويعلم علما مقيدا بكم
ومنكم في مرتبة تقيده وتعينه بكم وهذه مرتبة العلم المذكور في قوله تعالى
حتى تعلم ولتعلم ويعلم وأنتم لا تعلمون من حيث غيريتكم وسوائيتكم فلا علم
لكم قديم ولا حادث وكما أن الله يعلم وأنتم لا تعلمون فكذلك فالله يريد

وأنتم لا تريدون ، والله يقدر وأنتم لا تقدرون ، والله يتكلم وأنتم لا تتكلمون ، والله يبصر وأنتم لا تبصرون ، والله يسمع وأنتم لا تسمعون ، لأن هذه كلها توابع الوجود ، وحيث لم يكن الوجود من أنفسكم وذواتكم لم يكن لكم شيء من توابعه ، فإذا توهمتم ، وتخيّلتم ، إن شيئاً من ذلك لكم ، فهو خيال باطل ، وإنما ذلك لوجودكم ، الذي به أنتم ، أنتم ومن جهل ما منه يعلم ، فكيف يصح أن يعلم ، أو يسمى عالماً فالواجب على الطالب أن يطلب معرفة ما به يعلم ، ثم يطلب أن يعلم ما يعلم ، فمن كشف عنه الغطاء عرف نفسه فعرف ذلك ، ومن بقي في حجابيه بقي جاهلاً ، مركباً جملته بنفسه وجهله بجملته ، وهذا على سبيل التحديث بالمأثور ، وإلا فكما أنه لا يعلم كذلك لا يجهل ، لأن الجهل والعلم إنما يتواردان على محل قابل

(الموقف المائتان والأربعة عشر)

قال تعالى ، طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى إلا تذكرة لمن يخشى ، هذا نداء من الحق تعالى لحبيبه محمد صلى الله عليه وسلم ، واشفاق عليه ، واخبار له ، وبشارة بأنه تعالى ما أنزل عليه القرآن ، أي ما تجلّى عليه وكشف له ، وأنزل عليه القرآن لإنزال كشف ، وهي حضرة الجمع والوحدة المطلقة لا تشقى ، كان صلى الله عليه وسلم ، إذا نزل من شهادة حضرة القرآن والجمع إلى حضرة الفرقان والتعدد ، رأى أن ذلك الشهود أعنى شهود القرآن تنص في مقامه ، وهو مقام رسالته صلى الله عليه وسلم فخل بواسطته قادح في كمال عبوديته ، فكان يجب ستر ذلك عنه صلى الله عليه وسلم بوساطته قادح في صحيح مسلم وغيره ، أنه ليغان علي قلبى فاستغفر الله في

اليوم .مائة مرة ، فهو غين أنوار كما قال العارف لا غين أغيار ، فاخبره الحق تعالى أنه لا يشقى بهذا ، بمعنى أنه لا ينقصه شيئاً من مقام رسالته ومرتبة وساطته ، وخدمته وعبوديته وجه آخر ، خاطبه تعالى بهذا ، حيث كان الغالب على ظاهره صلى الله عليه وسلم شهود الفرقان وهو مقام الرسالة ، فكان يتعب ويشقى بغلبة هذا الشهود ، فانه يقتضى من العبودية الوفاء بحق الربوبية ، والوفاء بما تقتضيه الربوبية من العبودية على الكمال محال ، حتى من الرسل عليهم الصلاة والسلام ، فلذلك كان صلى الله عليه وسلم يقوم حتى تورمت قدماه ، وجاع حتى شد الحجر على بطنه ، إلا تذكرة لمن يخشى ، أي ما أنزلنا عليك القرآن أو على غيرك نزول كشف وهي حضرة الجمع إلا تذكرة لروحك بما تقدم لها من العلم والكشف ، ثم نسبت تلك الحضرة بنزولها الى حضرة الفرقان ، فغلبت خشيتها على أمنها وضيقها على سعتها ، إذ بمشاهدة حضرة القرآن يخف الحرج ، ويحصل الفرج ، والراحة والسعة طبعاً باطنياً ، وإن أعطى شهود الفرقان ضد ذلك ظاهر شرعاً ، فإن حضرة القرآن حضرة الذات ، وهي ظلمة محضة لا نور فيها أصلاً والأكل اعتدال الشهودين وهو المراد بالخطاب بهذه الآية ونحوها ، وهو مقام الرسل والورثة الكمل صلى الله عليه وسلم أجمعين ومن لم تغلب عليه الخشية لا ينزل عليه القرآن ولا تتجلى له تلك الحضرة ، فلا يكون من أهل الشهود والعيان ، فقام الرسالة إنما هو من حضرة الفرقان ، رب وعبد ، عابد ومعبود ، قال تعالى ، تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً ، فعمل تعالى نزول الفرقان بالندارة وهي مقام الرسالة ، وحضرة القرآن هي شهود كان الله ولا شيء معه ، وهو الآن على ما عليه

كان ، وقوله ، إنا كل شيء خلقناه بقدر ، على قراءة رفع كل
(الموقف المائتان والخامس عشر)

قال تعالى ، وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون ، أعلم
أن الحق تعالى يضرب الأمثال بأفعاله كما يضربها بأقواله ، لأن المقصود من
المثال التوصيل الى الافهام حتى يصير المعقول مثل المحسوس ومن جملة الأمثال
المضروبة بالأفعال ، خلق الحروف الرقمية ، فان في أرقامها من الأسرار
مالا يحيط بها إلا العليم الحكيم ، ومن جملة لام الف ، ففيها اشارات خفية
وأسرار ورموز كثيرة واعتبار منها أن تركيب هذين الحرفين لام والف ،
كتركيب الوجود الحق مع صور الخلق فهما حرفان باعتبار ، وحرف واحد
باعتبار ، كما أن صور الخلق هي شيء واحد باعتبار ، وشيئان باعتبار ، ومنها أنه
لا يدري أي الشعبين الألف ، وأيهما اللام ، فان قلت اللام هو الشعب الأول
صدقت ، وان قلت الألف هو الشعب الأول صدقت ، وإن قلت بالحيرة
صدقت ، كما أنك إن قلت ، الوجود الحق هو الظاهر والخلق الباطن
صدقت ، وإن عكست صدقت ، وإن قلت بالحيرة صدقت ، ومنها أن
الحق والخلق اسمان والمسمى بهما واحد ، وهو الذات الظاهرة بهما ،
كذلك قولنا لام الألف اسمان والمسمى بهما واحد ، لأنهما علامتان على
حرف واحد ، ومنها أنها لا تظهر صورة هذا الحرف المسمى لام الف
بأحد الحرفين دون الآخر ، كذلك لا يظهر كل واحد من الوجود الحق
أو الخلق بدون الآخر ، فان حقا بلا خلق لا يظهر ، وخلقاً بلا حق لا
يوجد ، ومنها أن شعبتي لام الف مجتمعان ويفترقان ، فكذلك الحق
والخلق مجتمعان في الذات الحقيقية الكلية ، ويفترقان في المرتبة ، فمرتبة

الآله الخالق غير مرتبة العبد المحروق ، ومنها أن الراقم تارة يبتدىء الرقم من الشعب الأول في الصورة ، وتارة يبتدىء من الشعب الثاني في الصورة ، فكذلك معرفة الحق والخلق ، تارة تتقدم معرفة الخلق على الحق ، وهي طريق من عرف نفسه عرف ربه ، طريقة السالكين ، وتارة تتقدم معرفة الحق على الخلق ، وهي طريقة الاجتباء وال جذب طريقة المرادين ، ومنها أن الإدراك العامي لا يدرك الأحرار لا ، وهو المسمى وهما شيئان في نفس الامر ، لام والـف ، فكذلك الإدراك العامي لا يدرك إلا مسمى الخلق وهما شيئان في نفس الامر حق وخلق ، ومنها أن اللام والألف لما امتزجا وتركبا بصورة خفيا معا ، وكذلك الوجود الحق لما تركب مع الخلق تركيبا معنويا خفي في نظر المحجوبين ، فانهم لا يرون إلا خلقا كما أن الخلق خفي في نظر أرباب وحسدة الشهود ، فلا يرون إلا حقا ، فقد خفي الحق والخلق معا ، لكن من جهتين ، ومنها أنه إذا اختلط شعبتا لام الف ولم يبق لصورة لا وجود في نظر الناظر زال معنى لا ، وكذلك العابد والمعبود ، والرب والمربوب ، إذا حصل الفناء وهو الاتحاد عند القوم رضوان الله عليهم زالا معا ، إذ يزوال العابد يزول المعبود ، وبزوال المربوب يزول الرب ، كما هو الشأن في كل متضايفين يزول أحدهما بزوال الآخر ، فيزولان معا وعلى هذا قس واعتبر

(الموقف المائتان والستة عشر)

ورد في صحيح البخاري وغيره عنه صلى الله عليه وسلم ، الآيتان من آخر سورة البقرة من قرأها في ليلة كفتاه ، يعني عن قيام تلك الليلة والتهجد فيها وإنما كانت لهما هذه الفضيلة العظمى والمزية الكبرى لأنه ورد في صحيح

البخاري وغيره أيضا ، ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر ، فيقول : هل من داع فاستجب له ، هل من تائب فاقبله ، هل من مستغفر فاعف له ، الى طلوع الفجر وهاتان الآيتان جامعتان لهذه الأشياء الثلاثة التوبة في قوله سمعنا وأطعنا ، والاستغفار في قوله غفرانك ربنا ، والدعاء في قوله ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا ، الى آخر السورة

(الموقف المائتان والسابع عشر)

قال تعالى ، إنا أعطيناك الكوثر فصلى لربك وانحر إن شانئك هو الأبر ، صدر هذه السورة بشارة وآخرها بشارة وأكده الحق تعالى فيها تبشير وأخباره وما بينهما أمر يشكر هاتين البشارتين ، والنعمتين الجسيمتين وبيان كيفية شكرهما فقال له صل لربك أى كن مصليا لربك لاحقا به لحوقا معنويا وقريبا منه كذلك وليس اللاحق به تعالى والقرب منه الا بالتحقيق باسمائه وصفاته بعد التخلق والتعلق بها والأعراض عن كل شيء فان المصلي لا ينظر إلا الى السابق ولا همه له الا فى اللاحق به وانحر شاحج على ذلك وتقدم على غيرك بعزم قوى وهمة عالية ، ونافس كل منافس ، وصدرها بشارة بأعطاء الخير الكثير ومنه الكوثر نهر الجنة المعروف وعجزها بشارة بدفع كل شر جليل وحقير والتأمين من كل مخوف ، يقول تعالى لحبيبه محمد صلى الله عليه وسلم ، إن المسمى كافرا بك ومنافقا معك ، وشائنا لك ، كله هو والهو عبارة عن الحقيقة الغيبية السارية فى كل موجود من حيث أن الموجودات كلها مظاهر أسماء مرتبة تلك الحقيقة وهي الألوهية فما كان من مظاهر تلك الأسماء مظاهر جمال وخير فهو محب لك صلى الله عليه وسلم ، وما كان منها مظاهر جلال وشقاوة فهو شائى لك من حيث المظهرية لعدم المجانسة لك

والمناسبة ولكنّه أبتر بالنسبة اليك بمعنى أنّه لا أثر له فيك ، ولا له قدرة على إيصال الضرر اليك ، وما ورد من أنّه صلى الله عليه وسلم سحر وكان يخيل اليه أنّه فعل الشيء وما فعله ، وكان الشيطان يعترضه صلى الله عليه وسلم بشعلة نار ، وكان يشد عليه في الصلاة ليقطع صلاته عليه ونحو ذلك مما في الاخبار الصحيحة ، فانما هي عوارض زائلة غير قاذحة في البشارة بالتأمين ، وحكمة عروض هذه العوارض وأمثالها بيان أنّه صلى الله عليه وسلم من حيث صورته العنصرية البشرية من جملة البشر ولكنّه تعالى أكرمّه ، ومن كل مكروه عصمه ، كما أنّه من كل مخلوق آمنه فالفضة هو على حسب هذه الاشارة خبر لا ضمير فصل ، والأبتر نعت له من هذه الجهة فقط وان الثانية ليست لتأكيد الاخبار بان شائتك هو ، فان هذا معلوم عنده صلى الله عليه وسلم لا يعترضه تردد فيه ولا انكار له وإنما هي لتأكيد المبشّر به وهو ان شائيّه لا أثر له فيه ، ولا يصل اليه منه شر كما يصل الى غيره

(الموقف المائتان الثامن عشر)

قال تعالى ، إنه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين ، أخبر تعالى أن من وصل الى المرتبة الوسطى من مراتب التقوى ، وحصل عليها بان صار يتقي بالحق تعالى في كل فعل وترك ، وورد وصدر بمعنى أنّه تعالى هو وقاية هذا المتقي فلم ينسب لنفسه شيئاً مما يصدر عنه ، من طاعة ومعصية ، وحسن وقبيح ، لا على طريق الجبرية ، ولا على طريق الكسبية ، لأنّه شاهد الفاعل الحقيقي ، والمصدر السكلي ، فشاهد نفسه من حيث مخلوقيته كسائر الجمادات فكما لا ينسب العقلاء الى الجماد فعلاً أو تركاً إلا على جهة المجاز فكذلك هو في شهوده هذا وأما النسبة التي أثبتتها الشارع في قوله افعل أو

ترك ، أو فعلت أو تركت ، فهو لا ينفىها بل يسلمها مع الجهل بحكمتها ومع هذا الشهود وهذه المعرفة الحاصلين لهذا المتقى فانه يصير على أداء المأمورات الشرعية ، وترك المنهيات الوضعية ، فلا يتعدى الحدود الشرعية بل لا يقربها لأنه من حيث هذا الشهود ، صار من الصنف المخاطبين بقوله تعالى فلا تقربوها ، يعني الحدود الشرعية ، كما أن قوله تعالى فلا تعتدوها ، يعني الحدود الشرعية ، خطاب لصنف آخر ، فالصنف الأول يعاقبون على مقاربة الحدود ، والصنف الثاني لا يعاقبون على المقاربة ، وإنما يعاقبون على اعتداء الحدود ومجاوزتها ، لأن كل من علت رتبته وأزلت منزلته يعاقب على ما لا يعاقب عليه من هو أسفل مرتبة وأبعد منزلة ، كما هو في الشاهد في خاصة الملك ورعاياه بل صاحب هذه المرتبة إن كان من الصابرين فهو أشد حذرا وخوفا وتوقيا وقيامًا بالأمر والنهي الشرعيين من الذي ليس له هذا الشهود من العباد والزهاد عناية من الحق تعالى به وهذا المقام والشهود وسط وفوقه مقامات كما قيل

وهذا مقام في الوصول وفوقه مقامات أقوام على قدرهم قدرتي وبعد الوصول الى هذا المقام تتميز السعداء من الأشقياء ، فمن اتقى وصبر ، كما قال ، أنه من يتقى ويصبر على أداء الأوامر واجتناب النواهي فقد صار من المحسنين ، وإن الله لا يضيع أجر المحسنين ، وما على المحسنين من سبيل ، فضلا منه تعالى ومنة ، وأما من يتقى ولا يصبر على أداء الأوامر واجتناب النواهي ويتعدى الحدود الشرعية فهو من الأشقياء المحرومين ، والزنادقة الملحدون المعنيين بقوله ، إن الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا ، وهو ممن أضله الله على علم من حيث علمهم بمرتبة الاتقياء بالله تعالى وعلي

جبل من حيث جهلهم بحكمة الحكيم العليم تعالى فيما شرعه من الأمر والنهي ، وفيما رتبته من الحدود والزواجر ، عرفوا شيئاً وفاتهم أشياء ، فتخيلوا وظنوا أن الأوضاع الشرعية خاصة بمن لم يصل إلى مقامهم ، فقبل لهم وذالك ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم ، نعوذ بالله من الجور وبعد السكور ، وأما من جاوز هذه المرتبة وعلاها فقد جاوز الصراط وتخاص فلا رجوع له ، ولذا قال العارف ، ما رجع من رجع إلا من الطريق ، ولو وصلوا ما رجعوا

(الموقف المائتان والتاسع عشر)

قال تعالى ، ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ، الآية ، أعلم أن الرحمة ذاتية وصفاتية ، وكل منها عامة وخاصة : فالذاتيتان هما المذكورتان في البسملة في قوله ، بسم الله الرحمن الرحيم ، والصفاتيتان هما المذكورتان في الفاتحة في قوله ، الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم ، فاسم الرحمة في قوله ، ورحمتي أعم من الرحمة الرحمانية والرحمة الرحيمية ، فاسم الرحمة يتناولهما لفظاً ، أعني الرحمة الذاتية العامة ، والرحمة الذاتية الخاصة ، ولذا أضيف لفظة الرحمة إلى الضمير الذي هو كناية عن الذات الذي تضاف الأشياء إليه ولا يضاف هو إلى شيء ، وهو غيب الغيب وحقيقة الحقائق وتسمى الرحمة الذاتية بالأمتنائية الحبية لأنها عبارة عن التجلي الذاتي الأقدس ، الذي كانت به الاستعدادات الكلية للأشياء لقبول التجلي ، فهي الوجود من حيث انبساطه على الحقائق العلمية والاعيان الشهودية ، وهذه الرحمة واحدة بالذات ، متعددة بتعدد النسب والاعتبارات ، والتعدد عين المتعدد وعموم هذه الرحمة شمل كل شيء ، حتى

الغضب والآلام والعذاب ونحو ذلك مما يتخيل أنه مناف لها ، لأن الكل
تجل من تجليات هذه الرحمة العامة التي وسعت كل شيء ، فإنه تعالى أطلق ،
ولفظ الشيء : يم كل ما يصح أن يعلم ويخبر عنه لغة ، فبهذه الرحمة إيجاد
كل موجود ولا يقال في هذه الرحمة أنها تسع الحق تعالى أولاً تسع ، لأننا
قدمنا أنها عين الوجود ، والوجود عين الذات ، والشيء لا يسع نفسه ولا
يضيق عنها ، ومن هذا قوله . ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما ، فرحمته
هنا عين ذاته كعلمه ، ولسعة هذه الرحمة وشمولها وسعت أسماء تعالى بظهور
آثارها بظهور الكائنات ، وأما الرحمة الذاتية الخاصة فهي الرحمة الرحيمية
التيقيد بالتقنين وبالمحسنين ، كما في قوله تعالى ، إن رحمة الله قريب من المحسنين ،
وهي التي أوجبها نفسه علي نفسه في قوله ، كتب ربكم علي نفسه الرحمة ، وبما
قررناه تعلم أن الضمير المتصل في قوله فسأ كتبها عائداً على الرحمة الخاصة
الذاتية المفهومة من لفظة الرحمة المضافة الى الياء التي هي كناية عن الذات ،
لا على الرحمة الذاتية العامة التي وسعت كل شيء ، فهذا المساق يشبه التوزيع
ولولا أن الأمر على ما ذكرناه لتناقض صدر الآية مع عجزها ، إذ السعة
تقتضي الإطلاق . وقوله فسأ كتبها الخ ، نص في التقييد والتناقض محال
للذين يتقون ، أي يطلبون التقية والستر به تعالى بأن يصير الحق تعالى
تقيهم ووقايتهم من كل شيء وذلك بالدخول في جنة الذات المشار اليه
بقوله ، يا أيها النفس المطمئنة ، الى قوله وادخلي جنتي ، وأما الرحمة الرحمانية
الصفائية العامة فهي الرحمة التي أخرجها الحق تعالى الي أهل الدنيا ، فيها
يتراحمون ويتواصلون حتي تضع الدابة حافرهما على ولدها ولا تضره ، كما
ورد في الخبر ، أن لله مائة رحمة أخرج منها الى الدنيا رحمة واحدة ، الحديث ،

والمائة هي أسماؤه تعالى ، وأما الرحمة الرحيمية ، الخاصة الصفاتية ، فهي التي يرحم بها تعالى من يشاء من عباده ، وهي التي تتوقف علي المشيئة الربانية ، كما قال ، والله يختص برحمته من يشاء ، ونحو ذلك . وهي التي يتخلق بها المتخلفون ، ويتحقق بها المحققون من رسول ونبي وولي كامل ، وهي التي وصف الحق تعالى بها محمد صلى الله عليه وسلم في قوله ، بالمؤمنين رؤوف رحيم

(الموقف المائتان والعشرون)

قال تعالى ، واثن صبرتم لهو خير للصابرين ، الآية ، تسليمة من الحق تعالى لعباده الصابرين على ما أصابهم ، بأنه هو عوض وخلف لهم مما فقدوه مما يلائم طبائعهم ، إذ الصبر حبس النفس على ما تكره ولا تكره النفوس إلا ما لا يلائمها حاضرا ، ولو علمت أنه خير لها في الآجل فلا بد للنفوس من التألم النفساني الطبيعي ولا تقدر على دفعه إلا إذا طرقها حال غالب قاهر يغنيها عما به تتألم ، كما يغنيها عما به تتلذذ ، ولكون التألم النفساني الطبيعي لا يقدر الإنسان على دفعه ، بكبت الأكبر وتأوّهت ، وأنت واستغاثت ، وسألت رفع الآلام ، بخلاف التألم الروحاني فإن الإنسان يقدر على رفعه ، ولهذا ترى الأكبر مبتهجة في بواطنها ، مسرورة راضية وثقة بحسن اختيار الله تعالى لها ، مطمئنة عند نزول الآلام والموجعات بها ، وأيس هناك شيء غير ملائم بالذات ولا شر بالذات ، وإنما ذلك بالنسبة إلى القوابل والاستعدادات الجسمانية ، وأما الحقائق الغيبية فكل شيء نزل بها فهو ملائم لها بل لا ينزل بها غير ما هي طالبة له بلسان حالها ، فأخبر تعالى الصابرين على فقد الملائم كالصحة والغناء ، والعز والأمن ، والمال والولد ، إنه هو تعالى خير لهم مما

فقدوه إذا عرفوا أنه هو تعالى وجودهم الملازم وبداهة اللازم ، وما فقدوه من الأشياء الملائمة إنما هو أمور وهمية خيالية ، وقال تعالى ، لهو والهو هو الحقيقة الذي لا يدري ولا يعرف ، ولا يسمى ولا يوصف ، وهو غيب كل شهادة ، وحقيقة كل حق ، لا يزول ولا يحول ، ولا يذهب ولا يتغير ، فليس المراد بالهو ضمير الغائب المقابل للمتكلم والمخاطب ، وما قال تعالى ، لَأَنَا لَا زِلَازَ لَنَا مَتَعِينَ بِالْحُضُورِ وَكُلَّ مَتَعِينَ مَتَقِيدٍ مِنْ حَيْثُ ذَلِكَ التَّعِينَ وَخَيْرُ أَصْلِهِ أَخِيرٌ ، فهو يدل على المشاركة والمفاضلة ، ولا مشاركة ولا مفاضلة ، ولكنه تعالى يخاطب عباده بالمعروف ويماشيهم على النهج المألوف ، وإلا فأي مشاركة بينها الوجود والعدم ، وأي مفاضلة بين الحقيقة والوهم ، فمن وجد الله لم يفقد شيئاً ، ومن فقد الله لم يجد شيئاً ، وفي المناجاة العظائية ماذا وجد من فقدك ، وما الذي فقد من وجدك

(الموقف المائتان واحد وعشرون)

قال تعالى ، أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ، وقال ، وإليه يرجع الأمر كله ، وقال ، وإليه ترجعون ، وقال ، إليه مرجعكم ، ونحو هذا ، إعلم أن مصير الأمور كلها إلى الله ورجوعها إليه ، ورجوع المخلوقات إليه تعالى إنما يكون بعد القيامة ، والقيامة إنما تكون بعد فناء المخلوقات ، ومن مات فقد قامت قيامته على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم . والموت موتان موت اضطراري عام ، وموت اختياري خاص ، وهو المأمورية موتوا قبل أن تموتوا ، على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمن مات اختياري فقد قامت قيامته وصارت الأمور عنده إلى الله ، فرجعت أمراً واحداً ورجع إلى الله فرأى الله بالله ، إنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا ، على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج

الطبراني . وذلك لفناء المخلوقات في شهود هذا الميت المبعوث فما بقي عنده
الآن أمر واحد ، أي وجود واحد ، وما من شيء يكون بعد الموت للعموم
الآن وفي هذه الدار نخرج منه للخصوص ، قل أو جل ، وصيرورة الأمور
كلها الى الله تعالى إذا اعتبرت من جهة صورها ، إنما يكون ذلك حكما لا
عينا ، فيرى من مات وقامت قيامته الكثير واحد الوحدته الحقيقية ،
والواحد كثيرا لكثرة النسبية الاعتيادية ، والأعيان التي هي الجواهر
لا تنعدم أبدا ، والخلق الجديد دائما دينا وآخرة ، إنما هو في الصور التي هي
أعراض وكل شيء سوى الوجود الذي هو أمر الله فهو عرض
(الموقف المائتان الثاني والعشرون)

قال تعالى ، والذين اهتدوا زادهم هدى وأتاهم تقواهم ، الذين اهتدوا
بالإيمان وعمل الصالحات زادهم هدى بكشف ما آمنوا به وإظهار أسرار
ما عملوا من الطاعات ، كما قال ، واتقوا الله ، ويعلمكم الله ، وفي الخبر ، من
عمل بما علم ورثه الله علمه لا يعلم ، فالذين يعلمهم الله آياه إذا عملوا بما علموا
هو كشف سر ما عملوا به ، فليس على المكلف إلا الإيمان والعمل بالوارد
من التكليف فعلا وتركاً والوقوف عند الحدود مع اعتقاد حقيقة ذلك كله
جزماً وعدم التعرض للكيفيات والتأويلات ، والحق تعالى يكشف المؤمن
العامل عن بواطن الأمور وحقائق الأشياء ، ويرفعه من مرتبة الإيمان
الذي هو تصديق الخبر فيما أخبر به ، وهو عالم اليقين الى عين اليقين وحق
اليقين ، فيصير ما كان إيمانا مشاهدة وعيانا ، وهذه هي زيادة الهدى وهي
المعبر عنها بزيادة الإيمان في غير ما آية وحديث ، من باب تسمية المسبب
باسم السبب حيث كان الإيمان الذي هو قول وعمل واعتقاد سببا في زيادة

اليقين والحصول علي عينه وحقه كما أن الكفر وعدم الأعمال الصالحة سبب في زيادة الضلال والحصول علي الطبع والرين ، كما قال ، وأما الذين كفروا فزادتهم رجسا الى رجسهم ، وقال ، في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ، وقال ، بل لعل علي قلوبهم ، ونحو ذلك ، واليقين مرتبة لا يقبل صاحبها الزيادة في مشهوده وان قبل زيادة الظهور والكشف ، والفرق بين هذه الثلاثة هو أن علم اليقين يحتاج في اثباته الى دليل ويقبل التشكيك ، وعين اليقين يحتاج الى دليل ولا يقبل التشكيك ، وحق اليقين لا يحتاج الى دليل ولا يقبل التشكيك ، وجميع علوم الأذواق وهي العلوم الحاصلة بالتجليات لمن شاء الله تعالى من عباده من القسم الثالث فزيادة الهدى إذا ليست زيادة اشياء يؤمن بها ، وإنما هي زيادة فيما يؤمن به ، أي زيادة كشف معلوم الاولياء ليست بزيادة على ما جاء به محمد صلي الله عليه وسلم ، إذ لا يأتون بأمر ولا نهى جديد ولا خطر ولا وجوب ، وإنما يكشف الحق لهم عن أسرار ما جاء به محمد صلي الله عليه وسلم وحقائقه وبواطنه وحكمه ، فإن لكل ظاهر باطنا ، فظاهره ملكه وباطنه ملكوته ، قال تعالى ، وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين ، فلا يحصل الايقان الزائد علي الايمان في الاشياء الا بكشف بواطن الاشياء والاطلاع على ملكوتها

(الموقف المائتان الثالث والعشرون)

قال تعالى ، قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ، الخ السورة ، أل في الكافرون للجنس المخصوص وهم الذين حقت عليهم كلمة ربك أنهم لا يؤمنون أي لا يرجعون عن كفرهم بحسب مرتبة كفرهم وهم المعنيون

يقوله ، إن الله لا يهدي القوم الكافرين ، وقوله ، إن الذين كفروا سواء عليهم
أنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ، الخ ، الآية ، ونحو هذا ، والكفر السترة ،
فكل من ستر شيئا وجحدته فهو كافر سائر بالنسبة لما ستره وجحدته ، وهو
أنواع كالشرك وقد يطلق كل منهما على الآخر ، وفي صحيح البخاري ، كفر
دون كفر ، وظلم دون ظلم ، وكما أن الكفر أنواع فالداعون إلى الخروج من
هذه الأنواع أنواع ، منهم من يدعو إلى الخروج من الكفر الأعظم ، ومنهم
من يدعو إلى الخروج من الكفر الأصغر إلى ما بينهما ، قل يا أيها الكافرون
الجاحدون وحادية الآله تعالى ، الداعون معه إليها آخر ، أما استقلال القائلين
بالاتنين ، وأما تقريبا كالقائلين ما تعبدون إلا بقربونا إلى الله زلفى ، لا أعبد ما
تعبدون من الشركاء ، ولا أنتم عابدون ما أعبد وهو الآله الواحد الأحد لما
خفت عليكم كلمة العذاب ، وما يبدل القول لديه تعالى ، قل يا أيها الكافرون
الجاحدون تنزيه الحق تعالى ، القائلون بتشبيهه بخلقه مطلقا ، كالجسم والحولية
والاتحادية المنكرون والمؤولون بقوله ، ليس كمثل شيء ، لا أعبد ما تعبدون
وهو الآله المشبهة بمخلوقاته مطلقا فانه إله مخلوق اخترعه عبده في تخيله ولا
أنتم عابدون ما أعبد ، وهو الآله المنزه في تشبيهه ، قل يا أيها الكافرون
الجاحدون تشبيه الحق تعالى ، القائلون بتنزيهه مطلقا في جميع المراتب ،
المنكرون والمؤولون لما ورد في الكتب وسنن الرسل من تجليه بصور
مخلوقاته من غير حلول ولا اتحاد ، ونعته بنعوت المحدثات كالنزول والهرولة ،
والقدم والضحك ، والوجه والعين ، والجنب والجوع والعطش ، ونحو ذلك لا
أعبد ما تعبدون وهو الآله المنزه مطلقا في جميع المراتب المحكوم عليه بانه
على كذا ، ولا بد ولا يكون على كذا ، المحجور عليه بالعقول والافكار ، ولا

أنتم عابدون ما أعبد ، وهو الآله المتزه المشبه أعني . نزه حالة تشبيهه ، قل
يا أيها الكافرون الجاحدون انفراد الحق تعالى بإيجاد كل موجود ، القائلون
بتأثير الطبايع والأفلاك ، أو الأسباب العادية بطابعها ، أو بقوة أودعها الله
تعالى فيها ، أو أن العبد يخلق أفعاله الاختيارية كما يقوله المعتزلي ، لا أعبد
ما تعبدون ، وهو الآله الذي له شريك في فعل من أفعاله ، أو حكم من
أحكامه ، فقلوه ، لا أعبد ما تعبدون ، ما أعبد ، ولا أنتم عابدون ما أعبد ،
المقصود به أهل الكفر الأكبر ، وقوله ، ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم
عابدون ما أعبد ، المقصود به ما عبد أهل الكفر الأكبر من سائر
الطوائف والملل والنحل ، فما في كلام الحق تعالى تكرر ولستم دينكم الدين
الجزاء أي لكل طائفة منكم جزاء بحسب مرتبة كفرها ، فكما أن الكفر
أنواع فالجزاء أنواع ، فلكل كفر جزاء ، ولي دين ، أي لي جزاء عام
وهو التلذذ والتعميم كل معتقد حيث كان آلهي ومعبودي مطلقا لا حكم
عليه ولا تحجير ، والعابد للآله المطلق له التعميم المطلق

(الموقف المائتان الرابع والعشرون)

قال تعالى ، ولمن خاف مقام ربه جنتان ، وقال في السورة نفسها ، ومن
دونهما جنتان ، أعلم أن العباد لي قسمين أشقياء وسعداء ، والسعداء على قسمين
أبرار أصحاب اليمين ومقربون سابقون ، فالأشقياء لا خوف عندهم ، والسعداء
لهم خوف ، وخوفهم نوعان ، خوف الاجلال والتعظيم والمهابة ، وهو المقربين
السابقين ، فإن الخوف منه تعالى علي قدر المعرفة به ، فمن كانت معرفته أتم كان
خوفه أكمل ، ولذا قال السيد الكامل صلى الله عليه وسلم ، اني لأعرفكم ^(١) بالله

(١) وفي نسخة : أنا أعرفكم بالله

تعالى وأشدكم له خشية ، وخوف النار والأغلال والعذاب والنكال هو الأبرار أصحاب اليمين وليس الخوف من لازمة الاجلال والاعظام ، فان الانسان يخاف الحية والعقرب من غير تعظيم ولا اجلال ، ولما كان خوف الابرار والمقربين مختلفا في النوعية كان جزاؤهما مختلفا في العين والماهية فجزاء المقربين دخول جنتي الذات والصفات وهو جزاء معنوي ودخول معنوي ، حيث كان خوفهم معنويا جزاء وفاقا إذ الجزاء من جنس العمل وهما الجنتان المتقدمتان في الذكر في السورة فهما مقدمتان رتبة وذكرنا وجميع ما ذكر في هاتين الجنتين هو من الأمور المعنوية فقلوه ، ذواتا أفنان ، إشارة الى كثرة التجليات الذاتية والصفاتية وتشاجرهما وتباينها ، بحيث لا يشبه تجل تجليا أبدا أبديا ، وقوله فيهما عينان تجريان ، إشارة الى جريان العلوم الدنيوية والالهامية وتتابعهما على الدوام لمن دخل هاتين الجنتين ، فالعلم الدني هو الوارد من الوجه الخاص الذي لكل إنسان ، والعلم الالهامي هو الوارد بواسطة الملك الغير المحسوس ، فبين العلمين فرقا الواسعة وعدمها وقوله ، فيهما من كل فاكهة زوجان ، إشارة الى أن في هاتين الجنتين من كل ما تستلذه الارواح ، وتنعم به القلوب نوعين كالمشاهدة والمسكلة ، والحضور والغيبة ، والسكر والصحو ، والبقاء والفناء ، والجمع والفرق ، ونحوها ، وقس على هذا ما لم أذكر ، وهاتان الجنتان لا نهاية لهما ولا حد ونعيمهما لمن دخلهما دنيا وبرزخا ، والآخرة واللذة فيهما أتم والتنعم أكمل ، بل بالنسبة بينهما ، وبين الجنتين المذكورتين بعد ، وجزاء الابرار دخول جنتين محسوستين ، لأن ما خافوه محسوس وهما المذكورتان في قوله ، ومن دونهما جنتان ، فهما دون الأولين في القدر والسعة واللذة بل هاتان كلاشيء ، بالنسبة للأولين فانهما لا يدخلان

تحت الكم والكيف ، وما ذكر في الجنتين الأخيرتين كله محسوس ولهما نهاية وحد في أنفسهما لا في نعيمهما ، وهما الجنتان اللتان ورد الخبر بهما كما في صحيح البخاري جنتان من فضة آيتهم وما فيهما ، وجنتان من ذهب آيتهم وما فيهما ، فمن في قوله ، ولمن خاف مقام ربه ، واقعة على الصنفين الخائفين من الأبرار والمقربين مع اختلاف خوفهما ، فهو مقول بالنشكيز كما أن المقام هو بالنسبة إلى المقربين بمعنى الحضرة الربانية ، وبالنسبة إلى الأبرار مقام العباد بين يدي الحق تعالى ، وقوله ، جنتان ومن دونهما جنتان ، هو على طريقة التوزيع فإن الأخبار واقعة على الصنفين من المقربين والأبرار

(الموقف المائتان الخامس والعشرون)

قال تعالى ، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ، أي لولا وجود دفع الله الاسم الجامع لأسماء الجلال والجمال والرضى والغضب الناس الذين هم مظاهر أسماء الجلال والجمال والرضى والغضب ، بعضهم يعني مظاهر أسماء الجلال والشر والغضب ببعض ، بمظاهر أسماء الجلال والخير والرضى ، والاسم الجامع هو المدافع والمدافع في الجهتين من حيث الناس الذين هم مظاهر الصنفين كما قال ، قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم وإن هذين الصنفين أتى مظاهر أسماء الجلال والجمال المعبر عنهما باليدين في الآيات والأحاديث دائما في مدافعة ومغالبة ومشاققة حتى في الشخص الواحد ، كما ورد أن الملك لمة وللشيطان لمة ، فالمطاردة والمدافعة بين مظاهر الجلال والجمال لا تنفك دائما ، كمطاردة الليل والنهار بالنور والظلمة ، لفسدت الأرض أنحل نظامها وزلزلت زواياها إذ لولا وجود دفع الله أهل الكفر بأهل

الايان وهم مظاهر الاسم الله الجامع للجلال والجمال لاستولي الكفر على
أهل الأرض وقد قضي تعالى أنه اذا لم يبق علي وجه الأرض من يقول
الله قامت القيامة فانفطرت السماء وطويت الأرض، وانقلب الامر الى
الآخرة كما أنه لولا وجود مدافعة الله الشيطان بالملك لتسدت الأرض،
أرض النفوس التي هي محل البذور والالقاء كما قال، فألهما جفورها وتقواها،
ولكن الله ذو فضل على العالمين، أي ذو إفضال وامتنان بوجود مدافعة
مظاهر الخير لمظاهر الشر كمدافعة أهل الكفر بأهل الايمان، ومدافعة الملك
للسيطان، ويكون العالمين علي هذا عاما أريد به خاص إشارة أخرى، ولولا
دفع الله الناس الآية، الناس يعم الجن والانس والجن يعم الملائكة وجميع
الأرواح والعالم كله ذو روح فيكون دفع الله الناس بعضهم ببعض يعم العالم
كله أعلاه وأسفله، أعني مدافعة الأسماء بعضها ببعض التي العالم كله
مظاهرها، تسدت الأرض لأنحلت واضمحلت، المرتبة الامكانية التي هي
الأرض القابلة لمظهر الأسماء المتدافعة المتغالبة بل ولا كانت ولا وجدت
فانه لا قيام ولا بقاء لهذه الأرض الا بمدافعة أسماء الجلال والجمال التي
اشتملت عليها مرتبة الألوهية المسماة بالله بعضها ببعض ومغالبتها ومداولتها
في الغلبة لأن العالم كله إنما كان عن الطبيعة والعناصر وهي مظاهر الأسماء
ومدافعة بعضها ببعض ومغالبتها ضرورية ولولا ذلك الميل ما حدث شيء
لأن الاعتدال لا يكون عنه شيء ولكن الله ذو فضل على العالمين، ذو
افضال علي العالمين، وهو كل ما سواه تعالى أمتن علي جميع العالم بوجود
مدافعة الله الناس الذين هم مظاهر أسمائه فتم إيجاد مظاهر الجمال والجلال إذ
الممكنات تطلب الایجاد والتأثر، كما أن الأسماء تطلب الظهور والتأثير والوجود

كله خير والشر هو العدم فالعالمين على مقتضى هذه الإشارة على أصل وضعه
(الموقف المائتان السادس والعشرون)

قال تعالى ، ربنا الذى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ، المطلوب من
الواقف على هذا الموقف أن يعطيه ما يستحقه من التأمل والانصاف فإنها
مسئلة تكسرت فى البحث عنها أظافير كثيرين ليعلم أن الأشياء الممكنة
معلومة للحق تعالى حالة عدمها بعلم محيط اجمالى فى تفصيل لا يتناهى ،
والمشيئة المذكورة فى هذه الآية هي المشيئة الوجودية ، أعطى كل شيء
أي موجود خلقه طبيعته واستعداده كما هي فى قوله ، وقد خلقتك من قبل
ولم تك شيئاً ، أي موجوداً لا الشيئية الثبوتية كما هي فى قوله ، إنما قوانا
لشيء ، الآية ، وهي الشيئية المعلومة المجردة عن الوجود العيني ولحقائق
الممكنات استعدادات كذلك معلومة له تعالى ، ثابتة معدومة وكما أن
عدم الممكنات السابق على وجودها غير مراد ولا معمول ، فكذلك
استعداداتها وطبائعها الكلية غير داخلية تحت الإرادة والجعل ، لأنها
اقتضاءات أسمائية آلهية التى هي حقائق أول ، وهذه حقائق ثواني ،
والممكن من حيث هو ممكن بالنظر الى حقيقة الامكان لا يقتضى شيئاً
لذاته ، فلا بد له من مرجح ، إذ وقوع أحد المتساويين بلا مرجح محال
لما يلزم من التساوي وعدم التساوي ، والمرجح لا يرجح إلا بالعلم
وإرادة المتقدمين على الترجيح وبالنظر الى كون علمه تعالى قديماً محيطاً
لا يقبل التغيير لاستحالته فالممكن المعلوم حالة عدمه لا يقبل التغيير لما يلزم
من انقلاب العلم جهلاً ، إذ المحال كانت معنوية أو عينية تعطى الحال بها
أحكاماً ليست له بمجرد النظر الى ذاته فلزم من هذا أنه تعالى لا يعطي حقيقة

وذا من ذوات الممكنات حالة إيجاده من الأحوال والصفات إلا ما علمه
منه حالة عدمه لطلبه ، لذلك باستعداده وطبعه الذي هو مقتضى حقيقته إذ
انقلاب الحقائق محال وصح قول حجة الاسلام الغزالي رضي الله عنه ، ليس
في الإمكان أصلاً أحسن ولا أتم ولا أكمل مما كان ، أي مما هو عليه كل ممكن
في الحال ويكون عليه في الاستقبال من الأحوال والصفات دنيا وأخرى ،
يعنى أنه ليس في الممكن الجائز أن يكون في حق أفراد كل حقيقة وذات
نسبت إلى الوجود في العالم أعلاه وأسفله أحسن وأتم وأكمل مما كان ، أي
مما أعطيت أشخاص كل حقيقة من الأحوال والصفات والأوضاع ، لأنه
تعالى فعل بها وأعطاهما ما طلبه باستعدادها وتستحقه بطبعها الذي علمه منها
حالة عدمها ، فكما أنه تعالى أخبر أنه لا يعطيها في النهاية إلا وصفها بقوله ،
سيعزيهم وصفهم إنه حكيم عليم ، ولا يظلم ربك أحداً ، لأنه علمهم على تلك
الصفات والأحوال في الدنيا ، فكذلك في البداية لم يعطهم من الأحوال
والصفات إلا ما علمهم عليه قبل وجودهم وهي استعداداتهم لأنه علمهم متى
وجدوا يكونوا على تلك الأحوال والصفات والهيئات والأوضاع لأنها
مقتضى استعداداتهم التي هي حقائقهم أو لوازم حقائقهم ومن البين أن العلم
ظل المعلوم وحكاية عنه ، فهو تابع له ولا أحسن ولا أكمل ولا أتم ولا أبدع
ولا أحكم من إعطاء كل مستعد ما هو مستعد له فانه لا يطلب غيره بل لا يقبله ،
فانه لا يصلحه ولا يمشى به على حقيقته إلا ذلك ، ألا ترى مثلاً إلى استعداد
الشمعة للانطفاء بالنفخ ، واستعداد قبضة الحشيش اليابس للاتقاد به ، ولو أراد
النافخ إذا كان غير عالم بالاستعداد ولا حكيم فيعطى كل شيء ما يستحقه إيقاد
الشمعة بالنفخ ما قبلت ذلك ، لأنه خارج عن استعدادها كما أنه إذا أراد إطفاء

قبضة الحشيش بالنفخ ما قبلت ذلك كذلك ، والفعل والفاعل واحد ولكن الاستعدادات مختلفة والطبائع متباينة فالتجلي الالهي واحد وحقائق الممكنات تقبله بحسب استعداداتها وقوابلها فمن الاستعدادات ما يعم جميع أشخاص الحقيقة الواحدة كالتمدي مثلاً لحقيقة الحيوان والنبات وقد ينفرد كل نوع من انواع الجنس الواحد باستعداد وطبيعة كاستعداد أنواع الحيوان المصوت ، كل نوع الى صوت يخالف الآخر ، وما ذلك إلا لاختلاف الاستعدادات وقد لا تنحصر الاستعدادات في أشخاص النوع الواحد ، ولا في أنواع الحقيقة والجنس الواحد ، والحق تعالى واسع عليم بالاستعدادات على اختلافها ، حكيم يضع الأشياء مواضعها التي تستحقها ، جواد يعطي كل مستعد ما يطلبه باستعداده ، وهو معني أعطى كل شيء خلقه أي طبيعته واستعداده ، ثم هدى ، أي بين ويسر وساق كل شيء بعد إيجاده الى ما هو مستعد له قبل إيجاده ، فليس له تعالى الا إعطاء الوجود للأحوال والصفات لكل مستعد حسب استعداده وطلبه لذلك بلسان حاله الذي هو الاضطرار ، وهو تعالى يقول ، أمّن يجب المضطر اذا دعاه ، فكلام حجة الاسلام رضي الله عنه ، إنما هو في بيان انه تعالى ما ظلم أحدا من خلقه ولا عدل به عما علمه منه حالة عدمه ولا نقصه خردة مما طلبه باستعداده وخلقه وطبيعته ، إن خيرا نخير ، وإن شرا فشر ، إن نقصا فنقص ، وإن كمالا فكمال ، وبهذا كانت له الحجة البالغة على مخلوقاته ، وفي بيان ان الأحوال والصفات والأوضاع المعمولة التابعة للحقائق والذوات والماهيات الغير المعمولة لا يمكن ان تكون أعلا مما هي عليه ولا أدون ، لأنها مقتضي استعدادات الحقائق والذوات من غير تعرض لشيء آخر وراء ذلك أصلا ، ولو قيل لحجة الاسلام ، هل في

الامكان العقلي أن يخلق الله تعالى حقائق أحسن وأتم وأكمل مما خلق
أعني قدّر : اقل هو ممكن عقلا إذا أرادوا ما كشفنا فهو محال ، لأن العالم
مخلوق علي الصورة الآلهية ، وحجة الاسلام إنما يتكلم مع الجمهور اصحاب
العقول فهو يقرب الأمر الى عقولهم ولو قيل له وهل في الامكان ان
يعطي تلك الحقائق صفات وأحوالاً أعلى أو أدون مما تقتضيه استعداداتها
التي علمها عليه قبل نسبة الوجود اليها ، لقال لا يمكن لأن القدرة إنما تتعلق
بالممكن ووقوع خلاف العلم الآلهي مستحيل ، ولو قيل له ، وهل في
الامكان ان يخلق الله تعالى حقائق تقتضي باستعداداتها احوالاً وصفات
هي أحسن وأكمل وأتم مما كان ؟ لقال نعم ، كيف وهو تعالى يقول ،
إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد ، فاطلق فجاز أن يكون أعلا وقال ،
إن يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء ، فاطلق كذلك وقال ، يستبدل قوما
غيركم ثم لا يكونوا امثالكم ، فقيّد بعدم المثلية وقال ، إنا لقادرون على أن نبذل
خيبراً منهم ، فقيّد في هذه الآية البديل بالخيرية يؤيد حمل كلامه رضي الله عنه
على ما ذكرناه لا غير قوله ، الذي بنى عليه هذه المقالة عند ما تكلم فيما يشر
التوكل ما نصحه باختصار بعض الكلمات هو أن تصدق يقينا ان الله لو خلق
الخلائق كلهم علي عقل أعقلهم وعلم أعلمهم ، وأفاض عليهم من الحكمة مالا
منتهى لو صنفه ثم كشف لهم عن عواقب الأمور واطلعهم على أسرار الملكوت ،
وأمرهم ان يدبروا الملك والملكوت بما أعطوا من العلم والحكمة لما اقتضى
تدبير جميعهم ان يزداد فيما دبر الله به الخلق في الدنيا والآخرة جناح بعوضة ،
ولا ان ينقص منه جناح بعوضة ، ولا ان يرفع عيب أو نقص ، أو مرض أو
ضرر عن بلي به ، ولا ان يزال غنى ، أو صحة أو كمال ، أو نفع عن نعم عليه ، بل

كل ما خلق الله من السموات والأرض وكل ما قسم الله بين عباده من رزق وأجل، وسرور وحزن، وعجز وقدرة، وإيمان وكفر، وطاعة ومعصية، عدل لاجور فيه، وحق لا ظلم فيه، بل هو على الترتيب الواجب الحق على ما ينبغي، وبالقدر الذي ينبغي، وليس في الامكان أصلاً أحسن منه ولا أتم ولا أكمل، ولو كان، وأدّخره مع القدرة، لكان بخلاف يناقض الجود، وظلماً يناقض العدل، ولو لم يكن قادراً لكان عاجزاً والعجز يناقض الألوهية يعني رضي الله عنه أنه تعالى أعطاهم ما أعطاهم وكشف لهم عن علمه بالأشياء في العدم فعرفوا استمداداتها وطبائعها التي تقتضيها له، وحقائق الأشياء طالبة لصفاتها وأحوالها وأوضاعها التي تعرض لها بعد الإيجاد العيني، طلباً طبيعياً لزومياً، ورأوا تلك الصفات والأحوال على اختلاف أزمعتها وامكنتها، مترتبة ترتيباً اقتضائياً، بحيث تكون الحالة الأولى جاذبة للتي بعدها، مستلزمة لها، كخلق السلسلة يجذب بعضها بعضاً جاذباً طبيعياً وإن الكشف الثقيل استمداده وطنبه يقتضي أن يكون أسفل، ولا يليق به ويصلحه إلا ذاك، كالأرض وما خلق منها من حيوان وإنسان، وإن اللطيف الخفيف استمداده وطبيعته يقتضي أن يكون أعلا كالسموات وما خلق منها من ملك ونحوه وإن البارد اليابس كالارض لا ينتظم أمره إلا بمجاورة البارد الرطب كالماء، وإن اليابس الحار كالنار لا ينتظم أمره إلا بمجاورة الحار والرطب كالهواء، وقس على هذا، فلو عكس هؤلاء الذين أمرهم الله تعالى أن يدبروا الخلق بما أفاض عليهم وأعطاهم من العلم والحكمة خردلة ما انتظم العالم بل لا يمكنهم زيادة خردلة ولا نقصانها، لأنه قلب للحقائق وهو محال وتغيير لمعلوم العلم أزلاً، وهو محال أيضاً إذا العلم لا بد له من معلوم ومتى ما ظهر ظهر طبق ما تعلق به العلم القديم لا أزيد

ولا أنقص بزمانه ومكانه ، لا يتقدم ولا يتأخر ، فهو تعالى يخلق ما يشاء ويختار ولا يشاء ويختار الآ ما علم من كل معلوم حال عدمه وهو ما عليه كل ممكن حالة وجوده من جميع أحواله وصفاته التي لانهاية لها في الدار الدائمة فلا يصح أن يقال الحق تعالى يعجز عن شيء بل هو القادر المطلق ، ولكن يقال الحق تعالى لا يفعل الآ ما أراد واختار ولا يريد ويختار الا ما علم والمعلوم لا يتغير ، فلو كان في الامكان خلاف الواقع بحسب ما عليه كل ممكن من الاحوال والصفات مع طلب الممكن أي ممكن كان من الممكنات باستعداده ولسان حاله الأحسن والاكمل بالنسبة الى ما أعطى من الصفات والاحوال على سبيل فرض المحال ، إذ لا يطلب شيء غير ما هو مستعد له البتة ، لكان بخلاف يناقض الجود ، وظلما يناقض العدل ، والبخل والظلم محال ، فاللازم وهو منع المستحق ما هو مستحق له طالب له باستعداده محال ، والظلم وضع الأشياء غير مواضعها التي نستحقها باستعداداتها ، والعلم والحكمة ولو لم يكن قادرا على ما يريد اسكان عاجزا والعجز محال ، فهو تعالى عالم قادر مريد مختار ، ولعله وارادته واختياره لا يعطي شيئا في الممكنات الا استعدادا لانه مقتضي الارادة المترتبة على العلم المترتب على المعلوم فتبين من هذا أنه لا اعتزال ولا فاسفة ، ولا جبر ولا إيجاب في قول حجة الاسلام في هذه المسئلة بل هو كلام صفة الصفوة من أهل السنة والجماعة والحاصل ان حجة الاسلام رضى الله عنه رمز بهذه المقالة الى سر القدر المتحكم في الخلايق ، وهو الذي تنتهى اليه الاسباب والعلل ، وهو لا سبب له ولا علة ، فلا يقال فيه لم ولا كيف ، قال رضى الله عنه بعد ما قدمناه من كلامه وهذا الآن بحر ذاخر عظيم عميق واسع الاطراف مضطرب

الامواج غريق ، فيه طوائف من القاصرين ولم يعلموا ان ذلك غامض ولا يعقله الا العالمون ، ووراء هذا البحر سر القدر الذي تحير فيه الأكترون ، ومنع من أفشاء سره المكشفون ، الى آخر المقالة فاعتصم هذا الرمز على الافهام ، من الخاص والعام ، وتباينت فيه الآراء من لدن عصر حجة الاسلام الى هلم جرا حيث كان هذا الرمز موزعا بين طريقة المكشفين ، وطريقة المتكلمين ، فهم بين معتقد محيب ، ومعتقد غير مصيب ، أما العارفون بالله فقد عرفوا صحة معناها ، وأصل مبناها ، غير أنه ما أستقام لهم تطبيق اللفظ على المعنى المراد الاستقامة الحالية عن تكلف المسألة من الاعتراض ، وكنت أنا الحقير أقول عند المذاكرة مع الاخوان في هذه المسألة المعنى صحيح واللفظ مشكل الى أن ورد هذا الوارد ، وأما غير العارفين من محيب ومعترض فهم يتخبطون بين كلام أهل السنة والاعتزال ، والكل في ناحية عن مرمى حجة الاسلام ، وأكثروا من بسط الكلام ، في هذه المقالة من الذين وقفنا على كلامهم الشيخ المتقن أحمد بن مبارك السجستاني ثم الفاسي في كتابه الابريز ، وقال انه فعل ذلك نصيحة للمسلمين ، والله ينفعه بفصده فانه معذور ، وهو من القادحين في هذه المقالة ، وممن لم يشم رائحة للمعنى الذي ذكرناه ولولا خشية التطويل جلبنا أجوبة المحيين واعتراض المعترضين ، فلا تحجبك أيها الواقف على ما كتبناه جلاله المتكلمين في هذه المسئلة وحقارة هذا الكاتب عن أخذ ضالتك عند من وجدتتها فتكون ممن حرم الافادة وحجر على الله أن يتفضل على من شاء ، وجرت ذيلها عليك آية وقالوا ، لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم أهم يقسمون رحمة ربك .

(الموقف المائتان السابع والعشرون)

قال تعالى ، وربك يخلق ما يشاء ويختار ، إعلم أن الحق تعالى له الفعل والاختيار المطلق ما لم يتقيد بمظهر ويتعين بتعين ، فانه حينئذ لا يكون فاعلا مختارا في المظاهر الا بحسب استعداداتها وطبائعها فان التقيد بالأعيان يحكم على الوجود الحق فلا يظهر فيها الا بحسبها فله تعالى في كل عين فعل ، واختيار ، هو مقتضى تلك العين فان الاستعدادات الكلية غير مجعولة ، فعمله تابع لعلمه وعلمه تابع لمعلومه رتبة فهو تعالى قادر أن يخرج من الحجر ثمرا ولكن بعد أن يجعل الحجر شجرا ، هكذا فلتعرف الحقائق وتفهم الدقائق

(الموقف المائتان الثامن والعشرون)

قال تعالى ، ألا إن وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون ، أي وعد الله حق ثابت وقوعه لمن وعده ، ولكن أكثرهم لا يعلمون ، فقالوا بحقية الوعيد كذلك ، وهو خطأ لأنه تعالى يحب المدح كما ورد في الصحيح فحيما ذكر تعالى الوفاء بالوعد فاعما ذكره للتمدح والامتنان والوفاء بالوعد ليس هو مما يتمدح به فانه دليل الحمد والجفاء والغلظة ، وليس في خلاف الوعيد نقص ، كما توهم بل هو عين السكمال ولا يسمى خلفا عادة وانما يسمى عفوا وغفرا انا وسماحة وكرما وسؤدد اقال بعضهم يمدح نفسه بالخلاف الوعيد . واني اذا أوعده أو وعدته تخلف إيعادي ومنجز موعدي

كيف وهو تعالى يحثنا على الخلق ويأمرنا به ويرغبنا فيه في غير ما آية وحديث ، ويمدحنا به ولا يفعله هذا محال إذ لا أحد أحب اليه المدح من الله تعالى . كما في صحيح البخارى ، ولو لم يفعله أدخل تعالى نفسه تحت قوله أأأمرون الناس بالبر

وتنسونا أنفسكم ، والعقل اذا نظر الى أنه تعالى لا ينتفع بطاعة كما قال ، لن ينال
 اللّخومها ولا دماؤها ولا ينضرر بمعضيته فانه غني عن العالمين ، لا يحكم بعقوبة
 ولا مشوبة وإنما الشارع جاء بتعيين هذا وهذا ترجيح لأحد الجائزين في العقل
 مع توقف ذلك على المشيئة الآلهية من غير إيجاب ، ولا يوجد في الكتاب
 ولا في السنة دليل نص لا يتطرق اليه احتمال في عقوبة العاصي ولا بد
 بحيث لا يرجى له عفو ولا سماح ولو بعد حين ، وانه تعالى لا يخلف
 وعيده ، فله تعالى أن يخوف عباده بما شاء من قول أو فعل ، وقوله إن الله لا
 يغفر أن يشرك به ، الآية ما هو دليل نص على أن المشرک مطلقا يتسرم
 عليه العذاب أبد الآبدين وإنما دلت الآية على أنه لا يغفره بمعنى أنه لا يستمر
 بل لا بد من عقوبته وتعذيبه وهل بعد هذا التعذيب والعقوبة عفو وسماح
 أولا ، ليس في الآية دليل على أحدهما وما ثم نص يرجع اليه في تسرمد
 العذاب على أهله . كما هو في تسرمد النعيم لأهله فلم يبق الا الجواز ، ودعوى
 الاجماع باطلة ، وقد تقدم ذلك في موقف . انا فتحنا لك ، قال تعالى ، يا أيها الناس
 إن وعد الله حق ، وما قالوه عيده ، وقال ان وعد الله حق ، وما قالوه عيده ،
 مع أن هذه الآية ذكرها عقب التهديد والتخويف ، وهو قوله يا أيها الناس
 اتقوا ربكم واخشوا يوما ، الآية ، وقال في طائفة من الملائكة ، ويستغفرون
 للذين آمنوا ، وقال ، في طائفة أخرى منهم ، ويستغفرون لمن في الأرض ، يعني
 بني آدم فعمم وقال حكاية عن الخليل عليه الصلاة والسلام . فمن تبعني فانه مني
 ومن عصاني فانك غفور رحيم ، وقال حكاية عن عيسى عليه الصلاة والسلام
 إن تعذبهم فانهم عبادك وإن تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم ، ولما لاحظنا
 هذا المعنى العظيم وغيره ردد صلى الله عليه وسلم هذه الآية آية كاملة ، كما

وردد في الخبر فلوله يكن العفو والسماح جائزا ولو بعد حين ما فوضه اليه الانبياء
ولا سألته الملائكة على جميعهم الصلاة والسلام فان الانبياء والملائكة أعرف
الخلق بالله تعالى وبصفاته وأفعاله فكل ذنب يجوز العفو عنه بترك العقوبة
عليه إصالة إلا الشرك ولا كل شرك بل ما كان عن تقليد كما حكى تعالى عنهم،
بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون، وقولهم إنا وجدنا آباءنا على أمة وأنا على آثارهم
مقتدون، فان هؤلاء ما نظروا ولا اعتبروا ولا اجتهدوا بل عطلوا نعمة العقل
التي هي اعظم نعمة انعم الله بها علي الانسان، وأما اذا كان الشرك بعد النظر
والاجتهاد وبذل الطاقة فاذا ما نظره القاصر الى الشرك فهذا لا نص في القطع
إنه لا يغفر له، قال تعالى، ومن يدع مع الله ألها آخر لا برهان له به، وهذا
له برهان في زعمه وان كان ليس ببرهان في نفس الأمر، فان النظر الصحيح
المستوفي الشرائط لا يصل به صاحبه الى الشرك، كيف وقد قال تعالى لا يكلف
الله نفسا الا وسعها، وقال، لا يكلف الله نفسا الا ما أتاه، وهذا عمل جهده
وبذل وسعه، وأهل الله العارفون به مجمعون على أن المجتهد في الأصول وهي
المسائل التي لا يكفي فيها الا القطع أعني العقائد العقلية معذور، كما هو في
الفروع وهي المسائل التي يكفي فيها غلبة الظن وهي العمليات ووافق أهل الله
حجة الاسلام الغزالي نظرا في كتابه، التفرقة بين الايمان والكفر والزندقة،
والإفهام من أكابر أهل الله ووافقهم أبو الحسين العنبري والجاحظ من
المعتزلة، ولا تقل ايها الواقف أسرفت وأفرطت، فانه والله توفقت في
كتابة هذا الوارد ثلاثة عشر شهرا بعد وروده إلى أن أذن الله تعالى في
كتابته ومن اطلع به الله على شرف هذا النوع الانساني وعناية الله به
وما خصه به من تسخير الافلاك وسجود الاملاك، قال بما قلناه وما استبعد

في حقه فضلا من الله تعالى وفي صحيح البخاري فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة

(الموقف المائتان التاسع والعشرون)

قال تعالى حكاية قول العبد الصالح خضر عليه السلام: وما فعلته من أمري، أعلم أن المخلوقات منقسمة الى عالم أمر وعالم خلق؛ فلكل فرد من أفراد عالم الخلق حتى الذرة أمر يخصه من عالم الأمر يدبره وعالم الخلق هو السبب في إيجاد عالم الأمر من الأمر الكلي؛ قال امام العارفين محيي الدين رضي الله عنه

وما الفخر إلا للجسوم وكونها مولدة الأرواح ناهيك من فخر ألا ان طيب الفرع من طيب أصله وكيف يطيب الفرع من مخبث النجر هكذا قال وقال أيضا، هل الصورة سبب في وجود الروح الأمدي، أو الروح الأمدي سبب في وجود الصورة، فانه قال تعالى في خلق عيسى عليه الصلاة والسلام: فنفخنا فيه من روحنا يعني فسكات صورة عيسى عليه السلام وقال في خلق آدم عليه الصلاة والسلام، فاذا سوّيته ونفخت فيه من روحي، يعني وان كانت الواو لا تقتضي الترتيب لكنه يحتمل ان تسوية الصورة مقدمة على نفخ الروح، والذي عندي انهما متلازمان بحيث لا ينفك أحدهما عن الآخر وان ورد في الصحيح في ذكر اطوار الخلقة الانسانية، نطفة ثم علقة ثم مضغة، ثم ينفخ فيه الروح فيحتمل أن يكون المراد بنفخ الروح هنا ظهور آثار الروح وهو الحس والحركة والتغذي، فعند ابتداء صورة الانسان تكون روحها روحا جمادية بمعنى أنها لا تفعل إلا فعل روح الجماد وهو إمساك اجزاء الصورة وجواهرها بعضها على بعض، ولا يظهر عنها فعل غير هذا

وعند ما تصير الصورة تنمو وتتغذى تكون روحها روحاً نباتية، بمعنى أنها تفعل ما تفعل روح النبات، وهو النمو والتغذى لا غير وعند ما يظهر في الصورة الاحساس والحركة، تكون روحها روحاً حيوانية بمعنى أنها تفعل فعل روح الحيوان وهو الحس والحركة والتخيل، وعندما تظهر منها الآثار التي لا تظهر إلا من الإنسان وهي الفكر والتدبير ونحوهما، فهي إنسانية اختلفت أسماؤها باختلاف ما يظهر عنها من الآثار زيادة ونقصاناً وهي واحدة لا تتعدد في ذاتها ولكن في صفاتها ولا تتجزأ ولكن تكون آثارها وتظهر بحسب استعداد الصور لظهور آثار الروح عنها، فصورة بغير روح لا تكون، وروح بغير صورة لا تكون، إما عنصرية أو طبيعية أو خيالية أو روحانية كما يقول الحكماء في الصور الجسمانية أنها مركبة من جوهر الهولمي وجوهر الصورة، وكلاهما لا يوجد بدون الآخر فالصورة الجسدية مركبة منها والروح لا تدرك نفسها في غير صورة أبداً لا دنيواً ولا برزخاً ولا أخرى، ولو لم يكن لها مركب تدبره لالتحقت بالعدم، فنفس إرادة الحق تعالى من الطبيعة التي هي ظاهر الأمر الرباني، نفس إرادته تعالى من الأمر الكل روحاً يختص تدبيرها بملك الصورة في عالم الأجسام ولعالم الأمر أمر واحد يجمعه قال، وإليه يرجع الأمر كله، وقال وما أمرنا إلا واحدة، كما أن لعالم الأجسام جسماً واحداً يجمعه هو الجسم الكل، وعالم الأمر حاكم على عالم الجسم ومسلط عليه، والكل تحت تدبير الحق وتسخير، قال تعالى، الإله الخلق، والأمر، وقال يدبر الأمر، وكل فاعل في عالم الخلق إنما يفعل ما ينسب إليه من الأفعال بأمر عالم الأمر أعني أمره الخاص به فإذا فعل الفاعل أي فاعل كان من عالم الخلق فعلاً بأمر أمره الخاص به، المضاف إليه، فقد يكون ذلك الفعل صواباً

وقد يكون خطأ، وقد يكون طاعة، وقد يكون معصية، فإن الأمر الخاص بالخلق الخاص هو منفذ لأمر الحق تعالى في ذلك شراً كان أو خيراً، نفعا كان أو ضراً، وأما إذا فعل الفاعل فعلاً ما بأمر الأمر الكل الجامع للأمور كلها فلا يكون الآصواباً وطاعة، وهذا لا يكون إلا لشيء أو واثق فلهذا قال العبد الصالح خضر قاطعاً لا اعتراض السكيم عليهما السلام ما فعلته عن أمري، بمعنى ما فعلته فعلاً ناشئاً عن أمري الخاص بي، المضاف إلى بل فعلته فعلاً ناشئاً عن الأمر الكل الذي لا يأمر بالفحشاء، ومراده بقوله ما فعلته الأفعال الثلاثة، خرق السفينة، وقتل الغلام، وإقامة الجدار، إلا الفعل الأخير فقط ولما كان السكيم عليه الصلاة والسلام علي علم وهو أن من كان فعله بأمر الأمر الكل لا يكون الآصواباً وطاعة، سلم واستسلم، ولما كتبت هذا الموقف رأيت أنني أوتيت بكتاب، وقيل لي هذا كتاب الشيخ محي الدين بن العربي رضى الله عنه الذي ألفه في الروح فتصفحته، والحمد لله رب العالمين

(الموقف المائتان والثلاثون)

قال تعالى، وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلماً، وجوه الحق تعالى هي أسماءه ونسبه سميت نسباً من حيث أنها لا موجودة ولا معدومة، وسميت أسماء لأنها تدل عليه دلالة الأسماء على مسماها وإن كان لا يخلو اسم منها عن رائحة الوصفية لأنه تعالى إنما يذكر بها على وجه الثناء والثناء لا يكون بالاسم العلم المجرد عن الوصفية وسميت وجودها من حيث أن ظهور الحق تعالى لمن ظهر له لا يكون إلا بها ولذا سمي العضو الذي هو أول ما يظهر من الإنسان لمقابله وجهها لأنه يظهر به أولاً وجوه الحق تعالى

عنى أسماؤه لانهاية لها ولا يحاط بها بنص قول السيد الكامل صلى الله عليه ، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، يعنى لناوالاً فأسماؤه تعالى قديمة بالنسبة اليه ، أو أنزلته فى كتابك، أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به فى علم الغيب عندك وبقوله فى حديث الشفاعة كما هو فى صحيح البخارى، فأحمده بحامد يعلمنيها لا تحضرني الآن ، والحمد لا يكون إلا بالثناء بالوصف الجميل وبقوله ، لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك رواه البخارى، وبقوله لا أحصى ثناء عليك، لا أبلغ كل ما فىك فليس عند العالم من الاسماء الا ما تطلب العالم ويطلبها وما عدا ذلك فاختصاص لبعض الخواص، ومع كون وجوه الحق تعالى لانهاية لها فهي ترجع الى أصول سبعة، وهي أئمة، وأمهات وكايات، وأصول لجميع الوجوه، وهي القادر، والمريد، والعالم، والمتكلم، والسميع، والبصير، والحي، عند المتكلمين، والحي، العالم المريد القائل القادر الجواد، المقسط عند الطائفة العلية وأمام هذه السبعة هو الوجه الحى فهو إمام الأئمة بإشارة هذه الآية الكريمة، فله عنت الوجوه وخضعت، لأنه الشرط فى التسمى بكل واحد منها والشرط مقدم على المشروط رتبة وطبيعة فاسم الحى منبع الكمال الذى يستوعب كل كمال يليق به بحسب ما اقتضته ذاته ومرتبته فهو عين الكمال المشعر بجملة، الشامل لجميع الوجوه من حيث ما تضمن من الكمالات إذ معنى الحى فى حقه تعالى هو اقتضاء الوجود للفعل والادراك، فجميع الوجوه داخلة تحت هذا واخص الوجوه وأشدها لزوماً للوجه الحى الوجه القيوم ولم يرد فى القرآن، وأكثر السنة ذكره الا مقروناً به حتى قال بعض سادات الطائفة، الحى القيوم اسم واحد مركب تركيب مزج كعملك ونحوه كما قال بعضهم ذلك فى الواحد الأحد والرحمن الرحيم ومعنى

القيوم القائم بنفسه لنقوم لغيره، فهو قريب من الوجه الحي، فانه تعالى حي لذاته وحياة كل شيء إنما هي من حياته، وبلى الوجه الحي من هذه الوجوه التي هي أئمة وأصول الوجه العليم حتى جعله بعض القوم إمام الأئمة وقدّمه على الوجه الحي نظراً إلى عموم تعلقه بأقسام الحكم العقلي كإشارة هذه الآية ترد هنا القول وتقرع صاحبه، وقد خاب من حمل ظاهراً أي أخطأ صواب الصواب من آخر الوجه الذي عنت الوجوه له، وهو الحي القيوم، وقدّم غيره من الوجوه، فإن الظلم وضع الشيء في غير موضعه اللائق به الذي يستحقه (الموقف المائتان الواحد والثلاثون)

قال تعالى، والله لا يهدي القوم الكافرين الظالمين، وقال، إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون. وقال أليس الله بأعلم بالشاكرين، وقال ويؤت كل ذي فضل فضله، وقال، وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا، وقال والزمهم كلمة التقوى، وكانوا أحق بها وأهلها في هذه الآيات ونحوها إشارات إلى ما يقوله القوم رضي الله عنهم من الاستعداد الثابت للممكنات حال عدمها فهي لا تجري إلا إليه ولا تمتشي إلا عليه بعد إيجادها المعنى قوله، إن الذين كفروا، الخ الآية أي الذين كفروا باستعدادهم لا يمكن إيمانهم بعد إيجادهم بمعنى أن المرجح تعالى لا يرجح ولا يريد إلا كفرهم لما علمه منهم ووقع خلاف المعلوم محال ولا يخرجهم استعدادهم عن إمكان إيمانهم بالنظر إلى حقيقة الممكن فانه ما يصح وجوده وعدمه وإمكان إيمانهم غير ممكن بالنظر إلى جهة أخرى لا يقال إنما امتنع إيمانهم لما خطاه القلم إلا على في اللوح المحفوظ لأننا نقول ومن أي حضرة استمد القلم ما كتب في اللوح فمرادنا بحضرة الاستعداد الحضرة التي استمد القلم منها ما كتب وهي (٥٨ - ل)

حاضرة العلم بالمعلومات واستعداداتها ، وأحوالها التي تكون عليها إذا وجدت ، وقوله ، إن الله لا يهدي القوم الظالمين ، ليس المراد أنه لا يحب هدايتهم ولا يرضاهم ، بل لا يرضى لعباده الكفر ولكنه لما علم استعداداتهم وما سيكونون عليه من عدم قبولهم للهداية أراد بهم ما علمه منهم فلم يخاق لهم الهداية ، وقوله ، أليس الله باعلم بالشاكرين ، جواب للكفار القائلين ، أهؤلاء من الله عليهم من بيننا فما علل اختصاص هؤلاء الضعفة بالآيمان إلا بكونه تعالى تعلق به القديم بانهم من الشاكرين ، يريد أنه علمهم على هذا فأعطاهم إياه وأوجده لهم لاستحقاقهم إياه باستعدادهم وقوله والزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها ولا أحقية ولا أهلية قبل الاسلام ، وإنما أحقيتهم وأهليتهم كانت باستعدادهم الذي منه يستمدون ، وبإياه يعتمدون ، وقوله ، ويؤت كل ذي فضل فضله ، أي يعطي تعالى كل صاحب فضل فضله بمعنى يوجده له ، أخبر تعالى أن الفضل ثابت لصاحب الفضل قبل إعطائه تعالى له ثم هو تعالى يعطيه له أي يوجده فلا يمكن الاستعداد وللحق تعالى الإيجاد ، وقوله ، وما أنت بآدي العمي عن ضلالتهم أن تسمع الآمن يؤمن بآياتنا يعني لا يبصر ولا يسمع دعائك ويهتدى بهدائك الآمن كان له استعداد أزلي أنه يؤمن بآياتنا عند إيجاده وإرسال الرسل إليه واعلم أن كل ما نقوله الطائفة العلية رضي الله عنها له دليل من الكتاب والسنة عرفه من عرفه وجهله من جهله لأن طريقتهم مؤسسة على الكتاب والسنة غير أن من علومهم أموراً وجدانيات لا يمكن أن يقام عليها دليل ولا تحد بحد ، وإن الوجدانيات المحسوسة لا تحد فكيف بهذه على أن كلامهم في العلوم الخاصة بهم إنما يكون مع أبناء جنسهم وأهل جلدتهم المؤمنين بهم وبكلامهم فلا يطالبونهم بدليل وعدم الدليل لا يوجب

عدم المدلول فقد اتفق أهل النظر على أن عدم الدليل لا يوجب عدم المدلول
إذ العالم عندهم دليل على وجود موجدته تعالى واتصافه بالصفات الأربعة
التي لا يمكن لتفاعل أن يفعل إلا بعد الاتصاف بها وقد كان تعالى ولا عالم
وذلك أن القوم رضوا أن الله عليهم لما استقامت ظواهرهم وبواطنهم على
الطاعات واتباع السنة قولاً وعملاً وحالاً قوي نور إيمانهم فتشوروا أي بحثوا
قاموس القرآن والسنة إذ ذلك بستانهم الذي فيه يتزهون، وفي أرجائه يترددون،
ظهرت لهم منها أشياء كانت مندحجة مستورة عن العموم وماهي بخارجة عن
الأصل الذي هو الكتاب والسنة ولا زائدة عليه حتى يقال الحقيقة غير
الشريعة كلا وحاشا وإنما ظهرت أسرار الكتاب والسنة وإشارتهما ظهور
السمن من اللبن عند ما خض وحرك، فهل يقال السمن ليس من اللبن وإنما
كان السمن باطناً في اللبن فظهر منه عند ما خض بصورة غير الصورة المعروفة
من اللبن وهو هو فاقبل يا أخي ما جاءك من كلام أهل الله تعالى أعني
الصادقين لا كلام كل ناعق فما فهمته علي وجهه فتلك الغنيمة الباردة، وما انتاص
عنك فهمه فكاه إلى أهله كما تفعل في متشابه الكتاب والسنة مع التصديق
به إلى أن يأتي الله بالفتح أو أمر من عنده بدلائلك على من يفك لك معناه
ويفصح لك عن معناه ولقد رأيت في الرؤيا رجلاً تعلق بي وقال شممت
منك رائحة حي ليلا فقلت له، ما أنا منهم ولكني من المؤمنين بوجودهم،
المصدقين بكلامهم، فقال لي كيف السبيل إليه، فقلت له إذا أرادك خلق فيك
الطالبية وفي مطلوبك المطلوبة كأنني أردت بهذا أن الحق تعالى يخلق في المطلوب
الذي هو الشيخ بهمة المرید وقوة صدقه ما يطلبه المرید منه وما تذكرت هذه
الرؤيا إلا سبقتني دموعي فياك يا أخي أن يصدقك صاد أو يعارضك معارض

عن محبة هذه الطائفة العلية والتصديق لكلامهم فان محبتهم عنوان السعادة
والأعراض عنهم عنوان الشقاوة

(الموقف المائتان الثاني والثلاثون)

قال تعالى ، فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ، هذه محبة مخصوصة
منه تعالى لهؤلاء القوم كما أن محبتهم له تعالى مخصوصة ولحبته لهم ومحبتهم
له آثار مخصوصة ، وثمرات مخصوصة ، والآ فالحق تعالى يحب جميع مخلوقاته
كما أن جميع مخلوقاته يحبونه وذلك أن الميل والحركة مغنوية أو محسوسة
في كل متحرك لا تكون إلا محبوب فهو تعالى ما مال الى إيجاد شيء وتحرك
الحركة الارادية المعنوية إلا محبة في ذلك الشيء كما أن كل مخلوق يحب
المحسن اليه ولا محسن إلا هو تعالى فهو يحب الله تعالى وإن لم يشعر ويسمى محبا
لله في نفس الأمر وأما بغضه تعالى لبعض الخصوص كقوله ، إن الله لا يحب
كل كفار أثيم ، لا يحب الكافرين ، لا يحب المعتدين ، لا يحب المسرفين ،
فذلك بغض مخصوص لأهل صفات مخصوصة فهو في مقابلة محبته تعالى
لأهل صفات مخصوصة كقوله ، إن الله يحب التوابين والمتطهرين ، يحب
المحسنين ، يحب الصابرين ، ونحو ذلك فهذه محبة مخصوصة منه تعالى لهم جزاء
محبتهم له تعالى مخصوصة فانه تعالى جعل الأمر تارة منه الينا وتارة
مننا اليه ، كما قال ، ثم تاب عليهم ليتوبوا ، وقال ، يحبهم ويحبونه ، وقال ، فيما مننا اليه
أوفوا بعهدي أوف بعهدكم ، وقال إن تنصروا الله ينصركم ، فتسارة تكون
البداية منه والجزاء منا وتارة تكون البداية منا والجزاء منه ولكل من
المحبتين ثمرة أعني محبة الخواص له ومحبة للخواص ، فثمرة محبتهم له القيام
بمطالبه تعالى سواء كان الطلب جازما أو غير جازم والكف عن نواهيه

سواء كان طلب السكف طلبا جازما أو غير جازم وثمرة محبته تعالى لهم
أن يكشف لهم عنهم فلا يجدون غير أولا سؤلهم كما ورد في الخبر فاذا
أحبته كنته وفي رواية كنت سمعه وجميع قواه الحديث

دنا فتدلى رب عبده وعبده فلما التقينا لم يكن غير واحد

وحينئذ تتضاعف محبتهم وتزايد تقرباتهم

وابرح ما يكون الشوق يوما اذا دنت الديار من الديار

قال إمام المحبين وسيد المحبوبين وجعلت قرعة عيني في الصلاة

(الموقف المائتان الثالث والثلاثون)

قال تعالى ، وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ، وورد في الخبر

أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأئمة فالأئمة مثل يتلى الرجل على حسب دينه

فإن كان في دينه صلبا اشتد بلاءه وإن في دينه رقة ابتلى على قدر دينه فما

يرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على وجه الأرض ، وما عليه خطيئة ، أخرجه

الإمام أحمد في المسند له والترمذي وابن ماجه وورد في خبر آخر ، أشد الناس

في الدنيا بلاء نبي أو صفي ، رواه البخاري في التاريخ ، وورد في خبر آخر ، أشد

الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون لقد كان أحدهم يتلى بالقمل حتى يقتله

ولأحدهم كان أشد فرحا بالبلاء من أحدهم بالعطاء ، رواه الحاكم في المستدرك

والترمذي والنسائي هذا في الغالب والا فقد ورد في بعض الأخبار أن لله

عبادا يحبيهم في عافية ويميتهم في عافية ويبعثهم في عافية ويحشرهم في عافية

ويدخلهم الجنة في عافية ذهب عنى مخرجه ، واعلم أنه لا إشكال ولا تعارض

فيما بين الآية والأحاديث فإن الآية واردة في مسمى المصيبة حقيقة وهو

الذي لا تكفر به خطيئته ولا ترفع به درجة ، والأحاديث واردة في مسمى

المصيبة مجازا بحسب الظاهر وهو المسمى ابتلاء واختيارا وتمحيصا وبهذه
الأسامي ورد في الكتاب والسنة بكثرة وجاء بلفظ المصيبة قليلا مجازا
فلهذا نقول ما يحل بالإنسان من الآلام التي لا توافق الطبع ثلاثة أنواع
مصيبة وهو ما يصحبه التسخط والاعتراض وهو خاص بالكفار وبعض
ضعفة الإيمان وابتلاء وتمحيص واختبار وهو الذي يصحبه الصبر وعدم
التسخط ، وهو لا هل الإيمان الكامل ، ورفع درجات وهو ما يصحبه الرضي
ويحصل به الترقي في درجات القرب وهو خاص بخاصته الخاصة من الأنبياء
والكامل من ورثتهم فليس للأنبياء وورثتهم كسب يوجب أن يكون ما يحل
بهم مصيبة وما يكتسبه الإنسان أما كفرا ومعاص كفارا وأما معاص أهل
قطيعة ممن ينسب إلى الإيمان وأما معاصي لا يخلو أهل الإيمان منها
غالبا وما معاصي صورة لا حقيقة وهو ما ساء الله تعالى معصية في حق
الأنبياء وسموه هم كذلك أدبا لسكال معرفتهم بالله تعالى وعلو مرتبتهم على
من سواهم عليهم الصلاة والسلام ولو صدر من غيرهم ما جرى عليه اسم
المعصية شرعا ولا خاف فاعله عقوبة عليه أصلا كمعاصيهم التي خافوها يوم
القيامة وذكروها في ذلك الموقف الهائل مثل الأكل من الشجرة ناسيا
والناسي لا يدخل تحت حد العاصي ، فانه الفاعل التارك بقصد المخالفة وقد
قال تعالى ، وعصى آدم ربه ، ومثل كذبات الخليل عليه الصلاة والسلام الثلاث
وهي قوله لسارة أنها أختي ، وقوله بل فعله كبيرهم ، هذا ، وقوله اني سقيم وهذه
معارض فيها مندوحة عن الكذب ومثل دعوة نوح عليه الصلاة والسلام
علي قومه عند ما يئس في إيمانهم وسؤاله ربه ما ليس له به علم وهو قوله رب
إن ابني من أهلي ومثل قتل الكاظم عليه السلام القطبي الكافر ونحو هذا

مما خافوه وبكروا منه ولو صدر منهم غير هذا لذكروه في ذلك اليوم الذي يتلى فيه السرائر فما يحل بالكفار ، وضعفة الايمان فهو مصيبة وما يصيب خاصة المؤمنين فهو تكفير سيئات كما ورد في الأخبار الصحيحة ، وما يصيب خاصة الخاصة كالأنبياء والصالحين الأمثل فالأمثل ، فهو ترقى درجات ونعم خفيات ، وقد أمر الله تعالى رسوله الأكرم محمدا صلى الله عليه وسلم ان يقول للكفار ان يصيبنا إلا ما كتب الله لنا ، أى لا علينا لحسن عاقبته وعظيم فائدته وفي ضمنه ان يصيبكم إلا ما كتب الله عليكم لا لكم لشؤم عاقبته كشؤم بدايته وسوء باطنه كظاهر فما يحل بالانبياء والأمثل فالأمثل ظاهره محنة وباطنه منحة ، وهو تعالى قادر أن يرفعهم^(١) درجات الكمال من غير ابتلاء ولا مكن حكمته اقتضت هذا فلا يسئل عما يفعل فانظر يا أخى ما أوضح الحقائق ، وما أجلاها وما أبردها على القلوب المنورة ، وما أحلاها .

(الموقف المائتان الرابع والثلاثون)

قال تعالى ، إنا كل شيء خلقناه بقدر ، قراءة أبى السماك برفع كل أي كل شيء خلقناه بتقدير ناله وتصورنا إياه في علمنا هو نحن لان التصور ليس بزائد على المتصور فوجوده وجوده ولا وجود المقدر المتصور اسم مفعول غير وجود المتصور اسم فاعل ، رأيت كأننى دخلت مسجدا للصلاة فيه فكامنى انسان وجاوزني فتبعته وقلت له إنك كلمتني فـإذا قلت لك أقول الوجود غير الموجود فقلت الوجود عند الملائمة العملية حقيقة واحدة ذات لا صفة ، لا تتجزأ ولا تتبعض ولا تتمدد ، وتعدد الموجودات لا يؤثر فيه تعدد الأنسب و اضافاته واساؤه وليس هو الحصول ولا الثبوت ولا

التحقيق كما هو عند المتكلمين والغير أن عند المتكلمين أمرين وجوديين
بمعنى أن كل واحد من الغيرين له وجود مستقل بنفسه وعند الطائفة العلمية
الغيرية لفظية مجازية لا حقيقة لها ولا وجود إلا في اللفظ والموجود اسم
منفعل هو الذي وقع عليه الوجود فلا يجوز إطلاق لفظه موجود على الحق
تعالى إلا لضرورة تعليم ونحوه ، وإذا قلنا الوجود ذات لا يقبل التعدد فنحن في
المحدث موجود معناه له نسبة إلى الوجود أو إضافة أو نحو ذلك فالوجودات
ما استفادت الوجود من الوجود الحق تعالى وإنما استفادت المظهرية للوجود
الحق بمعنى أنها محال لظهوره وهو الظاهر بأحوالها ونعوتها فوحدة
الموجودات حقيقة لوحدة العين وهو الوجود الذات الحق وتعددتها مجاز لأنها
ما تعددت إلا بتعينات وتميزت بتميزات ونسب عدميات فهو الظاهر وهو
الصور بحسب ما يعطيه استعداد كل عين ممكنة فيظهر بذلك الاستعداد ولما
ظهر الوجود الحق منعوتا بنعوت المحدثات الممكنات احتجب عن البصائر
والابصار فظان الظانون وتوهم المتوهمون أن الوجود التي ظهرت به هذه
الصور في المدارك البشرية وقامت به هذه النعوت والصفات هو وجود
حادث خلقه الله تعالى للممكنات وهو وهم باطل لأنه لو كان فاما أن يكون
جوهرًا أو عرضًا ولا جائز أن يكون جوهرًا أو عرضًا ولا جائز أن يكون
جوهرًا ولا عرضًا وقد تقدم برهان ذلك في أثناء هذه المواقف فالوجودات
كلها ليست التجريدات جردها الوجود الحق في نفسه من نفسه لنفسه فالوجود
المنسوب إليها وجوده وليس الوجود بصفة للموجود كالبياض والسواد مثلا
فيكون غيرًا زائدًا كما أن العدم ليس هو بشيء زائد على المعدوم فيكون غيرًا
وإنما هو نسبة وإضافة لها ولم نتعرض لمذاهب المتكلمين والفلاسفة في غيرية

الوجود وزيادته أو عدمها، لأنهم وإن اختلفوا في عينيته وغيريته فهم متفقون على أن الموجودات موجودة في نفس الأمر كما هي في المدارك البشرية إما بوجود حادث عند المتكلمين، وإما بالوجود القديم عند بعض الفلاسفة، وليس هذا بمذهب الطائفة العلية فإن الموجودات عندهم لا وجود لها إلا في المدارك لا في نفس الأمر، وإنما الوجود له تعالى، والموجودات نسبة واعتبارات وتعيناته وظهوراته، وكلها أمور عدمية ظهرت في المدارك البشرية للحجاب الذي وصفت به، وهو الجهل والوجود الذي نسبت إليه الموجودات وجود خيالي، فليس هو عند التحقق عينها ولا غيرها كما أنه ليس عين الحق تعالى ولا غيره فليس الوجود الحقيقي الآله تعالى والعالم كله أعلاه وأسفله له الوجود الخيالي المجازي

(الموقف المائتان الخامس والملاثون)

قال تعالى ، مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان ، كل شيء شين متقابلين فلا بد أن يكون بينهما حاجز معقول يفصل بينهما بحيث لا يختلط أحدهما بالآخر يسمى برزخا لا يكون عينهما ولا غيرهما وفيه قوتها معا بمعنى أنه لا يكون عين كل واحد من المتقابلين من كلتي وجهتيه بل له وجه الى هذا ووجه الى هذا ، مع أنه لا يتجزأ ولا يتبعض ، ولا ينقسم يكون بين محسوسين كالخط المعقول الفاصل بين الظل والشمس ، وقد يكون بين معقول ومحسوس ، وقد يكون بين موجود ومعدوم وبرزخ البرازخ كلها وأجمعها الحقيقة المحمدية ولها أسماء متعددة باعتبارات وتنزلات وظهورات وهي هي لا غيرها وهذه الحقيقة البرزخية هي أحد الأشياء الثلاثة التي يتعلق العلم بها ، وما عدا هذه الثلاثة فعدم محض لا يعلم ولا يحل

ولا توصف بوجود ولا عدم في حد ذاتها ولا بحدوث ولا قدم ، ولا بتقدم على العالم ولا بتأخر عنه ، وهي حقيقة جميع الموجودات وهي في القديم قديمة وفي الحادث جاذئة كالحقائق الكلية المعقولة ، مثل العالمية والقادرية والارادية ونحوها فليس هي الحق تعالى بوجهه ، ولا العالم لحادث بوجهه ، وهي الحق تعالى بوجهه وهي العالم بوجهه ، كل هذا تصدق فيه إذا حكمت به ، فهي البرزخ بين الوجود المطلق والعدم المطلق ، ومرتبة الانسان الكامل برزخ بين مرتبة الالهية والمخلوقات فهو برزخ بين معقول ومحسوس والبرزخ من حيث هو لا موجود ولا معدوم ، ولا مجهول ولا منفي ، ولا مثبت كالصور المدركة في المرايا وفي كل جسم صقيل ، فانك تعلم أنك أدركت شيئاً بوجهه وتعلم أنك ما أدركت شيئاً بوجهه ، فأنت صادق إن قلت أدركت أو قلت ما أدركت ، والصورة ما حلت في المرايا وفي غيرها من الاجسام الصقيلة ولا هي بينك وبين المرايا ، وليست تلك الرؤية بانعكاس صورة المرئي الى العين ، وإنما الحق تعالى أجرى العادة بخلق رؤية الصور البرزخية الخيالية عند مقابلة الصور الجسمانية للأشياء الصقيلة كالمرآة ونحوها من الأجسام الصقيلة ، وليس البرزخ غير الخيال ، فهو هو عينه وله أربع مراتب ، وحقيقة البرزخية الخيالية في الجميع واحدة ، الأولى البرزخ المسمي بالخيال المنفصل ، وبالخيال المطلق ، وبالعالم وبالخلق به كل شيء ، وهو البرزخ بين المعاني التي لا أعيان لها في الوجود كالعلم والثبات ونحوها وبين الأجسام النورية والطبيعة وفيه تظهر الصور المرئية في الأجسام الصقيلة مثل المرايا ونحوها وشأن هذا البرزخ الخيالي العمائي تكشيف اللطيف المطلق وهو الحق تعالى فانه من هذا البرزخ الخيالي ظهر موصوفات بصفات

المحدثات منعوتاً بنعوتها كما ورد في الكتب الإلهية وسنن الأنبياء من التشابهات وتلطيف الكثيف المطاق، ومنه أتصف الممكن المحدث بالصفات الإلهية كالحياة والعلم والقدرة ونحوها، فالبرزخ العمائي هو الخيال والصور المرئية فيه هي التخيلات، وفي هذه التخيلات ما يرى بين الحس ومنه ما يرى بعين الخيال، كروية تحول الحرباء في الألوان التي تمر عليها، فهذه رؤية بعين الخيال لا بعين الحس، وذلك أن العين الباصرة لها الإدراك بعين الحس وبعين الخيال، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان يرى جبريل في صورة وحيه السكبي بعين الحس فيعرف أنه جبريل وأنه روح متجسدة، ويراه غيره بعين الحس فلا يعرف أنه جبريل ولا يشك أنه وحيه السكبي نفسه، وأهل الشهود أرباب التخيلات يشهدون العالم متحولاً متبدلاً منتقلاً في كل لحظة لأنهم يشهدونه بعين الخيال وبهذه العين يدركون جميع التخيلات الحاصلة لهم في الدنيا والآخرة، وأهل الحجاب يشهدون العالم ثابتاً على حالة واحدة لأنهم يشهدونه بعين الحس لأن موطن الدنيا، موطن النظر بعين الحس، وإنما خص الحق تعالى بعض الخواص بالنظر بعين الخيال في الدنيا أحياناً لأنهم تجاوزوا موطن الدنيا حكماً ووصلوا إلى البرزخ الذي هو موطن النظر بعين الخيال، وصور جميع الجسمانيات هي في هذا البرزخ الخيالي صور روحانية خيالية على وجه لطيف لا يمتنع فيه التداخل ولا التزاحم ولا إيراد الكبير على الصغير، بل ولا الجمع بين الضدين، ولا وجود شخص واحد في مكانين، وفيه رأي صلى الله عليه وسلم موسى عليه السلام قائماً يصلي في قبره، ورآه في السماء السادسة كما في الصحيح، ولا يقال شيء إنه مستحيل وجوده في هذه الحضرة أبداً، ففيه تتجسد المعاني كتصور الموت

في صورة كبش وفيه توزن الأعمال، وفيه تجادل سور القرآن عن صاحبها كما جاء في الأخبار الصحيحة ، وفيه تتروحن الاجسام الكثيفة، كما ورد في حديث الاسرا الذي أنكره كثير من الفلاسفة المتعقلة، الثانية البرزخ المسمى بالخيال المتصل والخيال المقيد ويسمى بأرض السمسة وأرض الحقيقة وهو البرزخ الخيالي تظهر فيه الصور الجسمانية الكثيفة التي تقبل التجزؤ والتبعض والخرق والالتئام ، وهي المركبة من العناصر صوراً مركبة لطيفة، لا تقبل التجزؤ ولا الخرق ولا التبعض ، ولا يمتنع فيها إيراد الكبير على الصغير ولا تصور الحال ، ومنه ورد، عبد الله كأنك تراه ، ومن شأن هذه المرتبة تلطيف الكيف المقيد لأن المحسوسات الكثيفة تظهر فيها بصور لطيفة روحانية كما قدمنا، وتكشف اللطيف المقيد ومنشأ هذه المرتبة البرزخية الخيالية مقدم الدماغ وهي التي تمسك صور المحسوسات عند غيوبتها كما يرى الانسان مثلاً مدينة ثم يغيب عنها، فإذا تذكرها رآها كما كان رآها، فيظن أنه رآها في موضعها في غير هذه المرتبة الخيالية وهو ما رآها إلا في هذه المرتبة البرزخية الخيالية الدماغية ، والفرق بين البرزخ المسمى بالخيال المنفصل والبرزخ المسمى بالخيال المتصل هو أن المتصل يذهب بذهاب المتخيل اسم فاعل كما هو في أنواع السحر والسيما ونحوهما، كما قال تعالى ، يخيل اليه من سحرهم أنها تسمى، وهي لا تسمى في الحقيقة وإنما هي تسمى في خيال المسحور بسبب السحر لا غير، والخيال المنفصل لا يذهب بذهاب المتخيل له فانه حضرة ذاتية قابلة لتجسد المعاني والارواح دائماً، الثالثة البرزخ الخيالي النومي، وهو البرزخ بين الموت والحياة فإن النائم لا حي ولا ميت بل له وجه الي الموت ووجه الي الحياة، وفي هذه المرتبة يرى الانسان ربه متصوراً بصور المحدثات

ومنه ما ورد في الخبر عنه صلى الله عليه وسلم ، رأيت ربي في صورة شاب
أمر دله وفرة وفي رجله نعلان ، وعلي وجهه فراش من ذهب ، فهو من صور
البرزخ المسمي بالخيال المقيد ويرى الانسان نفسه في مكان غير المكان الذي
هو فيه ، فهو في مكانين وهو هو لا غيره وأمثال هذا من المحالات النامية ،
والكل صحيح ، الرابعة البرزخ الخيالي الذي تنتقل اليه أرواحنا بعد الموت
الطبيعي وهو المسمي بالصور في قوله فاذا نفخ في الصور ، وبالناقور في قوله ،
فاذا نفر في الناقور ، فانه مثل المراتب المتقدمة في كون صورته خيالية وكل
ماندركه في البرزخ من نعيم لاهله وعذاب لاهله فانما يدركونه بادراكات
هذه الصور البرزخية الخيالية كما قال تعالى ، النار يعرضون عليها غدواً
وعشيا ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون أشد العذاب

(الموقف المائتان السادس والثلاثون)

قال تعالى ، سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا
حرمانا من شيء ، الآيات هذا كلام حق أريد به باطل ، أي لو شاء الله عدم
اشرائنا كما اشرأنا ولو شاء عدم تحريم شيء مما حرمناه ما فعلناه ، فانه لا يقع منا
إلا ما يشاء وهذا حق ووجه إرادتهم الباطل بهذا الحق أنهم جعلوا كلما شاء
الحق بعباده هو مرضي له ، محبوب لديه ، وهذا باطل ، فان الحق تعالى يشاء
بعباده ما علمه منهم أزلاً والذي علمه منهم أزلاً هو ما تقتضيه حقائقهم ويطلبونه
باستعدادهم من خير وشر ، وتوحيد وكفر ، فمشيئته تابعة لعلمه ، وعلمه تابع
لمعلومه ، ومعلومه منه مهتد وضال ، وموحد ومشرك ، وشقي وسعيد ،
وصادق وكاذب ، فان مخلوقاته تعالى مظاهر أسمائه ، وأسمائه منها ما يقتضي
الجمال والرحمة وهو حظ أهل السعادة أصحاب القبضة اليمنى ، ومنها ما يقتضي

الجلال والقهر وهو حظ أهل الشقاوة أهل القبضة الشؤمي ، فمشيئته تعالى لأمر ليست عنوانا علي محبته له ورضاه به ، فإنه لا يرضى لعباده الكفر وقد شاء كفر كثيرين منهم ، وإنما المشيئة عنوان علي أنه سبق علمه أزلا بما يشاؤه أبدا ، فلو كان كل ما يشاؤه بعباده خيرا للزم ان يكون إرسال الرسل وتشريع الشرائع عبثا ، فإنها جاءت بالأمر والنهي وبيان قبضة اليمين وقبضة الشمال ، كما قال تعالى فمنهم شقي وسعيد ، وهذا الذي حكاه الحق تعالى عن المشركين ، وإن كل ما يشاؤه الله تعالى بعباده فهو خير عقد ثالث ، فإن عقيدة أهل السنة أنه تعالى يشاء بعباده الخير والشر ، وعقيدة المعتزلة أنه تعالى لا يشاء بعباده إلا الخير ، ومشيئة الشرور هي من العباد لا من الحق تعالى ، فلو كشف الله تعالى لعبد من خواص عبيده عن سابق علمه منه وعمات تقتضيه عينه الثابتة لصح له وقبل منه أن يقول فعلت ما فعلت بمشيئة الله وأمره الإرادي الذي هو أعم من المحبوب والمكروه له تعالى ، ولهذا قال قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ، أي هل عندكم علم بما تقتضيه استعداداتكم وكشف عن اعيانكم الثابتة فيزيهه لنا ، وانكم ما أشركتم وحرمتهم ما حرمتهم وفعلمت ما فعلتكم إلا بعد أن كشف الحق تعالى لكم عن مشيئته بكم ، التابعة لعلمه ، وهذا هو العلم المتعلق بسر القدر الذي هو سبب الأسباب وعلة العلل ، وحيث لم يكن عقدهم من هذا القليل فما فعلوا ما فعلوا إلا بالظن ولهذا قال ، إن تتبعون إلا الظن ، أي ما أشركتم وحرمتهم ما حرمتهم إلا بالظن والظن أكذب الحديث فإنه خطرات نفسانية يوحىها الشيطان إلي أوليائه ، وحيث كان الأمر كما أخبر الله عنهم فلا حجة لهم بمشيئة الله تعالى أشراكهم وافتراهم عليه يتحريم ما حرّموا ، بل له تعالى الحجة عليهم ولهذا قال ، قل فله الحجة البالغة عليكم ، في شرككم

وجميع أفعالكم المخالفة لأمره ونهيه تعالى فانه تعالى ما شاء بكم إلا ما طلبته
أعيانكم الثابتة بالسنة حالها، وهو تعالى الجواد المطلق فلا يرد سؤال
الاستعدادات وهي الاقتضاءات الاسمائية والوجوه الخاصة التي هي حقائق
أول لحقائق المخلوقات فما حكم عليكم إلا بكم ومنكم بل أنتم الجاكون على
أنفسكم فان الحاكم محكوم عليه أن يحكم في القضية بما تقتضيه ذات القضية
(الموقف المائتان السابع والثلاثون)

قال تعالى، وما كنا عن الخلق غافلين، أى ما وجدنا غافلين عن شيء
خلقناه من عالمي الخلق والأمر بأن تركنا أمداده بما يكون به بقاءه، ومدة
ارادتنا بقاء صورته بل نمد كل مخلوق بما تبقى به صورته، وليعلم أن الحق تعالى
ما خلق صورة من الصور الطبيعية أو العنصرية إلا خلق لها أرواحا تدبرها
مدة ارادته تعالى بقاءها فاذا أراد تعالى انحلال تركيب صورة من صور
المخلوقات قطع عنها الامداد الذى يكون به بقاءها فتداعى أركان تلك الصورة
الى الخراب ويحصل الحادث الأعظم المسمى بالموت كما فى الحيوان أو تفرق
الاجزاء كما فى النبات والجماد ولهذا يقول بعض المتكلمين، إن القدرة الآلهية
لا تتعلق بالاعدام وأن الاعدام ما هو إلا قطع المدد الذى يكون به بقاء
صورة المخلوق، فذلك اعدامه لا غير كالسراج مثلاً فان صاحبه مادام يريد بقاءه
مشتعلاً يمدّه بالزيت، فاذا أراد انطفاءه قطع عنه الزيت فينطفئ السراج بنفسه
لا بفعل فاعل فأما الصور العنصرية، فان الحق تعالى جعل لها أرواحاً كثيرة
تدبرها أعظما تدبر الأرواح الأربعة المسماة بالحرارة والبرودة والرطوبة
واليبوسة، ومجموعها يسمى بالطبيعة والروح المسمى بالدافعة، والروح المسمى
بالمسكة، والروح المسمى بالغاذية، وغيرها من الأرواح التي تسميها الحكماء

بالقوى الجسمانية وجعل تعالى هذه الأرواح متضادة متباينة الأفعال لحاجة الصورة الجسمانية لذلك، فمتى ضعف روح عن فعله وأداء وظيفته طلب الامداد من الحق تعالى بروح مناسب له ليتقوى به ويدفع الغلبة عن نفسه، فيهيء له الحق تعالى غذاء أو دواء، ولهذا جعل الحق تعالى الأغذية والأدوية، فليست الأغذية والأدوية إلا أرواحا تحملها صور جسمانية دوائية أو غذائية الى الأرواح الأصلية ليتقوى بها من حصلت عليه غلبته من مقابله مثلاً إذا ضعف الروح الدافع عن فعله، وغلبه الروح الماسك طلب الروح الدافع غذاء مناسباً له يتقوى به حتى يفعل فعله ويؤدي وظيفته أو دواء مناسباً له ولهذا كانت الأدوية المسهلة، وكذا إذا ضعف الروح الماسك عن فعله وأداء وظيفته وغلبه الروح الدافع طلب غذاء مناسباً له أو دواء مناسباً، ولهذا كانت الأدوية القابضة وقس على هذا، وإذا أدت الصورة الغذائية أو الدوائية روحها الى الروح الذي طلبها فسدت وخرجت من الجسم أما بالقيء أو الغائط أو البول أو غير ذلك، فلا تشتهي الأرواح وتطلب الأرواحا مناسبة لها ولا تطلب الصور الجسمانية الدوائية أو الغذائية إلا بالعرض لكون الأرواح المناسبة لها تصل اليها بواسطة الصور الغذائية أو الدوائية، فسبحان العليم الحكيم له الخلق أي خلق الصور والأمر، أي تدبير الخلق بالأمر، وهي الأرواح الامرية الموجودة لا عن مادة، ولولا التضاد بين أفعال هذه الأرواح الجسمانية ما استقامت صورة الجسم أي جسم كان من الأجسام العنصرية ولهذا إذا غلب واحد منها الغلبة التامة، حتى لم يبق لمقابله أثر فسدت الصورة، كما إذا غلبت الحرارة ولم يبق للبرودة والرطوبة أثر أو العكس ونحو ذلك من أفعال الأرواح الجسمانية فما قامت الصورة إلا بوجود هذه الأرواح المتضادة الأفعال

(الموقف المائتان الثامن والثلاثون)

قال تعالى، وما بكم من نعمة فمن الله، أي ما من نعمة متلبسة بكم منسوبة اليكم بالمجاز إلا وهي صادرة من الله تعالى راجعة اليه بالحقيقة، فإن أعظم نعمة علي كل موجود وجوده، وتوابع وجوده، وامداده بما به بقاء وجوده والكل من الله إلى الله حقيقة، ولما يقال فيه مخلوق وسوى وغير مجازا، فالوجود المنسوب إلى المسكونات، المفاض على المخلوقات، هو وجوده تعالى مقاض منه عليها لا كالأفاضلة المعروفة فإن ذلك محال على الوجود الواجب القديم، والحياة المنسوبة إلى كل حي هي حياته تعالى لا غيرها، والعلم المنسوب إلى كل عالم هو علمه تعالى لا غيره، وكذا الإرادة والقدرة والسمع والبصر وباقي الكمالات كل ذلك منه واليه بلا حلول ولا اتحاد ولا امتزاج، وباعجابا ممن يرمي الطائفة العلية بشيء من ذلك فكيف يحل الوجود في العدم، أم كيف يتحد الحدوث بالقدم، أم كيف يتصور امتزاج المعاني بالكلم، فلا وجود قديما ولا حادثا إلا وجوده تعالى، ولا حياة قديمة ولا حادثة إلا حياته تعالى، فإن الحياة هي اقتضاء الوجود للفعل والادراك، فدخل في الفعل جميع ما هو من قبيل الأفعال وفي الادراك جميع الصفات الكمالية وحيث كان الوجود ليس إلا له وتوابع الوجود ليست إلا له حقيقة، فمحال أن يكون الوجود لغيره حقيقة، لأن الوجود حقيقة واحدة لا تتعدد ولا تتبعض، كما أنه من المحال أن تكون الصفات التابعة للوجود لغيره تعالى حقيقة إذ الصفات لا يظهر بها غير من هي له أبدا، فالكل منه له، والمسمى خلق الله وغير الله إنما هي تجريدات جردها الحق تعالى من نفسه لنفسه في نفسه، كتجريد اليمينين مخاطب الإنسان نفسه بنفسه بما يريد ويسمعها بها، ويحييها بها، ويحاورها بها، ويعاتبها بها،

وينصحها بها، فيقبل بها أو يرد بها، وهو هو لا ثاني له فانه واحد بالحقيقة غير متعدد، كرجع الصدا فانه ليس هناك إلا الصوت حقيقة وعلما وهو اثنان مجازا ووهما

(الموقف المائتان التاسع والثلاثون)

قال الله تعالى، قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد، الى آخر السورة، ورد في أسباب النزول أن المشركين أو اليهود، قالوا الرسول الله صلى الله عليه وسلم، أنسب لنا ربك الذي تدعو الناس الى عبادته، أى بين لنا أصله وهو مرادهم بنسبه فنزلت هذه السورة فى بيان نسب الرب تعالى وزادت على بيان النسب بيان الحسب، وهو ذكر الصفات الجميلة والكمالات الجميلة فالنسب قوله، قل هو الله أحد، والحسب قوله الله الصمد الخ السورة، لأن الحسب مأخوذ من الحساب، وهو تعديد صفات الكمالات. قل أمر له صلى الله عليه وسلم، فجوابهم تلاوة هذه السورة الشريفة عليهم، قوله هو هو هنا مبتدأ نقضاً ومعنى فانه يشار به الى الذات الغيب المطابق فهو غيب الغيوب الذي لا شعور به لأحد إلا من حيث أنه لا شعور به بمعنى أنه يشار به الى الذات من غير ملاحظة شيء من غيبة أو حضور أو خطاب، كما هو فى الاصطلاح والآ فالذات من حيث هو لا دلالة للفظ عليه ولا علم لاحد به، فليس هو هنا بضمير يطلق على كل غائب، كما هو عند النحويين بل هو إشارة الى كنه الذات الذي لا يعلم ولا يدرك، حيث كان شأن مالا يدرك ولا يعلم أن يكون غائباً لا غير، والآ فهو الغائب الحاضر عند التحقق كما أن المراد بالهو هنا الهوية المجردة لا الهوية السارية إذ للهو اعتباران فباعتبار التجرد عن المظاهر والتعينات يسمى هوية مرسله ومطلقة، وباعتبار

سريانه في المظاهر وقوميته لكل موجود يسمى هوية سارية ويسمى الذات في مرتبة إطلاقها بالمعجوز عنه عند أرباب هذا العلم، فلا يتعلق به علم من كل مخلوق، وعن هذه المرتبة أخبر صلى الله عليه وسلم بقوله، وإن الملائكة الأُعلى يطلبونه كما يطلبونه وحيث لا يتعلق به علم في هذه المرتبة فلا يصح عليه حكم، إذ كل علم وعالم ومعلوم وحكم وحاكم ومحكوم به إنما هو متقوم بالذات فليس هو الذات المشار إليه بالهو، فلا يتصور، فلا يعلم، فلا يحكم عليه، وكما أنه لا يعلم لا يجمل، إذ التصور أول مراتب العلم والجهل لا يرد إلا على ما يرد عليه العلم فلا يقال فيه معلوم ولا مجهول، ولا موجود ولا معدوم، ولا قديم ولا حادث، ولا واجب ولا ممكن فهو مادة العدم والوجود المقيدين، أو المطلقين إذ حقيقة العدم المطلق هو الذات المتجرد تجردا أصليا، أي غير نسبي، كما أن العدم المقيد هو الذات المتجرد تجردا نسبيا، فلو لا تقوّم العدم المطلق والعدم المقيد بالذات ما صح عليهما حكم ولا استقامت عليهما عبارة، ولا كان لهما تصور حتى قيل هذا مطلق وهذا مقيد، وحكم المطلق عدم قبول الوجود العيني، وحكم المقيد قبول الوجود العيني، إلى غير هذا والعدم المطلق وإن لم تكن له صورة علمية كالعدم المقيد فله وجود في بعض مراتب الوجود الأربعة، كما أن حقيقة الوجود المطلق هو الذات المتعين تعينا أصليا أي غير نسبي وحقيقة الوجود المقيد هو الذات المتعين تعينا نسبيا، والتعين غيب محض في الذات المتجردة فاذا اقتضت ظهورها بتعينها به صار ما كان هو الذات العدم هو الذات الوجود، وما كان غيبا تعينا ومظهرا، فظهور المعدوم من العدم هو تعين الذات الوجود وتسمى الذات عند هذا الاقتضاء الذات الوجود، وتسمى القضايا موجودات ومرتاتب فالوجود المطلق عندما يتجلى

على أعيان الممكنات وتنصبغ بنوره وينصبغ بأحكامها ، يصير وجودا مقيدا
بالنسبة الى الممكن مع اطلاقه حالة تقييده بها ، فهو المطلق المقيد ، المتجرد
المتعين ، قوله الله بدل بعض من كل ، باعتبار كون الذات مادة الوجود والعدم ،
وبدل شيء من شيء باعتبار كون الوجود عين الذات ، وهو هنا اسم الذات
الوجود المطلق ، كما أن الرحمن اسم الذات باعتبار الوجود المنبسط على أعيان
الممكنات الثابتة ، فالجلالة هنا علم مرتجل وليس بمشتق ولا رائحة فيه للوصفية
ولا اعتبار نسبة ، فهو دال على الوجود الذات لا من حيث نسبة ما يوصف
بها كالاسماء الجوامد للأشياء ، فليس هو الجلالة المشتقة المذكورة بعد ، فإن
تلك اسم المرتبة لا اسم الذات ولهذا قال من قال من أئمة هذا الشأن لا
يصح التخلق بالاسم الله من حيث أنه اسم ذاتي لا يتوهم معه دلالة على غير
الوجود الذات ، وله قال الأشعري رضي الله عنه ، قد يكون الاسم عين المسمى
نحو الله فإنه علم على الذات من غير اعتبار معنى فيه يعني لأنه اسم الوجود
والوجود عين الذات فإنه يقول الوجود عين الذات وله قال سيديويه رضي الله
عنه ، الله أعرف المعارف فلا أعرف من الوجود لأنه بديهي ، والأشعري
وسيديويه وإن لم يشعرا بما قلناه ، ولا قصدا المنجي الذي نحونا ، فقد تبرق
على بعض القلوب بوارق فتصدر منها من غير قصد بعض الحقائق ، وما انتشر
الخلاف في الجلالة إلا لعدم العلم بالفرق بين الجلالتين ، قوله أحد هو بدل
ثان ، وهو اسم الذات الوجود باعتبار تعين ولا ظهور لشيء من اسم أو صفة
أو كون ، فإنها نسب والأحد من كل وجه لا يقبل النسب فالمراد بالأحد
ما يكون واحد من جميع الوجوه فهو البسيط الصرف عن جميع أنحاء التعدد
عدديا أو تركيبيا أو تحليليا ، فهو اسم الذات الوجود بشرط لا شيء مع الذات

والهو المتقدم الذكر يشار به الى الذات في مرتبتهما المشعور به لا بشرط شيء، ولا بشرط لا شيء، فالأحدية اسم الذات الوجود المطلق عن الاطلاق والتقييد، لأن الاطلاق تقييد بالاطلاق، والمراد أنه لا شيء من قيد واطلاق، ولهذا جعل الأحد بعض سادات القوم رضى الله عنهم أول الأسماء، لأن الاسم موضوع للدلالة، وهى العلمية الدالة على عين الذات لا من حيث نسبة من النسب أو صفة من الصفات، فلا يعقل معه إلا العين من غير تركيب، فليس الاحد بنعت وإنما هو عين، ولهذا منع أهل الله رضى الله عنهم أن يكون لأحد من ملك أو بشر تجل بهذا الاسم، لأن الأحدية تنفي بذاتها أن يكون معها ما يسمى غيرا وسوى، وهى أول المراتب. والتنزلات من الغيب الى المجالى المعقولة والمحسوسة، كما أن أول التعيينات الوحدة وهى الذات مع التعيين الأول وهى الحقيقة المحمدية، وهى البرزخ بين غيب الغيوب الذات المجرد وبين السكثرة النسبية وهى مرتبة الاسماء، وبين السكثرة الحقيقية وهى مرتبة الأكران، وقولنا لأحد أو الوجود اسم الذات تقريب للامور الوجدانية للأفهام لأن اسمها معنى قائم بها فهو صفتها وصفتها عين ذاتها، فهذه المرتبة أحدية جمع جميع الأشياء الالهية والكونية المتكثرة بنعوتها وكل ما تتحد به الامور السكثيرة فهو أحديه جمع جميعها، كالحقيقة الانسانية فانها أحدية جمع جميع بني آدم، والبيت فانه أحدية جمع جميع السقف والجدران وما يتفصل اليه البيت قوله الله هو خبر عن المبتدأ والجلالة هنا مشتقة فهو اسم المرتبة المسماة بمرتبة الصفات المحيطة بالتعلقات، اذ كل موجود قديما كان أو حادثا فله ذات ومرتبة، فذاته حقيقته التى تقوم بها مرتبته، والراتب أمور اعتبارية، ومرتبته هي حقيقته من حيث جمعها للأسماء والنسب

والاعتبارات الثلاثة بها، وهي التي تضاف إليها الآثار دون الذات الوجود المطلق من حيث هو مطابق عن كل اسم ووصف ونسبة لما تقرر أنه لو كان التأثير للوجود المجرد عن النسب لكان تأثيره إما بايجاد مثله أو ضده وكلاهما محال، فتعين التأثير المرتبة وهي الألوهية التي أمرنا بتوحيدها بمعنى اعتقاد أحديتها وعدم الشركة فيها، ولا يفهم من الأمر بالتوحيد ما يدل عليه لفظه فقط، بل المأمورية به هو توحيد الخاصة وتوحيد العامة إنما يقبل بمحض الفضل، قيل لى فى واقعة من الوقائع، التوحيد إبطال التوحيد بمعنى أن التوحيد الحقيقى المطلوب هو الذى يبطل معه ويرتفع منه، ما يدل عليه لفظ التوحيد فإنه يدل بجوهره على موحد اسم فاعل وعاء لى موحد اسم مفعول، وفعل قائم بالفاعل وهذه كثرة لا وحدة فيها فاذا لم يبق إلا واحد يعلم أنه واحد لا شريك له فى ذاته، ولا فى صفاته، ولا فى أفعاله، ولا فى أحكامه ولا فى أسمائه، فهناك يصدق التوحيد وتبطل الكثرة بإبطال ما يدل عليه التوحيد وزواله، وإلى هذا أشرت من قصيدة

وما الدين الا توحيد وما غيرنا يوحدنا فغيرنا الشرك والرجس

وما التوحيد المقبول قولاً وإنه تفعل فلا يغرك جن ولا إنس

وما هو إلا أن تصير الى الفنا وتصعق ليس ثم روح ولا حس

فلتنار الوحدة من حيث هي لا من حيث الموحد لها، فان كانت عين

الموحد بها فهي نفسه، وان لم تكن عين الموحد فهو تركيب لا توحيد

وما هو مطلب الرجال ولا مقصودهم، أخبر تعالى إن نسب أي اصل رب محمد

الذي يدعو الناس إلى عبادته هو الذات الغيب المطلق، غيب الغيوب مادة

العدم والوجود المشار اليه بالهو المتميز إلى مرتبة الوجود المطلق المجرد عن

كل ما يحكم بزيادته المعبر عنه بالله الجلالة الغير المشتقة من شيء، المنزل الى مرتبة الأُحدية التي هي مجلي ذاتي ليس للأسماء ولا للصفات ولا لشيء من الكائنات فيها ظهور وهي المسماة بالأُحد المنزل الى مرتبة الأسماء والصفات وهي الألوهة وهي مرتبة اعطاء كل ذي حق حقه من الحق والخلق المسماة بالجلالة المشتقة، وهو الله رب محمد الاسم الجامع لمعاني أسماء الآله جميعها فهو يتضمن جميع الأسماء ولا تتضمنه وينعت بها ولا تنعت به، فلذا كان أُحدية جمع جميع الأسماء قوله الصمد هو المصمود المقصود في الحاجات لطلب نفع ودفع ضرر، وليس هذا لغير الله تعالى قوله يلد أي لم يفصل منه تعالى جزء فيتكون منه شيء كما تنفصل النطفة من الأب فيتولد منها الابن وكما يفصل الريح من بعض الحيوان فيتولد من ذلك الريح مثل ذلك الحيوان، وكما تنفصل النواة والبذرة فيتولد منها أمثال أصولها التي انفصلت عنها فليس في شيء منه تعالى شيء، وإنما تتكون الأشياء عنه تعالى بالتوجه الارادي المعبر عنه بكن لا باتصال ولا بانفصال ولا بمعالجة ولا بمزاولة، ولم يولد أي لم يتولد تعالى عن شيء، فيكون منفصلا عن شيء، فانه الأول بلا بداية فليس فيه تعالى شيء من شيء، ولم يكن له كفؤ أحد الكفؤ المثل بكسر الميم والأُحد بمعنى الواحد موضوع للعموم في النفي، فلا مثل له تعالى في ألوهيته كما قال ليس كمثله شيء على زيادة الكاف وعدم زيادتها أيضا لأنه على فرض وجود المثل فهو مجعول له تعالى لأنه بجملة وخلقته كما ورد أن الله خلق آدم على صورته وهو في التحقق مثل بفتح المثناة كما قال والله المثل الأعلى في السموات والارض وهو أي المثل العزيز الحكيم فمرتبة الألوهية التي للذات العلية لا مثل لها ولا ثاني وهي التي أمرنا بتوحيدها، جاءت الرسل عليهم الصلاة والسلام

للعباد طالبة منهم أن يقولوا لا إله إلا الله لقول الرسل لهم قولوا لا إله إلا الله فلا يجعل الله تعالى كفؤاً ولا مثلاً، وأما الضد فله ضد من حيث أنه المعبود وضده العابد، وأنه الرب فضده المربوب، وأنه المالك فضده المملوك، وأنه الرحمن فضده المرحوم إلى غير هذا، هذا شأن الجلالة المشتقة التي هي اسم المرتبة كالسلطنة والقضاء ونحوهما من المراتب، وأما الجلالة التي ليست بمشتقة وهي اسم الوجود الذات فلا مثل لها ولا ضد، ولا تنزه مطلقاً، ولا تشبه مطلقاً، فإنها عين الضدين والمثلين والشئ لا يشبه بنفسه ولا ينزه عن نفسه فلا تشبيه في العالم ولا تنزيه من هذه الحيشية، وقد ورد في الخبر بروايات متعددة أنه صلى الله عليه وسلم قال في هذه السورة تعدل ثلث القرآن ووجه ذلك أن المعلومات منحصرة في ثلاث من وجه حقيقة فاعلة وهي الحق تعالى الآله وما يتعلق به من ذات وصفات وأفعال وأحكام، وحقيقة منفعة وهي العالم وهو اسم لما سوي الحق تعالى جميعه أسفله وأعلاه، وحقيقة جامعة بين الفعل والانفعال وهي حقيقة الإنسان الكامل البرزخ بين حقيقة الفعل والانفعال، فكل ما دل عليه الكلام القديم وهو القرآن لا يخرج عن هذه المعلومات الثلاث وهذه السورة تضمنت الكلام على الحقيقة الأولى فهي ثلث القرآن لهذا

(الموقف المائتان والأربعون)

قال تعالى، بسم الله، أعلم أن القائل بسم الله في أول أفعاله لا يخلو إما أن يكون سنياً فالبراء في حقه معناها الاستعانة قال بهذا المعنى أو خلافه لجهله بحقائق الأمور وموارد المعاني، فإنه يرى الفعل لله تعالى من حيث الخلق وله من حيث الكسب أن كان أشعرياً ومن حيث الجزء الاختياري إن كان

ما تريد يا وله دخل في الفعل ولا بد، ويستعين بالله تعالى عليه حيث أمر تعالى بذلك ، قال تعالى ، استعينوا بالله ، وقال ، وإياك نستعين ، وفي الصحيح ، لا حول ولا قوة إلا بالله ، وإن كان عارفاً بالله تعالى فالبراء في حقه بمعنى من ، فإنه لا يشهد له فعلاً . وإنما يشهد صدور الأفعال من الله الوجود الحق المقوم لكل صورة تظهر الأفعال عنها بادية الرأي فيرى نفسه وكل مخلوق آلات يفعل الله بها ما يشاء ، وأقلاماً محرّكها فيما يريد ويقدر ، المتعلق مما يناسب الفعل الذي جعلت البسملة مبدأ له فإذا سألنا أجنبي قلنا تقديره خلق الشيء الثلاثي صادر من الله فإذا قدرناه لأهل طريقنا قلنا مثلاً التلاوة صادرة من الله أو الذكر أو الصلاة أو غير ذلك ، فإن تلاوتنا من أفعالنا ، وأفعالنا مخلوقة له تعالى وكل فعل من أفعالنا له اسم يخصه من أسماء الحق تعالى التي لانهاية لها ، وإن الحكمة في تشريع التسمية في أول كل فعل مباح أو مشروع هي اظهار التبرئة بالقول من دعوى الفعل للانسان كما هو في نفس الامر فإذا كان الفعل غير مشروع ولا مباح ، لم تشرع التسمية أدباً من نسبة صدور ما عليه اعتراض من الشارع منه تعالى ، هذا حظ المعارف فإن كان محققاً فهو فوق المعارف فإنه يزيد بمراجعة الادب فإذا كان الفعل عليه اعتراض من الشارع ولو في الظاهر فإنه ينسبه لنفسه كالمعتزلي ويصير قدرياً في ظاهره ، وقوله دون باطنه واعتقاده كما قال أحد الأدباء ، فأردت أن أعيبها يعني السفينة : وقال الآخر ، وإذا مرضت فهو يشفيني ، وهذا النوع من الاعتزال عين الكمال وإما أن يكون أعنى القائل بسم الله معتزلياً فالبراء في حقه معناها الملازمة لا أثر لمدخلها في الفعل ، وكذا قال صاحب الكشف وإن قال معناها خلاف هذا فهو مكابر لأنه يرى أنه خالق الأفعال الاختيارية ولهذا عنده ترتب الثواب على الطاعة ، والعقاب

على المعصية، فبإسم الله عنده للمصاحبة والملابسة كما في قولهم دخلت عليه
بشباب السفر، فإن المعتزلي يعتقد أن الله تعالى أعطاها القدرة على أفعاله الاختيارية
وفوض إليه بعد ذلك إن عمل صالحا فأنفسه وإن أساء فعليها، فهو هالك وأهلك
منه من قل أن القدرة والفعل له معا كمعدي الربوبية من الهالكين

(الموقف المائتان واحد والأربعون)

قال الله تعالى، إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين، التوبة أنواع
باعتبار ما منه المتأثم، فطائفة تتوب من المعاصي وطائفة تتوب من الطاعات
أي من نسبتها إليها مع فعلها، وطائفة تتوب من طلب الأعواض واللاجور
وطائفة تتوب من التوبة قال ابن العربي الصنهاجي رضي الله عنه

قد تاب قوم كثير وما تاب من التوبة إلا أنا

فالتائبون عام وخاص، وخاص الخاصة، ولفظ التوبة يعم الجميع لغة،
ولكن إشارة الآية الكريمة على ما أعطانا الإلهام الإلهي فرقت بين توبة
العموم، نسبتها تطهيرا، وبين توبة الخصوص نسبتها توبة، إذ ليست أدناس
مخالفات، وأوضار نسب طاعات، فالجواب الأولون المقدمون في الذكر
لنقدمهم رتبة هم الخاصة وخاصة الخاصة التائبون من التوبة، فالخاصة وهم
العارفون بالله توبتهم الرجوع منه إليه تعالى، وخاصة الخاصة وهم العلماء بالله
تعالى توبتهم الرجوع إليه من رجوعهم أي من نسبة لرجوع إليهم، إذ
لا يرجع إلا موجود حقيقة ولا وجود لهم فتوبتهم من دعوى الوجود،
والله يشير قائلهم

إذا قلت ما أذنبت قالت مجيبة وجودك ذنب لا يقاس به ذنب

فليس في الحقيقة إلا هو الراجع والمرجع إليه، فهو التائب كما قال تاب

عليهم ، فالتوبة فعله والفعل قائم بالفاعل وهو لاء التائبون هم المعنيون بقوله صلى الله عليه وسلم ، إن الله يحب كل مفتن تواب ، وفتنهم إنما هي طرؤ الغفلة عليهم من هذه المشاهدة لما هو لازم البشرية من الغفلة والذسيان ، فإذا تذكروا تابوا توبتهم الخاصة بهم ، فهم أحق وأولى بمحبة الله تعالى لهم ، وأما المتطهرون فهم التائبون من العامة سواء التائبون من المخالفات ، ومن طلب الأعواض على الطاعات ونحوهما ، ومحبة الله تعالى للمتطهرين ، أي التائبين من العامة إنما هي بركة التائبين الأولين ، وبالتبع لهم لا اشتراك في المعنى الذي هو الرجوع وإن كان بين الرجوعين فرقان بعيد ، إذ التوبة هي الرجوع الحقيقي وذلك بالتبرؤ من نسبة الرجوع الذي هو معنى التوبة إلى العدم ونسبته إلى الوجود ، كما هي توبة خاصة الخاصة ، أو الرجوع به منه إليه كما هي توبة الخاصة ، وما عدا هذين الصنفين فتوبتهم بمعنى رجوعهم تطهير لا رجوع ، لأنهم ما رجعوا بعد إليه وإنما رجعوا من عدم إلى عدم ، ومن كون إلى كون ، وما تاب أحد ولا تطهر بمعنى تاب إلا بعد توبة الله تعالى عليه ، كما قال ، تاب عليهم ليتوبوا ، فتوبتهم إليه فرع توبته عليهم ، أي فيهم ، فعلى بمعنى في إذ هم ظروف التوبة وهو فاعلها ليتوبوا أي لتنسب التوبة إليهم حيث أنهم ظروف وآلات لأفعاله ، فهو الفاعل حقيقة والنسبة إليهم مجازاً

(الموقف المائتان الثاني واربعون)

قال تعالى ، وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته ، الآية ، أعلم أنه لما أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم ، أن يقول للناس ، يا أيها الناس إنما أنا لكم نذير مبين ، فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم ، والذين سمعوا في آياتنا معاجزين

أولئك أصحاب الجحيم، أي أرسلت اليكم لتمييز أهل السعادة من أهل الشقاوة فلا بد أن يؤمن بي بعضكم فيسعد. وهم الذين آمنوا وعملوا الصالحات الى آخر الآية، ويكفر بعضكم فيشقى وهم الذين سعوا في آيات الله معاجزين الى آخر الآية، تنبيهها له صلى الله عليه وسلم، لئلا يصدر منه ما صدر من الرسل والانبيا قبله من التمني، رتب على ذلك أخبار صلى الله عليه وسلم بقوله، وما أرسلنا من قبلك من رسول الى آخر الآية، ذلك أن تعالى ما أرسل رسولا مستقلا بالدعوة ولا نبيا داعيا الى اتباع شريعة من قبله من الرسل، إلا ومحققه بصفة الرحمة الكاملة والرافة الشاملة، فيتمني لذلك ويقول بلسانه لا بقلبه، لأن التمني ليس من أعمال القلوب، ويتلفظ بقوله ليت الحق تعالى يهدي جميع من أمرني بدعوتهم اليه وهذا التمني قهري طبيعي في كل رسول ونبي كسائر الأمور الطبيعية لما يغلب عليهم صلوات الله عليهم وسلامه، من إرادة الخير لعباد الله وحب نجاتهم، وكان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم على جانب عظيم من هذا، كما أخبر الحق تعالى عنه في غير ما آية غير أنه ما صدر منه من هذا التمني قطعا، مع أن كل رسول ونبي يعلم أنه تعالى ما أمرهم بدعوة الخلق إلا لتمييز القبصتين وتبين أصحاب الشمال من أصحاب اليمين، لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل، وحيث كان هذا التمني وإن كان خيرا باديء الرأي، فهو مناقض للعبودية المحضة التي هي القاء القياد بيد العليم الحكيم، وعدم الاختيار لشيء معه تعالى، مع أن التمني لا جدوي له ولا فائدة لأن الشيء المتمني حصوله لا يخلو إما أن يكون مقدورا حصوله أو غير مقدور، فإن كان غير مقدور فهو معارضة القدر وإن كان مقدورا فهو تضييع للوقت وبطالة، ولما كانت مرتبتهم عند الحق تعالى أسمى المراتب

اقتضت أن الأولى بهم صلوات الله وسلامه عليهم تركه وإن كان هذا لا
يقدر في مراتبهم العلية حيث أنه كالأموار الطبيعية القهرية لهم ولكنه فيه
شوب من عدم الوقوف مع العبودية المحضة التي تقتضيها مراتبهم وذلك لما
جبل عليه البشر من الغفلة، فانه أمر ذاتي لا يرفع أبدا ولا عن الرسل
صلوات الله وسلامه عليهم، ولذا تقرر في القرآن العزيز الأمر بالرسل أن
يقولوا لأممهم إنما نحن بشر، وفي الصحيح إنما أنا بشر أنسى كما تنسون فإذا
نسيت فذكروني ولولا النسيان والغفلة ما حصل لهم هذا التمني مع عابهم
بحقيقة الأمر وباطنه فلهذا نبه الحق تعالى حبيبه المخصوص بخصائص ما
أدركمها رسول قبله لئلا يفوته هذا الأدب الواحد الذي ما خلا عنه رسول
ولا نبي إذ كل ما يقدر في مقام فإن صاحب ذلك المقام لم يتصف في تلك
الحال بالكمال الذي يستحقه ذلك المقام وإن كان من الكمال، قال إمام العالمين
بالله تعالى، ويرسله عليهم الصلاة والسلام شيخ الشيوخ محي الدين الحاتمي
ما رأيت ولا سمعت عن أحد من المقربين أنه وقف مع ربه علي مقام
العبودية المحضة، فالملأ الأعلى يقول أنجعل فيها من يفسد فيها، والمصطفون
من البشر يقولون، لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا، أن تهلك
هذه العصابة إن تعبد بعد اليوم، ولما صدر منهم صلوات الله وسلامه عليهم،
هذا التمني أدبهم الحق تعالى ونبههم على ما فاتهم في هذا التمني بتسليط
الشیطان والقائه تكذيبهم في نفوس جميع المتعني تصديقهم وهو أيتهم من
يصدقهم بعد ومن لا يصدقهم أبدا، وإن وجد فرد لم يتوقف ولم يتلعم وهو
الصدق فهذا نادر ولذا عظمت مرتبته كما قال، ألقى الشيطان في أمنيته
فالكل يرتاب ويتوقف، كما قال، كل ما جاء أمة رسولها كذبوه، وقال،

يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون، فينسخ الله ما يلقي الشيطان باظهار المعجزات الخارقة، والآيات المتتابعة، فعرف الكل صدقه، فمن سبقت له سعادة أظهر ما عرف باطنا، ومن سبقت شقاوته جحد واستكبر كما قال، إنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون. وقال، يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها، ونعمة الله هي محمد صلى الله عليه وسلم، وقال. وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا، أي جحدوا بها ظلما وعلوا مع إيمانهم أنها من الله تعالى تصديقا لرسوله، وقال، لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر، إلى أمثال هذه الآيات، ومن طالع كتب السير علم أن المشركين كانوا عالمين صدقه صلى الله عليه وسلم، ولكن جحدوا استكبارا وسبق شقاوة، وقد شهد الله تعالى أن اليهود كانوا يعرفون صدق محمد صلى الله عليه وسلم كما يعرفون أبناءهم ثم يلقي الشيطان المكذبين، أنكم خسرتم أنفسكم وسفهتكم أحلامكم بعدم إظهار ما علمتم من صدقه، ثم يلقي اليهم الشك أيضا وهذا دأبهم ودأب الشيطان معهم يشككهم في صدقه ثم يشككهم في كذبه، وإذا حال من كان في زمانه من الكفار كما قال فهم في ريبهم يترددون، وقال حكاية عنهم، وإنا لنفي شك مما تدعونا إليه مريب، ولهذا تكون معيشة الكافرين ضنكا كما قال، ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا، أي في الدنيا فهو في ضيق مما يلقي الشيطان إليه فلا يستريح باطنا في الدنيا أبدا، ثم يحكم الله آياته ويثبتها في قلوب المسلمين ظاهرا وباطنا، فلا يبقى لهم تردد ولا وسوسة في صدق الداعي إلى الله، وذلك بمخالطة بشاشة الإيمان لقلوبهم فلا يسخطونه أبدا، والله عليم بما تقتضيه استعدادات مخلوقاته حالة ثبوتها

وعندها ، حكيم يضع الأشياء مواضعها اللائقة بها بالاستحقاق من غير زيادة ولا نقصان ، ولا يظلم ربك أحدا في كل ما يفعل ويحكم ليجعل ما يلقي الشيطان فتنه ، بيان حكمة تسليط الشيطان بالاملاء في قلوب جميع أمة الدعوة والاجابة جميعا مع تنبيه الرسل والأنبياء على تمنيعهم وان ذلك فتنه ، فيقول المنافقون وهم الذين في قلوبهم مرض ، لو كان هذا حقا ما توقف الجميع فيه قبل ، والكفار المجاهدون وهم القاسية قلوبهم ، عار علينا أن نظهر تصديقه بعد جحوده استكبارا أو عنادا كما قال تعالى ، ولقد جاءتهم رسالهم بالبينات فما كانوا يؤمنوا بما كذبوا من قبل ، في الاعراف وقال في يونس ، ثم بعثنا من بعده رسلا الى قومهم فجاءوهم بالبينات فما كانوا يؤمنوا بما كذبوا به من قبل ، فشدد يدك ونص بالنواجد على ما سمعت في هذه الآية ، ولا تلتفت إلى ما ذكره كثير من المفسرين فيها في قصة الغرانيق التي وضعها بعض الملاحدة ايدخل الشك في الوحي والقرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وما تنزلات به الشياطين ، وما ينبني لهم وما يستطيعون ، وإني لاسئل من الله العفو والسماحة للحفاظ. ابن حجر حيث صحح تلك القصة الفظيعة الشذيمة ، وأيد طرق ورودها ورفع قوادحها ، والآية ما أخبرت أن هذا كان من محمد صلى الله عليه وسلم ، وإنما قال تعالى ، وما أرسلنا من قبلك ، فهو إخبار له صلى الله عليه وسلم لا إخبار عنه . وهو نص صريح ما يكون لنا أن نتكلم به هذا سبحانه هذا بهتان عظيم ، فأين ذهب شرف النبوة والرسالة الذي لا شرف فوقه إلا شرف الربوبية لو صحت هذه القصة ، فأين العصمة إذا كان الشيطان يأتي الكافر على السنة الرسل والأنبياء جميعهم ويسمعه الناس من لسان كل

رسول وكل نبي ، فان صريح الآية ان هذا التمني واقع من كل نبي ورسول أرسله الله تعالى ، والنطق بقصة الغرائيق كفر ضرورة ، ولو وردت القصة بأن الشيطان بقي في آذان السامعين هذا لربما كان له وجه الى القبول ، ولكن قالوا ألقى الشيطان على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اللهم إنا نعوذ بك من التلبيس ، ومن نزغات إبليس ، ومن ان نضل أو نضل (الموقف المائتان الثالث وأربعون)

قال تعالى ، سبّح اسم ربك الأعلى ، التسبيح التنزيه ، التنزيه التبعية أي باعد نسبة اسم ربك إلى ذاته عن مماثلة نسبة أسماء المحدثات اليها ومشابتها لها ، والاسم هنا عام أريد به خاص وهو ما يرمي لفظه ومفهومه تشبيها وتمثيلا وذلك ان أسماء تعالى قسمان ، قسم يدركه العقل وهو ما يقتضي الكمال والنزاهة فهو يدل على التنزيه بدلالة من الدلالات ولا يكون الأمر بتنزيه هذا الاسم فانه حاصل وتحصيل الحاصل محال وقسم لا يدرك العقل له كمالا ويتوهم أن التنزيه عنه هو الكمال ولولا أن الشارع سماه به ماسمي العقل الحق تعالى به ولا قبله في حقه وذلك كالضاحك والفارح ، والمتعجب والمحب ، والمتردد والناسي ، والمستحي والمأكر ، والمستهزئ والمستوي والنازل ، ونحو هذا مما ورد في الكتاب والسنة فهذا القسم هو المأمور بتسبيحه وتنزيهه ، فليست نسبة هذا القسم الى ذاته تعالى كنسبته إلى غيره من ذوات المحدثات لأن ذاته تعالى غير معلومة لنا فالنسبة اليها مجهولة لنا وفي ضمن الأمر بتنزيه الاسم تنزيه الذات المسماة بهذا القسم وهي الاسماء الشرعية ولكن من جهتين فالاسم ينزه من حيث النسبة عن المشابهة والمماثلة ، لنسبته لخلقوات حيث كان اللفظ واحدا ، والمفهوم واحدا ، لكن النسبة مجهولة مختلفة بلاشك

وأما تنزيه الذات المسماة بهذا الاسم فهو تنزيه التنزيه ، وهو ضد التنزيه العقلي ،
فإن العقل بتنزيهه أحال إطلاق هذه الأسماء عليه تعالى ، تنزيها له تعالى ، وما
قبلها إلا بضروب من التأويل والمجاز ، فأمر تعالى في كتبه وعلى السنة رسوله
عليهم الصلاة والسلام بتنزيهه عن هذا التنزيه العقلي وبإثباتها له كما سمي نفسه
ووصفها على المفهوم منها في اللسان العربي الذي خاطبنا الحق تعالى به ، وأرسل
به رسوله ليبين لنا ما نزل علينا ، فإنه من المحال أن يخاطبنا الحق تعالى بما لا نفهم
عنه ، ولكن لما جهلنا الذات العملية ، جهلنا نسبة هذه الأسماء إليها فقط ،
ألا ترى الصحابة الكرام رضي الله عنهم كانوا مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم حين نزلت عليه هذه الآيات التي كثر الخوض فيها والقييل والقال ما نقل
عن أحد منهم أنه استشكلها وسأل عنها رسول الله عليه وسلم ، وما ذلك إلا
بأن الأمر على ما ذكرناه فهو مذهب السلف الصالح ولكن الكثير من
علمهم المتكلمين ما فهموا مذهب السلف وقالوا عنهم أنهم يقولون لا نعلم ما خاطبنا
الحق به ونكمل علم ذلك إلى الله تعالى وإلى رسوله بمعنى أنهم لا يفهمون معاني
الأسماء التي سمي الحق تعالى نفسه بها من أسماء المحدثات ، وهذا محال فذلك
الأسماء أسماء الرب حقيقة لا مجازا وهو الرب الأعلى ، وهو التعين الأول
منشأ جميع الأسماء المشار إليه بقوله ، وإن إلى ربك المنتهى ، رب محمد صلى الله
عليه وسلم وهو أول التعينات ، وحضرة الجمع الجامعة لجميع الأرباب أي لجميع
الأسماء الربية التي تربي المخلوقات فالرب المضاف إلى ضمير محمد صلى الله عليه
وسلم أعلى الأرباب وأجمعها ومع كون هذه الأسماء والنعوت التي تطاق
على المحدثات أثبتها تعالى لنفسه حقيقة فهي من أسماء الأفعال لا تطلق منها ،
ونسماه به تعالى إلا ما أطلقه الشارع فنحن معه حيث ما كان فما قال قلنا

وما سكت سكتنا ، فلا نقول يا قاتل وقد قال ولكن الله قتلهم ، ولا
يا معذب وقد قال يعذبهم الله ، ولا يا مضل وقد قال يضل من يشاء ، ولا
يا مستهزئ وقد قال الله يستهزئ ، ولا يا ماكر ، وقد قال ومكر الله ،
ولا يا رامي ، وقد قال ولكن الله رمى ، ولا يا متقرب ، وقد قال تقربت
منه ذراعا ، ولا يا مهروول ، وقد قال اتيتته هرولة ، إلى غير هذا مما ورد في
الكتاب والسنة

(الموقف المائتان الرابع والأربعون)

قال تعالي ، وفيها ما تشتهيهِ الأُنفُس ، وقال ، ولكم فيها ما تشتهي
أنفسكم ، يعني الجنة التي وعد بها عامة المؤمنين ، فيها ما ترغّب فيه كل نفس
من المشتّيات الحيوانية الطبيعية ، والمستلذات الجسمانية ، وأما الجنة التي
وعد بها خاصة المؤمنين ، ففيها ما تشتهيهِ الأرواح وترغّب فيه الأسرار ،
وليس الآدوام الشهود على بساط القرب العلي الأعلى بالمنظر الأوضح
الأجلى ، ويجدون في تلك المشاهدة من اللذة كل ما يجده أهل الجنان من
اللذات وأزيد ، قال ، في الآيّة الأولى للجنس والعهد ، وهي كل نفس
انسانية باقية على أصل خلقتها ، والمخاطبون في الآيّة الثانية هم الصحابة
الكرام أصحاب النفوس الزكية التي ما خالطها شيء ولا اعتلت بعلم
خارجية ، فالمراد في الآيتين ان الجنة فيها ما تشتهيهِ كل نفس انسانية
باقية على أصل خلقتها ، سليمة من الآفات ، ما طرأت عليها علل خارجية
أخرجتها عن مجراها الطبيعي لها ، وليس الطبيعي إلا ما هو مشتهي العموم ،
ومستلذ الأذواق السليمة من الآفات ، فان بعض النفوس طرأت عليها
أمراض وأصابتها آفات ، بدلت صفاتها الطبيعية وجعلتها تشتهي ما هو

مستقذر عند الطبع السليم شنيع ، أو نكروه ما هو مشتهى عنده مستلذ ، وهذا مشاهد عيانا في الجهتين ، مشهور ، فمن دخل الجنة لا يشتهي اتیان الذکر ان فانها شهوة نشأت في بعض النفوس في الدنيا عن علة وآفة خارجة عن الطبع الحيواني ، حتى الحيوانات العجم فانها لا تفعله ، وما فعله الا شرار الانسان لمرض ، وما فعله أحد من البشر قبل قوم لوط عليه السلام ، قال تعالى ، أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين ، وقال تعالى فيهم ، بل أنتم قوم عادون ، أي متعدون الحدود لا أعني الحدود الشرعية فان الجنة لا تحجير فيها ، ولكن اعتداء الحدود التي للأشياء وهي المحافظة للأشياء المميزة لها ، فلا يدخل محدود في حد غيره ، ومن حد الذکر أنه فاعل كما أن حد الأنثى أنها منفعة ، فمن جمل الذکر منفعا فقد اعتدي حد الذکر وقلب حقيقته وقال تعالى فيهم ، وتأتون في ناديتكم المنكر ، فشهوة اتیان الذکر ان منكر غير معروف في العرف الانساني ، وقال فيهم ، بل أنتم قوم مسرفون ، متجاوزون الحكم الآلهية في مخلوقاته تعالى ، وقال فيهم ، أنتم قوم تجهلون ، وليس فيمن يدخل الجنة جاهل بحكمة الله تعالى فيما يفعل فان الحق تعالى ما جعل الفاعل يطلب الفعل والمنفعل يقبل ، بل يطلب من الفاعل الفعل الا للانتاج وحصول فائدة للفاعل والمنفعل ، فهذا حاصل في الأصل الذي وجدنا عنه فان الممكنات ما قبلت الفعل من الفاعل تعالى لما أرادوا إيجادها الا لما في ذلك من الانتاج لمن يسبح الله بحمده وحصول النعم للطرفين فاستفادت الممكنات ما نسب اليها من الوجود واستفادت الأسماء الآلهية ظهور سلطنتها بظهور آثارها وكذلك الأمر في الأجرام السماوية مع العناصر والاركان ، تفعل الأجرام السماوية في

المتأخر فتقبل فعلها فيها لما ينتج من ذلك النكاح المعنوي من المولدات ،
الحيوان وغيره ، وكذا الأمر في الحيوان والانسان يفعل ذكراؤه في انائه
فينتج من ذلك كثرة المسبحين لله بحمده مع حصول الفائدة واللذة
للطرفين ، قلوا انتفت اللذة من أحد الطرفين مع عدم الانتاج ، ما قيل منفعل
الفعل به ظمعا ، كاتيان الرجال الرجال فهو خلاف الطبيعة الانسانية ومجاري
الحكم الالهية تقتضي الا يخلق الله تعالى لأهل الجنة أدبارا ونشأ الجنة
غير معلوم فانه قال ، وننشئكم فيما لا تعلمون ، لأنه تعالى إنما خلق هذا المحل في
الدنيا لاخراج القدر والحب لا غير وأهل الجنة لا قدر يخرج منهم إنما هو رشح
يخرج من أعراضهم ، كما في الصحيح وقد ورد في الخبر ، أن أهل الجنة لا
أسنان لهم ، كما ورد أيضا ، أن الرجال لا لحي لهم ، وذلك لانتفاء الحاجة الي
الاسنان واللحى في الجنة بخلاف القبل في الرجل والمرأة فانه لمصلحة النكاح
الذي هو أعظم شهوة والذلة ولما فيه من الانتاج فقد ورد في خبر أن
أهل الجنة يتوالدون فقي كل دفعة من الرجل يخرج ولد كامل سوي يسبح
الله حيث شاء الله تعالى

(الموقف المائتان الخامس والاربعون)

قال تعالى ، قول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا
وجوهكم شطره ، أمر من الحق تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم ، ولكل
من تبعه بتولية وجوههم الباطنة تلقاء المسجد الحرام الباطني والمسجد الحرام
هنا إشارة لا تفسير كناية عن الحضرة الجامعة لجميع الحضرات ، وهي
حضرة الجمع والوجود فكما أمرهم تعالى بتولية وجوههم الجسمانية شطر
المسجد الحرام الجسماني ، أمرهم بتولية وجوههم المعنوية شطر المسجد الحرام

المعنوي ، حيث ما كنتم ، أي في أي مرتبة كنتم من مراتب الفرق ، فلتكن وجوهكم المعنوية متوجهة لمرتبة الجمع ، فإن الجمع حقيقة والفرق حكمة ووجه كل شيء عينه وحقيقته التي هو بها هو ، وهذا الوجه هو السكل مخلوق من الحق تعالى وهي الوجوه التي عنت للمحي القيوم في قوله ، وعنت الوجوه ، الآية وهذا الوجه هو الذي كان أصحاب الصفة رضوان الله عليهم يدعون ربهم بالغداة والعشي . يريدون معرفته وهذا الوجه هو الباقي من كل شيء إذا هلك كل شيء قال تعالى ، كل شيء هالك إلا وجهه ، وقال ويبقى وجهه ربك ، فهو مقصود الحق تعالى من الأشياء فلا يفتقد ما غاب إذا حضر ولا يعبأ بما حضر إذا غاب هو ، فظاهر الأمر يقتضي أن ثم مولي ومُتولي مطاوع وليس إلا واحدا هو المولي والمتولي ولشدة اعتناء الحق تعالى بهذا الوجه كرر في القرآن ذكره وكذا في السنة قال ، وأقيموا وجوهكم ، وقال ، بلى من أسلم وجهه لله ، وقال ، ومن يسلم وجهه إلى الله ، وقال . ومن أحسن ديننا ممن أسلم وجهه لله ، وقال حكاية عن الخليل عليه السلام ، وجهت وجهي الذي فطر السموات والأرض ، وفي الصحيح إن صلى الله عليه وسلم كان يقول عند النوم ، اللهم وجهت وجهي إليك ، وفي الصحيح في دعاء التوجه ، وجهت وجهي ، ونحو هذا والعامة لهم شعور بهذا الوجه ولا يعلمون ما هو وهذا من بقايا العلم الخاصة في السنة العامة فإنهم يقولون لمن يدعون له ، يبيض الله وجهك ، أبيض كان أو أسود ويقولون لمن يدعون عليه سود الله وجهك كذلك ، فليس المراد بهذا الدعاء إلا الوجه المذكور ، لا العضو المعروف واليه يشير قوله ، يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ، فإن من الوجوه الحاكمة على هذه الممالك الإنسانية المتولية على رعايتها من تأتي رعيته ومملكته دنسة قذرة سوداء

بإقذار المخالفات وأنواع الشرك والمعاصي، فهذا هو سواد هذا الوجه عند من
ولآه وجعله حاكماً، ومن الوجوه من هو بالعكس وهذا هو بياض هذا
الوجه عند من ولآه وهو الاسم الجامع كمحاسبة العمال وعرض رعاياهم
على الملك سواء بسواء يشير إلى هذا قوله، تعرف في وجوههم نضرة
النعم، أي تعرف من معرفتك وجوههم الحاكمة عليهم أنهم سعداء
أهل نعم فإن من عرف الحاكم عرف حال رعيته ومملكته الحاكم عليها
خيراً أو شراً

(الموقف المائتان السادس والأربعون)

قال تعالى، وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وألهنا وآلهكم واحد
ونحن له مسلمون، القول في الآية إشارة لتفسير إنه تعالى أمر المحمدين أن
يقولوا لكل طائفة من طوائف أهل الكتاب يهود ونصارى وصابئة وغيرهم
آمنا بالذي أنزل أي تجلي إلينا وهو الآله المطلق عن كل تقييد، المنزه في عين
تشبيهه، في عين تنزيهه، وهو هو المشبه في الحالتين وأنزل أي تجلي إليكم في
صور التقييد والتشبيه والتحديد وهو هو المتجلي إلينا وإليكم فليس النزول
والإنزال والتزليل والإيتاء، إلا ظهورات وتجليات سواء نسب ذلك إلى
الذات أو إلى كلامها أو إلى صفة من صفاتها، فإن الحق تعالى ليس في جهة
فوق لأحد فيكون الصعود إليه، ولا جهة لذات الحق تعالى وكلامه وأسمائه
فيكون النزول منه إلينا، وإنما النزول ونحوه باعتبار المتجلي له ومرتبته فالمرتبة
هي سوغت التعبير بالنزول ونحوه والمخلوق مرتبته ساقطة نازلة والحق تعالى
رتبته عالية رفيع الدرجات، فلولا هذا ما كان التعبير بنزول ولا إنزال ولا
صعود ولا عروج ولا تدل ولا تدان وإنما كان التعبير بالنبا للمجهول لأن

التجلى صادر من الحضرة الجامعة لجميع أسماء الألوهية ولا يتجلى منها إلا حضرة
الآله وحضرة الرب وحضرة الرحمن قال ، وجاء ربك ، وقال ، ينزل ربنا ،
كما ورد في الخبر وقال تعالى ، ألا ان يأتيهم الله ، وغير ممكن أن تتجلى حضرة
من الحضرات بجميع ما شتمت عليه من الاسماء فهي دائماً تتجلى بالبعض
وتستر بالبعض مما شتمت عليه فافهم ، فآلهنا وآله كل طائفة من الطوائف
المخالفة لنا واحد وحدة حقيقة كما قال في آي كثيرة ، وآلهكم آله واحد ، وقال ،
وما من آله إلا الله وإن تباينت تجلياته ما بين اطلاق وتقييد وتنزيه وتشبيه
وتنوعت ظهوراته ، فظاهر للمحمدين مطلقاً عن كل صورة في حال ظهوره في
كل صورة من غير حلول ولا اتحاد ولا امتزاج ، وظهر للنصارى مقيداً بالمسيح
والرهبان كما أخبر تعالى عنهم في كتابه وللإهود في العزيز والأخبار ، وللهجوس
في النار وللتنويه في النور والظلمة ، وظهر لسكل عابد شيء في ذلك الشيء من
حجر وشجر وحيوان ونحو ذلك ، فما عبد العابدون الصور المقيدة لذاتها
ولكن عبدوا ما تجلى لهم في تلك الصورة من صفات الآله الحق تعالى وهو
الوجه الذي لسكل صورة من الحق تعالى فالقصد بالعبادة واحد من جميع
العابدين ولكن وقع الخطأ في تعيينه فآلهنا وإله الإهود والنصارى والصابئة
وجميع الفرق الضالة واحد ، كما أخبر تعالى إلا أن تجليه لنا غير تجليه في نزوله إلى
النصارى ، غير تجليه في نزوله للإهود ، غير تجليه لسكل فرقة على حدتها ، بل تجليه
في تنزله للامة المحمدية متباين متخالف ، ولذلك تعددت الفرق فيها إلى ثلاث
وسبعين فرقة ، وفي نفس هذه الفرق فرق بينها تباين وتخالف كما لا يخفى على
من توغل في علم الكلام وما ذلك إلا لتنوع التجلى بحسب المتجلى له
واستعداده والتجلى تعالى واحد في كل تنوع وظهور ما تغير من الأزل إلى

لا بد، ولكنه تعالى ينزل لكل مدرك بحسب إدراكه والله واسع عليم، فانتفت جميع الفرق في المعنى المقصود بالعبادة، حيث كانت العبادة ذاتية له مخلوق وإن لم يشعر بها إلا القليل من حيث العبادة المطلقة لامن حيث أنها كذا وكذا واختلفت في تعيينه، فنحن للآله الكل مسلمون وبه مؤمنون، كما أمرنا أن نقول وما شقي من شقي إلا بكونه عبده في صورة محسوسة محصورة، وما عرف ما قلنا إلا خواص المحمدين دون من سواهم من الطوائف، فليس في العالم جاحد للآله مطلقاً من طبائعي ودهري وغيرهما، وإن فهمت عباراته غير هذا فأنما ذلك لسوء التعبير فالكفر في العالم كله إذن نسي، وهنا نكتة أن شعرت بها فن لم يعرف الحق تعالى المعبود هذه المعرفة عبدربا مقيدا في اعتقاده، محجرا عليه أن يتجلى لأحد بغير صورة اعتقاده هذا المعتقد وكان المعبود الحق تعالى بمعزل عن جميع الأرباب، وهذا من جملة الأسرار التي يجب كتمها عن غير أهل طريقتنا ويكون مظهره من الفتانين لعباد الله تعالى فالحذر الحذر، ولا ذنب على من كفر، مظهره من العلماء، أو نسيه إلى الزندقة حيث لا تقبل منه توبة والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

(الموقف المائتان السابع والأربعون)

قال تعالى، وهل أتاك نبأ الخصم، إلى قوله وحسن مآب، اعلم أن داود عليه السلام كان انسانا كاملا وخليفة ظاهرا وباطنا وما نص الله تعالى في كتابه على خلافة أحد من الخلفاء الآعليه في قوله، يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض، وآدم عليه السلام في قوله للملائكة، إني جاعل في الأرض خليفة، أي مسكنه بجسمه يكون في الأرض والآ فالخليفة نافذ الحكم في العالم كله أعلاه وأسفله والانسان الكامل الخليفة له استعداد للظهور

بجميع الأسماء الإلهية علي التمام ، ذاتية وصفاتية لأنه مخلوق علي الصورة وذلك ممكن غير واقع ، ولما ظهر داود عليه السلام بالأسماء التسعة والتسعين المشار إليها بقوله صلى الله عليه وسلم ، إن لله تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحد ، تعلقته همته بالظهور بكمال المائة وهو الاسم الذاتي الخاص بها ، غار الحق تعالى من المشاركة بالظهور باسم الذات فارسل تعالى الى داود عليه السلام ملوكين في صورة رجلين متخاصمين ، أحدهما نائب الحق تعالى والآخر نائب عن داود عليه السلام ، فقال نائب الحق تعالى نحن خصمان يعني بعضنا على بعض ، أي عدل عن خلقه وطلب غير مستحقه ، يريد داود عليه السلام فيما سمت همته اليه فاحكم بيننا بالحق وهو اعطاء كل مستحق حقه وليس لداود عليه السلام حق في الظهور بالاسم الذاتي وإن كان له استعداد لذلك إن هذا أخي ، يريد نائب داود عليه السلام وهو المدعي عليه ، ومن أسمائه تعالى المؤمن ، وقد ورد في الخبر المؤمن أخو المؤمن ، وفي هذا القول تسليية وتطيب لقلب داود عليه السلام ، حيث أنزل نائب الحق تعالى نائبه منزلة الأخ ، والغالب مشاركة الأخوين فيما لهما ، له تسع وتسعون نعمة كناية عن ظهور داود عليه السلام بالتسعة والتسعين اسما ، ولي نعمة واحدة ، يريد ما تقدمت لأحد فيها شركة ولا طلب أحد الشركة فيها قبله ، فقال أكفلنيها ، ضمها الى مع التسعة والتسعين نعمة ، ففهم داود عليه السلام المثل المضروب له أول ما تكلم به الخصم وهو نائب الحق تعالى ، ولذا حكم له ولم يتربص لكلام المدعي عليه ، ولا قال له أدل بحجتك ، بل ولا تكلم المدعي عليه بشيء ، وبإدراك داود عليه السلام بقوله ، لقد ظلمك ، يريد داود عليه السلام نفسه لا الملك الذي هو نائبه ، وظن

داود عليه السلام ، عند ذلك أن الوارد الذي ورد عليه بطلب الظهور
بالاسم المكمل مائة ، إنما هو فتنة واختبار من الحق تعالى له ، ثم راجع
علمه فإن المثل المضروب أذهله وأقلقه ، فاستغفر ربه من هذا الظن الذي
صدر منه فلتة لا غير ، ولذا كان التعبير باللقاء ، فالاستغفار والالاباة

عن الظن ، إذ ليس لكامل أن يظن بربه هذا ، فإنه إنما يأتي ما يأتي بالياء
آلهي أما بواسطة ملك ، أو من جهة الوجه الخاص به ، فهو على بصيرة
وبيئة في كل ما يأتي ويذر ، وأمر الحق تعالى للمكمل لا تكون حباثل
للمكر ، ولكن الحق تعالى قد يأمرهم بأشياء في بواطنهم ويمنعهم منها
ظاهر الحكم ، والحكمة هنا هي الآ يطلب أحد من الخلفاء الكاملين بعد
داود عليه السلام الظهور بالاسم الذاتي وهو المكمل مائة ، فإنه إذا منعه
داود وهو المنصوص على خلافته في القرآن ، وهو الذي كمل به ظهور
الخلافة فإنها من عهد آدم عليه السلام ، وهي تزيد في الظهور إلى أن
كمل ظهورها بـداود عليه السلام ، فغيره ممن لم ينص الحق تعالى على
خلافته أولى بالمنع ، فإياك أن تسمع لخرافات القصص وجهلة المؤرخين
ومن قلدهم من بعض المفسرين المولعين بنقل أمثال هذا عن أهل الكتاب ،
فإن مقام النبوة أعلا من أن يتكلم فيه برأي أو قياس ، وأعز من أن يدرك
لغير نبي فما علم العلماء من مقام النبوة الاسماء إلا ما علمه الناس من النجوم
عن ظهورها في الماء ، فالخذر الخذر من الخوض في النبوة والأنبياء
مطلقا ، فالله يعصمنا وإياكم من الزلل في القول والعمل ، وبعد كتابتي لهذا
الموقف بقليل ورد علي في الواقعة قوله ، وجوه يومئذ ناعمة لسعيها راضية
تم الجزء الأول ويليه الثاني

قد تم مقابلة هذا الجزء على أصله على قدر الامكان في يوم الثلاثاء
الموافق أول شهر صفر الخير لسنة ١٣٢٩ هجرية الموافق ٣١ يناير سنة ١٩١١
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
ونقل من نسخة بخط الشيخ عبد الرزاق البيطار وكان على هامش
الأصل تصحيح بخط المؤلف رضي الله عنه ونفعنا به آمين